

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

مجلد
الشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى
التفاسير

١٠٢٠٠٠٠٠٠١٣٠٥

٥١٩-٥٦٤ هـ / ١١٦٨-١١٩٣ م

رسالة مقدمة لأكمال متطلبات درجة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية

198-7



اعداد
الطالب / محمد فايز الحارثي

اشراف

الأستاذ الدكتور / محسن م. الرشيد السامرائي

١٤٠٥ هـ ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أَهْلَاءُ

إِلَى أَبِي وَأُمِّي مِنْبَعُ الْإِيثَارِ
إِلَى مُلْكِي وَوَطْنِ الْحَبِيبِينَ .
إِلَى مَنْ أُنَارَ لِي طَرِيقَ الْمَعْرِفَةِ
أَهْدِي ثَمَرَةَ غَرْسِهِمْ .

فكرة ومنهاج

* التاريخ ليس هو الحوادث ، إنما هو تفسير هذه الحوادث ، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان .

سيد قطب

مصطلحات

ورد في الرسالة المصطلحات المبينة فيما يلي :

أ - ن . م . س : تعنى المصدر السابق مع نفس
الجزء والصفحة .

ب - م . س : تعنى المصدر السابق مع اختلاف
في الجزء أو الصفحة .

ج - ص : تعنى صفحة من البحث .

د - بالنسبة للخرائط الواردة في البحث مرفقة بمجلد
خاص بها .

مُسَلَّمَةٌ

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله
بالحدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله
عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

ان أهمية دراسة التاريخ الحضارى للمسلمين ، يعتبر من
الموضوعات الهامة الى حد بعيد في عصرنا الحاضر ، ذلك اننا نستطيع من
خلال هذه الدراسة ، ان نتفهم بصورة أعمق الأبعاد والجذور التاريخية
لواقعنا المعاصر ، وما يكتنف هذا الواقع من مشكلات اجتماعية وفكرية وثقافية
للعديد منها اصولا تاريخية ، كذلك فان هذا النوع من الدراسة يعتبر ذا
أهمية خاصة بالنسبة للدراسات الانسانية ، نظرا لدوره في تقديم ممارسة
انسانية اسلامية يمكن اعتبارها رافدا مهما للتنظير والتأطير من مجال
الدراسات الانسانية الاسلامية المعاصرة ، وما يرتبط بهذه الدراسات من
موضوعات تخدم التخطيط والتنمية في العصر الحديث ، ومن هنا اتجهت
لدراسة الحضارة الاسلامية في اطارها العام ، وهو ما يمكن اعتباره الهدف
العام للدراسة ، اما بالنسبة لاختيار العمران كموضوع دراسي ، فذلك
لأنه الوعاء الذى يستوعب النشاط الحضري للانسان ، فالمدينة هي المكان
الذى يحتوى هذا النشاط في قمة توجهه وانبعائه ، وهذا الهدف المتعلق
بأسباب اختيار الموضوع في الدراسة العمرانية .

ان الاطار التاريخي لفترة الدراسة ، والمتمثلة في عهد الناصر
صلاح الدين الأيوبي ، فهذه الشخصية تعتبر من القمم البارزة في

التاريخ الاسلامي ، فقد تحقق على يدى هذا القائد العظيم انجازات كبيرة جدا ، خاصة على صعيد الجهاد في سبيل الله الاًمر الذى أكسبه احترام الأعداء قبل الأصدقاء ، وقد دفعني ذلك الى التدقيق في مدى ارتباط تلك الانجازات بالعمران البشرى ، وما اذا كان هناك بعدا حضاريا لانتصار حطين ؟؟

ان الاجابة على هذا التساؤل هي احدى ابرز معالم هذه الدراسة ، فما احدثه الناصر صلاح الدين الأيوبي من تغيرات حضارية في القاهرة ، تجاوزت المفاهيم المادية البحتة ، الى روح المدينة نفسها ، مما يبرر القول بأنها دخلت في تلك الاثناء في عصر جديد ، يختلف جذريا عما كانت عليه في السابق .

والحقيقة فان اختيار القاهرة كموضوع ، وفي فترة تاريخية معينة أمر في غاية الأهمية لأن هذه المدينة تعكس تفاعلا تاريخيا خصبا في مجال التمدن وال عمران ، فهي تحمل في احشائها سجلا ضخما من سجلات الحركة العمرانية عند المسلمين ، ابتدأت بوضع اللبنة الأولى لمدينة الفسطاط ، على يد القائد الفذ عمرو بن العاص ، بتوجيهات أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولتستمر حركة العمران فيها على شكل تجمعات عمرانية ومدن متقاربة (العسكر - القطائع - القاهرة) ولتنتهي بالسور الذى بناه الناصر صلاح الدين ، لكي يجمع بين تلك المدن ويوحدتها ، ولتستمر بعد ذلك التطورات العمرانية للقاهرة الكبرى تسير في هذا الاطار لقرون عديدة ، ولتصبح القاهرة الحديثة احدى اكثر مدن العالم ازدهاما وتكدسا من حيث المحتوى البشرى .

ان موضوعا كهذا ومدينة مثل القاهرة جديرة بالاهتمام
والدراسة والمتابعة ، خاصة وأنه لا يوجد حتى الوقت الحاضر دراسات جادة
تناولت هذا الموضوع في كامل الاطار الفكري المشار اليه سابقا.

لذلك قررت مستعينا بالله عز وجل دراسة القاهرة فـي
جوانبها العمرانية ، وتقدمت الى مجلس الدراسات العليا التاريخية
والحضارية موضوع عمران القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي ،
وجرت ولله الحمد الموافقة عليه كموضوع لتقدم به لنيل درجة الماجستير
في الحضارة الاسلامية .

ولعل من المفيد هنا أن نذكر ان الدراسة قامت بشكل أساسي
على وحدتين متماثلتين ، أولهما ، تتعلق نحو دراسة الفعل الحضاري
للانسان كمؤثر مهم في تكوين المظهر العمراني ، وذلك من خلال
المعالجة الجغرافية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ،
ما يترتب عن تلك المعالجة من نتائج حضارية وعمرانية ، أما الوحدة
الثانية ، فهي تهدف للوصول الى الصورة العمرانية ، التي ترتبت كنتائج
للوحدة الأولى ، وذلك عن طريق ايضاح مظاهر التأثير على التخطيط
المادي للمدينة ، بالاضافة الى التطرق الى نتائج هذا التأثير على
المكونات الداخلية لهذا التخطيط ، وذلك عن طريق دراسة أقسام المدينة ،
بالاضافة الى دراسة الانعكاسات التي ظهرت على المنشآت ، والاضاع
السكانية .

ومن خلال هاتين الوحدتين ، جرى العمل على دراسة مجموعة
من المداخل التي تسهم في توضيح ابعاد أهداف البحث ، يمكن تلخيصها
في التالي :

أولاً : دراسة الانسان كوحدة سلوك ، ذات تأثير على النواحي

العمرانية في المدينة ، اذ ان حياة الانسان لا تتميز بالثبات في جميع اوجهها ، بل انها تكون عرضة للتغير في اكثر من جانب ، الأمر الذي سينعكس بالتأكيد ، على مكونات نشاطه الحضري والعمراني ، ولذلك فان اجراء مثل هذه الدراسة قد تسهم في تقديم فهم متعمق لأسباب التغير في النشاط الحضري والعمراني للانسان ، مما يساعد في تقديم تصورات تنظيمية تفيد في مجال الدراسات الانسانية ، خاصة تلك التي تتعلق بجوانب الانماء والتحضر .

ثانياً : القيام باجراء اختبار ودراسة ، لمجموعة من النظريات

العمرانية ، خاصة تلك التي قام بوضعها ابن خلدون ، الذي ينبغي الاعتزاز بمقدمته كأحدى مشريات الفكر الانساني ، ولقد اثبتت الدراسة صحة العديد من النظريات التي طرحها في مقدمته من خلال تطبيقها على مكان وزمان البحث .

ثالثاً : القيام بدراسة وصفية تحليلية للنواحي الحضارية

والعمرانية ، للقاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وذلك بهدف اثراء معرفتنا التاريخية ، وابراز الوجه الناصع للحضارة الاسلامية والتي حاول الكثيرون طمسها .

أما عن الصعوبات التي واجهها البحث ، فهي كثيرة ، والحمد لله

على كل حال ، ومن ابرزها قلة المعلومات المباشرة في مجال مظاهر النشاط العمراني ، فعلى الرغم من توفر المصادر المختصة بالنواحي العمرانية للقاهرة ، فان اختيار فترة الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كشريحة

تحكمها فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أربعة وعشرين عاما ، زاد من صعوبة توفر المادة العلمية فأضحت ضيقة النطاق الى حد بعيد ، الأمر الذى نجم عنه أن واجه البحث صعوبات في توفير المادة التي تتناسب مع المفروض التي كان ينبغي التأكد من جدواها .

كذلك ظهرت أمام البحث مجموعة من المشكلات ، سببتها بعض النصوص المتناقضة ، أو الفهم الخاطيء لبعضها ، مما استوجب البحث في معالجة منطقية لهذه المشكلات .

ومن المشكلات الرئيسية التي واجهها البحث ندرة الخرائط الجغرافية الخاصة بفترة الدراسة ، ان أنه على الرغم من توفر بعض الخرائط عن القاهرة الفاطمية ، والأيوبيه ، والمملوكية ، التي قام بعملها بعض الباحثين ، واستفاد منها البحث ، فان تلك الخرائط لم تكن كافية ان أنها لم تعط سوى اجزاء يسيرة من اطار الموضوعات التي تناولتها الدراسة ، فبالنسبة للخرائط التي تناولت الفترة الفاطمية ، فانها حرصت على التركيز على القاهرة في عهدها الأول ، وتناولت فقط تحديد بعض المناطق المهمة ، كالقصرين الشرقي والغربي بالإضافة الى الاحياء والرحاب والبيادين الرئيسة ، ولم تتطرق الى الكثير من المواضيع التي تعود لتلك الفترة ، والتي اقتضت علاقتها بفترة الدراسة الاشارة اليها .

أما بالنسبة للفسطاط ، فنظرا لاندثار معظم أجزائها وتحولها الى أكوام وخرائب ، فان ذلك قد أثر الى حد بعيد على مستوى التوقيع الخرائطي لها ، وان كان ينبغي الاشارة هنا الى الخريطة الرائدة والمهمة التي أعدها المستشرق بول كازنوبا ، والتي افادت البحث كثيرا ، واتيح لي

من خلالها تحقيق بعض التقدم في مجال انجاز خارطة جديدة توصل اليها البحث عن الشكل العام للمدينة في أواخر العصر الفاطمي وفي عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

أما بالنسبة للخرائط التي نشرت في المراجع المختلفة والتي تناولت الفترة الأيوبية ، فيغلب عليها انها تناولت الشكل العام للمدينة مع التركيز على السور والقلعة بشكل خاص دون الاهتمام بالمواضع الأخرى التي توضح معالم التطور في المدينة في تلك الاثناء . ولعل أكثر تلك الخرائط تعمقا هي ما قامت بعمله الباحثة سوزان جان ، بيد أنه ينقصها الاشارة الى العديد من المواضع ، ويقتضيها بعض التعديلات .

اما عن الخرائط التي قدمتها المراجع عن الفترة المملوكية ، فيمكن القول بأنها من أهم وأبرز الخرائط التي نشرت حتى الآن ، ولعل السبب في ذلك ، يعود الى ان المدينة في تلك الفترة قد اتضحت معالمها ، وتوفرت النصوص الكثيرة الواضحة عنها ، بيد أن فائدتها بالنسبة للبحث ليست بالكبيرة وذلك لتأخرها عنها من الناحية التاريخية .

امام هذه الاعتبارات ، فلقد كان من المهم والضروري القيام باجراء العديد من التوقيعات الجديدة ، واستعانت الدراسة في ذلك بالعديد من الخرائط المعتمدة ، اهمها خرائط الحملة الفرنسية وخريطة هيئة المساحة المصرية للأثار الاسلامية ، حيث تم متابعة التوقيعات من خلالها ، وذلك بتدوين الأسماء الحديثة للمواضع التي جرى توقيعها ، وذلك بالاعتماد على اقوال المؤرخ الكبير على باشا مبارك ، في كتابه الخطط التوفيقية ، وعلى اقوال المحقق العلامة محمد رمزي في كتابه



القاموس الجغرافي ، وتعليقاته في كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، هذا علاوة على ما ورد عند غيرهم من الباحثين .

أما عن نطاق البحث فان الدراسة قد شملت اثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضارى والعمراني لمدينة القاهرة وقد جرى تقسيم البحث فيها الى بابين ، الأول يستهدف عرض وتحليل لأبرز عوامل التطور العمراني للمدينة حيث تضمن بادىء الأمر عرضاً تمهيدياً تم من خلاله استعراض وضع المدينة كوحدة حضارية وعمرانية وذلك من الناحية النظرية ، فضلاً عن القاء نظرة تم من خلالها التعرف على العوامل المؤثرة في التطور العمراني للمدينة ، ثم اتبعت التمهيد بأربعة فصول .

جرى الحديث في الفصل الأول عن العوامل الجغرافية ، فمن المعروف ان أى مدينة تتأثر وتوثر في البيئة الطبيعية التي تقع فيها ، ولقد تميز موضع القاهرة الكبرى باحتوائه على عدد من العناصر الجغرافية ، أهمها نهر النيل ، وتلال المقطم ، والخلجان والبرك المائية ، وأخيراً الأتواء . وقد عمدت الدراسة الى استكشاف المتغيرات الطبيعية التي تعرضت لها هذه العناصر - كانهراف مجرى نهر النيل مثلاً - علاوة على توضيح التطورات التي طرأت على علاقة الانسان الذى استوطن القاهرة بهذه العناصر ، ومدى تأثير ذلك كله على النواحي العمرانية في المدينة .

أما الفصل الثاني ، فقد تناول النواحي الاجتماعية ، فالمدينة مركب انساني ومادى في آن واحد ، وبالتالي فان المتغيرات الاجتماعية لا بد وأن يكون لها تأثير على التكوين المادى للمدينة . ولقد شهد عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي متغيرات اجتماعية اساسية انتابت حياة

المجتمع القاهري ، كان من اهمها التغيرات المتعلقة بالنواحي الدينية ،
فصلاح الدين كان حريصا على القضاء على البدع والخرافات التي سادت
مجتمع القاهرة ابان حكم بني عبيد . ، كذلك عمل على نشر التعليم
والثقافة بين الناس ، هذا علاوة على ما طرأ على الحياة الاجتماعية من مظاهر
ومتغيرات جديدة في انماط الحياة ، ترتب عنها وعن العوامل السابقة
ايضا اثار عمرانية هامة .

وتناول الفصل الثالث ، جوانب انسانية أيضا ، اذ انه يتعلق
بالنواحي السياسية والعسكرية ، وهي امور معنوية بطبيعتها . فقد شهدت
القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين مواقف سياسية وعسكرية في غاية الأهمية ،
فوظيفة هذه المدينة تطورت في تلك الاثناء ، نظرا لكونها أضحت عاصمة
لدولة قوية مترامية الاطراف ، تضطلع بدور كبير يهدف الى توحيد العالم
الاسلامي ، وطرد الصليبيين من بلاد الشام وفلسطين . كذلك فان قيام
الدولة الايوبية ، أمر لم يكن ليمر بسلام ، دون ان يشهد ذلك قيام
جبهات معادية لها ، وعلى الأخص من قبل الفاطميين ، والصليبيين ،
الأمر الذي كان له انعكاس على النواحي السياسية والعسكرية ، ولقد ترتب
عن كل ذلك ظهور اشكال من التكييفات العمرانية تنسجم مع هذه
الظروف .

أما الفصل الرابع ، فيتناول النواحي الاقتصادية للمدينة ، حيث
شهدت اقتصادياتها في عهد الناصر صلاح الدين ، تطورات أساسية ،
فهي من ناحية أضحت المصب الذي تركز فيه ثروات البلاد ، وهي ثروات
شهدت تزايدا في مقدارها نتيجة ازدهار الزراعة والتجارة في مصر حينئذ .
هذا علاوة على ان هذه الثروات جرى إعادة توزيعها بطريقة تؤدى بها

نحو فئات كبيرة من مجتمع القاهرة فترتب عن ذلك انعكاسات عمرانية في غاية الأهمية . هذا فيما يتعلق بالباب الأول . أما الباب الثاني فقد هدف الى توضيح مظاهر التطور العمراني في القاهرة في تلك الأثناء ، وتكون هذا الباب من تمهيد واربعة فصول أيضا ، ففي التمهيد جرت الإشارة الى طبيعة العلاقة بين البابين الأول والثاني ، مع توضيح اثر العوامل في ازدهار النشاط العمراني في القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وأثر هذا الازدهار على طبيعة الأوضاع العمرانية في المدينة كما كانت سائدة في العصر الفاطمي .

أما عن الفصل الأول ، فقد تناول التخطيط المادي للمدينة وذلك بتوضيح الشكل العام للمدينة الكبرى ، وما طرأ عليه من تغيرات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ولقد جرى توضيح هذه التغيرات من خلال تبين التوسعات التي شهدتها القاهرة في تلك الأثناء ، ومن خلال دراسة البنية وما طرأ عليها من تغيرات في تلك الأثناء أيضا .

وفي الفصل الثاني ، جرى تناول أقسام المدينة ، وهي : الخطط والأحياء السكنية ، والشوارع الرئيسية ، والأسواق ، والبساتين ، والمتنزهات والرحاب والمبادين ، والمقابر ، وهي تشكل في مجموعها العناصر الأساسية لمادة المدينة . ولقد جرى توضيح ما طرأ على هذه الأقسام من تطورات وتغيرات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

أما الفصل الثالث ، فقد تناول منشآت المرافق وابرز المتغيرات التي ظهرت عليها في تلك الأثناء ، حيث دخل عليها في تلك الأثناء انواع جديدة من العمائر ، كذلك جرى التوسع في استغلال بعض الأنواع الأخرى

التي كانت توجد في هذه المدينة قبل هذا التاريخ ، هذا علاوة على انه قد جرى بناء عمائر للمرافق فسي مواضع لم تكن توجد بها في السابق ، بالإضافة الى بناء منشآت جديدة بدلا من اخرى قديمة ، علاوة على تجديد عمارة بعض المنشآت الاخرى القديمة .

اما الفصل الرابع ، فكان موضوع تناوله الاوضاع السكانية ، وما طرأ عليها من تحولات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث جرى فسي تلك الأثناء تغيرات سكانية اذ استبدلت عناصر سكانية فاطمية بعناصر سكانية أخرى ، شجع الناصر صلاح الدين على هجرتها الى مصر . كذلك جرى في تلك الأثناء تغيرات في توزيع الكثافات السكانية والتوزيع الاجتماعي لسكان المدينة .

وفي الاجمال ، فانه لا يمكن الادعاء بأنني قد تمكنت من تحقيق جميع الأهداف التي أصبو اليها من خلال هذه الدراسة ، وان كنت قد حرصت كل الحرص على بذل اقصى جهد ممكن من أجل تحقيقها ، فان كنت قد وفقت في تقديم شيء مفيد فان ذلك بفضل من الله جل وعلى ، وان كنت قد قصرت ، فذلك من نفسي ، ولقد خلق الانسان ضعيفا .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة المتواضعة ، أود بعد حمد الله تعالى وشكره على ما تفضل به وأنعم ، ان اتقدم بشكرى الخالص الى جامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها الدكتور راشد بن راجح الشريف ، وكافة المسؤولين فيها .

كما لا يفوتني أن اتقدم بخالص الشكر والثناء الى استاذى الفاضل الاستاذ الدكتور حسن الباشا ، الذى كان له دورا بارزا في اعداد الخطة ،

وعلاوة على مشاركته لي في هموم البحث ومشكلاته ، كذلك اتقدم بالشكر الى الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي ، الذي كان لتوجيهاته وارشاداته دورا كبيرا في ان ترى هذه الدراسة ، طريقها الى النور ، وتخرج الى حيز الوجود .

وأود أن أشكر أيضا عمادة كلية الشريعة ، ممثلة في عميدها السابق الدكتور صالح بن حميد ، وعميدها الحالي الدكتور سليمان بن وائل التويجري ، الذي كان لتعاونهما دورا في اخراج هذه الدراسة ، وأخص بالشكر صبرهم وحلمهم الذي أخرجني كثيرا ، كما أشكر الدكتور عبد الرحمن العثيمين الرئيس السابق لمركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي الذي أعانني مشكورا في الحصول على العديد من المصادر المهمة التي تخص الدراسة .

كما أتوجه بالشكر الى الاخ الأكبر رئيس قسم الحضارة والنظم الاسلامية الدكتور ضيف الله الزهراني ، الذي كان له معي مواقف لا تنسى ، سأظل ما حييت ذاكرا لها ، شاكرا جميله مقدرا بكل امتنان تعاونه وحرصه ونصحه .

وبالاضافة الى هؤلاء أود أن أشيد بالكثير من الأخوة الذين ساهموا بقسط في اخراج هذه الدراسة ، من أمناء مكاتب في أنحاء مختلفة من العالم الاسلامي ، الذين أسهموا في تسهيل مهمتي في الحصول على العديد من المصادر والمراجع ، علاوة على الخطاطين والرسامين . فلهم جميعا جزيل الشكر وأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء انه كريم وهاب ، سميع مجيب الدعاء ، وأسأله جل شأنه أن يتقبل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

الطالب/ عدنان محمد فائز الحارثي

نقد المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر التي زودتها بالمادة العلمية اللازمة ،والحقيقة فان التعرض لجميع المصادر التي اعتمد البحث عليها أمر يطول شرحه ،علاوة على انتفاء الجدوى من ذلك نظرا لتكرار المعلومات في الكثير منها ،ولذلك جرى الاكتفاء هنا بالاشارة الى المصادر الرئيسة منها .

(١)

وأولى هذه المصادر ،كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،

من تصنيف محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي (ت. ٣٩٠هـ /

١٠٠٠ م) احد مشاهير الرحالة والجغرافيين المسلمين ، تعاطى التجارة ،

وعشق الترحال والسفر ، وخاض غمار الكثير من تجارب الحياة ، وكان له في

الأصقاع المختلفة مشاهدات عدة دونها في كتابه هذا ^(٢) . الذي تميز

بالاجمال في الوصف ، وعرض بشد الانتباه من حيث سلاسة العبارة ولطفها .

ودقة في المنهج ، حرص فيه على ان لا يدون المعلومات التي دونها

من سبقه من الجغرافيين ، علاوة على انه اقتصر في تدوينه على الأماكن

التي شاهدها ^(٣) . ولذلك فانه يقول عن كتابه هذا (.. اعلم انني

(١) قام (M.J.Degoeye) بتحقيق هذا الكتاب ونشره ،

وطبع في ليدن عام ١٩٠٩ م .

(٢) عنه انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ،

بغداد ج ١٦ / ١ - ١٧ . كحالة ، معجم المؤلفين (تراجم

مصنفى الكتب العربية) بيروت ، ج ٨ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ، زكي

حسن ، الأعمال الكاملة (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى)

بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ج ٨ / ٤٢ - ٤٣ ، محمد محمود

محمد دين ، التراث الجغرافي الاسلامي ، الرياض ، ط : الثانية ،

١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٤٥١ .

(٣) زكي حسن ، م. س ج ٨ / ٤٣ .

أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة ، وأسندته بدعائم قوية ، وتحريته جهدي الصواب .. (١) . والحقيقة فان كتابه يحتوى على معلومات وفيرة رغم اقتضابها ، مبتدءا اياه بايضاح لبعض المصطلحات التي ترد في ثنايا كتابه ، فأكرا اسماء البحار والأنهار المعروفة في عصره ، والمذاهب والأديان التي كانت في ديار الاسلام آن ذاك ، واسماء المواضع المتشابهة وغير ذلك من المعلومات التي وردت مختصرة أو مفصلة عن أقاليم دار الاسلام ، بحيث انه يمكن القول ان هذا الكتاب يعد موسوعة جغرافية ، لما يحتويه من معلومات عن الجغرافيا الطبيعية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية .

ولقد أفاد هذا الكتاب البحث ، فيما أورده من معلومات عن مصر وأحوالها في أوائل عهد الفاطميين . خاصة فيما ذكره عن تأثير نهر النيل على الأوضاع الزراعية فيها ، وفيما أورده عن الفسطاط وما كان يجري فيها من نشاط تجارى واقتصادى وحال أسواقها في تلك الأثناء ، وما كانت عليه كثافتها السكانية ، وتوزيع هذه الكثافات بحسب الانتماء المذهبي والديني ، والعلاقة العمرانية فيما بينها وبين القاهرة وهي مادة كان لها دورها في الفصل الرابع من الباب الأول . والفصول الأول ، والثاني ، والرابع من الباب الثاني .

ومن المصادر الرئيسة التي اعتمدت عليها الدراسة ، كتاب رحلة ناصر خسرو المشهور بسفرنامه^(٢) ، لأبي معين ناصر خسرو الحكيم

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص : ٣ .

(٢) قام يحيى الخشاب بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، وعلق

عليه ، وطبع في بيروت ، عام ١٩٧٠ م .

القبازياني (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م)^(١) ، وهو رحلة شهير ، زار بلدان عدة منها ايران ، وتركستان ، والهند ، وجزيرة العرب ، ومصر ثم استقر مدة طويلة تزيد عن الثلاث سنوات ، حيث اعتنق هناك المذهب الباطني الاسماعيلي وتزود بمعارفه ليكون احد ابرز دعاة هذا المذهب في شرق العالم الاسلامي ، وصنف فيه المصنفات العديدة التي تدعو الى هذا المذهب .^(٢) ولقد تميز كتاب سفرنامه بأنه يحوى على العديد من المعلومات التي دونها هذا الرحالة عما شاهده في رحلته ، ومنها تلك المعلومات التي اوردها هن مصر خلال حكم بني عبيد ، وان كان قد تميز أسلوبه بالمبالغة في الوصف والتصوير^(٣) . ولقد أفاد هذا الكتاب البحث بمادة جيدة عن الفسطاط والقاهرة ، حيث أشار بوضوح الى مدى تأثير نهر النيل على توزيع العمران في المدينة في تلك الأثناء ، كذلك زوده بأوصاف عن النشاط الاقتصادي والصناعي فيها ، ومراكز هذا النشاط وآسواقه . الأمر الذي أفاد الدراسة في فصلها الأول من الباب الاول والفصل الثاني من الباب الثاني .

-
- (١) زكي حسن : الاعمال الكاملة ج٨/ ٥٧ ، ويذكر البغدادي ان وفاته كانت في عام (٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين (اسماء المؤلفين والمصنفين) . استانبول ١٩٥٥ م ، ج٢/ ٤٨٧ ، والراجع ان وفاته تلت هذا التاريخ ، حيث كان تأليفه لكتابه هذا في تاريخ لاحق عنه . انظر : ناصر خسرو ، سفرنامه ، (المقدمة) ص ١٦ .
- (٢) عنه انظر ناصر خسرو ، م.س ص ٩-٣٢ ، البغدادي ، م.س ، ج٢/ ٤٨٨ ، زكي حسن ، م.س ، ج٨/ ٥٦ = ٦٣ .
- (٣) ناصر خسرو ، م.س ، ص ١٦ ، ٢٨ ، ٢٩ .

ومن المصادر التي افادت البحث أيضا تاريخ القاضي الفاضل
ورسائله ، من تصنيف محبي الدين عبدالرحيم بن علي بن محمد اللخمي
العسقلاني الشهير بالقاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) كان في
بادىء امره موظفاً في ديوان الانشاء الفاطمي (١) ، فلما تمكن الايوبيون
في مصر التحق بهم واتصل بجم الناصر صلاح الدين ، الامير اسد الدين
شيركوه (٢) ، ثم أخذ أمره بالصعود في عهد الناصر صلاح الدين ،

(١) ديوان الانشاء : كان مختصا بالرسائل ومكاتبات الخليفة ويعتبر
القلقشندي ان " كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم ، تشير الى
انه اول ديوان وضع في الاسلام . الا أنه من المرجح ان هذا
الديوان لم يعرف كمؤسسة ادارية الا في العصر الاُموي .
ولقد أولى الفاطميون هذا الديوان رعايتهم واهتمامهم ، فكان
صاحبه من المقربين الى الخليفة ومن اهل الشورى عنده ، ولا
يختار له الا من برز في البلاغة والفصاحة . انظر : القلقشندي ،
صبح الأعشى ، ج ١ / ٩١ ، ج ٣ / ٤٨٦ - ٤٨٨ ، محمد ضيف الله
البطانية ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص ص : ١٢٤ ،
١٣٠ - ١٣٢ .

(٢) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذى بن مروان الملقب
بالملك المنصور أسد الدين (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) وهو عم
الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، عرف بالشجاعة والاقدام
فولاه الملك المعادل نور الدين زنكي قيادة جيوشه ، فكان قائد
حملاته على مصر عندما اضطربت امور الدولة الفاطمية في اواخر
عهد لها ، ولي في اواخر عمره الوزارة للخليفة العاضد لدين
الله الفاطمي (٥٥٥ - ٥٦٢ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٢ م) فما
لبث بها الا بضعة أسابيع حتى توفي ، ليلها من بعده ابن
اخيه الناصر صلاح الدين ، فيكون بذلك أول من ثبت اقدام

الذى جعله وزيرا له واختص بمشورته ، عرف عنه التقوى وكثرة الصدقات ، وكان ذا ثقافة واسعة وشفف بالمعرفة ، اقتنى الكتب من كل فن وجلبها من كل مكان ، حتى قيل ان عددها قد بلغ عنده ، مائة واربعة عشر ألف مجلد ، وذلك قبل أن يموت بعشرين عاما . عرف عنه المهارة في الانشاء والبلاغة في القول ، فاعتبر من كبار رجال الاثب ، ومن كان لهم باع واسع في تشكيل المدرسة الادبية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي وكانت له رسائل كثيرة جدا ، قيل ان مسوداتها لو جمعت لما احتواها مائة مجلد . (١) ولا يعرف في الوقت الحاضر كتابا من تأليف القاضي الفاضل ، ولذلك فان كتابه في التاريخ يعتبر من عداد الكتب المفقودة ،

==== الايوبيين في مصر . للمزيد انظر : ابوشامة ، شهاب عبد

الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) ،

الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاجية ، ٩٦٢م

ج ١ / ق ٢ / ٣٢٩-٣٣٨ ، ابن خلكان ، ابي العباس شمس

الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، ج ١ / ٢٥٥-

٢٥٧ ، ج ٢ / ٤٧٩-٤٨٠ ، ج ٧ / ١٣٩-١٥١ .

(١) عنه انظر العماد الاصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد الكاتب

الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، خريدة القصر وجريدة

العصر (قسم شعراء مصر) تحقيق احمد امين واخرون ، القاهرة

ج ١ / ٣٧-٥٤ ، ابن خلكان ، م . س ، ج ٣ / ١٥٨-١٦٣ . ابن

اياس ، محمد بن احمد بن اياس الحنفي (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)

بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، فيسبادن

ط . الاولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ج ١ / ق ١ / ص ٢٣٨-٢٣٩ .

====

اختلفت المصادر في تحديد سماء ، فمنهم من سماه تاريخ القاضي
الفاضل (١) ، ومنهم من سماه بالمتجددات او بالمجريات .. وهكذا (٢)
وعلى أية حال فان هذا الكتاب كان اشبه بالمذكرات اليومية (٣) ، نقلت
عنها المصادر الكثير من المعلومات ، وعلى الاخص تلك التي نقلها
المقريزي ، وجرت الافادة منها للتعرف على بعض جوانب النشاط الاقتصادي
في القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين ، كما ورد في الفصل الرابع من
الباب الاول ، كذلك فان رسائله لم تتوفر مجمعة في كتاب واحد ، وانما
جرى جمع بعضها في بعض الكتب ، مثلما فعل ابن نباته الذي جمع
بعض هذه الرسائل في كتاب اسماء المختار من كلام القاضي الفاضل .
وسترد الاشارة اليه لاحقا . كذلك نقل بعض المؤرخين بعضا من
رسائله ، مثل ابوشامة في كتابه الروضتين ، والعماد الاصفهاني في كتابه
البرق الشامي ، والقلقشندي في كتابه صبح الاعشى ، وغيرهم من
المؤرخين يرد الاشارة اليهم في ثنايا هذه الدراسة . ولقد غدت هذه

- ====
ابن العماد ، ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،
(ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٨١ م) ، شذرات الذهب في اخبار
من ذهب ، بيروت ج ٤ / ٣٢٤-٣٢٧ ، عبد اللطيف حمزة :
الحركة الفكرية في العصرين الايوبي والملوكي الاول . القاهرة
ط : الثامنة ، ١٩٦٨ م ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٨٤ - ٢٨٦ ،
نظير سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي ،
القاهرة ١٩٦٢ م ص ٢٨ - ٣٩ .
(١) ابن خلكان ، م . س ج ١ / ٢٥٨ .
(٢) نظير سعداوى ، م . س ، ص ٣٦ .
(٣) ابن خلكان ، م . س ، سعداوى ، م . س .

الرسائل البحث بمادة وفيه ، حيث ورد فيها الاشارة الى مواقف الناصر صلاح الدين تجاه العديد من القضايا السياسية والاجتماعية ، هذا علاوة على ما ورد فيها من معلومات توضح دور بعض المنشآت المعمارية واهداف بنائها ، وعن الاوضاع الاقتصادية في اواخر العصر الفاطمي ، وفي عهد الناصر صلاح الدين ، وجرى الاشارة اليها في الفصول الثاني ، والثالث ، والرابع من الباب الاول ، وفي الفصلين الثالث ، والرابع من الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب البرق الشامي ، من تصنيف محمد بن محمد بن حامد الكاتب الشهير بالعماد الاصفهاني ، وبابن أخى العزيز (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) نشأ في فارس ، ومنها قدم الى العراق حيث نال حظا وافرا من العلم ، واشتغل هناك بصناعة الكتابة . وتقلب في الوظائف الادارية . كان على صلة بوالد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، الامير نجم الدين ايوب ^(١) ، الا ان اتصاله بصلاح الدين كان عن طريق القاضي الفاضل ، الذي اشار على الناصر باستخدامه ،

(١) هو ابو الشكر ايوب بن شادى بن مروان الطلق بالملك الأفضل

نجم الدين ايوب (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م) ، اشتهر برجاحة الرأى والسداد في التفكير ، ولي تكريت في العراق فترة من الزمن وكان في ولايته هذه قد اسدى معروفا للملك العادل نور الدين زنكي (٥٥٨ - ٥٦٩ هـ / ١١٥٤ - ١١٧٤ م) فلما اضطر للخروج منها هو وأخوه اسد الدين شيركوه قصدا الملك العادل في الموصل فأكرمهما واقطعهما اقطاعا حسنا ، واصبحا من جملة رجاله ، وكبار قاداته . اشتهر بحب الخير والصلاح . عنه انظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ / ٢٥٥ -

ومن هنا بدأت علاقته بالصلاح ، فأضحى كاتبه الشخصي ، يرحل برحيله ، ويغشى مجالسه العلمية والسياسية والعسكرية ، وبوفاة الناصر صلاح الدين عام (٨٩٥ هـ / ١١٩٣ م) انقطع العماد للتأليف فكان له عدة مصنفات ، من أهمها كتابنا هذا ^(١) ، الذى يقع في خمس مجلدات فقد معظمها ^(٢) . بيد أن هذا الكتاب جرى اختصاره تحت عنوان "سنا البرق الشامي" ^(٣) . كذلك نقل عنه أبوشامة في كتابه الروضتين الكثير من الاخبار والاحداث ، علاوة على ما نقله المقرئى ، والكتاب أشبهه بالذكرات الشخصية ، تناول فيها المؤلف الكثير من الأحداث والأُمُور التي واجهته وواجهت سيده الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وأورد فيه أيضا العديد من رسائل القاضي الفاضل ، وهو ثرى في معلوماته ،

-
- (١) عنه انظر : العماد الاصفهاني ، خريدة القصر ، (المقدمة) ، ج١ / ص : ك - م . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٤ / ٣٣٢ - ٣٣٣ . سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٩ - ٢٨ .
- (٢) بقي من هذا الكتاب المجلدان الثالث والخامس ، ولا يزال أولهما مخطوطا بمكتبة بلدوين بجامعة اكسفورد ، ويحمل رقم (١١) ، سعداوى ، م.س ، ص ٢٤ ، واما ثانيهما فلقد قام رمضان شيشن بنشره وتحقيقه ، وطبع في اسطنبول عام ١٩٧٩ م .
- (٣) قام أحد مؤرخي القرن السابع (٧٥٧ هـ / ١٣٣٠ م) وهو الفتح البندارى باختصار هذا الكتاب الذى نشرته وحققته فتحة النبراوى ، ونشر في القاهرة ، وانظر ايضا الفتح البندارى ، سنا البرق ، ص ٧٠ .

التي افادت البحث في اكثر من جانب ، حيث انه تحدث عن الاوضاع التعليمية في مصر في تلك الاثناء ، وعن اهتمام الناصر صلاح الدين بهذه الاوضاع ، جرت الافادة منها في الفصل الثاني من الباب الاول ، كذلك أورد معلومات عمرانية ومعمارية ، في غاية الاهمية ، أثرت مادة الفصلين الثاني والثالث من الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث أيضا كتاب نزهة المقلتين في اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية ، وهو من تصنيف ابو محمد المرتضى عبد السلام بن محمد بن الحسن بن الطوير الفهرى القيسراني الكاتب المصرى ، الذى لم تورد المصادر أثناء حديثها عنه أى معلومات عنه ، وعن كتابه واقتصر على ذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب (١) ، بيد انه من الواضح أنه عاصراً و آخر العهد الفاطمي ، حيث ينقل عنه المقرئى ما يفيد بأنه كان متولياً ريو ان الرواتب (٢) في تلك الاثناء (٣) .

(١) المقرئى ، الخطط ج ١ / ٣٨٦ ، حاجي خليفة ، كشف الظنون

عن اسماء الكتب والفنون ، بيروت ج ٢ / ١٩٤٧ .

(٢) ويختص بتسجيل عطاءات الجنود وجميع موظفي الدولة ، ويشمل بذلك أسماء المرتزقين من الجنود من استجد منهم ومن مات وغير ذلك . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ج ١ / ١٩٢٠ .

(٣) المقرئى ، م . س ، ج ١ / ٣٩٨ .

هذا علاوة على معاصرتة لعهد الناصر صلاح الدين الأيوبي كما يشير الى ذلك عنوان كتابه . ويعد هذا الكتاب من الكتب المفقودة في الوقت الحاضر ، بيد أن هناك من المصادر من نقلت عنه الكثير من المعلومات حيث نقل عنه القلقشندي ، والمقريزي ، ويتضح من فحوى هذه المنقولات أن المؤلف ركز في كتابه على الجوانب الادارية وما يرتبط بها من مراسيم وتنظيمات ، يبدو أنه قصد بها مقارنة اوضاعها فيما بين العهدين الفاطمي والأيوبي ، كما يشير الى ذلك أثناء حديثه عن رسوم الضيافة في هذين العهدين . (١) ولقد كان لمادة هذا الكتاب دورا كبيرا في إثراء مادة البحث ، خاصة فيما يتعلق بالتنظيمات الادارية والاقتصادية في العصر الفاطمي ، بحيث امكن من خلال متابعة التغيرات التي طرأت في عهد الناصر صلاح الدين ، من التعرف على جوانب هامة ارتبطت باقتصاديات المدينة في تلك الأثناء ، كما سيتضح لاحقا في الفصل الرابع من الباب الأول ، كذلك افادت مادة هذا الكتاب في التعرف على أثر المتغيرات الادارية على وظائف بعض المنشآت التي تعود للعصر الفاطمي ، والتي جرى استغلالها بصورة أخرى في عهد الناصر صلاح الدين . كما سيتضح في الفصل الثاني من الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث رحلة ابن جبير (٢) ،

لابي الحسن بن جبير الكناني الاندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) من

(١) المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ٤٦١ .

(٢) تقام المستشرق رايت بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ونشر عام

١٨٥٢م ثم اعيد طبعه في بيروت عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

مشاهير الرحالة المسلمين . وكان له ثلاث رحلات الى مشرق العالم الاسلامي ، نشأ بالاندلس وتلقى العلم بها على يد أبيه وعدد من علماء عصره ، ووصف بأنه كان أديبا بارعا وشاعرا مجيدا ، ذا خلق كريم . ولقد قام ابن جبير بنشر كتابه هذا بدون احداث رحلته الأولى ، التي بدأت عام (٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) وانتهت عام (٥٨١ هـ / ١١٨٧ م) . (١)

اما عن محتويات الكتاب ، فهي عبارة عن اوصاف لما شاهده هذا الرحالة في رحلته حيث سجل اوضاع الدول ومظاهر العمران وصور الحياة ، في المواضع التي زارها ، أفادت البحث كثيرا خاصة فيما يتعلق بأوضاع مصر وعاصمتها القاهرة ، في عهد الناصر صلاح الدين ، فأمكن من خلالها التعرف على الكثير من الأوضاع الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعمرانية ، والمعمارية ، تزودت منها معظم فصول الدراسة ، فدخلت في الفصلين الثاني والرابع من الباب الأول ، وجميع فصول الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة وهو من تصنيف القاضي محي الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر بن نشوان السعدي المصري (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، نشأ في القاهرة وبها تعلم ، وتقلب في

(١) عنه انظر : ابن جبير ، الرحلة (المقدمة) ص ٥ - ٦ ، عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير في رحلته القاهرة ، ط . الاولى ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ٢١ - ٥١ . زكي حسن ، الاعمال الكاملة ، ج ٨ / ٧٠ - ٨٨ .

المناصب الادارية ، فولي القضاء وديوان الانشاء ، واعتبر من أجود كتاب عصره ، ومدحه معاصروه كثيرا . وكان له مؤلفات عدة منها كتابه هذا ^(١) ، الذى تناول فيه خطط القاهرة الفاطمية ومنشأتها ، وما طرأ عليها من تطورات عمرانية حتى عصره . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يعد من الكتب المفقودة في الوقت الحاضر ، الا ان هناك من المؤرخين من نقل عنه الكثير من المعلومات المتعلقة بخطط المدينة وعمرانها ، فلقد نقل عنه القلقشندي في كتابه صبح الأعشى كذلك نقل عنه ابن تغرى بردى ، في كتابه النجوم الزاهرة ، علاوة على ما نقله المقرئى الذى اقتبس منه كثيرا فيما يتعلق بالقاهرة المعزية ^(٢) ، وان كان يلاحظ انه انتقد في صحة معلوماته ، حيث يقول عنه ابن تغرى بردى (... انه لم يسلم من الاعتراض عليه في كثير مما نقله ، وأيضا ما سكت عنه ...) ^(٣) . ولقد

- (١) عنه انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ط : الاولى ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م . ص ٩ - ١٥ ، الكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ / ٣٦٢ م) فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس . بيروت ج ٢ / ١٧٩ - ١٩١ . ابن تغرى بردى ، جمال الدين يوسف الاتاكي ، (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد رمزي ، القاهرة ج ٨ / ٣٨ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ / ٤٢١ ، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ / ٩٢٥ ، محمد عبدالله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ط : الثانية ، ١٩٦٩ م ، ص ٤٦ - ٤٧ .
- (٢) عنان ، م . س ، ص ٤٦ .
- (٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٤ / ٤١ .

افادت مادة هذا الكتاب البحث كثيرا ، وعلى وجه الخصوص في الباب الثاني الذي دخلت المادة في جميع فصوله .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث أيضا مقدمة ابن خلدون (١) .
التي كانت مقدمة لكتابه التاريخي الكبير المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، وهذا الكتاب من تصنيف المؤرخ الشهير عبدالرحمن بن محمد ابن محمد بن جابر الحضرمي الاشبيلي الاصل التونسي ثم القاهري (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) وهو مؤرخ غني عن التعريف . كانت نشأته في تونس وهناك تلقى معارفه وعلومه ، ثم تقلب بعد ذلك في المناصب الادارية ، وكان له باع طويل في السياسة ، وولى القضاء في القاهرة في أواخر عمره ، وكانت له تصانيف عدة من أشهرها مقدمته (٢) التي حظيت باهتمام عالمي واسع النطاق ، كاحدى روائع الفكر الانساني ، ولقد احتوت مقدمته على العديد من المباحث والنظريات التي تتناول شؤون الاجتماع الانساني وعوارضه ، وتناقش مسائل العمران ، والتعدن البشرى ، من مختلف الجوانب ، والحقيق فان اهمية هذه المقدمة تكمن فيها يرد فيها من عرض للعلل والاسباب ، التي نبعت منها ظواهر العمران البشرى ، وبالتالي فهي تمثل قواعد منطقية ، ونظريات علمية ، تسهم في فهم حركة الحضارة

(١) طبع هذا الكتاب طبعات عدة وجرى الاعتماد هنا على طبعة

بيروت وهي غير مؤرخة .

(٢) عنه انظر الشوكاني محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ /) البدر الطالع

بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت ج ١ / ٣٣٧ ، سفيتلانا باتسييفا ، العمران البشرى في مقدمة ابن خلدون ، ترجمة رضوان ابراهيم ، تونس ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٥٥ - ٨٨ .

والعمران ، ونظرا لانتماء المقدمة الى بيئة الحضارة الاسلامية ، فمن
المؤكد أن نظرياتها تعكس في مجملها التفاعل الحضارى الذى ظهر
في هذه البيئة ، حيث ان الفكر الانساني يعبر في كثير من الأحيان عن
الواقع الذى ينبى فيه (١) . وبالتالي فان اعتماد نظريات المقدمة
في دراسة بيئة الحضارة الاسلامية أمر لا غنى عنه على الاطلاق ، وعليه
جرى الاستفادة من نصوص المقدمة في توضيح الكثير من الجوانب الانسانية
والعمرانية ، التي تطرقت اليها الدراسة ، حيث تم من خلالها التنبيه
الى الفكر العمراني عند المسلمين ، وما وصلوا اليه من تصورات في هذا
المجال ، وهو ما تم ايضاحه في تمهيد الباب الأول ، كذلك دخلت مادة
المقدمة في تفسير طبيعة مواقف الناصر صلاح الدين تجاه بعض العناصر
الاجتماعية ، وذلك من خلال تبيان المقومات التي تقوم عليها السلطة ،
كما وردت في المقدمة ، وهو ما سيرد لاحقا في الفصل الثاني من الباب
الأول . كذلك كان لنظريات المقدمة ، دورا في تفسير بعض التطورات
الاقتصادية التي طرأت خلال فترة الدراسة ، كما سيرد في الفصل الرابع
من الباب المذكور ، هذا علاوة على دورها في توضيح طبيعة التطور الذى
من الممكن أن تتعرض له المنشآت في حال توفر ظروف معينة ، كما سيرد
في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(١) احمد زايد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ،

القاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٥ .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب الانتصار لواسطة

عقد الاثمار ، من تصنيف صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيديمر
العلائي الشهير بابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١١٤٠٦ م) ، الذي ينتمي
في نسبه الى طائفة المماليك حيث كان والده من امراء دولتهم ، نشأ
وترعرع في القاهرة ، وتزود من العلم ، وحصل منه على جملة وافرة ،
في الفقه والأدب ، والتاريخ ، الذي كتب فيه كثيرا ، حتى بلغ ما كتبه
مائتي سفر ، من أهمها كتابه هذا ^(١) الذي يتكون من مجلدات عدة ^(٢) ،
تتضمن الجغرافيا العمرانية والاقتصادية ، لاقليم مصر وما تتضمنه اقاليمه
من مدن وقرى ^(٣) . ولقد وصلنا من خلال هذا الكتاب معلومات جيدة
عن الفسطاط وخططها ومنشآتها ، وما يجاورها من المواضع مثل التلال ،
والبرك والخلجان ، وان كان يغلب على معلومات الاقتضاب الى حد
بعيد ، الا أنه أفاد البحث كثيرا ، حيث استفاد منه في الفصل الأول من
الباب الأول ، وفي الفصل الأول والثاني والثالث من الباب الثاني .

(١) عنه انظر : ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك

والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكة المكرمة

(المقدمة) ص ٨ - ١٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ /

٨٠ - ٨١ ، عنان ، مصر الاسلامية ، ص ٤٨ .

(٢) فقدت غالبية هذه المجلدات ولم يبق منها سوى مجلدين ،

طبعا طبعا مختلفة ، جرى الاعتماد على طبعة بيروت التي تتضمن

تعليقات وفهارس قام بوضعها لجنة احياء التراث العربي في

دارالافاق الجديدة ، وانظر أيضا : عنان ، ن.م.س. وهامش (٣)

من نفس الصفحة .

(٣) عنان ، ن.م.س. .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشاء^(١) من تصنيف ابن العباس احمد بن علي بن أحمد القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، درس الفقه في أول أمره ثم اهتم بالأدب ، وخاض بعد ذلك غمار الوظائف الحكومية ، حتى تبوأ مناصب رئيسة فيها .^(٢)

أما عن مؤلفه صبح الأعشى والذي يقع في أربعة عشر مجلداً ، فمن الواضح ان هذا الكتاب قد وضعه لمن يختصون بصناعة الكتابة للعمل في دواوين الدولة ، الا أن فائدته في الدراسة ظهرت فيما احتواه من معلومات مفصلة عن مصر ومدنها ، وعلى الأخص تلك التي ترد عن القاهرة ، هذا علاوة على ما احتواه من معلومات إدارية ، وضع فيها الأوضاع الإدارية ومراسيمها في العصر الفاطمي ، والمالكي ، حيث يعد الأخير امتداداً في حضارته لما كان عليه الحال في عهد الأيوبيين ، وبالتالي فإن ما يرد عنه من معلومات يمكن اعتباره بشكل أو بآخر ، ذو جذور أيوبية ، ولذلك فلقد جرت الافادة من هذا الكتاب في الكثير من فصول البحث ، خاصة الفصل الرابع من الباب الأول ، والفصول الأول والثاني ، والثالث من الباب الثاني .

(١) طبع هذا الكتاب في القاهرة عن نسخة مصورة للمطبعة الأميرية ،

وزود بتصويبات واستدراكات ومقدمة جيدة بقلم محمد عبده رب الرسول .

(٢) عنه انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى (المقدمة) ج ١ / ١٩ - ٢٤ .

ابن تفرى بردى ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهد شلتوت ، القاهرة ج ١ / ٥٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ / ١٤٩ ، كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١ / ٣١٧ .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرية (١) من تصنيف ابي
العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقرية (ت ٨٤٤هـ/
١٤٤١م) الذي يعود في الصلة الى الاسرة الفاطمية ، وكانت أسرته
تقطن في احدى مدن جبل لبنان حيث كان مولده ، ولي في القاهرة
وظائف عدة ، وقام بالتدريس مرارا ، وحمدت سيرته في مباشراته كلها ،
تلمذ على يد ابن خلدون ، وكان يحبه ويجله كثيرا (٢) ، وكان له
مؤلفات عديدة ، جرت الافادة من بعضها ومن أهمها كتابه الخطط،
الذي يعد موسوعة متكاملة عن تاريخ مصر وجغرافيتها ، فاحتوى
على الكثير الوافر من المعلومات التي تخص هذا الاقليم من سياسية ،
 واجتماعية ، واقتصادية ، علاوة على كونه يمثل القمة في مجال التأليف في
الخطط ، وان كان من الواضح ان الكتاب لم يصلنا متكامل كما أراد
مؤلفه . (٣)

-
- (١) طبع هذا الكتاب طبعت عدة ، وجرى الاعتماد على طبعة
بيروت ، وهي على جزئين .
- (٢) عنه انظر ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٧ / ٢٥٤-٢٥٥ ،
الشوكاني البدر الطالع ، ج١ / ٧٩ ، ٣٣٨-٣٣٩ ، عنان ،
مصر الاسلامية ، ص ٤٩ - ٦١ . مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر
التاريخ المصري ، القاهرة ص ٨٥ - ١٠٤ .
- (٣) عنان ، مصر الاسلامية ص ٥٤ .

ولقد أثرى هذا الكتاب الدراسة كثيرا ، بل انه بالامكان
اعتباره المصدر الاساسي فيها ، فلا يخلو فصل من فصولها الا وكانت مادة
هذا الكتاب جزءا رئيسا فيه ، وعلى الاخص تلك الفصول التي تتناول
الجوانب العمرانية . التي اعتمدت بشكل يكاد أن يكون متكامل على
هذا الكتاب .

مُتَّهِدٌ

يعتبر ظهور الدولة الأيوبية ، من الاحداث الرئيسية في تاريخ الدولة الاسلامية ، نظرا لما قامت به من دور كبير في مواجهة الهجمات الصليبية التي استهدفت الاسلام . (١)

ومن الواضح أن قيام هذه الدولة ، انما كان امتدادا للدولة الزنكية ، حيث كان والد الناصر صلاح الدين الأيوبي الامير نجم الدين أيوب (٢) ، وأخوه أسد الدين شيركوه (٣) ، من كبار رجال الملك العادل نور الدين زنكي (٤) ، وتحت قيادة أسد الدين شيركوه دخلت القوات الزنكية مصر ، ومن هناك بدأ دور الأسرة الأيوبية في الدخول الى ساحة الاحداث ، وذلك بالسيطرة على مقاليد الأمور فيها ، عندما تولى أسد الدين الوزارة للفاطميين ، وذلك بعد قتل الوزير شاور (٥) . غير أن

(١) علي بيومي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ، القاهرة ، ط/ الأولى

١٩٥٢م ، ص : ٩٤ ، الباز العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ، ص ١٠٠ .

(٢) عنه انظر ص : ٢٤ هامش (١) .

(٣) عنه انظر ص : ٢١ هامش (٢) .

(٤) علي بيومي ، م.س ، ص ٥ ، والملك العادل نور الدين ، هو أبو

القاسم محمود بن عماد الدين زنكي (٥٥٨ - ٥٦٩ هـ / ١١٥٤ -

١١٧٤ م) من مشاهير حكام المسلمين في عصر الحروب الصليبية ، وكان له معهم وقائع مشهودة ، وفتح الفتوحات ، عرف بحب الخير والميل للعدل ، والحرص على عمارة البلاد ، عنه انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ / ١٨٤ - ١٨٨ .

(٥) هو أبو شجاع بن مجير بن عثائر بن شأس السعدي (٥٥٨ ،

٥٥٩ - ٥٦٤ هـ / ١١٦٢ ، ١١٦٣ - ١١٦٨ م) كان في بادئ الأمر واليا على الصعيد الأعلى ثم استولى على الوزارة بالقوة

اسد الدين لم يلبث ان توفي بعد ذلك ببضعة أسابيع ، ليتولى من بعده الوزارة ابن أخيه الناصر صلاح الدين الأيوبي ^(١) ، الذي تمكن من القضاء على الحكم الفاطمي عام (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) ^(٢) إضافة إلى دوره في توحيد الجبهة الإسلامية وقيامه بطرد الصليبيين من معظم الأراضي التي كانوا يحتلونها في بلاد الشام وفلسطين ، وعلى الأخص من بيت المقدس. ^(٣)

أما عن القاهرة الصلاحية ، فلقد أسسها الفاطميون بعد أن تمكنوا من الاستيلاء على مصر عام (٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م) ^(٤) ، حيث بنوا هذه المدينة لتكون مقراً للخليفة وحاشيته وجنده المخلصين ^(٥) ، وجعلوها تقع إلى الشمال

من آل زنكي ، إلى أن انتزعها منه ضرغام اللخمى (٥٥٨ - ٥٥٩ هـ / ١١٦٢-١١٦٣ م) ، فلجأ إلى الملك العادل نور الدين زنكي يعينه على استعادة مركزه فكان ذلك بداية التدخل الفعلي للملك العادل في شؤون مصر. ولينتهي الأمر بقتل هذا الوزير وبسط النفوذ الزنكي على هذه البلاد .

انظر : عمارة اليمنى ، أبو محمد نجم الدين عمارة بن أبي الحسن

الحكمي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) . النكت المصرية في أخبار

الوزارة المصرية ، تحقيق هرنويغ درنبرغ . بشالون ، ١٨٩٧ م

ص ٦٧ - ٧٣ ، ٧٨ ، ٩٣ . ابن خلكان ، م. س. ٢ / ٤٣٩ -

ابن الاثير ، أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، ^{٥٤٤٨} (١)

(ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، الكامل في التاريخ ، عني بنشره ومراجعة

أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء . بيروت ، ط. الثانية

١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ج ٩ / ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) ابن الاثير ، م. س. ، ٩ / ١١١ .

(٣) للمزيد انظر ص : ١٧٣ - ١٩٤ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ / ٣١ - ٣٢ .

(٥) المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ٣٦٤ ، سعد ماهر ، القاهرة ، ص ٢٠ - ٢١ .

من عواصم مصر الاسلامية القديمة ^(١) ، وهي الفسطاط ^(٢) ، والعسكر ^(٣) والقطائع ^(٤) . وظلت كذلك الى ان تمكن الناصر صلاح الدين من تأسيس دولته في هذه البلاد ، حيث دخلت المدينة في عهده في متغيرات وتطورات حضارية وعمرانية سيتم الاشارة اليها بالتفصل في ابواب الرسالة وفصولها .

-
- (١) عبدالرحمن زكي ، القاهرة : تاريخها واثارها من جوهر القائد الى الجبرتي المؤرخ ، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ص ٩٠ .
- (٢) اسست الفسطاط على يد فاتح مصر عمر بن العاص رضي الله عنه فيما بين عامي (١٨ - ٢٠ هـ / ٦٤٠ - ٦٤١ م) لتكون مقرا لقوات الفتح الاسلامي لمصر ، ومقرا للادارة والحكم فيها ، انظر : ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ / ٢ - ٣ . عبدالرحمن زكي ، الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع ، القاهرة ١٩٦٦م ص ٥ - ٦ ، حواضر العالم الاسلامي ، القاهرة منارة الحضارة الاسلامية ، القاهرة ص ١٠ .
- (٣) قام بني العباس بعد قضائهم على حكم بني أمية عام ١٣٢هـ / ٧٥١م ببناء هذه المدينة الى الشمال من الفسطاط في عام (١٣٣هـ / ٧٥٢م) ، المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٣٠٤ ، عبيد الرحمن زكي ، الفسطاط ص ٨٢ - ٨٣ .
- (٤) اسست هذه المدينة على يد احمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣م) وابتدأ بنائها عام (٢٥٦هـ / ٨٦٩م) واختير موقعها الى الشمال من الفسطاط والعسكر ، تحت الشرف الذي تقع عليه قلعة الجبل الآن ، ابن دقماق ، م.س ، ق ١ / ١٢١ .

الباب الأول

محمد بن الفضل العمري

مجلس

تعريف المدينة وعوامل نشأتها وتطورها

لا بأس ونحن بصدد التطرق الى أهم العوامل التي أثرت على التطور العمراني للقاهرة في عهد صلاح الدين الأيوبي ، أن نلقي بعض الأضواء على المدينة كوحدة عمرانية وحضارية ، بالإضافة الى عوامل نشأة المدينة وتطورها بشكل عام ، وعلى الرغم من أن المدينة واقعا حضاريا وعمرانيا ملموسا ، فان الدارسين لم يتفقوا على تعريف محدد لها .^(١)

وفي اللغة ، فان المدينة لفظ مأخوذ من "مَدَنَ بالمكان" ، أي أقام به . وهي على وزن فعيلة ، كذلك تطلق المدينة على " . . . الحصن يبنى في أصطمة^(٢) الأرض^(٣) " . والمدينة أيضا لفظ يطلق على الأمة .^(٤)

وهناك من يقول ، بأن لفظ المدينة مشتق من "دان" ، اذا أطاع والعيم في كلمة المدينة زائدة . ذلك أن السلطان يسكن المدينة ، فتقام له فيها الطاعة .^(٥)

بيد أن بعض الباحثين المعاصرين ، يرى أن كلمة المدينة ، أتت من أصل لغوي غير عربي ، وأنها قد تكون آرامية

(١) فاديه عمر الجولاني : علم الاجتماع الحضري ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٣٥ .

(٢) الأصطمة معظم الشي * . الزبيدي : محب الدين محمد مرتضى الحسيني تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ١٣٠٦هـ ، ٨ / ٣٦٤ .

(٣) الزبيدي : م . س ، ٩ / ٣٤٢ .

(٤) ن . م . س .

(٥) محمد محمود محمددين : التراث الجغرافي الاسلامي ص ٣٠٣ .

أوسريانية الأصل (١).

وعلى أية حال فإن دلالة الاسم ، تشير إلى أن اللفظ قد ارتبط
بمعان عدة . منها الدلالة على الإقامة أو السكنى في المكان ، إضافة
إلى أنه مؤشراً إلى مركز السلطة ، أو المكان الذي يتمتع بنوع من الحماية .^(٢)
ولقد أفرز الفكر العمراني الإسلامي عدداً من التعريفات ، حيث تناول
الفقهاء والجغرافيون والمؤرخون المسلمون ، مصطلح " المدينة " من جوانب
مختلفة ، وهي تعكس في مجملها محاولات جادة لتحديد هوية المدينة ،
على اعتبار أنها مظهر حضارى وعمراني . وقد أطلقوا عليها أيضاً لفظ
" المصر " الذي هو عندهم " كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويتخذ
الحاكم مقراً له وينفق عليه " .^(٣)

وهناك من يقترح وجود علاقة بين المدينة وبعض المظاهر الحضارية
كالمسجد الجامع مثلاً ، فالمقدسي يذكر أنه كان ببلاد ما وراء النهر قرى ،
لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها إلا الجامع .^(٤)

وهناك من يشترط أن يكون للمدينة سور يميزها من القرية .^(٥)

-
- (١) محمد محمود محمددين : م . س . ص ٣٠٤ ، مصطفى عباس الموسوى
: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، بغداد
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٣٥٠-٣٥١ .
- (٢) محمد محمود محمددين : م . س . ص ٣٠٤ .
- (٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٧ .
- (٤) المقدسي : م . س : ص ١١٣ ، انظر أيضاً : محمد محمود محمددين :
التراث الجغرافي الإسلامي ، ص ٣٠٤ .
- (٥) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٨ م ، آثار البلاد
وأخبار العباد ، بيروت ص ٧٠ .

وينظر السهمودي الى المدينة نظرة كمية ، اذ يعتبر بأن المدينة عبارة عن عدد من المساكن ، يزداد عما هو موجود بالقرية ، وبالمقابل فهو يرى بأن عدد مساكن المدينة ، يقل عن عدد مساكن العصر .^(١)

وعلى كل فانه من الواضح بأن نظرة المسلمين الى المدينة لم تكن قاصرة على المظاهر العمرانية فقط ، اذ أنه من المؤكد بأنها قد تجاوزت ذلك المفهوم فشملت الجانب الانساني الدقيق . ذلك أنهم نظروا الى نشأة المدينة وقيامها كظاهرة انسانية عامة ، من خلال الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه الانسان ، وعليه فان المدينة تعبر عن حالة اجتماعية واقتصادية ، وأمنية .

فيرى قدامة بن جعفر بأن ظهور المدينة ، نتج عن حاجة الانسان الى التعايش مع الجماعة ، ذلك التعايش الذي تفرضه ضرورات الحياة ، حيث تكيف الانسان فظهرت المدن والأصمار^(٢) . وتابعه في ذلك أيضا القزويني .^(٣)

أما ابن خلدون فانه يرى بأن التطور الانتاجي عند الانسان ، والارتقاء بمستواه الحضري ، هو العامل الحاسم لظهور المدينة والتمدن .^(٤)

(١) نقلا عن محمد محمود محمدين : ن . م . ص .

(٢) قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، بغداد

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٧ - ٨ .

(٤) انظر : هشام جعيط : نظرة ابن خلدون للمدينة ومشكلة التمدن (بحث ألقى ضمن فعاليات ندوة ابن خلدون والفكر العربي

بيد أن هذا العامل لا يتبلور وتظهر فعاليته الا بتطور النظام الاجتماعي للانسان ، وعليه فان ظهور مؤسسات الحكم التي عبر عنها ابن خلدون باسم " الملك " ، هو الذي قاد المجتمعات الانسانية نحو التمدن .^(١)

بيد أنه ، وعلى الرغم من التعريفات آنفة الذكر ، - وهي ما تتميز بالوضوح والدقة - فان التمييز الدقيق بين المدينة والريف ، لم يزل من المشكلات الشائكة لكثير من المتخصصين^(٢) ، ولعل مرد ذلك راجع الى أن الفروق الأساسية بين كل من المدينة والريف ، لا تظهر بوضوح الا في الدرجات القصوى لتطور كل منهما .^(٣)

ويرى الاجتماعيون في العصر الحديث ، بأن التمدن هو تعبير عن تركز سكاني منظم ، يعيش فيه الناس في حالة تفاعل اجتماعي واقتصادي ويتمتعون بادارة عامة ، وتسهيلات تتناول جوانب الحياة المختلفة .^(٤)

بينما لجأ غيرهم من الدارسين الى أسس مختلفة ، في تعريفهم أو تصنيفهم للمدينة ، قد تعكس اختصاصات كل منهم الى حد بعيد .

=== المعاصر المنعقد في تونس في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م تحت رعاية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . والمنشورة في كتاب يحمل

عنوان الندوة ، تونس ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص : ٤٩٤٠ .

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي : مقدمة كتاب العبر

وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم

من ذوى السلطان الاكبر ، المشهورة بمقدمة ابن خلدون ، بيروت

ط . الخامسة ١ / ٣٤٢-٣٤٣ .

(٢) جون كلارك : جغرافية السكان ، ترجمة محمد شوقي ابراهيم مكي

الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٨٣ .

(٣) أحمد على اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ، القاهرة ط .

الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ١٦ .

(٤) جون كلارك : ن . م . س .

فهناك الأسس الإحصائية ، التي تعتمد على نوعين من الإحصاء السكاني وهما الحجم والكثافة . فالحجم يقوم على أساس المقياس العددي لمنطقة من المناطق السكانية ، فإذا تجاوز العدد السكاني في موقع ما حداً معيناً ، فعند ذلك يجري اعتبار ذلك الموقع "مدينة" (١) .

ولقد اتفقت الهيئات الدولية "الأمم المتحدة" ووكالاتها المتخصصة على أن المدينة هي كل تجمع سكاني يزيد عدد أفراده عن عشرين ألف نفس (٢) .

أما الكثافة ، فتربط بمقدار عددي معين يكون محصوراً ضمن مساحة معينة ، وهي على نوعين : الكثافة الكلية التي تنسب مجموع عدد السكان فيها إلى مساحة الموقع العمراني . والكثافة الصافية التي تؤخذ على أساس نسبة الكثافة السكانية إلى مساحة المنطقة المبنية (٣) .

ومن الأسس التي لجأ إليها بعض الباحثين في تصنيفهم أو تعريفهم للمدينة ، الأسس الاقتصادية ، وهذه النظرة هي محاولة للبحث عن إطار وظيفي يمكن من خلاله تحديد "المدينة" (٤) .

والسبب في ذلك أن المدينة تتجاوز في أهميتها عندهم مجال المساحة التي تشغلها ، أو عدد السكان القاطنين بها ، ذلك أنها تحوي على مجالات متعددة للعمل والانتاج ، يرتبط بكل منهما أدوار اقتصادية متنوعة (٥) .

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ، القاهرة ط . الثانية ص ٥ - ٦ .

(٢) عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري) ، القاهرة

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . ص ٢٥ .

(٣) أحمد على اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ١٩ .

(٤) جمال حمدان : جغرافية المدن ، ص ١٠ - ١١ .

(٥) أحمد على اسماعيل : م . س . ص ٢١ - ٢٢ .

وقد يكون للاعتبارات الادارية دور في تحديد تعريف " المدينة " ،
اذ غالبا ما تقوم بعض الحكومات بوضع تحديدات معينة لغرض تنظيم
بعض التجمعات العمرانية ، وتلك التحديدات تؤدى الى اعتبار بعض
التجمعات " مدينة " . تمييزا لها عن غيرها وهو ما يمكن أن نعبر عنه
" بالاطار القانوني " للمدينة .^(١)

وعلاوة حال ، فان الأسس السابقة تكاد أن تكون الأسس الرئيسية ،
في تصنيف أو تحديد تعريف " المدينة " ، الا أن هناك بجانب ذلك إضافة
اليه أسسا أخرى معتبرة ، وان كانت تقل عن الأولى في أهميتها منها
مثلا :

الأساس الشكلي ، ان أن المدينة تختلف في مظهرها وشكلها
الخارجي عن الريف ، من حيث التنظيم وتوزيع أوجه النشاط الانساني ،
الذى يتركز في مناطق محددة في المدينة ، فالتجارة والصناعة لها أماكنها
المحددة ، كذلك الأمر بالنسبة لمراكز الادارة أو العتزها وغيرها .^(٢)

ويلى الأساس الشكلي في الأهمية ، الأساس التاريخي ، فقد يعرف
موقع تجمع سكاني عمراني معين بلفظ " المدينة " ، نتيجة لظروف
تاريخية مربها الموقع ، وهكذا يبقى الاسم العلم محتفظا بدلالته على
الموقع .^(٣)

ولقد حاول بعض الباحثين ، وضع تقسيمات للمدن تميز بعضها
عن البعض الآخر ، معتمدين على أساس الأعمال التي تؤدى بها كل من
تلك المدن ، وهكذا فانهم صنفوها الى مدن سياسية ، وأخرى تجارية ،
وثالثة صناعية ، وهكذا .^(٤)

(١) أحمد على اسماعيل : م . س . ص ٢٣ .

(٢) أحمد على اسماعيل : م . س . ص ٢٦-٢٧ .

(٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٩ .

(٤) أحمد على اسماعيل : م . س . ص ٢١ .

بينما تقوم بعض التقسيمات التي اعتمدها باحثون آخرون للمدن ،
على أساس درجة تقدمها الحضارى . وهم يعتمدون في ذلك " نوع "
و " كمية " الخدمات التي تؤدّيها المدينة لسكانها .^(١)

والواقع فان ابن خلدون ، كان قد أشار الى هذا التصنيف ، فهو قد
اعتمد فروقا بين المدن ، تتناسب مع المستوى الحضارى لكل منها ، وان كان
يميل الى اعتبار أن العاصمة " المصر " تمثل القمة في هذا المجال .^(٢)

ومن خلال العرض السابق للتعريفات والأُسُس التي يقوم عليها تصنيف
المدينة وتحديد أنواعها ، يتضح أن المدينة عبارة عن وحدة عمرانية ، تتميز
بأنها المحور أو المركز الذى تتكتل فيه الكثافات السكانية ، والنشاط
الحضرى للانسان ، إضافة الى ما تتميز به من مظاهر تنظيمية وانشائية .

وتعد ظاهرة نشأة المدن من المسائل الشائكة في الفكر الانساني
المعاصر ، فقد دأب المفكرون على معالجتها كل حسبما تعلّيه تصوراته
من آراء وأفكار .^(٣)

فإذا كان لظهور النشاط الحضارى للانسان عوامل وباعث^(٤) ،
فانه من الطبيعي القول بأن ظهور المدينة أو تطورها - هي عملية حضارية -

(١) عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة (الاجتماع الحضرى) ص :

٣١ - ٣٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ١ / ٣٦٠ - ٣٦٢ ، ٣٦٩ .

(٣) هشام جعيط : نظرة ابن خلدون للمدينة ومشكلة التمدين ، ابن

خلدون والفكر العربى المعاصر ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٤) أرنولد تونبي : مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ،

مراجعة محمد توفيق غربال ، القاهرة ١٩٦٦ م ١ / ١١٢ .

تحتاج الى عوامل وبواعث أيضا (١) . ولقد ظهرت العديد من الاراء أو التصورات التي تحاول أن تبين العوامل والدوافع التي أدت الى ظهور المدينة وتطورها ، ومما تجدر ملاحظته ، أن بين الباحثين من يميز بشكل دقيق بين عوامل ظهور المدينة وبين عوامل تطورها . (٢)

والحقيقة فان وضع تصنيف معين يمكن من خلاله توضيح العوامل التي أدت الى نشأة المدن ، والأخرى التي أدت الى تطورها ، أمر في غاية الصعوبة ، إذ أن العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة تشمل جوانب الحياة المختلفة ، ولذلك فان كل مظهر حضارى ينتج عن تلك العلاقة لا بد وأنه يتأثر بأوجهها المختلفة ، كما ويكون له أثره التالي في عملية التطور التي تصبح كبيرة التعقيد الى درجة يصعب معها ايجاد العلاقات السببية وما ترتب عنها ، وبالتالي فان عوامل نشأة المدن قد تكون أيضا عوامل فاعلة لها أثرها الكبير في احداث التطور الواقع .

وعلى أية حال فلقد تعددت وتنوعت وتشابكت مثل هذه العوامل فكان منها ما هو مرتبط بالنواحي الدينية العقديّة للانسان ، كما أن منها ما هو مرتبط بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية أو الثقافية ،

(١) عبدالرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ، مذكرات مطبوعة تحتفظ بها مكتبة قسم التاريخ في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في جامعة أم القرى - بمكة المكرمة تحت رقم (٧٥) ص ٣٦ .

(٢) لقد ميز الموسوى بين عوامل نشأة المدينة وعوامل تطورها ، فجعل هناك عوامل أدت لنشأة المدينة وأخرى لتطورها . انظر مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٥٣ - ٣٣٣ .

ولا يخلو الأُمر قطها من التداخل الكبير فيما بين هذه العوامل جميعها ،
وبدرجات متفاوتة تختلف من مدينة الى أخرى ^(١) . ولعل من المناسب
أن نلقى بعض الأضواء على أبرز هذه العوامل :

العوامل الدينية :

العلاقة بين الدين والمدينة علاقة وثيقة ^(٢) ، فلقد كان له دور
كبير في تأسيس العديد من المدن في العصور القديمة ، ويعتقد بعض
الباحثين بأن السومريين لم يوءسوا مدنهم الا لغرض العبادة ، فلم يكن
لهم غرض آخر كالحكم أو التجارة ، كما كان للمدن صبغة دينية عند
الاشوريين والفراعنة ^(٣) .

وعادة ما تنشأ المدن الدينية حول نواة صغيرة تكون في الأصل
مركزا للعبادة ، لتتولد بعدها التجارة والصناعة ، الا أن النشاط المدني
في مثل هذه المدن يظل مصبوغا بالصبغة الدينية ^(٤) .

وبالنسبة للدين الاسلامي ، الذي يبرز غيره من الأديان ، من
حيث أثره الكبير والبارز في تأسيس المدن ، فلقد تميزت تشريعاته بكونها
تحفز على التعاون والاستقرار والحياة الحضرية ^(٥) .

- (١) فادية الجولاني : علم الاجتماع الحضري ص ١٣٠ .
- (٢) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لقشاة وتطور المدن
العربية الاسلامية ص ١٥٧ .
- (٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ١٢٥ .
- (٤) مصطفى عباس الموسوي : م . س . ص ١٥٩ .
- (٥) ن . م . س . ص ١٥٨ .

ولا شك بأن هذا ينعكس في مدى عناية المسلمين بنشر العمران في الأقطار التي دخلوها ، حيث قاموا بإنشاء العديد من المدن الجديدة التي بلغ عددها مع نهاية العصر الأموي نحو خمس وعشرين مدينة ^(١) ، تحول بعضها الى أكبر مدن العالم في ذلك الوقت ، حيث شكلت في مجموعها " ... الهيكل المادي للعالم الاسلامي ... " ^(٢)

ولم يقتصر أثر المسلمين في صدر الاسلام الأول على الدعوة الى تأسيس المدن والشروع في ذلك ، بل تعداه الى تعميق وإبراز أثر عقيدتهم على تلك المدن من حيث الهنية والتخطيط .

فالجامع وما يمثله في حياة المسلمين باعتباره مركزا للعبادة والادارة والالتقاء ^(٣) يعد النواة أو المركز الأساسي الذي تجتمع حوله المنازل والأسواق ^(٤) . وكان لذلك أكبر الأثر في بلورة مفهوم واضح لفكرة تخطيط المدينة عند المسلمين ، حيث أصبح المسجد الجامع هو النقطة المركزية

- (١) حسن الباشا : المدخل للآثار الاسلامية ، القاهرة ص ٥٥ .
- (٢) موريس لومبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمن حميد ، دمشق ص ١٦١ .
- (٣) أحمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية (التربية الاسلامية نظمها - فلسفتها - تاريخها ، القاهرة ط . السادسة ١٩٧٨ م ، ١٠٢/٥ .
- (٤) محمد محمود محمدين : التراث الجغرافي الاسلامي ص ٣٠٢ .
- (٥) نيسكيثا اليسيف : التخطيط المادي ، بحث ألقى ضمن فعاليات حلقة التدارس عن المدينة الاسلامية ، التي عقدت بمركز الشرق الأوسط ، التابع لكلية الدراسات الشرقية في جامعة كبريدج بالملكة المتحدة ، تحت رعاية اليونسكو ، ونشرت في كتاب بحمل عنوان الحلقة ، بإشراف ر . ب . سرجنت ، ترجمة أحمد محمد ثعلب ، السيونسكو ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ١٠٧ .

الذى تتجمع حوله الوحدات العمرانية للمدينة ، بشكل منسق ومتماثل ، والذي تتفرع من حوله الطرق الأساسية باتجاهاتها المختلفة .^(١)

العوامل الجغرافية :

ان تأثير البيئة على المدينة يستمد من علاقة الانسان بالأرض وتكويناتها بالإضافة الى المناخ وخصائصه .

فالانسان ليس كغيره من المخلوقات فهو يفضل ما وهبه الخالق سبحانه وتعالى من خصائص عقلية وبدنية كرمه بها^(٢) ، وأهله لأن يكون أكثر قدرة على التأثير في علاقته مع الوسط الطبيعي المحيط به^(٣) ، وتسخيره لخدمته واستعماره لمصلحته واستثماره لأغراضه .

وعلى الرغم من أن تأسيس المدن وتطورها يعد عملاً إنسانياً بالدرجة الأولى ، فإن هذا العمل لا يخلو من التأثيرات البيئية^(٤) . وبالتالي فلا بد أن يؤثر الموقع والمناخ على تخطيط المدينة ، وتفصيلات وحداتها السكنية إضافة الى شكلها الخارجي^(٥) .

ويقترح جغرافيو المدن مصطلحين جغرافيين ، يرون أنه تكمن فيهما الدوافع التي تسهم في ظهور المدن وتطورها ، هما الموقع والموضع .

(١) عبد الرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٣٥ .

(٢) أشارت الآيات الكريمة الى تكريم الله سبحانه وتعالى لبني آدم فقال

تعالى * ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً * (الاسراء آية ٧٠) .

(٣) قال تعالى * ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض * (الحج

آية ٦٥) . وانظر أيضاً عبد الفتاح محمد وهبة : جغرافية الانسان ،

القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) مصطفى عباس الموسوي : م . م . ص ١٩٩ .

(٥) ن . م . س .

فالموقع يعنى بدراسة علاقة المدينة بالوسط المحيط بها (١) ،

وما يربطها بالأقاليم المجاورة ، وبما وراء هذه الأقاليم من طرق ومواصلات ، ودور ذلك كله في ظهور المدينة وتطورها . (٢)

وأما الموضع ، فهو ما يتميز به المكان الذى تقوم عليه المدينة ،

وهو تمييز يعنى بالصفات والخصائص الطبيعية ، كذلك التى توفر للمدينة نوعاً من الحماية تساعد في الدفاع عنها . (٣)

ولقد عرف المسلمون أهمية الموضع بالنسبة للمدينة ، وكان لهم فيه

نظرة متعمقة ، وتؤكد المصادر التاريخية العثوقة وجود عوامل بيئية ومناخية أثرت في اختيار المسلمين الأوائل لمواضع مدنهم .

ان لم تكن الاعتبارات الأمنية أو الادارية ، وحتى الاقتصادية ، وحدها

ذات الأولوية في ذلك الاختيار . ان استقراء تلك النصوص يكشف بشكل

دقيق وثابت اعتبار العوامل المناخية والبيئية في اختيار الموضع ، فقد

أشارت النصوص الى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، أمر باختطاط

الكوفة وذلك لما رأى تأثير وخومه البلاد على المسلمين الفاتحين ان أشار

الطبرى الى ذلك فقال : " كتب عمر الى سعد أنبئني ما الذى غير ألوان

العرب ولحومهم فكتب اليه أن العرب خددهم وكفسى ألوانهم وخومة

المدائن ودجلة ، فكتب اليه أن العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان . (٤)

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٢٨٠ .

(٢) عبد الفتاح محمد وهبه : م.س. ص ٥٢٣ .

(٣) جمال حمدان : م.س. ص ٢٧٧-٢٧٨ ، مصطفى عباس الموسوى :

العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٢٠٠ .

(٤) الطبرى : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) : تاريخ الأمم

والملوك ، القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ٤ / ١٨٩ .

وعلى نفس الوتيرة صار المسلمون في اختيارهم لمواضع معظم مدن
الفتح الاسلامي ^(١) ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للأُمويين الذين كانوا يشتون
في بعض المدن الساحلية طلباً للدفيء ، فكان الخليفة معاوية ومروان بن
الحكم يشتون في الصنيرة ، الواقعة على الشاطئ الجنوبي لبحيرة
طبرية ^(٢) .

وكذلك كان لهم قصور في بادية شرق الأردن ، اختيرت مواضعها
ومواقعها ، كمحلات للصيد والنزهة . مثل قصر عمره الذي يقع شرق
مدينة عمان ، وينسب إلى العصر الأموي ^(٣) .

ولقد انعكست هذه الرؤيا على الفكر العمراني عند المسلمين فابن
خلدون يشير إلى أهمية الموضع عند تأسيس المدن ، من حيث مناعتها
الطبيعية ، ولذلك يوصي باختيار المواضع التي تهبط وسائل دفاعية جيدة
عن المدينة .

وكذلك يرى بأن موضع المدينة لا بد أن يكون في منطقة جيدة
المناخ ، وأنه ينبغي الابتعاد عن المناطق ذات المناخ الرديء ، لما في
ذلك من اعتبارات صحية .

ويرى ابن خلدون بأن المواضع التي تتوفر من خلالها المرافق الأساسية
كموارد المياه والمنتجات الزراعية هي من المواضع المناسبة لتأسيس المدن عليها ^(٤) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ١ / ٣٤٩ .

(٢) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ، الكويت ص ٤٤ .

(٣) زكي محمد حسن : م . س . ص ٤٤ ، فريد شافعي : الحضارة العربية

الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،

ص ١٥ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ١ / ٣٤٧ - ٣٤٩ .

على أن تأثير العامل الجغرافي لا يتحكم في نشأة المدينة فقط ، بل انه يتعدى ذلك ، مؤثرا بشكل بارز في تطورها ، إذ ان المدن التي توسست بالقرب من كثافات سكانية أقل درجة في التحضر كالهادية ، فان ذلك يساهم في التعجيل في سرعة تطور المدينة ونموها عن طريق الهجرة .^(١)

ولقد كان للعوامل الجغرافية دور كبير عند تأسيس العديد من المدن الاسلامية ، علاوة على دوره في تطورها . وذلك أن المدن التي تأسست في عصر الفتح الاسلامي ، قد جرى اختيار مواقع ومواقع لها من نمط خاص ، مما يدل على وضوح الرؤيا عند المسلمين واطمئنانهم الى توفر المواصفات المطلوبة التي يرونها للمواقع التي يقيمون عليها مدنهم الجديدة .^(٢) حيث يجرى عادة انتقاء المواقع المناسبة التي تقع على مفترق الطرق أو ملتقاها ، سواء كان ذلك في السهول ، أو على شواطئ الانهار ، أو على أطراف الصحراء ، أو أكتاف الجبال .^(٣)

فالبصرة والكوفة^(٤) ، اللتان انشئت في عامي (١٤ ، ١٧ هـ / ٦٣٥ ، ٦٣٨ م) كان موقعهما يتميز بتلاقي شط العرب برأس الخليج

- (١) ابن خلدون : م . س . ١ / ٣٤٣ .
- (٢) عيسى سليمان وآخرون : العمارات العربية الاسلامية في العراق ، (تخطيط مدن ومساجد) بغداد ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ١ / ٤٤٠ .
- (٣) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ، ص ٧٥ .
- (٤) البصرة والكوفة : مدينتان اسلاميتان تقعان جنوبي العراق ، حيث تقع الأولى على ساحل شط العرب ، بينما تقع الثانية الى الشمال منها ، على شاطئ الفرات . للمزيد انظر : الاصطخرى : ابراهيم ابن محمد المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، الممالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق

العربي ، الى جانب وجودهما عند التقاء الطرق البرية التي تربط بين شمال العراق وجنوبه ، وتتصل بالطرق المؤدية الى شبه الجزيرة العربية .^(١)

أما بالنسبة للفسطاط التي أنشئت في عام (٢١٠ هـ / ٦٤١ م) ، فلقد اختير موقعها بعناية فائقة اذ تقع على نهر النيل الى الجنوب من الدلتا ، أي أنها ترتبط بذلك الطريق النهري الكبير الذي يربط بين شمالي الوادي وجنوبه ، علاوة على سيطرتها على الطريق البري الواصل بين بلاد الشام والمغرب وأفريقية ، كذلك كان يقع بالقرب من الفسطاط الخليج الذي يصل بين نهر النيل والبحر الأحمر والذي عرف بـ **خليج أمير المؤمنين** فيما بعد .^(٢)

أما من حيث المواضع ، فيلاحظ أن مدن الفتح الاسلامي الأولى " البصرة - الكوفة - الفسطاط " تم اختيار مواضعها ، بحيث لا يضطر القادم اليها من شبه الجزيرة العربية الى عبور الأنهار .^(٣)

ولقد تم هذا الاختيار بناءً على أوامر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي أمر قائده سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه لما عزم على اختطاط مدينة الكوفة ، أن لا يجعل بينه وبينهم بحراً ،^(٤)

=== فربال ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ، ص ٥٦ - ٥٨ ، و كى لسترنج

: بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكودي كين عواد ،

بيروت ، ط. الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٦٤ - ٦٧ ، ١٠١ - ١٠٢ .

(١) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ٧٥ .

(٢) موريين لومبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون

الأربعة الاولى ص ١٧٩٠ .

(٣) أحمد علي اسماعيل : م. م. ص ٧٦ .

(٤) الهلادري : احمد بن يحيى البغدادي (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ،

فتوح البلدان مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان ، بيروت ١٣٩٨ هـ /

كذلك قال لقائده عروب بن العاص رضي الله تعالى عنه لما عزم على اتخاذ
عاصمة اقليمية لمصر " . . . لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء
بيني وبينهم في شتاء ولا صيف " . (١)

والسبب في هذا الاختيار هو أن الفاتحين وجلهم عرب لم يكونوا قد
اعتادوا عبور الماء في الأهم الأغلب ، فكان هناك نوع من التوجس من
البحر والنهر . بالإضافة إلى أن عدم وجود الحواجز المائية فيما بين
تلك المدن وشبه الجزيرة العربية تجعلها على اتصال دائم ومباشر بمركز
الدولة ، حيث تتمكن الخلافة من أن تقدم للفاتحين من سكان هذه المدن ،
المدد والعون بسرعة إذا اضطرتهم الظروف إلى ذلك (٢) ، علاوة على توفير
امكانيات مرونة الحركة والانسحاب والالتفاف في حالة الاضطراب عند تعرض
قوات الفتح إلى الخطر (٣) .

على أن تأثير العوامل الجغرافية على المدينة الإسلامية لم يرتبط بمرحلة
تأسيس المدن ونشأتها فقط ، بل إنها كان لها دورها المؤثر خلال مرحلة
تطور المدن ونموها (٤) ، فالمدن الإسلامية التي أسست في المناطق
الوفيرة الأمطار ، ذات الطقس الدافئ ، مما سمح بقيام الزراعة المنتجة ،

(١) ابن سعيد الاندلسي : على بن موسى بن محمد (ت ٦٧٣هـ /
١٢٧٤م ، الاعتباط في حلى مدينة القسطنطينية (من كتاب المغرب
في حلى المغرب) ، القسم الخاص بمصر ، حققه وعلق عليه : زكي محمد
حسن ، وآخرون ، القاهرة ١٩٥٣م ٣٩/١ .

(٢) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ٧٦ .

(٣) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن
العربية الإسلامية ص ٦٢ .

(٤) عبد الفتاح محمد وهبه : جغرافية الانسان ، ص ٥٢٩ .

هي التي شهدت التطورات العمرانية الكبرى^(١) . إذ جرى اختيار موقع بغداد في منطقة زراعية خصبة^(٢) . فهي تتوسط أربعة طاسيج^(٣) ،^(٤) اثنان منها في الجانب الغربي ، وهما قطربل ، وبادوربا ، وآخران في الجانب الشرقي وهما نهريوق وكلواذى ، مما يوفر للمدينة امدادات غذائية كبيرة ، فلو (. . . تأخرت عمارة طسوج منها كان الاخر عامرا)^(٥) . مما هيا لها الفرصة للتوسع واستيعاب أعداد متزايدة من البشر^(٦) .

وتبرز أهمية التضاريس في التحكم في التطورات العمرانية في المدينة ، ما يمكن مشاهدته في المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) التي أخذت في التمدد باتجاه الشمال حيث الأراضي المنبسطة السهلة بينما لم تتحول نحو الشرق أو الجنوب نظرا لوجود التلال المرتفعة والصحراء التي كانت تقف عائقا امام التوسع العمراني نحو تلك الجهات^(٧) .

- (١) مصطفى عباس الموسوى : م . س . ص ٢٠٥ .
- (٢) عبد العزيز الدورى وآخرون : بغداد ، نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرين ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٦٦ .
- (٣) كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٩ .
- (٤) الطسوج : جزء من اجزاء الكوره ، وهي فارسية الاصل ، اكثر ما تستعمل في سواد العراق ، ياقوت الحموى : شهاب الدين ياقوت ابن عبدالله الرومى البغدادى ، (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٣٨/١ .
- (٥) ياقوت الحموى : م . س . ص ٤٥٨/١٠ .
- (٦) عبد العزيز الدورى وآخرون : م . س . ص ٩٢ .
- (٧) حسن الباشا وآخرون : القاهرة : تاريخها فنونها آثارها ، القاهرة ص ١٣ ، ٢٠٠١٨ ،

العوامل السياسية والادارية :

تعد الادارة ضرورة أولية نشأت مع نشأة المجتمعات المستقرة ،
لذلك تعد الادارة من أولى الوظائف التي مارستها المدينة ^(١) ، ولعل
هذا يفسر موقف ابن خلدون من علاقة المدينة بالملك ، حيث يعده من
العوامل الرئيسة للاستقرار ومن ثم لظهور المدينة ^(٢) .
لذلك فلقد اقترن تأسيس كثير من المدن بقيام الدولة ونشأتها ،
فكل دولة تقوم ينبغي لها أن تتخذ مركزا للحكم والادارة ، تظهر من خلاله
قوة شخصيتها ، وتشد اليها فيه انظار الشعوب المحكومة واحترامهم ^(٣) .
وكان لتوسع الدولة الاسلامية ونموها سبب في تحول المدن العسكرية
التي أنشأها الفاتحون الأولون الى مراكز محلية للحكم وادارة البلاد المفتوحة ^(٤) .
ولقد ابتعدت حدود الدولة الاسلامية كثيرا عن الكوفة والبصرة
والفسطاط ، وفقدت هذه المدن تدريجيا أهميتها العسكرية الأساسية
باعتبارها خطا للمواجهة مع الأعداء أو معسكرات رئيسية على الحدود ،
ورغم ذلك فقد حافظت تلك المدن ولمدة طويلة على مكانتها اذ تحولت
الكوفة الى عاصمة للدولة الاسلامية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ^(٥) ، كما لعبت هي والبصرة والفسطاط دورا اداريا
متميزا طيلة العصر الأموي ، وكان لها دور مهم في العصور

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٨١ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ٣٤٢/١ .

(٣) عبد الرحمن فهي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٣٦ .

(٤) مصطفى عباس الموسوي : م.س. ص ١٠٨ .

(٥) كس لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٠١ .

العباسية الأولى (١)

وقد يؤدى تبدل الحكومات ، أو تغيير الأُسَر الحاكمة الى انشاء مدن جديدة ، تعبر به السلطة الجديدة التي وصلت لتوها الى الحكم عن انتصارها ونشأتها (٢) ، كما أنها تضمن بذلك أمنها والتفاف أنصارها حول مركزها ، فانتقال الحكم من أيدي الأمويين الى العباسيين اقتضى اتخاذ عاصمة جديدة ، حرص العباسيون في اختيارها أن يضمنوا أنفسهم واستقرارهم فيها والابتعاد عن أخطار تأثير خصومهم ، وأن يكون سكانها من المواليين لهم والعربطيين مصلحيا بدولتهم . (٣)

فكان ظهور مدينة بغداد (٤) في عام (١٤٥هـ / ٧٦٢هـ) لتكون بديلا عن دمشق (٥) ، التي كانت عاصمة لبني أمية . (٦)

-
- (١) موريس لوسبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ص ١٦٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .
- (٢) مصطفى عباس الموسوي : م . س . ص ١٢٨ .
- (٣) صالح العلي : بغداد مدينة السلام (الجانب الغربي) ، بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٢٨ - ٣٢ .
- (٤) بغداد مدينة اسلامية بناها ثاني الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور لتكون مركزا للخلافة العباسية ، وتقع على نهر دجلة في العراق ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤٥٦ / ١ - ٤٦٧ .
- (٥) دمشق قصبة بلاد الشام ، فتحها المسلمون سنة ١٤هـ واتخذوها بقوامة عاصمة لدولتهم . انظر عنها : ياقوت الحموي ، م . س . ص ٤٦٣ / ٢ - ٤٧٠ .
- (٦) كس لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢ .

ولقد شهد العالم الاسلامي ظهور العديد من العواصم الاقليمية ،
 كمدن بديلة عن العاصمة المركزية ، وذلك نتيجة لضعف وتفكك الدولة
 الاسلامية ، حيث ظهرت حكومات اقليمية يدين بعضها بالولاء الاسمى
 لدولة العباسيين ، كما حدث في مصر حيث ظهرت مدينة القطائع على يد
 أحمد بن طولون ^(١) الذي أسس دولة تتمتع بالاستقلال عن ارادة العباسيين ^(٢).

وكان لظهور السامانيين في بلاد الصفد دور كبير في أن يشهد
 هذا الاقليم أوج ازدهاره ، وخاصة مدينتا سمرقند وبخارى ^(٣) حيث كانت
 الأولى المركز الادارى السياسى لهذا الاقليم في حين كانت الثانية المركز
 الدينى والثقافى ^(٤).

كما كان لظهور دول تنافس بني العباس في ادعائهم حق حكم
 المسلمين وتنصيبهم العداء كما هو الامر مع بني عبید (الفاطميين)
 ، دور في ظهور مدن كان الغرض منها مناجزة بغداد ^(٥) ، فبنيت مدينة
 المهديّة في عام (٣٠٣هـ / ٩١٥م) ^(٦) في تونس لتليها القاهرة في عام

-
- (١) أحمد بن طولون أبو العباس التركى ، ابتداء امره بالظهور كوال لمصر
 من قبل الخليفة العباسي . للمزيد انظر : ابن تغرى بردى : جمال
 الدين بن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٤٣م)
 حقه وعلق عليه محمد رمزى القاهرة ١٠ / ٣ - ٢١٠ .
- (٢) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون
 الاربعة الاولى ص ١٨٠ .
- (٣) بخارى وسمرقند من اعظم مدن بلاد ما وراء النهر ، خضعتا بشكل فعلى
 للنفوذ الاسلامي في عام ٨٨٨هـ / ٧٠٧م ، للمزيد انظر عنهما :
 ياقوت الحموى : معجم البلدان ١ / ٣٥٣ - ٣٥٦ ، ٣٠ / ٢٤٦ - ٢٥٠ .
- (٤) كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .
- (٥) عبد الرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٣٧ .
- (٦) وقيل ان بنائها تم في عام ٣٠٠هـ / ٩١٢م ، وهي مدينة على الساحل

(١) (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) .

وعلى أية حال فإن مدن الإدارة بشكل عام والعواصم السياسية بشكل خاص ، قد اكتسبت " أهميتها الخاصة التي تنعكس في زيادة تعدادها السكاني (٢) ، الذي أدى بطبيعة الحال الى نمو المدينة وتطورها العمراني (٣) ، كذلك فإن العواصم الاقليمية تلك غالبا ما تحظى بنصيب وافر من المنشآت والمرافق ، التي أسهمت في نموها الحضري (٤) .

فبفداد عاصمة العباسيين ، سرعان ما نمت في أقل من أربعين سنة من موقع عمراني يحوى عددا قليلا من السكان ، الى مدينة يبلغ عدد سكانها نحو المليونين (٥) ، بل ان سعتها والعدد الكبير الذي وصلت اليه ارباعها محلاتها قد دفع البعض الى أن يعدها مجموعة من المدن المتلاصقة يتجاوز عددها الأربعين مدينة . (٦)

ويظهر أيضا الأثر العمراني للوظيفة السياسية والإدارية في حالة اختفائها من مدينة من المدن ، ذلك أن هناك من يرى بأن اختفاء الوظيفة السياسية والإدارية قد كان حاسما في التناقص السكاني ، ومن ثم في التراجع الواقع في المستوى العمراني للمدينة . (٧)

=== في تونس ، تقع في موضع أشبه بالجزيرة . بناها الخليفة المهدي الفاطمي . انظر عنها : ياقوت الحموي معجم البلدان ٢٢٩/٥ - ٢٣٢ .

(١) ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) عبد الفتاح محمد وهبة : جغرافية الانسان ص ٥٢٥ .

(٣) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ١٩٠ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ٣٤٣/١ .

(٥) موريس لومباردو : م . س . ص ١٦١ .

(٦) ابن خلدون : م . س ، ٣٤٣/١ .

(٧) ابن خلدون : م . س ، ٣٧٥/١ .

وعلى أية حال فإن العلاقة بين الدولة والمدينة العاصمة علاقة وثيقة ومتراصة في أكثر من وجه ، فهي تشبه تلك العلاقة التي بين المادة وصورتها ، لذلك فإن المدينة العاصمة عادة ما تعكس وضع الدولة وتوجهاتها الحضارية ^(١) ، فقوة الدولة وغناها وطريقة انفاقها للأموال أمر ذو أثر كبير على الأوضاع العمرانية والحضارية في هذا النوع من المدن ^(٢) .

العوامل الاقتصادية :

لقد جعل الله الانسان مفضوا على العمل والسعي ، وأمره بذلك قال تعالى * هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * ^(٣) . فسمى الانسان لا يقتصر على الرغبة في اشباع الحاجات الانسانية فقط كما يعتقد البعض ^(٤) ، وعليه حدث تفاعل بين الانسان وبين البيئة الطبيعية المحيطة به ، مما أدى لظهور النشاط الاقتصادي ^(٥) .

ولقد ترتب على تلك العلاقة مجموعة من المظاهر الحضارية ، من أبرزها نشأة التقنية التي تحاول معالجة المشكلات التي تعرض لها الانسان في تعامله مع البيئة ^(٦) .

(١) ابن خلدون : م.س. ، ١ / ٣٧٦ .

(٢) ابن خلدون : م.س. ، ١ / ٣٧١ .

(٣) سورة الملك آية ١٥ .

(٤) محمد رياض : الانسان دراسة في النوع والحضارة ، بيروت ،

١٩٧٤ م ، ص ٤٠٦ .

(٥) ن.م.س .

(٦) ن.م.س .

ومن المؤكد أن مثل هذه المفاهيم ، هي التي دفعت بعض الباحثين من أمثال لينارد وولي (Leenard Wolly) الى اعتبار أن تطور مجالات النشاط الاقتصادي - الزراعة وزيادة الانتاج الزراعي - لدى الانسان ، هي السبب الرئيسي لتحوله نحو حياة الاستقرار ، ومن ثم الى ظهور " المدينة " (١) . لذلك عمد بعض الجغرافيين الى جعل الأُسُس والركائز الاقتصادية ، هي القواعد الأساسية في تصنيف وظائف المدن (٢) .

وانا كانت الزراعة - كأحد أوجه النشاط الاقتصادي للانسان - هي التي ساهمت الى حد بعيد في ظهور " المدينة " ، فانها قد ساهمت أيضا في تطور العديد من المدن .

ففي العراق الذي يعد بقعة تمدن ، تمتد جذورها في أعماق التاريخ ، شهد في العصر الاسلامي نهضة عمرانية كبرى ، ارتبطت الى حد بعيد بمشاريع الري واستصلاح الأراضي (٣) ، وهي مشاريع أولاها الحكام المسلمون كل رعاية واهتمام (٤) ، ظهر أثرها العمراني بزيادة المحتوى السكاني للمدن التي كانت موجودة في هذا الاقليم (٥) .

-
- (١) نقلا عن هشام جعيط ، نظرة ابن خلدون للمدينة ومشكلة التمدنين ، المدينة الاسلامية ص ٤٩٣ .
- (٢) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ١١٧ .
- (٣) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٦٤ .

(٤) El- Samarraie - Husam Qawam
Agriculture In Iraq During The 3rd. Century A.H.
Thesissu limited For the degree of Doctpr of
Philosophy in University of London 1970 p.(94).
(٥) موريس لومباردو : م . ص ١٦٤ - ١٦٥ .

كذلك كان الأمر بالنسبة للعديد من المدن في مناطق أخرى مثل بلاد الشام، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر، التي تطورت بتطور النشاط الزراعي في المناطق المحيطة بها، فأخذت هذه المدن تتمدد عن طريق أسوارها لتضم العديد من القرى والضواحي المحيطة بها كما حدث لبخارى وسمرقند. (١)

ومن الموم كد أن دمشق قد انتعشت بانتعاش النشاط الزراعي فيها، فما أن اتخذها الأمويون عاصمة لهم حتى أخذت المساحة المزروعة المحيطة بها بالتوسع والازدياد. (٢)

ومثلما لعبت الزراعة دورا في نشأة المدن وتطورها، فإن التجارة كان لها أيضا اسهام كبير في هذا المجال، فهناك الكثير من المدن التي كانت الأسواق هي النواة الأولى لها، والتي كان النشاط التجاري وفعالياته المحور الذي قامت عليه وتطورت منه. (٣)

ونظرا لما تمثله التجارة من عامل لجذب السكان، فإن الوظيفة التجارية قد أتاحت للمدينة توسعا وامتدادا قياسيا، مما دفع البعض الى القول بأن المدن التجارية تعد من أعظم التجمعات البشرية على الإطلاق. (٤)

والواقع فقد كان لظهور المدن التجارية من الناحية التاريخية، دور حاسم في تولد النشاط الصناعي، الذي أدى الى أن يعرف التمدن المدن الصناعية. (٥)

(١) موريس لومباردو: م.س. ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) موريس لومبارد: م.س. ص ١٧٧.

(٣) جمال حمدان: جغرافية المدن ص ٤٨٤-٤٩.

(٤) جمال حمدان: م.س. ص ٥٥.

(٥) عبد الفتاح محمد وهبه: جغرافية الانسان ص ٥٢٦.

ولقد كان هناك علاقة تبادلية في التطور المشترك بين الصناعة وال عمران ، إذ أن الصناعة تنمو بنمو العمران في المدينة ، كما أن التوجه الصناعي يزيد من حجم المدينة واستدادها ، ويظل الحال في توافق كلما كانت الزيادة في أحدهما . (١)

وعلى أية حال ، فلقد كان للتجارة أثر واضح في التطور العمراني في العالم الاسلامي ، إذ أن توحيد هذا المجال الجغرافي الكبير في إطار موضوعي واحد ، أدى الى تطور النشاط الاقتصادي فيه ، وهو تطور كانت التجارة إحدى روافدها الأساسية . (٢)

فمدينتا البصرة والكوفة قد بنيتا في الأصل لتكونا معسكرات لجيوش الفتح ، ثم لعبتا بعد ذلك دورا في الادارة الاقليمية ، وقد أخذتا بالتحول الى مدينتين تجاريتين كبيرتين (٣) ، مما أسهم في جلب العديد من الصناعات والحرف اليهما (٤) . بل ان البصرة على وجه الخصوص ، كانت في العصر العباسي مستودعا لتجارة المحيط الهندي ، والميناء الرئيسي لبغداد وبلاد الرافدين (٥) .

ولا شك في أن هذا النمو التجاري قد أدى الى أن تصبح البصرة

- (١) ابن خلدون : المقدمة ٣٧٧/١ .
- (٢) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ٢٢ - ٢٥ .
- (٣) عبد الرحمن فهي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٤١ .
- (٤) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٣٢٧ .
- (٥) موريس لومباردو : م . ص ١٦٧ .

من أهم مراكز الصناعة في العالم الاسلامي ^(١) ، لتنتقل نحو عصرها الذهبي
في العمران . ^(٢)

ولقد ارتبط التوسع العمراني الكبير في مدن فارس وخراسان ، بنمو
تجارة العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، إذ أن المدن التي أصابها الازدهار
العمراني في هذا الاقليم ، هي التي تقع على طرق تجارة القوافل ، وتأتي
سمرقند في طليعتها التي تقع عند نقاط التقاء الطرق التجارية القادمة
من الهند وبلاد فارس . ^(٣)

وقد شهدت موالي بلاد الشام ازدهارا عمرانيا كان مدفوعا
بازدياد النشاط التجاري فيها ، فالعوالي الفنيقية القديمة ، التي تقع
على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، الشرقي مثل صور وعكا وطرابلس ^(٤) ،
شهدت عملية انشاء وتعمير أرصفة جديدة لاستقبال السفن المحملة بالبضائع ،
كما شهدت تطورا واتساعا عمرانيا كبيرا ^(٥) ، وما شهدته شرق العالم

(١) الخطيب البغدادي : أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ ، ١٠٧٠ م)
تاريخ بغداد ، بيروت ١/٤٩٠ .

(٢) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون
الاربعة الاولى ص ١٦٧ .

(٣) موريس لومبارد : م.س. ص ١٧٥ .

(٤) هذه المدن من مدن الساحل الشامي ، فتحت زمن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه حيث فتحت عكا في حدود عام ١٥١ هـ / ٦٣٦ م
بينما فتحت طرابلس في سنة ٢٣ هـ / ٦٤٢ م . للمزيد عن هذه المدن
انظر : يا قوت الحموي معجم البلدان ، ٣ / ٤٣٣ - ٤٣٤ ،

٢٥ / ٢ - ١٤٣ ، ٢٦ - ١٤٤ .

(٥) موريس لومباردو : م.س. ص ١٧٧ .

الاسلامي من ازدهار عمري ، ارتبط بذلك التوسع التجاري ، فان غرب العالم الاسلامي قد عاش حالة مماثلة ، تبعاً لعوامل مشابهة .

ومن ابرز الشواهد التي يمكن من خلالها متابعة هذا الازدهار ، ما حدث في مصر التي كانت تعاني قبل الفتح من تدهور في الأوضاع العمرانية ، لتقلب الصورة بعد ذلك وتظهر في شكل حركة ضخمة يمكن متابعتها عند دراسة عاصمة الاقليم نفسه ، فالفسطاط التي ظهرت الى الوجود كمركز لاستقرار الفاتحين ، ومعسكراً متقدماً في غرب الدولة الاسلامية ، أخذت تتطور اقتصادياً ^(١) ، بازدهار التجارة فيها ، نتيجة ازدهارها بشكل عام عبر الاقليم المصري ^(٢) ، فأصبح ميناءها أحد أهم مراكز تجمع السفن والبضائع . ^(٣)

ولقد أدى هذا التطور الى أن تتحول المدينة الى منطقة تكدر سكانها ^(٤) ، حيث تجاوز سكانها المليون نسمة ، وهو تقدير يقوم على أساس تعداد البيوت التي كانت فيها ، والتي قيل أن عددها بلغ مائة الف منزل ، كما أنها كانت تتوزع على ثمانية الاف شارع مسلوكة . ^(٥)

(١) ن . م . س .

(٢) لاحظ الوصف الذي يرد عند الخطيب البغدادي عن كون مصر بلد التجارة ، تاريخ بغداد ٤٩١/١ . انظر أيضاً : مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٣٣٣ .

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٨ .

(٤) ن . م . س .

(٥) عبد الفتاح محمد وهبة : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق

بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٤١٦ - ٤١٧ .

أما في افريقية الشمالية ، التي أصبحت بلاد التجارة والنقل والعبور بين الأطراف الشرقية ، والغربية للعالم الاسلامي ، علاوة على احتوائها على مراكز الاتصال ، بين هذا العالم وبين بلاد السودان والصحراء الكبرى (١) . فان هذا الاقليم شهد نهضة عمرانية يدل عليه الزحف المدني في أقاليم الصحراء الكبرى ، حيث ظهرت العديد من المدن على أطراف الطرق العابرة لهذه الصحراء ، مثل مدينة وجده ، وأغلى (٢) " القرن الثالث الهجري - القرن التاسع الميلادي " اللتين ظهرتتا في السوس الأقصى . نظرا لارتباطهما بنهاية الطرق العابرة للصحراء الكبرى (٣) .

العوامل الحربية :

الحرب ظاهرة لم ينقطع تكرارها منذ بدء الخليقة حتى الوقت الحاضر (٤) ، وهي بالتالي تمثل محورا مهما من محاور التاريخ البشري وتجديده ، لا بد وأن يظهر أثرها بشكل أو بآخر على حضارته .

وتصديقا لقوله تعالى * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض * (٥) .

-
- (١) موريس لباردو: الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٨٢ .
- (٢) لم اعثر فيما اطلعت عليه من مصادر على معلومات وافية عن هذه المدن .
- (٣) موريس لباردو: ن.م.س .
- (٤) حسن أحمد البدوي : ظاهرة الحرب ومذاهبها : محاضرة القايت ضمن فعاليات الموسم الثقافي لكلية الملك خالد العسكرية ، ونشرت في مجلتها ، العدد ١٦ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ص ٢٥ .
- (٥) البقرة آية ٢٥١ .

ولقد ارتبطت نشأة المدينة منذ أقدم العصور بالوظيفة الحربية ،
بل ان البعض يعد ذلك الأصل في نشأة المدينة ، والدافع الرئيسي
لوجودها تاريخيا .^(١)

ويذكر القزويني أن ظهور الوظيفة الحربية في المدينة ، كان نتيجة
الحاجة الانسانية الى الأمن ^(٢) ، ذلك أن الخوف كان أحد الدوافع
الرئيسية في التأثير على السلوك الانساني ، كما أن الحاجة الى الأمن ،
هو من الدوافع القوية في توجيه هذا السلوك .^(٣)

ومن المؤكد أن مثل هذه الاعتبارات ، هي التي أدت الى الأخذ
بالأسباب الحربية في اختيار موقع المدينة .^(٤)

ولقد عرف تاريخ التمدن نوعين من المدن الحربية ، الأولى عبارة
عن حائط يطوق بموضع محصن ، يلجأ اليه سكان المنطقة المحيطة به ، في
حال تعرضهم للخطر . بينما الثاني يكون موقعا عسكريا ، أقيم بهدف السيطرة
على سكان منطقة من المناطق .^(٥)

-
- (١) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٢٢ .
(٢) القزويني : اثار البلاد وأخبار العباد ص ٧ .
(٣) سعد جلال : المرجع في علم النفس ، القاهرة ، ط. الخامسة
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٣١٤ - ٣١٥ .
حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي ، القاهرة
ط. الخامسة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٤) لاحظ ما يذكره ابن خلدون في هذا الصدد ، ص ٥٤ .
(٥) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٢٣ - ٢٤ .

ونظرا لكثرة ما شهدته التاريخ البشرى من الحروب والصراعات ، فلقد شهد هذا التاريخ ظهور العديد من المدن الحربية ، التي توزعت في مختلف بقاع العالم .^(١)

وكان لظهور الدين الاسلامي ، وما ترتب عنه من انطلاقه كبرى تمثلت في حركة الفتح الاسلامي ، التي استهدفت نشر عقيدة الاسلام بين مختلف الشعوب في مختلف أرجاء العالم القديم^(٢) ، أثر بارز في تأسيس عدد كبير من المدن العسكرية الجديدة ، بهدف ايواء الفاتحين وأسرهم ، وتتكون حلقة الوصل بين مركز الدولة وأقاليم الفتح .^(٣)

ولقد أقام المسلمون كما أسلفنا ، العديد من المدن كمراكز عسكرية أو معسكرات ، اذ بنى في العراق في صدر الاسلام مدينتان رئيسيتان هما الكوفة والبصرة .^(٤)

في حين أن بلاد الشام ، شهدت أيضا بناء بعض المدن ، في مواقع عسكرية بيزنطية مثل طرسوس ، حيث كان موقعها حصنا جلا عنه^(٥)

(١) جمال حمدان : م.س. ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول : دراسة

تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ،

ص ١٩ . مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور

المدن العربية الاسلامية ، ص ٦٢ .

(٣) مصطفى عباس الموسوي : م.س. ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) انظر ص : ٥٩ .

(٥) تقع هذه المدينة على الساحل الشامي بالقرب من انطاكية فيما بينها

وبين حلب . للمزيد انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان

قاطنوه اثر الفتح ، فتحول موقعها في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الى مدينة حربية ، ان قام بتمصيرها . (١)

كذلك بنيت القسطنطينية في بادىء الامر لتكون مقرا لجند الفتح الاسلامي . (٢)

ولقد بنيت القيروان (٣) في عام (٥١٠هـ / ٦٧٠م) لنفس الغرض ، (٥) في حين أن مدينة تونس (٥) التي ظهرت بعدها بقليل ، لم تنشأ الا لتكون ميناء ومركزا لصناعة السفن الحربية . (٦)

ان تأثير العوامل الحربية لا يظهر في نشأة مدن جديدة فقط ، بل يتعداه لتكون هذه العوامل سببا في تطور عمران العديد من المدن . ففي مشرق العالم الاسلامي ، أقام الفاتحون العديد من الأحياء التي تجاوز المدن القديمة ، وعرفت هذه الأحياء بالارباب ، كانت تحتوى على الجامع الكبير الى جانب القلعة والسوق . (٧)

- (١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣٩ .
- (٢) ص : ٥٩ .
- (٣) مدينة اسلامية أسسها القائد عقبة بن نافع ، وكانت عاصمة الحكم والادارة للاقليم الافريقي . للمزيد انظر : ياقوت الحموي معجم البلدان ٢ / ٤٢٠ - ٤٢١ .
- (٤) موريس لومباردوا : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٨٧ .
- (٥) مدينة اسلامية على الساحل الافريقي أنشأها القائد حسان بن النعمان في عام ٧٠هـ / ٩٦٠م للمزيد انظر : ياقوت الحموي ، م . ص ٦٠ / ٢ - ٦٢ .
- (٦) أحمد مختار العبادي ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، الاسكندرية ٢ / ٣٠ - ٣٢ .
- (٧) موريس لومباردوا : م . ص ١٧٤ .

بل ان هذه الظاهرة أدت الى ظهور المدن المزدوجة^(١) ، كما حدث لمدينة مرو الكبرى^(٢) ، التي كانت تتكون من المدينة الأصلية بالإضافة الى الأحياء المجاورة لها^(٣) ، ومدينة بخارى التي أضحت تتاجا لتجمع عدد من المدن المجتمعة مع بعضها البعض .^(٤)

وهذا التطور العمراني أسهمت فيه تلك المجمعات التي بناها الفاتحون ، بالإضافة الى النتائج الناجمة عن تعرض هذه المناطق الى الغزوات التي تعرض لها مشرق العالم الاسلامي^(٥) . مما يبرر القول بأنه قد أصبح هناك تكتل مدني ، يهدف الى ايجاد نوع من المقاومة ضد الغزوات التي تواجهها هذه المدن .

أما في سواحل بلاد الشام ، فلقد جرى شحن مدن الساحل الشامي بالمقاتلة لمواجهة هجمات البيزنطيين المتكررة ، وقد أدى ذلك الى زيادة أعداد السكان في تلك المدن الى درجة عالية .^(٦)

(١) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال

القرون الاربعة الأولى ص ١٧٤ .

(٢) عاصمة اقليم خراسان ، ومن اعظم مدن الشرق الاسلامي . للمزيد انظر

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١١٢/٥ - ١١٦ .

(٣) كسليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٤٠ - ٤٤٢ .

(٤) كسليسترنج : م.س. ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٥) موريس لومباردو : م.س. ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣٤ - ١٣٥ .

ومن المؤكد أن تكون الظروف العصيبة التي واجهتها تلك المدن ، نتيجة تعرضها للعدوان المستمر ، قد أدت إلى استقطاب اهتمام الإدارة الإسلامية نحوها ، حيث عمل الحكام المسلمون بدأب واستمرار في بناء التحصينات واحكام الاستحكامات ، وشحنها بأعداد اضافية من المقاتلين وأسرههم ، اضافة الى بناء المساجد والمرافق الأخرى ^(١) ويمكن القول بأن نفس العوامل قد أدت إلى تطوير العواصم ^(٢) ، التي أقيمت على امتداد الحدود الشمالية في مواجهة الثغور التي ينفذ منها العدو البيزنطي في المناطق الجزرية ^(٣) .

العوامل الاجتماعية :

على الرغم من أن الجغرافيين لم يتحدثوا عن المدينة كظاهرة اجتماعية من حيث نشأتها وتطورها ، إلا أن هناك من يعد التكوين الاجتماعي للإنسان هو العامل الرئيسي لظهور المدينة ^(٤) ، وأن العامل الاجتماعي يعد جزءاً من عملية معقدة أدت في النهاية إلى ظهور المدينة ^(٥) . ونظراً لوجود الفروق الاجتماعية بين الحياة في المدينة والريف ^(٦) ، وهي فروق تعني أن هناك اختلافاً واضحاً في المحتوى الحضاري فيما بينهما ^(٧) ،

-
- (١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣٤ ، ١٣٩ .
 - (٢) المقصود بالعواصم هنا مدن الثغر البيزنطي وليس مراكز الحكم والإدارة .
 - (٣) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ص ١٢٨ .
 - (٤) لاحظ ما يذكر قداسة بن جعفر ، والقزويني في هذا الصدد .
 - (٥) فادية عمر الجولاني : علم الاجتماع الحضري ص ١٣٠ .
 - (٦) فادية عمر الجولاني : م.س. ص ١٦٠ .
 - (٧) عبد الرحمن فهي : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٤٦ .

وهو ما يعده ابن خلدون مظهرًا يزداد تعقيدا كلما تقدمت معيشة سكان المدن نحو الترف والرفاه^(١)، فان ذلك يعني أن العلاقة بين الحياة الاجتماعية والمدينة، علاقة عضوية تؤثر بشكل أو بآخر على ظهور التمدن أو تطوره.

ولقد راعى الفاتحون الأوائل طبيعة حياتهم الاجتماعية في مدنهم التي أسسوها، فالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان، تم اختيار مواقعها بالقرب من الصحراء ومراعي الابل^(٢).

كذلك روعي في تخطيط هذه المدن، أن تتوزع السكنى فيها على أسس اجتماعية^(٣). ففي الكوفة، جرى اسكان كل قبيلة على حالها بشكل مترابط، يتبعها حلفاؤها أو مواليها، وكل ربع له مسالكه ومنافذه وحماته ومرابطه. وحدث في البصرة أيضا أن خططت تخطيطا خماسيا، يقوم على أساس توزيع القبائل بحسب انتماءاتهم العرقية^(٤)، وعلى ذلك جرى الأمر بالنسبة للفسطاط^(٥).

ومن أبرز المظاهر الاجتماعية التي أثرت على المدن في العصر الاسلامي، الهجرات السكانية، التي شجعته الدولة الاسلامية^(٦)،

- (١) ابن خلدون : المقدمة ٣٦٠/١ - ٣٦١.
- (٢) ابن خلدون : م.س. ٣٥٩/١.
- (٣) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة تطور المدن العربية الاسلامية ص ٢٦٠.
- (٤) ن.م.س.
- (٥) عبد الرحمن زكي، الفسطاط وضاحتها العسكري والقطاع ص ١٦٠.
- (٦) عبد العزيز الدوري : المؤسسات الحكومية ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ٥٣.

وكانت تتم في بعض الأحيان بشكل مدروس ، ففي العصر الأموي جرى توطين بعض السكان في السواحل الشامية ، بعد أن استقدموا من مشرق العالم الاسلامي (١) .

ومن الواضح أن من النتائج المترتبة على نجاح حركة الفتح الاسلامي ، وظهور " ديار الاسلام " ما قد أدى الى ازالة الحدود والعقبات بين أجزاء الدولة الجديدة ، والى تكثيف حركة الانتقال والهجرات فيما بين أجزائه ، حتى أصبح بعض سكان مشرق العالم الاسلامي يعيشون في غربه (٢) . ولا شك في أن مثل هذه الهجرات السكانية تؤشر بالتأكيد على أوضاع المدن القائمة ، وهو تأثير يظهر على شكل أحياء جديدة ، تلتحق أو تضاف الى الرصيد العمراني للمدينة (٣) . وان كان ينبغي الإشارة هنا بطبيعة الحال الى الهجرات المعاكسة ، إذ أن هجرة سكان المدينة منها سيؤدي الى تدهور أوضاعها العمرانية (٤) .

-
- (١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٦٦ .
(٢) كان من ضمن سكان مدينة سلجاسة المغربية سكان من أهل العراق ، استقروا بها لغرض التجارة . انظر : صباح ابراهيم الشحتلي ، النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، بحث منشور ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر . بغداد ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ٢٩ .
(٣) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٢٧٨ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ٣٤٣/١ .

العوامل الثقافية والفنية :

على الرغم من أن الثقافة كمصطلح عبارة عن مفهوم واسع المعنى ، يصعب تقييده في اطار معين باستثناء الاطار الاجتماعي ، وبالتالي علاقة هذا المفهوم بحياة الانسان ^(١) ، الا أن وجود هذه العلاقة يعنى أن الثقافة ترتبط بتجربة الانسان الحضارية ، وبالتالي بمظاهر هذه التجربة ، ومن ثم بعملية تأسيس وقيام المدن ^(٢).

فمن الواضح أن عملية تأسيس ونشأة المدن في العالم الاسلامي أصبحت جزءاً من ثقافة الحكم فيه ، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث بالنسبة للعباسيين ، الذين حرصوا منذ ظهورهم ، الى ايجاد مدينة تكون عاصمة لدولتهم الجديدة ^(٣) . وكذلك كان الأمر بالنسبة للقاهرة نفسها إذ أن المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) تمثل مجموعة من المدن التي ينتهـا الحكومات الاسلامية في فترات متعاقبة ^(٤).

ولو نظرنا الى التعبير الرمزي ، كاسلوب في الحكم عرفته الدولة الاسلامية منذ العصر الأموي ^(٥) ، لوجدنا أن هذا التعبير كان له تأثير

(١) محمد الجوهري : الانثروبولوجيا (اسس نظرية وتطبيقات علمية)
الدمام ص ٦٢ .

(٢) عبدالرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن
العربية الاسلامية ص ١٢٨ .

(٤) موريس لومباردو : الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال
القرون الاربعة الاولى ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٥) يعقوب لتز : خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ،
ترجمة صالح احمد العلي ، بغداد ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ٢٣٧ .

عمراني ، يوء كد ذلك وضوحه في الفكر العمراني عند المسلمين ، إذ أن ابن خلدون يشير إلى أن أى دولة جديدة تحب أن تطمس معالم الدولة السابقة لها ^(١) ، الأمر الذى يكون له تأثيره العمراني على مدن العواصم .

ويظهر الجانب الثقافي أيضا في النواحي الفنية ، فالمسلمون عرفوا فن تخطيط المدن ، وكان لهم دور في ازدهاره ^(٢) ، ذلك أن تشييد المدن وبناء مرافقها العسكرية والمدنية ، لم يكن من الأمور المرتجلة عند المسلمين . إذ أنهم إذا أرادوا تخطيط مدينة معينة ، أو عند إضافة مظهر عمراني جديد إلى مدينة قائمة ، فإنهم يعتمدون في بادئ الأمر إلى رسم الخرائط التوضيحية واعداد ما يتعلق بمثل هذه المهمة من احتياجات ومواد . ^(٣)

ولذلك فلقد تناول فقهاء النظم الاسلامية مسألة تخطيط المدن وكيفية اعدادها ^(٤) ، وكانت عندهم تصورات واضحة عن أهمية انشاء المدن وبنائها . ^(٥)

هذا بالإضافة إلى أنه قد عرف المسلمون عملية إعادة تخطيط بعض المناطق وتهذيبها ، كتنظيم بعض مناطق السكنى أو العرافق . ^(٦)

- (١) ابن خلدون : المقدمة ٣٧٥ / ١ .
- (٢) حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، القاهرة ١٩٥٧ م ص ١ .
- (٣) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٢١٦ - ٢١٧ .
- (٤) الماورى : محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماورى ٤٥٠ هـ / والاحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٧٩ - ١٨٠ . الثاني : عبد الحسى بن عبد الكبير الحسيني ، نظام الحكومة البنيوية المسمى التراتيب الادارية ٢٨٢ / ١ .
- (٥) محمد عبد الستار عثمان : المفهوم الاسلامي لتخطيط المدن ، بحث منشور في مجلة المنهل العدد ٤٥٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ / ١٩٧٨ م ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- (٦) حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ص ٦ .

الفصل الأول

العمارة الجغرافية

لكي نتمكن من استيعاب مدى تأثير الجغرافيا على النواحي العمرانية ، ينبغي ألا تقتصر طريقة المتابعة لدينا على دراسة الجغرافيا التاريخية للمنطقة ، بل تتعداها الى مجال أوسع من ذلك .

فلقد تأثرت النواحي العمرانية في القاهرة ^(١) ، بالأوضاع التضاريسية المكونة للمنطقة التي نشأت عليها هذه المدينة ، شأنها في ذلك شأن أى مدينة أخرى تتأثر بالتكوين الجغرافي للمنطقة التي تنشأ فيها ، إذ يمكن بسهولة تلمس مدى تأثير التضاريس والمناخ على الأوضاع العمرانية بهذه المدينة .

ومن ذلك المجال الذى يهدف الى فهم الأثر العمراني للجغرافيا ، من خلال فهم علاقة الانسان بالبيئة الجغرافية للمنطقة ، وطبيعة تلك العلاقة حيث أن هذا الإطار يعد من أبرز مجالات الفكر الجغرافي الحديث ^(٢) . ويتضح من خلاله مدى تأثير العامل الجغرافي ، على النواحي العمرانية للمدينة .

وليس من المتوقع أن تقدم المصادر التاريخية التي أرخت لنشأة القاهرة الكبرى ، الكثير من المعلومات التي تعين على ادراك التأثيرات المذكورة ، ذلك أنها تقتصر في ما تقدمه على متابعة أحداث التاريخ ، وقد تتعرض للإشارة الى المنشآت ، ومناسبات تشييدها ، وبعض التفاصيل الخاصة بها ، دون أى تعرض لما ذكرنا آنفاً من تأثيرات ، بيد أن عدم وجود هذه المعلومات في المصادر ، لا يعني انتهاء امكانية الاستفادة منها في تزويد البحث بالمادة الأساسية اللازمة ، اضافة الى مسؤولية الباحث عن

(١) المقصود بالقاهرة في هذا الموقع المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) .

(٢) عبد الفتاح محمد وهبة : جغرافية الانسان ص ٧ ، ٢١٠ .

الاستفادة من النصوص للاستنتاج بأحدى وسيلتين : أولاها الاستفادة من الاشارات التي ترد في المصادر ، وتحدث عن خصائص أو مميزات موضع من المواضع في القاهرة الكبرى ، ومن خلال فهم تلك الاشارات ، ودراسة أسلوب افادة المواطن من الموضع ، مما يعكس طبيعة العلاقة التي كونها المواطن مع المكان ، ويسهم في ادراك الأهمية الجغرافية لذلك المكان .

أما الوسيلة الثانية فهي محاولة استيفاء النصوص التي تعكس مدى تأثير العامل الجغرافي على المدينة ، خلال فترة الدراسة على وجه التحديد .

وفي الصفحات التالية من البحث ، محاولة استقصاء جادة ودقيقة لأبرز الظواهر الجغرافية لمنطقة القاهرة الكبرى ، والتي كان لها تأثيرها في التطور العمراني للمنطقة موضوع الدراسة ، خلال فترة البحث .

(١) طرح نهر النيل :

يؤثر النيل بشكل كبير على جوانب الحياة في مصر^(١) . اذ تجمعت حوله الحياة ، والنشاط الزراعي ، في هذا الاقليم ، وعلى مر العصور^(٢) .

(١) حسنين محمد ربيع : النظم الملالية في مصر زمن الأيوبيين ،

القاهرة ١٩٦٤م ص ٢٣ .

(٢) ابن ظهيرة القرشي : مجهول الشخصية عاش في القرن ٩ هـ / ١٥م

الفصائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق :

مصطفى السقا ، كامل المهندس ، القاهرة ١٩٦٩م ص ١١١ .

لذلك فقد تأثرت مظاهر الحياة القائمة على جانبيه ، بالتطورات الطبيعية التي طرأت على مجرى النيل ، وضافه وواديه ، بشكل عام حيث أن ترسب طرح النيل ، من العوالق الغرينية الغنية ، كانت تعمل باستمرار على تطوير وضع المجرى (١) .

غير أن ما يعنينا في هذه الدراسة هو التعرف على آثار هذه الرواسب ، والطروح الغرينية ، على مجرى النيل . خلال مروره بمنطقة القاهرة الكبرى ، خلال فترة البحث ، وكذلك محاولة التعرف بشكل دقيق ، على ما تحقق نتيجة ذلك ، من ظهور أراض جديدة ملحقة بالضفتين ، أو على شكل جزر أو خلجان ، أو ما نجم عن شدة التيار وتوجهاته من نحات ، أو تآكل ، أو تدمير لبعض شواطئه ، في مقابل إثراء وترصيص إضافة لمناطق أخرى (٢) منها ، نتج عن ظاهرة الترسيب للطيني الغريني ، التي يجريها النهر عند جريانه ، أثناء مروره بالمنطقة ، موضوع الدراسة .

وبجانب ذلك فإن من المهم متابعة وجهة النهر ، خلال جريانه ، ومدى التعديلات أو الانحرافات التي أصابت مجراه ، وآثار ذلك على الحياة العمرانية للمدينة (٣) ، ذلك أنه ينتج عن انحراف المجرى ظهور

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر دراسة في جغرافية المكان ، القاهرة

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ١ / ٢١١ .

(٢) جمال حمدان : م . س ، ١٨٥ / ١ .

(٣) ن . م . س . ، عبد الناح محمد وهبة : الجغرافيا التاريخية

بين النظرية والتطبيق ، ص ٢٦٢ .

أراض تكون في بادية الأُمُر أشبه بالجزر ، التي تحيط بها المياه قرب الشواطئ ، تنتشر فيها العديد من البرك أو ما يشبه البحيرات في الأراضي المنخفضة منها ، ويتكون ذلك بسبب تراجع مجرى النهر . وغالبا ما تتحول هذه المناطق الى أراض مستوية ، بعد تكرار غمرها بمياه الفيضان ، حيث تعمل الرواسب على تسويتها وتوحيد مستوياتها . (١)

ولقد كان لانحراف مجرى نهر النيل ، دور في إضافة مساحات شاسعة من الأراضي الجديدة للمدينة الكبرى . وهو ما يمكن ملاحظته بشكل دقيق في شواطئ مدينة الفسطاط (٢) ، ففي عشية تأسيس هذه المدينة كان جامعها يشرف على ساحل المدينة (٣) ، في حين أن الخرائط الحديثة تشير الى وجود مسافة كبيرة تفصل بين هذا الجامع والساحل (٤) الأُمُر الذي أثر على بنية الفسطاط ، التي كان عليها التكيف مع مثل هذه التغيرات في أهمية الموقع . نظرا لوجود الحاجة الى الارتباط بالشاطئ مما استوجب ضرورة الاستغلال العمراني ، لهذه الأراضي الجديدة المكتسبة بوجه من أوجه النشاط العمراني كالعماثر أو البساتين . (٥)

(١) فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها مع العصور ، مجموعة فنية تاريخية (القاهرة) ، القاهرة ١٩٤٣ م ١٨٨/٣ ، عبد الفتاح محمد وهبة : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق ، ص ٢٦٥ .

(٢) المقریزی : الخطط ١٣٢/٢ .

(٣) المقریزی : م.س. ، ٣٤٣/١ ، ١١٣/٢ ، ١٣٢ ، بول كزانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة احمد السيد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ٥٥ .

(٤) انظر خريطة الاثار الاسلامية ، خريطة رقم (١٦/ب) .

(٥) المقریزی : م.س. ، ٣٤٣/١٠ .

ومن المؤكد أن المساحات المكتسبة من الأراضي الجديدة ، لم تكن على مقدار واحد من جميع أجزاء المدينة الكبرى . ان يتضح من خلال بعض الخرائط التي وضعت لتحديد وصف انحراف مجرى النيل في المنطقة أن ساحل هذا النهر لم يكن يتخذ شكلا مستقيما ففي بادىء الأمر ، ان يبدأ بالاتجاه نحو الشمال الشرقي كلما ابتعد عن الفسطاط واقترب من موقع القاهرة الفاطمية (١) .

وينبغي الإشارة هنا الى أنه من المؤكد أن ظهور هذه الأراضي الجديدة ، وما يتبعها من انحراف لمجرى النهر ، كان يمتد بشكل تدريجي حيث تتكون وتضاف بعض الأراضي الجديدة الى الشاطئ شيئا فشيئا ، لئلا يبتعد النهر عن شاطئه القديم ، ويتخذ شاطئاً مستحدثاً وهكذا .

فان ابتعاد النهر عن ساحل المقس (٢) كان يحصل نتيجة ظهور مساحات جديدة من الأراضي على شكل جزر في البداية كانت ترتفع مستوياتها بالتدريج نتيجة الطمي الغريني الذي يرسبه النيل

(١) انظر خريطة رقم (٢٠)

نقلا عن فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور (القاهرة) ٣٢١/٤ .

(٢) المقس هو محلة بظاهر القاهرة غربي الخليج ، وكان موضعها قبل الاسلام قرية تعرف بارتين ، واختلفت النصوص التاريخية في تحديد أصل تسميته وأسباب هذه التسمية فقل أن المقس من المكس أي الموضع الذي تجب فيه الضرائب ، وقيل أن اسمه جاء من المقسم أي الموضع الذي قسمت فيه غنائم فتح مصر ، انظر المقرئى : الخطط ١٢١/٢ ، ١٢٣٠ .

سنة بعد أخرى . (١)

وبالتالي فإن ما تورده المصادر من تحديدات تاريخية (ذكر الأمر بالسنة) ، عن ظهور هذه الأراضي الجديدة ، كما سيتضح لاحقاً ، لا بد وأنه يعنى الظهور الكامل ، والواضح لهذه الأراضي ، نتيجة الارتفاع التي حملها النهر من ضمن تلك السنة .

وعلى أية حال فإن الذى يعنينا من هذه الدراسة ، هو تأثير ظهور هذه الأراضي وما يتبعها من انحراف لمجرى النيل ، على النواحي العمرانية للمدينة ، في عهد صلاح الدين الأيوبي .

اذ أن هذه الظاهرة برزت تأثيرها في تلك الفترة ، في ناحيتين أساسيتين . الأولى تتمثل في ظهور الأراضي الجديدة ، نتيجة الطرح النهري ، ففي أثناء القرن السادس (٥٦٠ / ١٢ م) ، شهدت شواطئ المدينة تحولات كبيرة ، حيث أخذت هذه الشواطئ بالاتساع ناحية الغرب والتحقت بالمدينة مساحات شاسعة من الأراضي ، سواء ناحية ساحل الفسطاط او القاهرة من المنطقة الواقعة غربي الخليج ، فبعد سنة خمسمائة (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) شهد ساحل الفسطاط ظهور أراض جديدة تمثلت في البداية على شكل جزر ، كما يشير الى ذلك المقرئ أثناء حديثه عن حمام أبي الحوافر (٢) ، حيث كان موضع هذا الحمام جزيرة ،

(١) المقرئ : م . س . ص ١٣١ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ، مخطوط محفوظ في مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول تحت رقم ٣٠٨٣ ورقة ١٥٧ .

(٢) هذه الحمام في مدينة الفسطاط عرفت بالقاضي فتح الدين ابن العباس أحمد بن الشيخ جمال الدين ابي عمر رئيس الأطباء المصرية ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١١٢ .

ظهرت بعد سنة خمسمائة (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) نتيجة الطرح النهري^(١).
كذلك ظهرت أراض جديدة بأزاء هذا الشاطئ ، في حدود سنة (٥٧٠ هـ /
١١٧٤ م)^(٢) ، وأخرى في عام (٥٧٢ هـ / ١١٨١ م)^(٣) . بالإضافة إلى
أراض جديدة ظهرت قبيل نهاية هذا القرن ، أي ما قبل سنة ستمائة
(٤٠٠ هـ / ١٢٠٣ م)^(٤) .

كذلك كان الحال في المنطقة الواقعة غربي الخليج ، الذي شهد
ظهور أرض جديدة (. . بعد الخمسمائة من سني الهجرة . .)^(٥) .
يذكر أحد الباحثين المحدثين بأنها كانت في سنة (٥٣٠ هـ / ١١٢٦ م)^(٦)
كذلك تشير النصوص التاريخية إلى ظهور أراض جديدة في هذه المنطقة
فيما يلي عام (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م)^(٧) لعلها تلك التي ترتبت عن
طرح سنة (٥٧٢ هـ / ١١٨١ م)^(٨) حيث ابتعد ساحل النهر عن

-
- (١) المقرئى : الخطط ٣ / ٨٥ .
 - (٢) المقرئى : م . س ٢٠ / ١٠٩ .
 - (٣) المقرئى : احمد بن على : السلوك لمعرفة دول الملوك ،
تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ط . الثانية ١٩٥٧ م
ج ١ ق ١ ص ٧١ .
 - (٤) المقرئى : الخطط ١ / ٣٤٤ ، عبد المال الشامي : مدن مصر
وقراها عند ياقوت الحموى ، الكويت . الاولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
ص ٥٣ .
 - (٥) المقرئى : م . س ١٠ / ٣٤٥ .
 - (٦) عبد الرحمن زكى ، امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك
بحث نشر ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة والمنشور في
كتاب يحمل عنوان الندوة ، القاهرة ١٩٧١ م ، ٢٠ / ٦٤٠ .
 - (٧) المقرئى : م . س ٢٠ / ١٣٠ - ١٣١ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر
القاهرة ورقة ١٥٧ .
 - (٨) المقرئى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٧١ .

منطقة المقس ، وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة الا وهي تكثرت حتى بقي ماء النيل لا يمر بهما الا أيام الزيادة فقط (١) ولقد كانت هذه الاراضي الناتجة عن الطح النهري ، تشمل مساحات كبيرة ، أضيفت الى أراضي المدينة ، ان تشمر الماء عن ساحل الفسطاط ، وأضحت الترعسة الفاصلة فيما بين هذا الشاطيء وجزيرة الروضة جافة في وقت انحسار فيضان النهر (٢) . مما يدل على أن ساحل الفسطاط أصبح قريبا جدا من جزيرة الروضة . لذلك فمن المؤكد أن المنطقة التي يقع عليها خط الساحل الجديد (٣) ، قد بدأت بالظهور في تلك الفترة . ان يلاحظ أن حمام أبي الحوافر (٤) ، التي كانت تقع على جزيرة ظهرت في أوائل القرن السادس (٦ هـ / ١٢ م) . كانت تجاور الجامع الجديد الناصري ، (٥) الذي كان يقع في خط الساحل الجديد . (٦)

(١) المقرئى : الخطط ، ١٣١/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٥٧ .

(٢) المقرئى : م . م . ٠٣٤٤/١٠ .

(٣) أبي دقماق : الانتصار لواسطة عقد الا مضارق ٢ ص ٤٠ وعن موقع الساحل الجديد انظر خريطة رقم (١٢) نقلا عن :

Casanova - Poul

De reconstitution, Topographique Deof Ville D'Al-Foustat au Misr, Mifao , Tome Trentecinquieme, Le Caire 1919, Plan 1.

(٤) عن هذه الحمام انظر ص ٨٥ هامش (٢)

(٥) المقرئى : م . م . ٨٥/٢ هذا الجامع أمر ببنائه الملك الناصر

محمد قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤١م) وكان الشروع في بناة في سنة ٧١١هـ . وكان موضعه زمكه تتمرغ فيها الدواب . ابن دقماق :

م . م . ٠٧٧٠ ص ٧٦ ، ق ١ ،

(٦) ابن دقماق : م . م . ٠ ق ٢ ص ٤٠ - ٤١ .

الا أنه ينبغي الإشارة هنا الى أن هذه المنطقة ، قد تعرضت أراضيها الى بعض التعديلات ، بعد عصر صلاح الدين الأيوبي ، فكما سبق أن ذكرنا بأن هذا الطرح النهري ، أدى الى ربط ساحل الفسطاط بجزيرة الروضة . واختفى الحاجز المائي فيما بينهما ، في فترة احتراق النيل ، وانخفاض مستوى الفيضان . فالجزر والرمال التي ظهرت في هذه المنطقة (. . .) خيف منها على المقياس أنه يتقلص الماء عنه ، ويحتاج الى عمل غيره (. . .)^(١) ونظرا لأهمية دور المقياس في تحديد مستويات فيضان النيل ، وما يترتب على ذلك من نتائج اقتصادية^(٢) . فلقد قام بعض سلاطين مصر ، بمحاولة السيطرة على الأخطار الناجمة عن هذا الطرح ، لذلك فلقد قام الملك الكامل الأيوبي^(٣) ببذل جهود كبيرة لمقاومة هذه النتيجة ، فعمد الى حفر وتعميق مجرى جديد منظم ، بين الفسطاط والجزيرة . أجرى فيه مياه النيل حتى في فترة انخفاض المد^(٤) ، الأمر الذي سيحافظ من خلاله على فعالية المقياس ، وجدواه والغاء الحاجة الى انشاء مقياس جديد .

- (١) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧١ .
- (٢) في هذا الصدد أنظر ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .
- (٣) هو الملك الفاضل محمد بن محمد بن العادل بن أيوب ، أحد أبرز سلاطين الدولة الأيوبية (٦١٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٧٩/٥ ،
- ابن دقماق : الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٢٣٥ .
- (٤) المقرئى : م . س ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٤١ ، عبد العال الشامي مدن مصر وقرها عند ياقوت الحموى ، ص ٥٣ .

وقد تكرر نفس الا جراء في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب^(١) ،
الذى بنى قلعة له في جزيرة الروضة^(٢) ورغب في أن يجعل الماء يفصل
بشكل دائم ، فيما بين الجزيرة وساحل الفسطاط ، لذا فقد عمد الى ازاحة
الأراضي الجديدة الناجمة عن الطرح ، من طريق حفر قناة جديدة في
الشاطيء ، وضغط المياه بوضع حواجز من السفن والحجارة فيما بين
الساحل الغربي للجزيرة وساحل الجزيرة^(٣) . كذلك أعيدت المحاولة
مرة أخرى في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس^(٤) ، حيث عمد
الى حفر القناة مجددا ليضمن مرور المياه فيها ، وليفصل فيما بين
الجزيرة ، وشاطيء مدينة الفسطاط^(٥) .

- (١) هو أيوب بن محمد بن محمد بن أيوب الملك الصالح نجم الدين آخر سلاطين الأيوبيين الأقوياء في مصر (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ / ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م عنه . انظر ابن تغري بردي : أبا المحاسن جمال الدين يوسف ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٩ م . الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهد محمد شلتوت ، القاهرة ١ / ١٢٨ . ابن دقماق الجواهر الثمين ص ٢٤٢ .
- (٢) ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ٧٧ .
- (٣) ن . م . س ، المقریزی : الخطط ١ / ٣٤٥ ، السلوك ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٤١ .
- (٤) هو ركن الدين بيبرس البندقداري ، سلطان الديار المصرية أصله من ماليك الأمير علاء الدين أيدكن البندقداري ، ثم انتقل الى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كان من أقوى الملوك وأعظمهم وهو أحد من قام بنصرة الاسلام وفتح الفتوحات الهائلة . عنه انظر : الكتيبي محمد بن شاکر ت : ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ، فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٤ م ، ١ / ٢٣٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢ / ٣٤٩ .
- (٥) المقریزی : السلوك ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤٤ .

ولقد نجم عن هذه المشاريع المتكررة لاعادة فتح مجرى النيل ،
في المنطقة آثار ايجابية على وضع شاطيء الفسطاط ، حيث جرت الاستفادة
من الرواسب والأتربة والرمال المستخرجة من المجرى الذى تم حفره
لتسوية ورفع مستويات بعض المساحات من الاراضي المنخفضة التي كان
الفيضان يغمرها في الماضي مما أدى الى تهذيب أراضي الشاطيء
او اسهم بطبيعة الحال في زيادة فرصة استغلالها عمرانيا . (١)

كذلك نتج عن هذا الطرح اضافات جديدة للاراضي الواقعة
غربي الخليج . كنوع من الاستمرار لعملية الطرح المتوالية التي كانت
موجودة قبل هذه الفترة والتي ترتب عنها تباعد الشاطيء في هذه
المنطقة عن موقع القاهرة الفاطمية وذلك بعدما كان قريبا منها ،
كما يشير الى ذلك المقرئى ، أثناء حديثه عن ظواهر القاهرة المعزية ،
حيث يذكر بأن هذه المنطقة لم يكن لها عرض كبير ، كما هو الحال في
عصره . وانما كانت المساحة فيما بين الشاطيء والساحل ضيقة ، وبأن النيل
كان يمر على الموضع الذى يعرف باللوق الى المقصر . (٢)

ومن الواضح أنه يقصد بذلك التنبيه الى طبيعة وضع الساحل ،
عند تأسيس القاهرة الفاطمية ٣٥٨هـ / ٩٦٨ م وبأن أراضي محلة باب
اللوق ، كانت جزءا من مجرى النهر . وأنها قد بدأت بالظهور نتيجة
الطرح النهري خلال العصر الفاطمي (٣) حيث يترك الطرح أراضي

(١) ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ ص ٧٧ ، المقرئى : الخطط
٣٠٤/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ٣٦٩ .

(٢) المقرئى : الخطط ١٠٨/٢ - ١٠٩ .

(٣) حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ص ٧٠ .

لينة كانت تلاق لوقا عند زراعتها فعرفت بأراضي اللوق (١)

وكما سبق أن ذكرنا ، فإن هذه المنطقة شهدت منذ أوائل القرن السادس (١٢ / هـ) إضافة أراض جديدة ، فظهرت في أوائله القطعة الواقعة فيما بين ميدان اللوق (٢) وبستان الخشاب (٣) ، وهي التي عرفت بمنشأة الفاضل (٤) .

(١) المقرئى : الخطط ، ١١٧ / ٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ العصر القاهرة ورقة ١٤٠ ، ولقد استمرت عملية الطرح واتساع الأراضي في هذه المنطقة حتى العصر العثماني ، حسن باشا وآخرون : القاهرة ، ص ٧٠ ، لتشمل أراض واسعة من القاهرة الحالية والتي تضم شارع قنطرة الركبة ، وأول شارع رمسيس ، ومستشفى قصر العيني ، وشارع بستان الفاضل ، وشارع بورسعيد ، وشارع نوربار حتى شارع الشيخ ربحان الى الشاطيء الشرقي لنهر النيل حاليا ، عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ١٠ .

(٢) هذا الميدان ينسب الى الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان بستانا فحوله وجعله ميدانا بعد ان اشتراه . وكان هذا الميدان يقع في المنطقة الممتدة فيما بين جامع الطباخ ، وقنطرة قداداره على باشا مبارك : الخطط الجديدة لعصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . القاهرة ط . الثانية ١٩٧٠ م ٢٢٣ / ٢ - ٢٢٤ .

(٣) محل بستان الخشاب هو معظم الأراضي الواقعة في مواجهة القصر العالي والقصر العيني ، من الناحية الشرقية . على باشا مبارك م . ص ٢٣١ / ٣ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ٣٤٥ / ١ . وعن منشأة القاضي الفاضل انظر ص ٣٣٨ .

كذلك فان الطرح الذى ظهر في سنة (٧٧هـ / ١١٨١م) ، ترتب عليه ابتعاد الماء عن ساحل المقص ، حيث كان ينتهي السور ^(١) ، الذى أمر صلاح الدين ببنائه سنة (٧٢هـ / ١١٧٦م) ^(٢) الامر الذى أزعج الادارة الايوبية ، خشية أن يؤثر ذلك على وظيفته الدفاعية ، فاستلزم الامر التفكير جديا ، في حلول عملية ، وفورية ، لمواجهة هذه المشكلة ، واستشير أهل الخبرة في ذلك ، فاقترحوا اقامة جراريف لقطع جزر الرمل التي ظهرت أمام الساحل ، في هذه الناحية ، كما اقترحوا انشاء دعائم ومصدات " أتراف " ، على الشاطيء المقابل لها غربي النيل . لغرض طرد تيار النهر باتجاه الشاطيء الشرقي ^(٣) ضمانا لتأمين ارتباط السور بالمياه ، مما يعيد له كفاءته الدفاعية ، ويحقق الهدف الذى جرى انشاءه من أجله .

الا أن هذه الاقتراحات قد أهملت ^(٤) ، ولعل ذلك يعكس ادراك المسؤولين عدم جدوى الوقوف أمام تلك الظاهرة الطبيعية المتكررة . كذلك لا بد وأنهم أدركوا مدى ضخامة الأموال والجهود المطلوبة لتحقيق مثل تلك الافكار وتحويلها الى واقع عملي ، وخصوصا أن المصادر قد أشارت الى محاولة مشابهة جرت في أواخر العصر الفاطمي ، فلقد ظهرت خلال وزارة

(١) المقريزى : الخطط ١٢٤/٢ .

(٢) ص : ٤٨٤ .

(٣) المقريزى : م.س ١٢٤/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر والقاهرة ، ورقة ١٤٩ .

(٤) ن .م.س .

الأفضل بن أمير الجيوش (١)، أراضي جديدة أمام دار السلك (٢) على ساحل القسطاط . ففكر هذا الوزير بازالتها بالجراريف وباقامة المصداث "الأثوف" على جزيرة الروضة غير أنه عدل عن ذلك بعد أن أدرك الكلفة الاجمالية الباهظة التي كان عليه أن يوفرها ، من أجل انجاز هذا العمل (٣) .

ما يعني بدوره بأن أراضي الطرح هنا أصبحت واقعا علميا ، في تلك الفترة وأن اضافات جديدة من الأراضي قد ظهرت أمام ساحل المقس . وان كانت المصادر لا تقدم معلومات وافية ، يمكن من خلالها تحديد مدى هذه الاضافات . بيد أنه من المؤكد أنها كانت كبيرة لدرجة أنها أدت الى نشوء مخاوف من مدى تأثيرها على وظيفة السور الدفاعية ، حينئذ .

وعلى أية حال ، فإنه من الواضح أن ساحل المدينة الكبرى قد شهد في تلك الفترة تبدلات واسعة ، تمثلت في اضافة مساحة شاسعة الى أراضي المدينة (٤) . وهذه هي الناحية الاولى من تأثير انحراف مجرى النيل كما سبق أن ذكرنا .

(١) هو أبو القاسم الأفضل أمير الجيوش شاه شاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي ٤٨٧ - ٥١٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٢١ م ولي الوزارة بعد أبيه وكان المتحكم في أمور الدولة في عهد الخليفة المستعلى العبيدى والأمر بأحكام الله الذى قيل بأنه هو الذى قتله بسبب أنه سمح للناس في اظهارة عقائدهم فكرهه أهل الباطنية والشيعة . ابن العماد : شذرات الذهب ، ٥ / ٤٢٠ .

(٢) عن دار السلك انظر : ص ٣٥٠ هامش (٣) .

(٣) المقرئى : الخطط ١٢٤ / ٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٤٩ .

(٤) انظر خريطة رقم (١٩) نقلا عن خريطة سوزان جان ، المنشورة

أما الناحية الثانية من تأثير انحراف مجرى نهر النيل ، على مدينة القاهرة ، فهي متعلقة بالفيضان النهري ^(١) الذي ظهرت عليه في عهد صلاح الدين الأيوبي ، تطورات أثرت على وضعيَّة الأراضي في المدينة الكبرى . ففي عهد صلاح الدين ، تراجع تأثير الفيضان عن مساحات كبيرة من الأراضي في هذه المنطقة ، ولم يعد المد يشملها كما كان عليه الحال في العصر الفاطمي . إذ أصبح المد لا يصل إلا إلى ساحل المعس ، وذلك في حالة زيادته القويَّة ^(٢) مثلما حدث في سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م) عندما بلغ فيها فيضان النيل مستويات عالية الأمر الذي أثر على جامع المعس ^(٣) ، إذ (. .) انشقت زريبة من هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط . .) ^(٤) في حين أن فيضان هذا النهر كان إذا بلغ زيادة عالية في العصر الفاطمي ، فإنه يشمل أراضي المنطقة كلها ، ولا ينجو من تأثير الفيضان سوى الأماكن المرتفعة . كما يشير إلى ذلك ناصر خسرو ^(٥) ، وهذه الظاهرة ظلت

(١) يبدأ النيل بالزيادة ويرتفع مستوى الماء فيه في أشهر الصيف ، فتندفع المياه لتشمل كافة الأراضي الزراعية ، وعلى هذا الفيضان كانت تقوم الحياة الزراعية ، والاقتصادية في هذه البلاد انظر ص : ٢٣٥ .

(٢) عن زيادة النيل ومستوياته انظر ص : ٢٣٧ - ٢٤٤ .

(٣) هذا الجامع أنشأه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، المقرئ :

الخطط ٢ / ٢٨٣ . وهو يعرف الآن بجامع أولاد عثمان ، على

باشا مبارك : الخطة التوفيقية ٣ / ٣٦٨ .

(٤) المقرئ : ن . م . م . مؤلف مجهول : تاريخ العصر القاهرة

ورقة ٣٤٣ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٩٣ ، ١٠١ .

مستمرة حتى أواخر العصر الفاطمي ، وإن كان تأثيرها بدرجة أقل على ما يبدو إذ أن الفيضان عندما يبلغ زيادة عالية في تلك الفترة ، فإنه يغطي الأماكن الواقعة إلى الجنوب الغربي من القاهرة الفاطمية ، فيما بينها وبين الفسطاط ، ففي سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٨ م) كان المد عاليا لدرجة أنه قطع الطريق الواصل فيما بين القاهرة والفسطاط . الأمر الذي ترتب عنه أن اضطر الناس إلى سلوك طريق المقابر ^(١) الواقعة على يسار الخارج من باب زويلة . ^(٢)

إن هذا التحول في تأثير الفيضان كان سببه عاملين أساسيين : أولهما هو ما سبق الإشارة إليه ، من أن الفيضان النهري كان يترتب عنه أرساب وطمى يؤدى إلى الارتفاع التدريجي للأراضي عن مستوى النهر ^(٣) بيد أن هذا العامل يعد تأثيره بطيئا جدا ، ولا يظهر إلا بعد فترات متباعدة ، تصل إلى مئات السنين ، كما يشير إلى ذلك التغير في تحديد مستويات فيضان نهر النيل ^(٤) . وإن كان بالإمكان القول بأن تأثير ارتفاع مستوى الأراضي ، ظاهره ملموسة في عهد صلاح الدين الأيوبي ، حيث تغير تأثير مستوى الفيضان ، عما كان عليه الحال في العصر الفاطمي . ^(٥)

(١) المقرئى : تقي الدين أحمد بن علي ، اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . تحقيق محمود حلي محمد ،

القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م ٣ / ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) انظر عن موقع هذه المقابر ص ٤٦٠ .

(٣) انظر ص : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) انظر ص : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٥) انظر ص ص ٢٣٩ ، ٢٤٢ .

أما العامل الثاني ، فهو الأُشدُّ تأثيراً وذلك بسبب أن الفيضان أصبح تأثيره بعيداً عن المنطقة بأسرها ، إذ يلاحظ أنه في عصر صلاح الدين ظهر أمام ساحل المدينة ، من جهة المقس جزيرة عرفت بجزيرة الفيل ^(١) ، وهي جزيرة لم تتكون نتيجة الطرح النهري ، وإنما كان سبب ظهورها ، هو غرق مركب كبير في هذه المنطقة في أواسط العصر الفاطمي كانت تعرف بالفيل ، فتجمعت أرساب النهر عليه حتى ظهرت هذه الجزيرة ^(٢) فيما بعد سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) ^(٣) .

فأدى ذلك إلى أن يصبح مدى الفيضان النهري ، وتأثيره ، وقوته ، في ناحية الساحل الغربي للنهر ^(٤) . بل إن ظهور هذه الجزيرة هو الذي أدى أيضاً إلى ابتعاد ساحل النهر عن المقس . إذ يذكر المقرئ أن ساحل النهر (. . .) كان بالمقس وأن الماء انحسر بعد سنة سبعين وخمسائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل وتقلص الماء عن سور القاهرة (. . .) ^(٥)

كذلك يبدو أن الأمر ظهر على نفس الوتيرة في ساحل الفسطاط فأصبحت قوة الفيضان تمر من خلال الفرع الواقع فيما بين ساحل جزيرة الروضة الغربي والجزيرة . وذلك نتيجة اقتراب ساحل الفسطاط في تلك الفترة من جزيرة الروضة ، حتى أصبح الماء لا يمر في الفرع الواقع فيما

(١) موضع الجزيرة اليوم هي المنطقة التي يخترقها شارع شبرا من الجنوب إلى الشمال . عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ٦٦ .

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ٢١٦ .

(٣) المقرئ : الخطوط ٢ / ١٣٠-١٣١ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٥٧ .

(٤) المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧١ .

(٥) المقرئ : الخطوط ٢ / ١٣٠-١٣١ .

بينهما ، الا في وقت الزيادة فقط ^(١) ، وأن التعديلات التي أجريت بعد صلاح الدين الأيوبي للمحافظة على استمرارية التدفق الدائم للمياه فيه ^(٢) لم تؤد الا الى ظهور ترعة صغيرة تفصل فيما بين المنطقتين كما هو عليه الحال في الوقت الحاضر ^(٣) ، فأصبح الفرع الواقع غربي الجزيرة هو اكبر الفروع بعدما كان الفرعان متساويين في أوائل العصر الفاطمي ، حيث كانت جزيرة الروضة تقع في وسط النهر ^(٤) . وبالتالي فان ذلك أدى الى حفظ الأراضي الناتجة عن الطرح ، وبشكل دائم من تأثير الفيضان النهرى ، خاصة وقت الزيادة القوية . ولا شك بأن ذلك الوضع يفسر الى حد بعيد ، عدم تقدم المباني في العصر الفاطمي تجاه الساحل ، ففي جهة القاهرة الفاطمية ، كانت منشآت النهضة تبلغ أقصى حد لها منطقة بر ابن التبان الواقعة على الشاطئ الغربى للخليج ^(٥) ، ولم تتجاوزها باتجاه الساحل لتشمل أراضي اللوق ، التي كانت تستخدم للزراعة في ذلك الوقت ^(٦) . وكذلك كان الحال في الفسطاط إذ أن المباني لم تكن تتقدم نحو الساحل ، في الأراضي التي يمكن أن يتركها الطرح النهرى ، خلال العصر الفاطمي . يدل على ذلك سور المدينة الذى بنى لها في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) فهذا السور كان ينتهي في الناحية الغربية ، الى موقع دار النحاس تقريبا ^(٧) .

(١) انظر ص : ٨٨ .

(٢) انظر ص : ٨٨ - ٨٩ .

(٣) انظر خريطة الاثار الاسلامية ، خريطة رقم (١٦ ب) .

(٤) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ١٠٤ .

(٥) عن بن ابن التبان وموقعه انظر ص ٣٢٩ وخريطة رقم (٨ <) .

(٦) ص : ٤٥٣ .

(٧) عن هذا السور وموقع دار النحاس انظر ص ٣٠٤-٣٠٦ وخريطة رقم (١٣) .

وهذه الدار يعود تاريخ بنائها الى العصر الأموي^(١) ، مما يدل على أن المباني لم تتقدم باتجاه الساحل ، منذ عقود طويلة من الزمن ، من المؤكد أن السبب في ذلك ، يعود الى أن الأراضي التي يكونها الطرح النهري ، لم تكن مهيأة طوال تلك الفترة ، للاستغلال العمراني المناسب لأن فيضان النيل كان يشملها في ذلك الوقت كما سبق أن ذكرنا . وهذا فيما يتعلق بظاهرة انحراف مجرى النيل في عصر صلاح الدين الأيوبي ، أما من أثر هذا الانحراف على التطور العمراني للقاهرة ، فإن من أبرز المكتسبات التطويرية في هذا الشأن هو زيادة الفرصة المتاحة لاستغلال أراض جديدة استغلالا عمرانيا . ففي الفسطاط تقدمت المباني بشكل كبير باتجاه الساحل . فاستغلت الأراضي المتكونة من الطرح النهري في بناء العديد من المنشآت والدور^(٢) ، حيث أخذ النشاط العمراني في هذه المدينة بالتحول ناحية الساحل^(٣) ، ليبلغ ذروته في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ، إذ قام سكان الفسطاط في تلك الفترة بالانتقال من شرقيها الى ساحل المدينة الكبرى . فعمروا فيه العديد من الدور والمباني^(٤) ، كذلك بدى في استغلال أراضي الطرح الواقعة غربي الخليج ، الذي بنى عليها العديد من منشآت النزهة والبساتين علاوة على الدور السكنية^(٥) .

ولم يكن تأثير انحراف مجرى النيل قاصرا على هذه الناحية فحسب ، بل تعداها الى التأثير على قيم المكان في بعض أجزاء المدينة الكبرى .

(١) ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ ص ٦٠ .

(٢) ص : ٣٨٧ .

(٣) ص : ٣١٢-٣١٣ .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣/ ٣٣٤ .

(٥) ص ٣٨٨ ، ٤١٥-٤٥٣ .

اذ أن منطقة القاهرة الفاطمية ، تأثرت قيمه الموقع بها نتيجة الطرح
النهرى ، فظهر أراض جديدة ، في غربي هذه المدينة أثر على الوظيفة
الدفاعية التي كانت تقوم بها ، اذ كان الفاطميون يعتمدون في طريقهم
الدفاعية عن المدينة الكبرى على أساس جعل القاهرة - وهي الجزء
المحض من المدينة الكبرى في ذلك الوقت - هي التي تقوم بتحمل عبء الدفاع
عن هذه المدينة . (١)

وهو ما أشار اليه المقدسي ، حيث ذكر بأن الوصول الى الفسطاط
لم يكن يتم الا بعد المرور على القاهرة ، نظرا لكون القاهرة ممتدة فيما بين
الماء والجبل (٢) ، فهي تحجز الفسطاط من الجهة الشمالية . وهي الجهة
التي يسهل منها الدخول الى هذه المنطقة ، لأن أراضيها كانت أراض
سهلية (٣) ، في حين كانت تلال المقطم تحدد المدينة من جهة الشرق
ومعظم الأجزاء الجنوبية (٤) . فهي تكون خطا دفاعيا ممتازا ، علاوة على
وجود النهر في غرب المدينة ، مما يوفر مناعة طبيعية من هذه الجهات ،
وعند ذلك فانه لا تحتاج الفسطاط الا توفير الحماية بازاء الطرف الشمالي
منها .

ونظرا لأن القاهرة الفاطمية لم تكن تقع على نهر النيل مباشرة (٥)

Susan , Conquest and Fasion , p. 94

(١)

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٠ .

(٣) ص : ٥٨ .

(٤) ص : ١٠١ .

(٥) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٤ ،

فمن الواضح أن إشارة المقدسي سابقة الذكر ، لا بد وأنها تعنى
أن موضع القاهرة كان يؤهلها للسيطرة على المساحة الواقعة فيما بينها
وبين النيل ، ذلك أن بر الخليج الغربي لم يكن عرضه كبيرا حينئذ (١)
فاعتبر المقدسي المدينة واقعة بين النهر والجبل .

الا أنه مع مرور الزمن ، فإن الطرح النهري أدى الى تباعد
الشاطيء عن المدينة ، الأمر الذى سيجعلها منطقة استقرار صالحه
لأى قوة عسكرية ، تستهدف الدخول الى مصر . وهو ما جربه صلاح الدين
بنفسه ، حيث أن القوات الزنكية لما دخلت مصر في سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م)
استقرت في هذه المنطقة اذ كان نزولهم في أرض اللوق . (٢)

لذلك فقد اقتضت الضرورة الى اجراء نوع من التكيف ازاء هذه
التطورات ، فجرى مد سور المدينة حتى الشاطيء (٣) وذلك ضمن
المشروع التحصيني الذى أمر صلاح الدين ببناءه سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦م)
لحماية المدينة الكبرى من الغزوات المعادية . (٤)

وبشكل عام ، فبالامكان القول بان انحراف مجرى نهر النيل أدى
الى أن تجذب المدينة باتجاه الغرب ، ضمنا لمصالحها مع النهر ، سواء
الأمنية ، أو الاقتصادية ، التي لا بد وأن النهر كان له دور أساسي في
ايجادها .

(١) ص : ٩٠ .

(٢) أبوشامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ق ٢ ص ٣٣٤ .

(٣) ص : ٣٣٠ . وخريطة رقم (٢) .

(٤) عن هذا المشروع انظر ص ٤٨٤ - ٤٩٣ .

ب : تلال المقطم :

ومن العوامل الجغرافية ، التي أثرت على التطور العمراني لمدينة القاهرة ، في عهد صلاح الدين الأيوبي ، تلك التكوينات الصخرية ، التي كانت جزءاً من المكونات التضاريسية ، لا راضي المدينة الكبرى .

ان يكتنف القاهرة من جهتها الشرقية ، كتلة صخرية ضخمة ، هي جزء من سلسلة الجبال الشرقية في الاقليم المصري ، والتي تسير بمحاذاة نهر النيل ، لتترك بينها وبين النهر شريطاً سهلياً ضيقاً ، يحدأ بالانفراج والاتساع عند القاهرة ، حيث ينتهي امتداد هذه السلسلة في المقطم ، عند المدينة ، وحيث تأخذ السلسلة الجبلية بالابتعاد عن طرف الوادي متجهة نحو الشرق . (١)

ولقد اصطلح على تسمية الكتلة الصخرية ، التي تقع شرقي المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) باسم جبل المقطم . (٢)

وتختلف الروايات التاريخية ، حول أصل تسمية المقطم ، ذلك أن رواة السير ينسبون الاسم الى بعض القدماء ، حيث ينسبه البعض الى شخص يدعى المقطم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام . (٣)

(١) ابن مساتي : أسعد بن المهذب بن أبي مليح ت ٦٠٦ هـ /
١٢٠٩ م ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة
١٩٤٣ م ص ٧٠ - ٧١ . يا قوت الحموي : معجم البلدان ،
١٣١/٥ .

(٢) ابن مساتي : م.س. ص ٧١ ، يا قوت الحموي : م.س. ١٧٦/٥ ،
المقريزي : الخطط ١٢٣/١ .

(٣) ابن مساتي : م.س. ص ٨١ ، يا قوت الحموي : م.س. ، المقريزي :
م.س. ١٢٤/١ . بول كزانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦١٠ .

أما يساقوت ، فإنه يناقش ما اذا كان الاسم عربيا ، وهو يقدم ثلاثة فروض لغوية : الأول أن أصل التسمية جاءت من القطم ، وهو تناول الحشيش بأدنى الفم ، وعليه فربما جاءت التسمية من حيث أن هذا الجبل لا نبات فيه .

أما الثاني ، فمنبعه من قولهم : (... فحل قطم وهو شدة اغتلامه فشبه بالفحل الأغلم لأنه اغتلم أى هزل فلم يسبق فيه دسم^(١) . وكذلك حال هذا الجبل الذى لا ماء فيه ولا مرعى .

أما الفرض الثالث ، وهو ما استحسنته ياقوت ، فهو أن كتلة الجبال الشرقية ، تنقطع عن الامتداد بمحاذاة الساحل ، عند هذه المنطقة . وذلك يعد قطعا فكانت تسميته على هذا الأساس^(٢) . ومن الواضح أن الكتل الصخرية التي كانت تقع في المنطقة نفسها وتحمل أسماء أخرى تعد أيضا من ضمن تلال المقطم^(٣) . وكانت هذه التلال تحيط بالمدينة من الجهة الشرقية^(٤) والجنوبية حيث يوجد الرصد^(٥) (٦)

(١) ياقوت الحموى : ن.م.س .

(٢) ن.م.س .

(٣) ن.م.س .

(٤) فتحي حافظ الحديدى ، دراسات في مدينة القاهرة ، القاهرة ١٤٠٢ هـ /

١٩٨٢ م ص ٧٠ ، عبد الفتاح محمد وهبه : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق ص ٤٠٤ .

(٥) المقرئى : الخطط ١/١٣٥ ، وهذا الجبل يعرف الآن بجبل اصطبل هنتر ، نواد فرج : المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور (القاهرة) ١٨٢/٣ وخريطة رقم (١٢) .

(٦) وسمى بالرصد لأن الأفضل بن أمير الجيوش بنى عليه مرصدا لرصد الكواكب ، المقرئى : ن.م.س ، بول كزانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦١ .

ان الأهمية العمرانية لهذه الأماكن تكمن في خصائصها التي تعطىها بعدا وظيفيا يمكن استغلاله من قبل المدينة ، فمن الملاحظ أن ارتفاع بعض المناطق قد اكسبها هواء نقيًا جافًا ، مما جعلها تعد من الأماكن التي يتبع أهلها بوضع سكنى مميز .^(١)

ولقد كان لهذه التلال تأثير عماني على المدينة في عهد صلاح الدين ، إذ استقطبت بعض المشروعات العمرانية التي أقيمت في المدينة حينئذ ذلك أن الموقع الذي جرى اختياره لإنشاء قلعة الجبل التي أمر صلاح الدين ببنائها في عام (٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م)^(٢) كان عبارة عن بروز صخري يتميز بانكسار حاد من الجهة الغربية كان يعرف بالشرف .^(٣) وكان هذا الموقع يحقق مجموعة من الخصائص ، من المؤكد أنها هي التي اكسبته الأهمية التي دفعت الإدارة الصلاحية الى تفضيل اختياره موقعًا للقلعة .

فهو من الناحية العسكرية يتميز بأشرفه على منطقة الوادي بأكملها ، وعلى الرغم من أن هذه الكتلة يقع خلفها كتلة أخرى أشد علواً منها الأمر الذي قد يثير اعتراضات نقدية حول أهمية اختيار هذا الموقع ، إلا أنه

(١) المقرئى : م . ص ، ١ / ٣٤٠ .

(٢) ص : ٤٧٢ .

(٣) كان بالمدينة الكبرى ثلاثة مواضع تعرف بالشرف : الأول : هو الذى عليه القلعة ، والثاني في الرصد جنوبي الفسطاط ، والثالث : فهو الذى بين الكوم الجارح والجامع الطولوني .

المقرئى : الخطط ، ١ / ١٢٥ . وانظر من موقع القلعة ايضا :

ك . أ . كوزيريل . وصف قلعة الجبل ، ترجمة جمال محمد محرز

مراجعة عبد الرحمن زكي ، القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ١٧ - ١٨ .

يلاحظ أن أقرب نقطة بين المنطقتين تقع على مساحة ثلاث مائة وخمسين متراً ٣٥٠ م وهي مسافة يصعب على آلة من آلات الرمي في ذلك الوقت أن تصلها كما يذكر كريزويل^(١).

ولقد أخذ في الاعتبار أيضاً لتحديد موقع القلعة ، مسألة المناخ واعتداله إذ أن القلعة كانت قد أريد بها أن تكون مقراً سكنياً لصلاح الدين الأيوبي^(٢) . ومن هنا جرى اختيار صلاحية المنطقة من هــذـه الناحية^(٣) . أضف إلى ذلك فإن من الخصائص التي يتميز بها موضع القلعة ، هو أنه يشرف على أرجاء المدينة الكبرى كما يشرف على الوادي . وبالمقابل فإن هذا الموقع يمكن مشاهدته من مختلف أرجاء المدينة الكبرى ، وبالتالي فإن اختياره يعد أمراً مهماً لارهاب أولئك الذين يفكرون بالعصابات من سكان المدينة نفسها^(٤) ، فموقع القلعة الذي يمكن مشاهدته من مختلف أرجاء المدينة حيث يقع فيما بين القاهرة والفسطاط ، يرمز للقوة والسيطرة والتحكم^(٥) . وكما سبق أن ذكرنا فإن التعبير الرمزي هذا كان له تأثيره على الفكر العمراني عند المسلمين^(٦) .

(١) ك. أ. كريزويل ، م. س ص ٨٠ .

(٢) ص : ٤٧٢ .

(٣) لاحظ ما يذكره المقرئ من تجربة تعليق اللحم . المقرئ : الخطط

٢/٣٠٢ . وانظر أيضاً : جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن

والتجارة ، ترجمة مصطفى العبادي ، بيروت ١٩٦٨ م ص ٧٥ .

(٤) جاستون فييت : م. س ص ٧٧ . جرجي زيدان : تاريخ مصر

الحديث مع فذلك من تاريخ مصر القديم ، القاهرة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م

٣٢٢/١

(٥) جاستون فييت : ن. م. ص .

(٦) ص : ٧٧ - ٧٨ .

خاصة وأن فكرة السيطرة والضبط ، كانت واضحة كل الوضوح عند صلاح الدين الأيوبي ، فقد أورد أبو شامة ، بأن السبب الذي دفع صلاح الدين ، نحو تجديد عمارة سور القاهرة القديم ، هو أن هذا السور قد تلف وأصبح لا يرد داخلا ولا يمنع خارجا ^(١) . وهكذا فإن إعادة ترصين وبناء هذا السور ، كان يهدف الى الضبط والسيطرة على دخول الأفراد وخروجهم من القاهرة في ذلك الوقت . أضف الى ذلك فإن ربط المدينة الكبرى بالقلعة ، التي تقع على الجبل ^(٢) ، يحقق نقله نوعية في وظيفة المدينة الحربية بشكل عام .

اذ أن هذا الربط يعني ربط المدينة بالجبل ، وهي علاقة كانت تحتاجها المدينة في تلك العصور لتحقيق وضمان الوظيفة الحربية ^(٣) ، وهو ما ذكره ابن خلدون الذي أشار الى أهمية التلال الجبلية كمواضع تقام عليها المدن ^(٤) ، خصوصا وأن القاهرة قد أصبحت في عهد صلاح الدين الأيوبي هي العاصمة التي تتحمل عبئا خاصا ومتميزا في التصدي بصلابة للهجمة الصليبية الشرسة ، التي كانت تستهدف بلاد الاسلام في ذلك الحين ^(٥) .

- (١) تم تجديد عمارة هذا السور في عام ٥٦٦ هـ / ١١٦٨ م .
انظر : أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ .
(٢) ص : ١٠٣ .
(٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٣١ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ٣٤٧/١ .
(٥) ص : ١٨٧ - ١٨٨ .

ج : الأُكُوم :

يطلق هذا اللفظ على الرمل المشرف ، كما أن الكوم عبارة عن حجارة وتراب مجتمعين ، يرتفعان عن سمت الأرض بمقدار ذراعين ^(١) وهي تنسب في مصر اما الى أصحابها ، أو الى شيء ما تحرف به ^(٢) .

وتحتوى الفسطاط في الوقت الحاضر ، على مجموعة ضخمة من التلال هي عبارة عن أكوام تعبر عن التغيرات العمرانية الكبرى ، التي تعرضت لها المدينة عبر العصور المختلفة ^(٣) ، ومناطق هذه الأكوام في الأصل مناطق سكنية ، كانت معمورة في وقت من الأوقات ، فلما هجرت انتفضت وتحولت الى خرائب تداعت على بعضها ، فعرفت بالأُكُوم ^(٤) .

- (١) الذراع : هو ما يذرع به وهو من معدات القياس وقد استخدم في تحديد أطوال المسافات المختلفة كالبريد والفرسخ والميل ، والأذعة سبعة أصناف ، الذراع العمرية ، الهاشمية الصفري ، والهاشمية الكبرى ، والسوداء ، والقاضية اليوسفية ، الشرعية ، المأمونية ، فالترهنس : المكاييل والأوزان الاسلامية ، وما يعادلها في النظام العتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ص ٨٧ - ٩٢ ، ضيف الله يحيى الزهراني : موارد بيت المال في الدولة العباسية فيما بين سنة ١٣٢ - ٢١٨هـ / ٧٤٩ - ٨٣٣م مكة . ط . اولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٣٠٨ - ٣١٢ .
- طلال جميل رفاعي : نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه مخطوط ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م . ٨٠ / ١ - ٨١ .
- (٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٩٥ .
- (٣) عبدالرحمن زكي : الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع ————— ، ص ٣٤ - ٣٥ ، القاهرة تاريخها وآثارها ، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ص ٤ - ٥ .
- (٤) القلقشندي : صبح الاعشى ٣ / ٣٣٤ .

ويفهم من نص أورده المقرئى ، بأن العامة في مصر ، قد استعملوا

للدلالة عليها لفظا آخر هو " كيما ن مصر " (١) .

وتكاد المصادر أن تتفق على أن سبب وجود الاكوام وقوع حادثتين

رئيسيتين ، تعرضت لها الفسطاط في العصر الفاطمي ، أولاهما الازمة

الاقتصادية الخائقة والغلاء والقحط الذي واجهته البلاد في عهد الخليفة

العبيدى المستنصر بالله (٢) والتي نسبت اليه فعرفت بـ " الشدة

المستنصرية " . وقد رافق هذه الازمة - وكما هو متوقع - اضطرابات أمنية

وفوضى ضاربة (٣) ، وقد نجم عن ذلك تأثر أجزاء كبيرة من المدينة

الكبرى ، حيث هجرها أهلها ، وكان ذلك مدعاة لتدهور عمراني ، انتهت

بها الى أن تحولت الى خراب .

(١) المقرئى : الخطط ، ٣٣٩/١ .

(٢) هو المستنصر بالله سعد بن علي الظاهر لا عازدين الله ،
ابن الحاكم بأمر الله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، أبو تميم : بلغت
الدولة الفاطمية في عهده أوج اتساعها ، عنه انظر :
ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٢٩/٥ ، ابن دقماق : الجوهر
الشمين ص ٢٥٨ .

(٣) المقرئى : تقي الدين أحمد بن علي : اغاثة الأئمة بكشف الغمة
(أو تاريخ الجماعات في مصر) ، حمص ص ٢٣ - ٢٦ . وانظر
أيضا بمزيد من التفاصيل : أحمد السيد الصاوى : المجاعات وتأثيرها
على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين ، دراسة أثرية
حضارية ، رسالة ماجستير مخطوط ، كلية الآثار ، جامعة
القاهرة ، القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ٧٣ - ١٠٩ .

أما الحادثة الثانية ، فكانت حادثة احراق الفسطاط المتعمد التي أقدم عليها الوزير الفاطمي شاور ، تحسبا لاحتمال استيلاء الصليبيين عليها وحرمانا لهم من امكانية الاستفادة منها أو من بيوتها وعماثرها ، عندما عزموا على الاستيلاء على مصر في عام (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) .^(١)

ويذكر المقرئى ، بأن هذا الحريق ، هو الذى أدى الى خراب الفسطاط بشكل كبير ، حتى تكونت الكيانات التي تعرف بكيانات مصر .^(٢) ولم ينفرد المقرئى بذكر الاشارة الى الكيانات ، فقد أشار ابن التوج الى ستة أكوام ، من المساة في عصره بالكيانات^(٣) . في الوقت الذى أشار فيه ابن دقماق الى ثلاثة عشر كوما^(٤) ، أما القلقشندى فانه أورد ذكرا لأحد عشر كوما .^(٥)

فهل هذه الكيانات التي توردها المصادر ، تعود كلها لهاتين الحادثتين ، ان الاجابة على ذلك بالنفي ، ان أن من غير المتوقع أن يكون وجود جميع الاكوام في المنطقة موضوع البحث ، مرتبط بالحادثتين المذكورتين آنفا ، ذلك أن المصادر تشير الى أن الكوم المعروف بكوم " عابى " .^(٦) كان قد كبس بعد سنة ٢٦٠ هـ وبنيت عليه الآدر .^(٧)

(١) ص : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) المقرئى : الخطط ٣٣٩/١ .

(٣) المقرئى : م . س ، ٣٤٢/١ .

(٤) ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣٣٤/٣ .

(٦) نسبة الى عابى بن سعيد المرادى القطيعي ولي القضاء والشرطة

بالفسطاط وتوفى سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م . ابن دقماق : م . س ،

ق ١ ص ٥٣ .

(٧) ن . م . س .

وبالتالي فإن بالامكان القول بأن التطورات العمرانية التي مرت بها مدينة
الفسطاط قبل العصر الفاطمي ، قد أسهمت بدون شك في ظهور عدد
من الأكوام . والواقع فإن خطط مدينة الفسطاط ، لم تستمر بنيتها بالاستمرار
على وتيرة واحدة منذ نشأتها ، فقد حصلت تغيرات مختلفة في بعض مواضع
الخطط فيها ، فلقد كان لمهره ^(١) خطة على جبل يشكر ^(٢) ، غير أن هذه
القبيلة قامت بالانتقال منها في وقت من الأوقات لم تحدده المصادر ، ودون
سبب ظاهر معروف ، حيث أنها سكنت بعد ذلك موضعاً آخر ، يقع إلى
الجنوب من خطة أهل الراية ^(٣) . وتعرضت الفسطاط إضافة إلى ذلك
لبعض الحوادث قبل العصر الفاطمي ، لعل من أبرزها الحريق الذي تعرضت
له إبان انهيار الحكم الأموي ، وظهور الدولة العباسية في سنة (١٣٢هـ)
٥٠٠ م . ^(٤)

فلذلك فإن بالامكان القول بأن ظاهرة وجود الأكوام ، تعود
أصولها التاريخية إلى ما قبل العصر الفاطمي . وإن كانت كظاهرة لم تتضح
إلا خلال ذلك العصر حيث كانت الحادثتين المذكورتين آنفاً ، عاملاً
رئيسياً في أن يشمل الخراب أجزاء كبيرة من المدينة . ^(٥)

-
- (١) مهرة بن حمدان بن عمر بن الحاف بن قضاة من قبائل حمير ،
المقريزي م . س . ٠ ، ١ / ٢٩٧ .
- (٢) هذا الجبل فيما بين الفسطاط والقاهرة وهو الذي يقع عليه جامع
أحمد بن طولون ، المقريزي : م . س . ٠ ، ١ / ١٢٥ .
- (٣) المقريزي : م . س . ٠ ، ١ / ٢٩٧ ، عبد الرحمن زكي : الفسطاط ص ١٧ ،
وأهل الراية هم جماعة من قریش والأَنْصار وخزاعة ، ومنطقتهم تقع حول
الجامع العتيق . المقريزي ن . م . س . ، عبد الرحمن زكي : ن . م . س .
- (٤) عبد الرحمن زكي : م . س . ص ٨٢ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ١٨ .
- (٥) المقريزي : م . س . ٠ ، ١ / ٣٣٥ ، عبد الرحمن زكي : م . س . ص ٣٢-٣٣ .

فبالنسبة للشدة المستنصرية ، فلقد كان لها التأثير الكبير على القطاع والعسكر ، بالإضافة الى الاجزاء الشرقية من الفسطاط التي تتصل فيما بينها وبين القرافة ، فهذه المواضع خلا سكانها عنها ، عقب الشدة المستنصرية^(١) . بيد أنه يلاحظ ، أن الخراب لم يستمر بشكل كامل في مواضع القطاع والعسكر ان جرى تعمير أجزاء كبيرة منهما في عهد الخليفة الامرباحكام الله العبيدي^(٢) ، وأعيدت عمارتها أيضا في عهد صلاح الدين الأيوبي^(٣) . لذلك فمن المرجح أن تكون الأجزاء الواقعة شرقي الفسطاط هي التي ظلت أكواما منذ عهد الشدة المستنصرية .

أما الأكوام التي ترتبت عن حريق الفسطاط ، فيذكر المقرئ أنه قد نتج عن حريق الفسطاط ، الخراب الذي هو كائن فيها في عصره حيث (... خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو كيما مصر...)^(٤) . ولقد أشار ابن جبير عند زيارته لمدينة الفسطاط ، الى هذا الخراب . فقال : (... ومدينة مصر آثار من الخراب الذي أحدثه الاحراق الحادث بها وقت الفتنة عند انفساخ دولة العبيديين)^(٥) .

-
- (١) المقرئ : الخطط ٣٣٧/١ ، عبد الرحمن زكي : الفسطاط ص ٣٣ .
 (٢) هو الامرباحكام الله أبو علي منصور بن المستعلى بن المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم العبيدي الفاطمي (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠٢ - ١١٣٠ م) ولي أمور الدولة الفاطمية وهو ابن خمس سنوات . قتله جماعة من الباطنية وهو ذاهب الى جزيرة الروضة . عنه انظر أبا عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) . أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقره ، وعبد الحليم عويس . الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٠٥ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١١ - ٢١٢ .
 (٣) ص ٣١٧ - ٣٢١ .
 (٤) المقرئ : الخطط ٣٣١/١ .
 (٥) ابن جبير رحلة ابن جبير ص ٢٩ .

غير أن ما تجدر ملاحظته أن المقریزی وابن جبير ، لم يقدموا معلومات واضحة عن الأماكن التي أصابها الخراب ، والتلف ، نتيجة الحريق . خاصة وأن هناك أجزاء كبيرة من المدينة ، قد أعيدت عماراتها في عهد الناصر صلاح الدين ، وخاصة المناطق التي تحيط بالجامع العتيق ^(١) ، وهي أماكن لم تهجر نهائيا ، وتتحول إلى أكوام من الخراب ، إلا في عهد السلطان المملوكي الملك الظاهر بيبرس ^(٢) .

لذلك فمن المؤكد أن الأكوام التي ظهرت نتيجة هذا الحريق ، في تلك الفترة ، هي تلك التي يفصلها عن الجامع العتيق مساحات واسعة . وعلى الأخص تلك التي تقع في الجنوب الشرقي من الجامع المذكور ^(٣) ، حيث تقع الكيانات التي اصطلح على تسميتها بكيمان مصر ، وكانت تمتد من الكوم الجارح ^(٤) ، وما يليه من الأكوام جنوبا ، إلى الرصد ^(٥) ، فهذه الأماكن كانت الأكثر تضررا من الحريق المذكور ^(٦) .

(١) ص : ٣٠٩ - ٣١٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعيان ٣ / ٣٣٤ ، وعن الظاهر بيبرس

انظر ص ٨٩ هامش (٤) .

(٣) انظر خريطة رقم (١٢) .

(٤) هذا الكوم يقع في الشرق من جامع عمرو بن العاص ، انظر خريطة

رقم (١٧) نقلا :

Casanova ، Paul ، De Reconstitution ، plan 1

(٥) المقریزی : الخطط ١ / ٣٤٣ .

(٦) ص : ٣٠٨ .

والحقيقة فان ظاهرة وجود الاكوام قد أثر على توزيع النشاط العمراني في الفسطاط ، اضافة الى تأثيره على مخطط مشروع السور الذي أمر صلاح الدين ببنائه في عام (٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) والذي كان يهدف الى توحيد مهمة الدفاع عن مدينتي الفسطاط والقاهرة معا ، عن طريق ضمهما (١) في سور واحد .

أما بالنسبة للنشاط العمراني في الفسطاط فيلاحظ أن حركة التوسع في المدينة قد اتجهت بشكل عام نحو الشاطيء والقاهرة (٢) ، لتترك بذلك الأجزاء التي فيها الاكوام دون عمران يذكر ، حيث تركز النشاط العمراني والاقتصادي في المنطقة المطلة على شاطيء النيل ، عوضا عن أن يتركز في المناطق التي فيها الاكوام كما كان عليه الحال في السابق (٣) . وان كان هذا لم يمنع أن تكون هذه الأماكن مناطق سكن للفقراء ورعاع الناس ، الا أنها لم تكن تعد من العامر كما يذكر القلقشندى (٤)

أما تأثير الاكوام على مخطط مشروع السور ، فيمكن ادراكه من متابعة خط توجه السور ، الذي يظهر من رسمه ، أنه قد تعمد عدم ضم أغلب الاكوام مصر ، الممتدة من " كوم الجارح " حتى منطقة الرصد ، وتشير التوقعات الخرائطية الى أن السور كان قد احتوى " كوم الجارح " مارا من جهته الجنوبية (٥) ، أى أنه تجنب الاكوام (٦) ، مما يشير

(١) الهندارى ، سنا البرق ، ص ١١٩ .

(٢) ص : ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٣) ص : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣ / ٣٣٤ .

(٥) انظر خريطة رقم (١٢) نقلا عن :

Casanova , Paul , De Reconstitution , plan 1.

(٦) لاحظ ما يذكره ابن دقماق عن الاكوام الواقعة خارج السور . ابن دقماق الجوهر الثمين ص ٢١٨ .

الى أن سكنى تلك الأماكن لم يعد مرغوبا فيه ، من قبل سكان المدينة ، ولم تعد هناك حاجة الى سكناها، وبالتالي توفير الحماية لها.

د - الخلجان والبرك :

من العوامل الجغرافية التي أثرت على خريطة المدينة ، التضاريس الطبيعية المائية ، التي كانت تقع في الدائرة العمرانية للمدينة الكبرى بشكل عام . وكما سبق أن شاهدنا كيف أن النيل قد كان عاملا لجذب عمران المدينة باتجاهه ،^(١)

وقد أثرت المظاهر المائية الأخرى ، على نواحي عمرانية مرتبطة بالمدينة ، وذلك أن منطقة القاهرة تحتوى على العديد من الخلجان وأولها وأهمها خليج القاهرة أو خليج أميرالمؤمنين ، وقد عرف أيضا بالخليج الحاكي ، وخليج اللؤلؤة ، وان كانت أقدم الأسماء التي عرف بها الخليج المصري .^(٢)

وتختلف الروايات التاريخية حول أصل هذا الخليج وتاريخ نشأته ، فهناك من يرجعه الى عصر ما قبل الاسلام^(٣) ، ذلك أن انحراف مجرى نهر النيل والترسبات والطرح ، قد أدى الى تباعد شاطئ النهر عن مدينة عين شمس - احدى عواصم مصر القديمة - فعمد قدماء المصريون الى حفر هذا الخليج في مجرى النهر القديم ، لكي تصل المياه الى المدينة^(٤) . وتذهب الرواية الى القول بأنه كان يتصل منذ تلك الفترة

(١) ص ٩٨ ، ١٠٠ .

(٢) المقرئى : الخطط ٧١/١ ، ١٤٠/٢ .

(٣) المقرئى : م . ص ، ١٣٩/٢ .

(٤) فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور (القاهرة)

بالبحر الأحمر (القلزم)^(١) . ويذهب البعض الى أن هذا الخليج قد حفر بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضمانا لتيسير وصول شحنات المؤن من مصر الى بلاد الحجاز في عام الرمادة^(٢) .

ويمكن التوفيق بين الروایتين ، حين ننظر الى الاجراء المتخذ في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على اعتبار أنه اجراء اضطرارى ، اتخذ لمواجهة أزمة غذائية مستحكمة في الحجاز ، تطلبت حلا سريعا . وهكذا فمشروع ربط النيل بالبحر الأحمر ، كان يقتضي السرعة والافادة من الامكانات والظروف المتاحة ، وهكذا استفاد المسلمون الأوائل في مصر من وجود الخليج في منطقة عين شمس . وربما من وجود أثار القناة جافة مهمة ، تمثل مشروعا قديما ربط بين النيل والبحر الأحمر ، فعمل عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر ، على تنفيذه عن طريق تعميق تلك القناة ، وربطها بخليج عين شمس ، حيث نجحوا في إعادة جريان الماء ، ووصله الى البحر الأحمر بحيث يستوعب حمل سفن الشحن المطلوبة . وهذا الرأي يتفق مع نص المقرئى بهذا الشأن ، حيث أنه ذكر : بأن هذا الخليج (. . .) جدد حفره بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة . . .)^(٣) .

ويظهر أن هذا الارتباط قد روعي وتولى المسلمون تأمينه ، حتى توقف في العصر العباسي^(٤) . والذي يعنى البحث هو تحرى موقع

(١) المقرئى : الخطط ١٣٩/٢ .

(٢) ياقوت الحموى : شهاب الدين بن عبد الله ، المشترك وضعه

والمفترق صقعا . بغداد ص ١٥٩ ، القلقشندى : صبح

الأعشى ٢٩٨/٣ .

(٣) المقرئى : الخطط ١٣٩/٢ .

(٤) ن . م . س .

الخليج بشكل خاص وأثره في التوسع العمراني لمدينة القاهرة . ذلك أن الخليج المذكور يقع الى الشمال من الفسطاط ، حيث يتفرع من هناك من نهر النيل ، جنوب القصر العيني من المنطقة التي تعرف حاليا بسفم الخليج ^(١) ، ويسير باتجاه الشمال الشرقي ، ثم ينعطف على شكل قوس بعد ذلك ، نحو الجنوب الشرقي ، حيث يوجد ميدان السيدة زينب ، في الوقت الحاضر ، ليعاود السير بعد ذلك نحو الشمال الشرقي مارا غربي بركة الفيل ^(٢) ، ثم يتجه شمالا حتى يخترق سور القاهرة الى خارج المدينة ^(٣) . وهذا الخليج يعد الخليج الأساسي في المدينة . وان كان هناك خلجان أخرى كانت تعمل على تغذية البساتين والبرك المائية في المدينة ، منها خليج الذكر أو قم الخور ^(٤) . وهو خليج حفره كافور الاخشيدى ^(٥) حيث كان يزود بستان المقس بالمياه

-
- (١) حسن الباشا وآخرون . القاهرة ص ٣٢ .
- (٢) عن هذه البركة انظر ص : ١١٨ - ١١٩ .
- (٣) موقع هذا الخليج حديثا . انظر عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ص ١٠٠ - ١٠١ ، وخريطة الآثار الاسلامية حيث يطلق عليه شارع الخليج بعد أن ردم هذا الخليج ، خريطة رقم (١٦/١٦٠) .
- (٤) حسبما ورد في الخطط فانه يشير الى خليجين بقوله (ذكر خليج قم الخور وخليج الذكر ، الا انهما في الاصل كانا خليجا واحدا ثم اصبحا خليجين بعد تأسيس الخليج الناصري في العصر المملوكي حيث قطع هذا الخليج الخليج الأول ، فقسمهما الى قسمين ، وسعى بالذكر نسبة لأحد الأمراء المماليك شمس الدين الذكر . انظر : المقرئى : الخطط ١٤٤/٢ - ١٤٥ .
- (٥) كافور الاخشيدى (٣٥٥ - ٣٥٦ هـ / ٩٦٥ - ٩٦٦ م) مملوك ولد في النوبة كان للاخشيد ملك مصر فتولى الحكم بعد وفاته بالوصاية عن أبي القاسم أوجور ابن الاخشيد ثم استولى على حكم مصر . عنه انظر : ابن العماد شذرات الذهب ، ٣ / ٢١ - ٢٢ .

في عصره ، فلما حول هذا البستان الى بركة في العصر الفاطمي ^(١) كان هذا الخليج مصدر المياه لها ^(٢) . ومن الواضح أن كلمة الخور التي تعنى في اللغة مصب الماء ^(٣) انما هو امتداد لهذا الخليج نشأ نتيجة انحراف مجرى النهر ، فكانت الأرض التي يتوكلها النهر تحفر حتى يتصل ماء النهر بالخليج . فعرفت بالخور . ومن المؤكد أن التوسعة التي أجراها الملك الكامل ^(٤) لهذا الخليج ^(٥) ، قد قصد منها ضمان ارتباط الخليج بالنيل ، بعد ما عرقل ذلك ظهور الأراضي التي تكونت من ترسبات الطرح النهري ^(٦) .

ومن هذه الخلجان أيضا خليج " بني وائل " ، غير أن المصادر لم تقدم عنه معلومات واضحة . وهو يقع جنوبي الفسطاط ^(٧) ، حيث كانت تقطعه قنطرة ^(٨) نسب إليها بابي الفسطاط ، والذي كانا يقعان قريبهما ^(٩) .

- (١) ص : ١١٩ - ١٢٠ .
- (٢) المقرئى : م . م ، ١٤٤ / ٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة : ١٧٤ .
- (٣) الزبيدى : تاج العروس ١٩٣ / ٣ .
- (٤) عنه انظر ص ٨٨ هامش (٣) .
- (٥) المقرئى : الخطط ١٤٤ / ٢ ، ومن الواضح أن هذا الخليج يدل على موقعه المنطقة التي تعرف حديثا بتل سن ابره أو تل اليهودية ، ذلك خط قم الخور الذى ينسب لهذا الخليج كان يقع فيها . على باشا مبارك : الخطط التوقيفية الجديدة ٢٣٦ / ٣ . وانظر خريطة رقم (٢) .
- (٦) لاحظ ما ذكرناه عن انحراف النهر في المنطقة الواقعة غرب الخليج ص : ٩٢ - ٩٣ .
- (٧) Casanova, Paul , Re Constitution plan 1.
- (٨) المقرئى : الخطط ٣٤٧ / ١ .
- (٩) ص : ٤٩٢ - ٤٩٣ .

ومن المرجح أن يكون الخليج موجودا زمن صلاح الدين الأيوبي ،
ذلك أنه كان يمد بركة شطا بالمياه . من خلال بواب كانت تخترق
السور^(١) . والثابت أن السور المذكور هو السور الذي أمر صلاح الدين
ببنائه ليضم الفسطاط والقاهرة^(٢).

أما البرك الأخرى الواقعة الى الجنوب من الفسطاط ، فقد كانت
تردها المياه من بعض الخلجان الأخرى ، فبركة الشعيبية مثلا ، والتي تقع
الى الجنوب من الفسطاط ، كان لها خلجان يربطانها بالنيل^(٣) ،
أحدها من الجهة الجنوبية ، والاخر من الجهة الشمالية^(٤).

أما البرك في مطقة القاهرة الكبرى ، فقد أشارت المصادر الى
وجود عدد من البرك تكونت نتيجة تغيرات طبيعية في المنطقة ، أو نتيجة
انجاز بشرى مقصود .

ومن أهم هذه البرك ما أنشئ جنوبي الفسطاط ، مثل بركة
الحبشي^(٥) والتي كانت تقع فيما بين الرصد والنيل^(٦) ، وكانت

(١) ابن دقماق : الانتصار ق ١ / ص ٥٤ ، وعن هذه البركة انظر
طاهي .

(٢) انظر خريطة رقم (٢٠) .

(٣) ابن دقماق ، م . س ، ق ١ / ٥٥ .

(٤) ابن دقماق : م . س ، العقويــــــــــــــزى : الخطط ٢ /
١٥٨ - ١٥٩ .

(٥) سميت بالحبشي نسبة لاحدى الجنان التي تطل عليها . وكانت تعرف
ببركة المغافر وبركة حمير ، عنها انظر : ابن دقماق :

الانتصار ، ق ١ ص ٥٥ - ٥٦ ، المقرئى : الخطط : ١٥٢ / ٢ - ١٥٩ .

(٦) المقرئى : م . س . ١٥٢ / ٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر
القاهرة ، ورقة : ١٨٣ .

تحتل مساحة كبيرة ^(١) وتجاور البركة المذكورة الى الشمال منها ، برك
أخرى منها بركة الشعبية ^(٢) ، وبركة شطا ^(٣) .

وتشير المصادر الى بركتين تقعان فيما بين الفسطاط والقاهرة
أولاهما " بركة الفيل " يذكر المقرئى بأن هذه البركة

(١) كانت هذه البركة تشغل مساحة قدرها الفان ومائتان فدانا (٢٢٠٠)

وتحد هذه البركة من الشمال بجبل اصطبل غنتر (الرصد)
ومصحراء القرافة ، واراخي قرية أثر النبي كهد ، فاصل فيما بينها وبين
دير الطين ، أما من الغرب فحدها هو جسر النيل ، بين
قرية دير الطين ومعادى الخبيرى ، ومن الجنوب والشرق باقى
أراضي ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة . محمد رمزى : القاموس
الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ م .
القاهرة ١٩٥٤ م ق ١ البلاد المدرسة ص ١٥٠ .
ولقد قام بتحديد هذا الموقع بول كزانوفا ، انظر :

Paul Casanova , De Constitution , plan 1

(٢) يبدو أن سبب تسميتها بالشعبية لأن اناسا يعرفون ببني

الشعبية كان لهم وقف فيها . انظر ابن دقماق : الانتصار ، ق ١
ص ٥٥ . وعن موقعها انظر :

Paul Casanova , Op. Cit. ,

(٣) عن هذه البركة انظر : ابن دقماق : م . س ، ق ١ ص ٥٤ - ٥٥ ،

ولا تذكر المصادر سببا يعرف منه أصل سماها . وعن موقعها

انظر : Paul Casanova , Op. Cit .

كانت كبيرة جدا (١).

ويجاور بركة الفيل بركة أخرى تعرف " ببركة قارون " ولم يكن
يفصل بينهما سوى جسر ، عرف بالجسر الأعظم (٢).

كما كان يوجد في غربي الخليج عدد آخر من البرك من أهمها
بركة " بطن البقرة " (٣) تذكر بعض المصادر بأن موقعها كان في
الأصل بستانا يعرف ببستان المقص ، ثم حول الى بركة في عهد

(١) المقرئى : م.م. ص ١٦١/٢ ، ويدل عليها في الوقت الحاضر
المنطقة التي تحد من الشمال بسكة الحياتية ، وغربا بشوارع درب
الجماميز والعبودية والخليج المصري ، وجنوبا شارع مراسينا
ثم ينحرف هذا الحد من ناحية الشمال الشرقي حتى يتقابل مع
أول شارع نورالظلام ، وصولا الى شارع الألفي ، وتحد من
الشرق بكاملة شارع نورالاسلام فشارع مهذب الدين
الحكيم ، فسكة عبد الرحمن بك وماض امتدادها الى الشمال
حتى الحد الشمالي . وسميت ببركة النيل لأن الأمير خمارويه
بن أحمد بن طولون جعل عليها دارا خاصة بالحيوانات تعرف
بهذا الاسم . محمد رمزي : م.م. ص ١ ق ١ ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) المقرئى : الخطط ١٦١/٢ . وهذا الجسر يدل عليه شارع
مراسينا ، وكانت هذه البركة تمتد جنوبا حتى شارع الشيخ
اليفال . عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٠ ولا
تذكر المصادر سببا لتسميتها .

(٣) لعلها عرفت بهذا الاسم لأنها كانت كبيرة جدا وتستوعب كميات
كبيرة من الماء . فشبهت ببطن البقرة .

الخليفة الفاطمي الظاهر^(١١) (٢)، إلا أن ناصر خسرو، الذي زار مصر في عهد الحاكم بأمر الله^(٣) يشير إلى وجود هذه البركة رغم أنه لم يسمها، ويذكر بأنها تختلط بمياه خليج القاهرة وأن فيها مراكب للسلطان وتشرف عليها مناظره^(٤)، وذلك ما يؤكده بلطآن بركة بطن البقرة يعود تاريخها إلى ما قبل عهد الخليفة الظاهر، ويظهر من نص ناصر خسرو أن هذه البركة كانت كبيرة جدا^(٥)، ولعل اسمها يرمز إلى ذلك. ويعتقد علي باشا مبارك بأن هذه البركة كانت تمثل المنطقة الممتدة فيما بين قنطرة الموسيقى وباب القنطرة^(٦) ولا شك في أن علي باشا يقصد بباب القنطرة، الباب الذي كان يقع على رأس شارع مرجوش، من جهة الخليج^(٧).

- (١) المقرئ : الخطط ١٦٣/٢ . مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ١٩٥ .
- (٢) هو الخليفة الظاهر لا عزازدين الله علي بن الحاكم بأمر الله (٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥ م) عنه انظر : ابن خلكان : وفیات الأعيان ٤٠٧/٣ ، ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص ١٠٣ . ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢٠٦ .
- (٣) هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله (٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥ م) ولي الخلافة وهو ابن احدى عشر سنة وبضع شهور . عنه انظر : ابن خلكان : م.م.س ٤٠٧/٣ . ابن حماد : م.م.س ص ٩٤ - ١٠٣ ، ابن دقماق : م.م.س. ص ٢٠٤ .
- (٤) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٩٧ .
- (٥) يذكر ناصر خسرو بأن هذه البركة باتساع ميدانين أو ثلاثة : ن . م . م .
- (٦) علي باشا مبارك : الخطط التوقيفية الجديدة ٣٥٠/٣ وعن قنطرة الموسيقى وباب القنطرة انظر ص ص ٤٩١ ، ٤٩٧ .
- (٧) علي باشا مبارك : م.م.س ١٢٨/٣ .

الا أن تحديد علي باشا هذا ، انما هو تحديد عام ، وقد بنى علي تصور شخصي دون التقيد الدقيق بالنصوص ، التي تحوردها المصادر ، في مجال تحديد موقع البركة .

وقبل الاشارة الى هذه النصوص وما يترتب عليها من نتائج ، لا بد من الاشارة الى نقطتين أساسيتين ، أولاهما ان باب القنطرة الذي أشار اليه علي باشا مبارك ، ليس هو الباب الذي يعود الى العصر الفاطمي ، انما هو باب كان قد بناه الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ضمن مشروعه التحصيني (٥٧٢ هـ / ١)^(١) ، في حين أن الباب الفاطمي يقع الى الشمال من الباب المذكور ، وتحديدًا في الجهة الغربية من شارع الفراخنة ، عند تقاطعه مع شارع الشعراني .^(٢)

وثانيهما أن الشارع الذي كان يقع أمام باب القنطرة ، من الجهة الغربية للخليج ، يتميز بثنأ في انحناءة ناحية الشمال ، بمعنى أن الخارج من باب القنطرة الفاطمي ، فانه بعد أن يعبر القنطرة التي كانت قائمة أمام الباب ، فانه ينزل الى طريق يتجه به شمالا . ويدل على

(١) انظر ص : ٤٩١ .

(٢) انظر خريطة رقم (٣٨) . وقارن بين موقع هذا الباب :
A. Raymond E. & G. Wiet : Les Marcees de Caire traduction
annotced dutexte de Magrizi , Caire , 1979 , Plan 3.

وموقع شارع الفراخنة والشعراني . حيث كان الاخير يقع فيه خط
باب القنطرة . علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة .

ذلك شكل عطفة المسطاحي^(١) التي تقع فيها قنطرة الباب الفاطمي ،
والتي سدها السور^(٢) . وهو سور صلاح الدين بطبيعة الحال ، الذي
انحرف في هذه الجهة ليتصل بباب القنطرة الجديد^(٣) .

ولذلك فانه من الواضح أن تحديد علي باشا لنهاية البركة من
الناحية الشمالية عند باب القنطرة ، قد قصد منه الغاء التناقض الحاصل
بين المعلومات عن موقع الشارع الذي يتصل بهذا الباب من بر الخليج
الغربي ، وبين المعلومات الأخرى عن موقع البركة .

ولكن بما أن الباب الفاطمي كان يقع الى الشمال وأن الشارع الذي
يرتبط به كان ينحرف شمالا ، فلا شك في أن ذلك يعني بأن هناك سببا
قاهرا قد أثر على تصميم الشارع وعدالته ، ومن المؤكد أن ذلك يتمثل
في وجود البركة التي تفيد المصادر بأنها لم تكن تنتهي في هذه الجهة
عند باب القنطرة كما ذكر علي باشا ، وإنما كانت تمتد حتى تصل
الى أرض الطبالة^(٤) ، والتي تقع شمالي سور المدينة الذي بناه صلاح الدين

(١) عن هذه العطفة وموقعها انظر : علي باشا مبارك : م.م.س

٢٧٢/٣ . وانظر خريطة رقم (٣٨) .

(٢) علي باشا مبارك : م.م.س .

(٣) يذكر علي باشا مبارك أن السور الذي سد هذه القنطرة هو سور

فاطمي ، م.م.س ، ولكن لا دليل على ذلك إذ لم يجسر
الفاطيون أى توسعة في هذه الناحية والتعديلات التي أجريت
تعود الى عصر صلاح الدين . انظر ص ٤٨٤ هـ (٥) ، ٤٨٧ .

(٤) المقرئى : الخطط ١٦٣/٢ . مؤلف مجهول : تاريخ مصر

القاهرة ورقة ١٩٥ ، وسميت هذه الأرض بأرض الطبالة نسبة

لمغنية للخليفة المستنصر بالله الفاطمي وهبها هذه الأرض .

القلقشندي : صبح الاعشى ٣٥٦/٣ . ويدل عليها في الوقت

الحاضر شارع الفجالة ، علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية

الجديدة ٢٥٩/٣ .

في هذه الجهة (١).

وقد وجدت في هذه المنطقة مجموعة أخرى من البرك ، كانت تقع غربي الخليج . والمرجح أنها قد تكونت بتأثير عملية طرح النهر الذي عادة ما يخلف وراءه بعض المواضع المنخفضة التي تغمرها المياه في موسم الفيضان ، كما تساعد المياه الجوفية على استمرار امتدادها بالمياه خلال المواسم الأخرى ، مع ملاحظة قربها من النيل . وتوافق مستواها مع مستوى الماء فيه في الظروف العادية (٢) . وكانت تعرف لذلك باسم البرك .

ومن المرجح أن تكون هذه البرك قد ظهرت في أزمنة مختلفة ، ومن المؤكد أن يكون بعضها قد وجد في عصر صلاح الدين ، ذلك أنها تقع ضمن الأراضي التي كانت موجودة في المنطقة في ذلك الوقت ، ومن أبرز تلك البرك " بركة الشاف " والتي تقع في باب اللوق (٣) ، ويشير المقرئ إلى وجودها في زمانه حيث كان يطل عليها جامع الطباخ ، (٤)

(١) على باشا مبارك : م. س ٢٦٠ / ٣ .

(٢) ص : ٨٣ .

(٣) عن أراضي اللوق انظر ص : ٩٠ - ٩١ .

(٤) هذا الجامع أنشأه الأمير جمال الدين أقوش ، وجدده الحاج

على الطباخ في المطبخ السلطاني أيام الملك الناصر محمد بن

قلاوون فنسب إليه ، المقرئ : الخطط ، ٣١٥ / ٢ .

وتعد من جملة أراضي الزهرى (١) (٢).

وكانت توجد في المنطقة بركة أخرى هي " بركة السباعين " (٣)
وهي من جملة أراضي الزهرى أيضا (٤).

(١) المقرئى : م.س ١٦٢/٢ . وهي بذلك تقع بشارع باب اللوق
(الصنافيرى) حيث يقع الجامع المذكور ، وحل محلها ميدان
عابدين . انظر : علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة
١٠٧ / ٣ ، ٢٢٣ .

(٢) نسبة لعبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهرى ولى شرطة الفسطاط ، وتوفى سنة (٢١٠ هـ)
المقرئى : م.س ١١٤/٢٠ . وكان هذا الحكر يحتل مساحة
واسعة تشمل براين التبان الذى يدل عليه المباني الواقعة
قبال باب الخرق غربى الخليج . وشق الشعبان الذى يدل عليه
حارة تحمل نفس الاسم في شارع الخلونى ، وسوقة القرى وهي
حارة القرى بشارع الخلوتى أيضا . وبركة الشفاف حيث ميدان
عابدين ، وبركة السباعين التي بها دور سكنية ، وحده
المرادنيين الذى يدل عليها شارع حدرة جميزة وشارع الحدرة ،
علي باشا مبارك : م.س ١٠٦/٣ - ١٠٧ .

(٣) سميت بالسباعين لأنه اتخذ عليها دار للسباع . المقرئى : م.س
١٦٢/٢ . ويذكر محمد علي باشا بأنه يقع عليها مجموعة من
المباني السكنية في شارع سوقة السباعيين . علي باشا مبارك :
م.س ٣٣١/٣ .

(٤) المقرئى : م.س . مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة
ورقة : ١٩٥ .

لقد كان التأثير العمراني لهذه المواضع المائية على القاهرة في عهد صلاح الدين الأيوبي كبيرا ، فوجود الأنهار والترع والبرك والخلجان في مكان ما ، تكسبه سمة وظيفية أو نوعا من القيمة الإضافية ، فالغدران التي كانت في القرافة ، هي من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى أن تكتسب أهميتها كأحد متنزهات القاهرة. (١)

لذلك فانه من أبرز المظاهر العمرانية التي أثرت فيها الخلجان على الخريطة العمرانية في عهد صلاح الدين ، هو جذبها لمنشآت النزهة ، ذلك أنه في عهد صلاح الدين كثرت المناظر التي تطل على خليج القاهرة (٢) ، كذلك كانت البرك عامل جذب للكثير من البساتين ومنشآت النزهة التي أخذت تحيط بها (٣) ، بل يلاحظ أن بعض البرك استغللت أجزاء منها للتعمير عليها. (٤)

(١) ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ /

١٣٠٠ م) مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار ، مخطوط في مكتبة

أيا صوفيا باستانبول رقم ٣٤١٦ ، ج ٣ ، ورقة ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) ص : ٤٤٧ .

(٣) ص : ٤٤٨ - ٤٥٠ .

(٤) ص : ٤١٥ - ٤١٦ .

الفصل الثاني

العملية الاجتماعية

نظرا لما تعنيه مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي للانسان من تأثير مباشر او غير مباشر على ظاهرة التمدن الانساني ^(١)، فلقد تأثرت القاهرة الصلاحية بعدد من العوامل الاجتماعية والثقافية التي كان لها اكبر الاثر على تطورها العمراني . فحياة الانسان بمظاهرها المختلفة لا بد لها من وعاء مادي يستوعبها ، والعمران بطبيعة الحال هو ذلك الوعاء . لذلك فقد كان للمتغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها القاهرة في عهد صلاح الدين آثارها وانعكاساتها العمرانية ومن ابرز هذه المتغيرات :

أ - التحول الى المذهب السني :

يمكن القول بأن توجه السلطة الصلاحية نحو الالتزام بمذاهب أهل السنة كان من اكبر وابرز المؤثرات الاجتماعية التي اسهمت في احداث بعض التطورات العمرانية ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر على القاهرة الصلاحية في ذلك الوقت .

فلقد كان العبيديون يتمذهبون بمذاهب الشيعة العلوية وقد تبدى ذلك في ادعائهم الانتساب الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وتسميتهم لانفسهم بالفاطميين ^(٢) . ومع ان المقرئى يعتبر من المعتزليين بالانتساب اليهم والمدافعين عنهم ^(٣) ، الا انه لم يجد بدا من الاعتراف بأنهم

(١) ص : ٧٤ - ٧٨ .

(٢) انظر في نسب الفاطميين وما ورد فيه من اقوال للمؤرخين في الدراسة المستفيضة التي كتبها الاستاذ احسان الهبي ظهير الذى تطرق فيها الى مختلف الاقوال حول نسب الفاطميين . احسان الهبي ظهير الاسماعيليه تاريخ وعقائد ، لاهور ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

ص ١٦٧ - ٢٦٦ .

(٣) ص : ٣٤ .

كانوا من غلاة الشيعة العلوية ومن غلاة الروافض^(١) . اما علماء أهل السنة وموؤرخي الفرق الدينية فقد ذهب بعضهم الى اخراجهم من الملة الاسلامية ونسبتهم الى الديانة المجوسية ، حيث ذكروا ان مذهبهم هو من مذاهب المجوسية التي اتخذت ثوبا اسلاميا ، فعبد القاهر البغدادى يذكر بأن الذين اسسوا الحركات الباطنية (. . . كانوا من اولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين اسلافهم ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغناد منهم اساسا من قبلها ، منهم صار في الباطن الى تفصيل اديان المجوس . . .)^(٢) لذلك عمدوا الى تأويل الايات القرآنية والاحاديث النبوية بما يوافق افكارهم واهوائهم^(٣) ، فابتعدوا عن الصواب وخالفوا مسلك السلف ومنهاجهم^(٤) .

وباستيلاء الفاطميين على مصر سنة (٣٥٨ هـ / ١١٦٢ م) حرصوا على نشر مذهبهم في تلك البلاد ، ولجأوا الى مختلف الوسائل لجذب الناس الى ساحتهم^(٥) .

وتختلف النصوص التاريخية في تحديد ما وصل اليه الفاطميون من نجاح في هذا الصدد ، ان هناك من النصوص ما تذكر بأن الفاطميين لم يستطيعوا جذب المصريين الى مذهبهم ، حيث ظلوا محتفظين بمذاهب أهل السنة التي كانت فاشية بينهم ، كما يشير بذلك عبد القاهر البغدادى

-
- (١) المقرئى ، الخطط ١ / ٤٩٢ .
 (٢) عبد القادر البغدادى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ط ٤ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٢٦٩ .
 (٣) ن . م . س .
 (٤) احسان ظهير ، الاسماعيلية ، ص ٢٦٧ .
 (٥) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمى ، جده ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ٦٨ .

عند تعرضه للحديث عن استيلاء الفاطميين على مصر^(١) . وعلى ذلك سار عدد من الباحثين المحدثين الذين يرون بأن التشيع في مصر لم يحظى فيها بالانتشار الواسع^(٢) ، بيد ان هناك من النصوص التاريخية التي تشير الى ان الفاطميين قد حققوا نجاحا كبيرا في نشر مذهبهم في مصر ، ان يشير المقرئى اثناء حديثه عن داعي الدعاة^(٣) الى انتشار التشيع في مصر حيث يذكر بأن داعي الدعاة له الحق في اخذ اموال النجوى (. . من المؤمنين بالقاهرة ومصر واعمالها لا سيما بالصعيد . .)^(٤) . ويؤيد ابن تغرى بردى ما ذهب اليه المقرئى ، فيذكر اثناء حديثه عن حوادث سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) بأن غالبية اهل مصر كانوا قد اعتنقوا المذهب الشيعي العلوى في عصر التسلط العبيدى مسaire منهم لحكامهم^(٥) . ومن الواضح ان هذا الاختلاف في النصوص التاريخية يعكس في مجمله تطور الاوضاع المذهبية خلال العصر الفاطمي . فلا شك بأن المصريين كانوا في بادىء الامر متمسكين بسنتهم ، فحرصوا عندما دخل الفاطميون مصر على أن يأخذوا منهم أمانا

(١) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٥ .

(٢) الامين عوض الله / م . س . ص ٦٦ ، موريس لومباردو ،

الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامى خلال القرون الاربعة الاولى

ص ٣٨ .

(٣) داعي الدعاة ، منصب استحدثه الفاطميون بعدما حكموا مصر وكانت

مهمة صاحبه نشر المعتقدات الشيعية بين الناس . وكان يختار لها

نوابا لذلك ، انظر عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في

مصر ط ٣ ، ١٩٧٨ م ، ١ / ١٧٧ - ١٩٠ .

(٤) المقرئى ، الخطط ، ١ / ٣٩١ .

(٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٢٠ .

يلتزم الفاطميون بموجبه بعدم فرض معتقداتهم على اهل هذه البلاد (١) .
 لكن هذا الالتزام لم يدم طويلا ، حيث لجأوا بعد ذلك الى نشر عقائدهم
 بكل السبل والوسائل ، وعمدوا الى الترغيب والترهيب ، قهثوا دعائهم في
 المساجد ودور العلم ، وقصروا الوظائف في بعض الاحيان على معتنقي
 مذهبهم (٢) ، بل انهم قاموا باخراج علماء السنة من مصر لكي يتمكنوا
 من نشر مذهبهم ، ففي سنة (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) أمر الخليفة الفاطمي
 الظاهر (٣) باخراج (. . من بمصر من الفقهاء المالكيين وغيرهم . .) (٤) ،
 وجعل مبلغا من المال لكل من يحفظ كتب المذهب الشيعي (٥) . وبشكل
 عام ، فمن المؤكد ان الفاطميين كانوا لا يرغبون في وجود المذهب السني
 داخل بلادهم ، فيقال ان الخليفة الفاطمي العاضد (٦) كان اذا ظفر بسني
 قتله (٧) . وعلى الرغم من ان هذا القول فيه من المبالغة الشيء الكثير الا انه
 يوءد وجود المذهب السني في مصر ، وفي نفس الوقت يوضح موقف الفاطميين
 تجاه أهل السنة .

- (١) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٦٠ .
- (٢) الامين عوض الله ، م . م ، ص ٦٨ .
- (٣) عنه انظر ص : ١٢٠ هامش (٢) .
- (٤) المقرئ ، الخطط ، ١ / ٣٥٥ .
- (٥) ن . م . س .
- (٦) هو ابو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله العبيدي
 (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠ - ١١٦٧ م) آخر خلفاء الفاطميين مات
 بعدما قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية بثلاثة أيام .
- انظر عنه ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- (٧) ابن تفرى بردي ، النجوم الزاهرة ٥ / ٣٣٩ .

ومن الواضح ان السياسة الفاطمية هذه قد لاقت نجاحا في بادئ الامر ، حيث دخل الكثير من المصريين في التشيع ^(١) أو تظاهروا به على أقل تقدير ^(٢) . ولم يبق من المصريين محافظا على سنته الا القليل ^(٣) ، الا أن المذهب السني عاود الانتشار مرة اخرى في مصر في اواخر العصر الفاطمي ^(٤) حيث تزايد نفوذ اهل السنة في مصر ، ومن ابرز الدلائل على ظهور المدارس في الاسكندرية - وهي من وسائل محاربة التشيع - ^(٥) في اواخر العصر الفاطمي ^(٦) .

ومن المؤكد ان من الاسباب الرئيسية التي ادت الى عودة المذهب السني الى مصر هو الاحباطات الكبيرة التي واجهها المصريون خلال فترة التسلط العبيدي من مجاعات وازمات اقتصادية ^(٧) احدثت لدى شعب مصر العريق في حضارته انواعا من ردود الفعل الراضة لهذا الحكم ^(٨) ، على أن ذلك ينبغي الا يفهم منه بأن حركة التشيع قد اضحت ضعيفة في مصر في اواخر العصر الفاطمي بل ان التشيع العلوي كان في مصر قويا لدرجة كبيرة ، يدل على ذلك الثورات التي واجهها صلاح الدين الأيوبي

-
- (١) حسن عبد الحميد صالح ، الحافظ ابو ظاهر السلفي ، بيروت ، ط ١ ، ص ٧٣ .
- (٢) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ٦٨٠ ، حسن عبد الحميد صالح ، ن.م.س .
- (٣) اين تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ١٢٠/٥ .
- (٤) حسن عبد الحميد صالح ، ن.م.س ، ص ٧٣ .
- (٥) ص : ١٤٠ .
- (٦) ص : ٤٧٥ .
- (٧) عن هذه المجاعات والازمات الاقتصادية انظر احمد السيد الصاوي ، المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٢ - ١١٦ .
- (٨) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ص ٧٤ .

من اتباع هذا المذهب ، والتي كانت تستهدف القضاء على حكمه . (١)

لقد كان دخول عصر صلاح الدين هو بداية تحول ديني في مصر ،

حيث اخذت الدولة الايوبية على عاتقها ازالة المذهب الشيعي ونشر عقيدة

اهل السنة والجماعة فيها . (٢) . ولقد كانت بداية هذا التحول في عام

(٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) أى قبل القضاء على الخلافة الفاطمية بمسار واحد

تقريباً (٣) . فألقى الكثير من مظاهر التشيع ، حيث ألغى من الأذان عبارة

(حي على خير العمل) (٤) ، وأنكر على كل من يعتنق هذا المذهب

اشد الانكار (٥) .

كما قام بعزل قضاة مصر الشيعة واقام قاضيا شافعيًا بمصر الذى

استتاب بدوره قضاة شافعية في سائر الأقاليم (٦) ، وارفق السلطان

(١) عن هذه الثورات واهدافها انظر ص : ٢١٣-٢١٨ .

(٢) المقرئى ، الخطط ، ٣٦٣/٢ ، حسن الباشا وآخرون ، القاهرة

ص ٢٣٠ . فنون التصوير الاسلامي في مصر ، القاهرة ص ٩١ .

(٣) اعلن الغاء الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) ص :

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٨ . المقرئى ، الخطط

١/٣٥٩ .

(٥) ابوشامة / ن . م . س .

(٦) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ١١٠ . ابن واصل جمال الدين

محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م . مفرج الكروب فى

اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١/١٩٨ .

ابن اياس ، بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى القاهرة ١٣٩٥ هـ

ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٣ .

الناصر صلاح الدين الايوبي بهذه الاجراءات ، اجراءات اخرى تتعلق بالناحية الثقافية ، فقام باثشاء مدرستين في الفسطاط هما المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية ^(١) في سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) ، وكان من مهامهما تدريس الفقه السني على المذهبين الشافعي والمالكي . ^(٢)

ولقد كان اثر تأسيس هاتين المدرستين على الدولة الفاطمية صاعقا ، اذ ان بناء اولها وهي المدرسة الناصرية يعد من (. . اعظم ما نزل بالدولة . .) ^(٣) الفاطمية . فانشاء مثل هذه المدارس يعتبر من الوسائل المجدية في مكافحة التشيع ^(٤) نظرا لما تقوم به من دور كبير في نشر مبادئ الدين الصحيح ، وازالة ما علق في اذهان الناس من افكار ومبادئ التشيع الهدامة خلال العصر الفاطمي . كذلك فان الناصر صلاح الدين قام بالغاء التعليم الشيعي ، حيث الغى هذا التعليم من الجامع الازهر ^(٥) الذي كان من اهم مراكز الدعوة الشيعية في ذلك الوقت . ^(٦)

- (١) عن هاتين المدرستين انظر ص : ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
- (٢) ص ٤٧٧ .
- (٣) المقرئى ، الخطط ، ٣٦٣ / ٢ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤٤٣ .
- (٤) ص : ١٤٠ .
- (٥) احمد احمد بدوى ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ص ١٥ .
- (٦) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٧٧٠ ، أحمد احمد البدوى ، م . س . ص ١٥ .

ولتأكيد الصفة السننية على الحياة الاجتماعية في مصر ، فان الناصر صلاح الدين الأيوبي امر بالزام الناس في حضور صلاة الجمعة والجماعة ^(١) ، وهو امر يتعارض مع تطبيقات التشيعة التي لا ترى جواز اقامة الجمعة الا للامام القائم ^(٢) . وهذا التوجه الجديد هو ما دعى اليه فقهاء اهل السنة فسي ذلك العصر ، فالشيزرى الذى عاصر صلاح الدين الايوبي ^(٣) ، وألف كتابا في الحسبة بناء على ما طلب متوليها في ذلك الوقت ^(٤) ، يذكر بأن على المحتسب حث الناس على صلاة الجماعة في المساجد لما في ذلك من اظهار

- (١) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص : ١٢٩ .
- (٢) لجأ الشيعة للتأويل لكي يجعلوا نصوص الكتاب والسنة تتوافق مع اهوائهم فانتهى الامر بهم الى تعطيل الشرائع لذلك لم يكن الفاطميون يصلون الجمعة سوى ثلاث مرات في السنة ، انظر المقرئى ، الخطط ، ١/ ٤٩٥ ، ٢/ ٣٦٢ . وعن تأويل الصلاة عند الاسماعيلية انظر احسان البهى ظهير ، الاسماعيلية ص ٤٩٩ - ٥٠٥ .
- (٣) كانت وفاة الشيزرى عام ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م . رشاد عباس معتوق ، نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون ، (نشأته وتطوره) جدة ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ١٨ . وقد ألف الشيزرى لصلاح الدين كتابا في سياسة الحكم انظر ص :
- (٤) الشيزرى ، عبد الرحمن بن نصر ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٣ ، د . حسام الدين السامرائي ، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، ط ٢ مكة المكرمة ص ٣١٢ . رشاد عباس معتوق ، م . ص ١٩ .

لشريعة الاسلام في زمن كثرت فيه الفتن والحركات الهدامة^(١) . هذا علاوة على قيام صلاح الدين بتهجير الكثير من اتباع الفاطميين الشيعة الى خارج القاهرة^(٢) .

ان تلك الاجراءات - بالاضافة الى الغاء الخلافة الفاطمية - ادت الى ان يستطيل أهل السنة على الاسماعيلية^(٣) ، وان يتظاهر الناس (. .) بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما واختفى مذهب الشيعة الى أن نسى (من مصر . .)^(٤) . الا ان هذا التحول لا يعني بأن مظاهر هذا المذهب قد اختفت في مصر بشكل كامل في تلك الفترة ، فابن جبير يشير الى بقاء هذه المظاهر عند حديثه عن المشهد الحسيني^(٥) حيث كان بعض الناس يطوفون بهذا المشهد ويتضرعون عنده بالدعاء^(٦) وهي أمور تتنافى مع

- (١) الشيزي / م. ص ١١١ .
- (٢) ص : ٥٠٦ - ٥٠٧ .
- (٣) ابوشامة / م. ص ، ج ١ ، ص ٥٠١ .
- (٤) المقرئ ، الخطط ، ٣٥٩ / ١ .
- (٥) هذا المشهد يقال ان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه . وقد بناه الفاطميون سنة ٤٩١ هـ / ١١٥٤ م في داخل القصر الشرقي الكبير بجوار باب السديم . انظر المقرئ ، الخطط ، ٤٢٢ / ١ . ولقد كان الفاطميون هم اول من ابتدع بناء المشاهد في مصر . فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٧٤ .
- (٦) ابن جبير ، الرحلة ص ٢٠ ، لينبول ، سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وادوارد حلمي ، القاهرة ١٩٥٠ م ص ١٦١ .

مبادئ الدين الصحيح وتعتبر من البدع التي لا أصل لها في الاسلام (١).

ويرى لينبول ان مثل هذه الاجراءات الهادفة الى القضاء على

التشيع - علاوة على الموقف المتحفظ من قبل صلاح الدين تجاه نصارى مصر (٢)

- تعتبر من النواقص التي اثرت على عظمة صلاح الدين (٣) ، بيد ان هذا

المستشرق قد فاته ان مثل هذا الموقف من صلاح الدين يعد امرا طبيعيا منه

لكونه شديد التمسك بقيمه ومبادئه الاسلامية كما هو ثابت تاريخيا (٤) . وبالتالي

فان توجهه نحو مقاومة حركة التشيع بكل قوة انما كان تعبيراً صادقاً عن قناعة

وايمان بحقيقة وعدالة المبادئ التي ارتضاها وعاش من اجلها واخلص في

الدعوة لها . علاوة على ان الابقاء على التشيع في مصر سيكون له اكبر الاثر

في زعزعة السلطة الايوبية . ذلك ان الدولة مظهر اجتماعي للانسان (٥) ،

وبالتالي فان ثبات سيادة الدولة لا بد وان يستمد وجوده من الواقع الاجتماعي

الذي تسيطر عليه الدولة . فابن خلدون يشير الى ان قيام الدولة مرتبط

ارتباطاً وثيقاً بتأييد عناصر اجتماعية لها ، وهو ما عبر عنه بـ (العصبية) (٦) .

(١) على بن محفوظ ، الابداع في مضار الابتداع ، بيروت ص ١٩١ .

(٢) من المواقف التي اتخذها صلاح الدين ضد اهل الذمة في مصر

انه امر سنة ٥٦٧ هـ بأن يقصوا عن الوظائف الادارية في الدولة

المقریزی ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) لينبول ، م. ص ١٦٢ .

(٤) ابن شداد ، ابو المحاسن يوسف بن رافع ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)

تحقيق جمال الدين الشيال ، ط ١ ص ١٦ - ٢ . ابن خلكان ،

وفيات الاعيان ١٥١ / ٢ .

(٥) ابراهيم درويش وبكر العمري ، دراسة الحكومات المقارنة ، جدة ط ٢

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٨١ .

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ١ / ١٥٤ .

لذلك فعندما طلب الملك العادل نور الدين زنكى (١) من صلاح الدين الغياة الخلافة الفاطمية واقامة الدعوة للعباسيين بمصر ، فانه اعتذر منه بقوله (. . ان المصريين لهم جماعة كبيرة متفرقة في بلاد مصر . .) (٢) ، أى ان للفاطميين قاعدة اجتماعية تحول دون القيام بمثل هذا العمل في ذلك الوقت ، وبالتالي كان لا بد من الاعداد لهذا الامر (٣) ، وهو ما قام به صلاح الدين حيث بدأ بالتحول الديني قبل الغياة الخلافة الفاطمية (٤) .

اما بالنسبة لموقف صلاح الدين من النصارى في مصر ، فمن الواضح انه كان رد فعل تجاه ما قام به النصارى من اعمال تخريبية في مصر فسي بداية حكم صلاح الدين .

ففي عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٧ م قاموا باحراق الجوامع والمنشآت الرئيسية في الفسطاط من ربايع ودور كبيرة ، فأراد صلاح الدين ان يتخذ ضدهم بعض التدابير في تلك السنة ، لكنه اجلها حتى يقوى امره . (٥)

- (١) انظر ترجمته ص : ٣٧ هامش (٤) .
- (٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٦٨ .
- (٣) ن . م . س .
- (٤) ص : ١٣٢ .
- (٥) ابن ايبك الدوادارى (ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) كنز الدرر وجامع الفرر المطلوب في اخبار بني أيوب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م ٣٩ / ٧ - ٤٠ .

ولقد كان للتحويل الى المذهب السني آثار عمرانية متنوعة من اهمها ،
فقد بعض الاماكن وظيفتها التي كانت تقوم بها ، مثل ما حدث لمصلى العيد
الفاطمي الذي كان يقع خارج القاهرة والى الشمال منها . اذ انه من المؤكد
ان هذا المصلى لم يعد يستخدم في ذلك الوقت لاداء صلاة العيد لان فقهاء
الشافعية يجيزون اقامتها في المساجد ^(١) ، لذلك نرى العبدري الذي زار
مصر في أواخر القرن (٧ هـ / ١٣ م) يذكر بأن سكان القاهرة كانوا يجيزون
لأنفسهم اداء صلاة العيد في المساجد ، ولا يظهرون خارج البلد كما
جرت به السنة على حد تعبيره ^(٢) .

وهكذا لم يعد هذا المصلى الفاطمي يستخدم في اغراضه
المرسومة ثم ظهرت في عهد صلاح الدين الحاجة الى مساحته الواسعة
لاغراض اخرى ، حيث جرى تحويل اجزاء منه الى ميدان للعب الكرة ^(٣) ،
واخرى لكي تكون مقبرة لاهل القاهرة ^(٤) .

ولقد كان لسيادة المذهب الشافعي على المذاهب السنية الاخرى
في عهد صلاح الدين دور في التأثير على وظيفة بعض الجوامع حيث الغيت

(١) احمد بن محمد المالكي ، الحاشية على تفسير الجلالين ، للجلال

المحلى والجلال السيوطي ، القاهرة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م ،

٠٣٠٦/١

(٢) العبدري ، عبدالله محمد بن محمد ، رحلة العبدري المسماة

الرحلة المغربية ، تحقيق محمد القاسمي فاس ، ص ١٢٨ .

(٣) ص : ٤٥٩ .

(٤) ص : ٤٦١ .

الخطبة في الجامع الأزهر ، وأبقيت في جامع الحاكم ، فقد ذكر المقرئ بأنه
(. . لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فإنه
قد وظيفه القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درياس ^(١)) فعمل
بمقتضى مذهبه وهو امتناع إقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو
مذهب الإمام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر وأقر الخطبة
بالجامع الحاكم من أجل أنه أوسع ^(٢) ، إلا أن هناك من الباحثين من
يعتبر بأن صلاح الدين مارس سياسة إهمال للجامع الأزهر ^(٣) ، بدافع
موقفه العدائي ضد الفاطميين . إذ أن هذا الجامع يعتبر رمزا للسيادة الشيعية
في مصر ^(٤) . لذلك فإن الجامع تشعث وتشقق تشققا فاحشا ^(٥) . ويبدو
أنه قد جرى الاستيلاء على أوقافه في تلك الفترة ^(٦) ، إلا أنه على الرغم

-
- (١) صدر الدين بن عبد الملك بن إياس (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) ولي
قضاء مصر في عهد صلاح الدين بعد أن كان قاضي الغربية من
أعمال ديار مصر . عنه انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٤٢-٢٤٣ .
- (٢) المقرئ ، الخطط ، ٢٧٥/٢ - ٢٧٦ . وانظر أيضا : حسن عبد
الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ١٩٤٦ م ٥٢/١ - ٥٣ .
- (٣) أحمد بدوي ، الحياة العقلية ص ١٥ .
- (٤) الأمين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ١٧ .
- (٥) السخاوي ، نور الدين علي بن أحمد بن عمر ، تحفة الأجيال وبغية
الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق
محمود ربيع وحسن قاسم ، ط ١ ، ١٣٥٦ هـ ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٦) ابن ظهيرة ، الفرائد الباهرة ص ١٨٤ .

من كل ذلك لم تبعد عنه صفته التعليمية في عهد صلاح الدين حيث حل
التعليم السني في هذا الجامع ^(١) ، ودرس فيه عدد من العلوم المختلفة
مثل الطب والرياضيات وغيرها ^(٢) .

وكان للتحول عن التشيع دور في ان تختفي الكثير من العادات
والتقاليد الشيعية ، الأمر الذي كان له بعض الاثار العمرانية سنشير اليها
لاحقا ^(٣) . ومن المؤكد ان هذا التحول الى المذهب السني يعد من
العوامل الاساسية التي ساهمت في ادخال المدارس كمؤسسات جديدة الى
القاهرة . اذ يكاد يجمع الباحثون على ان المدارس تعتبر من انجع الوسائل
في محاربة التشيع ^(٤) . وعليه فان توسع صلاح الدين في تأسيس
المدارس في مصر لا شك بأنه كان بدافع محو هذا المذهب والقضاء عليه ^(٥) .

-
- (١) عبد الفتاح محمد وهبة ، جغرافية العمران ، الاسكندرية ١٩٧٥ م
ص ٢٦٩ .
- (٢) عبدالرحمن زكي ، الازهر وما حوله من اثار ، القاهرة ص ٦٤ .
- (٣) ص : ١٥٢ - ١٥٣ .
- (٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص ٧٧ ، حسن الباشا
وأخرون ، القاهرة ص ٢٣٠ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية
والوظائف ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ٣ / ١٠٧٥ . عبدالرحمن زكي ،
القاهرة ص ٧١ ، أحمد بدوى ، الحياة العقلية ، ص ٣٠ .
- (٥) احمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة
١٤ / ٢٠١٤ .

ب - رعاية التعليم :

وتشير المصادر التاريخية الى ان عصر صلاح الدين قد شهد بحق ازدهارا علميا رصينا ، وهو ازدهار يعبر عن خطة مدروسة تبناها صلاح الدين بهدف نشر المعرفة بين افراد الشعب^(١) فاصبحت المدارس التي أنشئت في القاهرة حينئذ مراكز لرواية الاحاديث النبوية الشريفة والدراسات الفقهية والادبية^(٢) . كذلك كانت الكتائب التي أمر صلاح الدين بانشائها^(٣) فرصة يتلقى فيها الصبيان آيات القرآن الكريم^(٤) ، وما يرتبط بذلك من علوم شرعية وآداب وحكمة .

ومن الواضح ان هذا الازدهار يؤكدها رغبة الدولة الايوبية محو التشيع والقضاء عليه عن طريق نشر مبادئ الدين الصحيح بالتعليم^(٥) ، علاوة على انه يعبر عن اهتمام صلاح الدين بالعلم والعلماء . فكان مجلسه حافلا بالعلماء (. . . حيث جمع به من اهل العلم والعلماء عنده اشتاتا . . .)^(٦) يتذاكرون فيه اصناف العلوم المختلفة ، وصلاح الدين يحسن الاستماع والمشاركة يدل على ذلك ما حصل عليه من نصيب وافر من العلم نتيجة مخالطته العلماء^(٧) الذين كان يحشهم على الهجرة الى بلاده .^(٨)

-
- (١) بول كازانوف ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٢٨ .
(٢) الفتح البغدادي ، سنا البرق الشامي ، ص ١١٥ .
(٣) ص : ١٤٣ .
(٤) ابن جبير ، الرحلة ص ٢٧ .
(٥) انظر الصفحة السابقة .
(٦) ابوشامة ، الروضتين في اخبار الدولتين ٢ / ٢١١ .
(٧) احمد بدوي ، الحياة العقلية ص ٥ - ٦ .
(٨) احمد بدوي ، م . م ص ٣١ .

ومن الثابت ان صلاح الدين قد شجع على التأليف وأجزل العطاء
على ذلك ، فالشيزى الف كتابه في السياسة الشرعية لصلاح الدين ^(١) ،
كذلك فان ابن شداد وضع كتابا لصلاح الدين في الجهاد ^(٢) في حين ان
الطرسوسي الف له كتابا في صناعة السلاح وكيفية عمله ^(٣) .

ومن المؤكد انه قد اقتدى بصلاح الدين اقرباء الامراء وكبار رجال
الدولة ، فالقاضي الفاضل ^(٤) كان شغوفا بالمعرفة ، حيث يجمع الكتب من
الاصقاع المختلفة وله نسخ لا يفثرون يقومون باستنساخ الكتب ، عسلاوة
على المجلدين والمركبين ^(٥) . ويبدو أن ذلك أدى الى ازدهار المكتبات
الخاصة والعامة ، فالمدرسة الفاضلية ^(٦) كان بمكتبتها مائة الف مجلد ^(٧) .

(١) الشيزى ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، القاهرة ١٣٢٦هـ /

ص ١٣ ، احمد بدوى ، الحياة العقلية ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) احمد بدوى ، م. س. ص ١٦ .

(٣) الطرسوسي ، مرضى بن على (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م) تبصرة

أرباب الالباب في كيفية النجاة من الاسواء ونشراعلام الاعلام في
البدو والالات المعينة على لقاء الاعداء ، تحقيق كلود كاهين ،

بيروت ١٩٤٨م ورد على غلاف الكتاب انه الف لصلاح الدين
الا يوبي .

(٤) عنه انظر ص : ٢١ - ٢٢ .

(٥) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٣٢٥ / ٤ .

(٦) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٨٠ .

(٧) المقرئى ، الخطط ، ٢ / ٢٦٦ .

ولقد ترتب على الاهتمام بالعلم أن أُقيم في القاهرة العديد من المنشآت التي تخدم العلم وتنشره ، فأسست الزوايا في الجوامع . فقد عمر صلاح الدين (. . . بجامع عمرو ابن العاص بمصر زاويتين أحدهما للشافعية والأخرى للمالكية وتعرف الآن بالخشابية . . .)^(١) كما قام صلاح الدين بإنشاء العديد من المدارس^(٢) فاعتبره البعض من أعظم بناء المدارس في الإسلام^(٣) . ولقد اقتدى به في ذلك اقربائه ورجال دولته الذين أسسوا العديد من المدارس في مصر والشام وغيرها من البلاد^(٤) . كما أن صلاح الدين أمر بالاكثار من إنشاء الكتاتيب لتعليم الصبيان قراءة القرآن الكريم .

وقد امتدح ابن جبير مآثر صلاح الدين في هذا الشأن فذكر بأنه (. . . أمر بعمارة محاضر^(٥) الزمها معلمين لكتاب الله تعالى عز وجل يعلمون أبناء الفقراء والايتام خاصة . . .)^(٦)

(١) السخاوى ، تحفة الاحباب ، ص ٤٩ ، وعرفت زاوية الخشابية ايضا بالزاوية الصلاحية كنسبة لصلاح الدين الأيوبي ، انظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣٩/٢ .

(٢) ص : ٤٧٤ - ٤٧٨ .

(٣) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، ١٠٥٦/٣ .

(٤) المقرئى ، الخطط ، ٣٦٣/٢ . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤٤٢ .

(٥) يذكر محقق كتاب الرحلة ان المقصود بالمحاضر هنا هو المدارس الا انه من الملاحظ ان ابن جبير ورد عنده لفظ المدارس في نفس الصفحة مما يفيد به غير المدارس ، ولا شك بأنه المقصود بها الكتاتيب لأنه مخصص للصبيان . ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٠ .

(٦) ن . م . ص .

ويندرج تحت رعاية العلم والعناية به الاهتمام بالعلماء وطلبة العلم ، فصلاح الدين كان يقرب العلماء اليه ويرفع مكانتهم ^(١) هذا بالإضافة الى الاتفاق على المعلمين وطلبة العلم وتوفير اسباب الراحة لهم ، فخصص الرعاية الطبية والغذاء وكل ما يكفل راحتهم ، فيذكر ابن جبير عند حديثه عن الاسكندرية ان من مفاخر هذا السلطان أنه جعل لأهل العلم فيها (. . .) حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك . ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم اطباء يتفقدون احوالهم وتحت ايديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء . وقد رتب ايضا فيه اقوام يرسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرياء خاصة . وينهون الى اطباء احوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم . . .) ^(٢) بل ان الذين يفدون الى هذه البلاد لطلب العلم سيجدون المأوى والمدرسين الذين يعلمونهم الفن الذي يرغبون في تعلمه ^(٣) .

وبطبيعة الحال ، فان مثل هذه الرعاية للعلم تحتاج الى نفقات مالية فكان الاجراء متصل من قبل السلطان صلاح الدين على كل المنشآت التعليمية بمختلف انواعها ، اذ بلغت جملة نفقاتها في المدينة الكبرى فسي

(١) احمد بدوى ، الحياة العقلية ، ص ٥٥ .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ص ١٥ - ١٦ .

(٣) ن . م . س ، ص ١٥ عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير في رحلته ،

ط الاول ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ١٠٥ .

الشهر الواحد الفي دينار^(١)، بل ان بعضها حظي بالاًوقاف الضخمة^(٢) حيث أوقف صلاح الدين على المدارس الأراضى والدكاكين والقياسر^(٣)، علاوة على الانفاق على المعلمين وطلبة العلم، فكانت النفقات تصل الى أهمل العلم والمنقطعين له وللعبادة في القرافة^(٤).

كما كانت صلاته تصل الى المغاربة الذين قدموا من شمال افريقية وبلاد المغرب، وكانوا يسكنون في الجامع الطولوني للعبادة والتعلم، فكانت الارزاق تجرى عليهم كل شهر من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي^(٥).

ولقد كان لرعاية الدولة الأيوبية للتعليم آثار عمرانية هامة . من ابرزها المنشآت التعليمية التي ستكون بطبيعة الحال جزءاً من التكوين المادى للمدينة . هذا بالإضافة الى دورها في التأثير على النشاط العمراني في بعض المناطق اذ ان بعض المناطق التي تقع فيها منشآت تعليمية يزداد محتواها السكاني . فبناء المدرسة الناصرية في القرافة كان من العوامل التي جذبت السكان الى المنطقة المحيطة بها^(٦).

كما اسهمت مؤسسات التعليم في تشجيع الهجرات السكانية الى القاهرة^(٧)، وهو امر اسهم بلا شك في الازدهار العمراني الذى شهدته

- (١) ابن جبير، م.س ص ٢٤ . عبد القدوس الانصارى، م.س ص ١٢٨ .
- (٢) الوقف هو حبس العين وتسجيل ثمرتها او التصديق بها . انظر محمد ابو زهرة، محاضرات في الوقف، القاهرة ط ٢، ص ٣٩ .
- (٣) ص : ٤٨١ .
- (٤) ابن جبير، م.س .
- (٥) ابن جبير، م.س ص ٢٦ . عبد القدوس الانصارى، م.س ص ١٢٩ .
- (٦) ص : ٣٩١ وعن هذه المدرسة انظر ص : ٤٧٨-٤٧٩ .
- (٧) ص : ٥٠٩ .

القاهرة في ذلك الوقت ^(١) . حيث سيحتاج مثل هؤلاء الى مساكن يأوون اليها وغيرها من متطلبات الحياة ذات الصلة بالنواحي العمرانية .

ج - التغيرات الاجتماعية :

شهد عصر السلطان صلاح الدين الايوبي تغيرات اجتماعية هامة . كان لها اثرها المباشر والغير مباشر على الاوضاع العمرانية في القاهرة ——— حينذاك . ان وجه هذا السلطان اهتماما كبيرا تجاه سكان هذه المدينة . فبذل الجهد الكبير نحو رعايتهم والاهتمام بمصالحهم . فعند ان ولي الوزارة في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، وهو يحرص كل الحرص على اظهار الحق ودرء المفسد فساس الرعية احسن سياسة وأظهر لها من العدل ما لم تكن تعلمه او تعرفه من قبل الأمر الذي زاد من حنق الفاطميين عليه ^(٢) . وبعد ان استقل بحكم مصر ورغم الحروب التي كان يخوضها لتوحيد جبهة الاسلام من اجل طرد الصليبيين ^(٣) فانه على الرغم من ذلك لم يكن يتوانى في توجيه الاهتمام نحو رعيته كلما سنحت له الفرصة ، فعندما يكون في مصر في تلك الاثناء فانه يظل مشغولا بأمور الدين والدولة والجلوس للمظالم في دار العدل يومي الاثنين والخميس (. . لتشييد منار الحق وتفريج الكروب واسداء المعروف وكشف المظالم . .) ^(٤) كذلك قام صلاح الدين

(١) ص : ٢٨٢ .

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ .

(٣) في هذا الصدد انظر ص : ١٧٣ - ١٧٩ .

(٤) صاحب حماء محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي

(ت ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م) ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق

حسن حبشي ، القاهرة ص ٥٣ .

بنشر الأمن في ربوع بلاده الأمر الذي اثار اعجاب ابن جبير . فأهل
الاسكندرية كما يذكر يتصرفون في ليلهم كتصرفهم في النهار ^(١) ، بل
كانت بضائع التجار تترك على الطرقات البرية دون أن يمسه احد حتى يأتي
اهلها ليأخذوها ^(٢) . بل ان الناصر صلاح الدين وجه اهتمامه نحو
توفير حياة الترف والرفاه بين رعاياه والداخلين الى هذه البلاد من الأصقاع
المختلفة ، فأهل الاسكندرية كانوا (...) في نهاية الترفيه واتساع الاحوال
لا يلزمهم وظيفة البتة (...) ^(٣) وكان الداخلون الى مصر يجدون ما يكفيهم
من الطعام فكان كل واحد منهم يصرف له خبزا لقوته ليومه ، وهي من السنن
التي يحمد عليها هذا السلطان والتي كانت مقطوعة منذ زمن بعيد على
حد تعبیر ابن جبیر ^(٤) ، فالمصريون في العصر الفاطمي كانوا لا ينالون
سوى الفتات ^(٥) على الرغم مما كان عليه خلفائهم من ترف ورفاه لم تعرفه
مصر الاسلامية في تاريخها ^(٦) . ومن المؤكد ان ذلك الازدهار يعكس الى
حد بعيد الازدهار الاقتصادي في البلاد في عهد السلطان صلاح الدين ^(٧) ،

(١) ابن جبیر ، م.س. ص ١٧ ، عبد القدوس الأنصاري : مع ابن

جبیر ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن جبیر ، م.س. ص ٤٣-٤٤ ، عبد القدوس الأنصاري ، م.س.

ص : ١٤٠ .

(٣) ابن جبیر ، م.س. ص ١٦ .

(٤) ن.م.س. .

(٥) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص ٥٩ .

(٦) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ٤٧ .

(٧) انظر الفصل الرابع من هذا الباب .

علاوة على ما قام به الايوبيون من توجيه النفقات بطريقة تؤدى في نهايتها الأمر الى ان تصل الثروات الى قطاعات كبيرة من رعاياهم. (١)

ومن المؤكد ان هذه التغيرات تعكس نظرة السلطان صلاح الدين تجاه رعاياه ، وهي نظرية تقوم على اساس ان افراد الشعب كلهم سواء لا فروق بينهم (٢) . ومن ابرز الدلائل على ذلك انه اباح سكنى القاهرة للجسمور والعامه . وجعلها مبتذلة لجميع طوائف الناس . بل كانت جميع اجزاء المدينة الكبرى مباحة (٣) بعدما كانت السكنى فيها في العصر الفاطمي مقسمة الى أجزاء طبقية ، فكانت القاهرة الفاطمية للخليفة وحرمة وخواصه من رجال دولته وجنده في حين ان هناك اجزاء اخرى من المدينة الكبرى يقصر سكناها على الشيعة فقط ، وتبقى اجزاء لبقية الرعايا . (٤)

ولم تكن التغيرات في مظاهر الحياة الاجتماعية في عهد الناصر صلاح الدين قاصرة على هذه المظاهر فحسب ، فلقد ازدهرت في مصر في ذلك الوقت الروح الدينية وهي روح اوقدتها الحروب الصليبية (٥) ، فانتشرت الآداب والثقافة التي تزكى هذه المشاعر . (٦)

(١) ص : ٢٤٧ - ٢٧٠ .

(٢) Suzan , Conquest and Fasion, p. 97.

(٣) ص : ٥١٢ .

(٤) ص : ٥١٦ .

(٥) عبداللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص ٦٨ .

محمد سيد الكيلاني ، الحروب الصليبية واثرها على الأدب العربي

في مصر والشام ، القاهرة ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ / ص ٥١ .

(٦) محمد سيد الكيلاني ، ن . م . س .

ومن المؤكد ان السلطان صلاح الدين قد عمل جاهدا على تقوية تلك المشاعر، ومن ابرز الدلائل على ذلك رعايته للتعليم ونشر العلوم الدينية، ولا جرم في ذلك فانه كان ذو نزعة دينية قوية^(١)، علاوة على ان تعزيز الروح الدينية يعتبر من اقصى الضروريات في ذلك الوقت، نظرا لأهمية مثل هذه المشاعر في مقاومة ومجاهدة الخطر الصليبي، فاستخدم التعليم لتحقيق هذا الغرض.^(٢)

والحقيقة ان رعاية الجوانب الدينية في الحياة الاجتماعية لم تكن في عهد الناصر صلاح الدين قاصرة على تنمية هذه الروح بين افراد الشعب المصري فحسب، بل تجاوزت ذلك الى رعاية التصوف^(٣)، فلقد وجه صلاح الدين اهتماما كبيرا تجاه هذه الحركة الدينية فكان يشجع على هجرة المتصوفة الى مصر^(٤) وينفق عليهم. فكانت من مهام الدولة الصلاحية ان تقرر للمتصوفة اموالا خاصة بهم للانفاق عليهم.^(٥)

- (١) ص : ١٣٦ .
- (٢) حسن الباشا، الفنون الاسلامية والوظائف ، ١٠٥٧/٣ .
- امينة بيطار، التعليم في الشام في العصر الايوبي ، بحث منشور في مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد (٧٠) ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ٥٨ .
- (٣) اختلف في أصل هذه التسمية ، ف قيل ان اسمها جاء من الصفة ، وهو الموضع الذي بنى لايوا جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي الشريف وقيل انها جاءت من الصفاء اي صفاء الروح والسريرة ، وقيل من الصف اي التقدم في الصفوف بين يدي الله . وقيل ان اسمها جاء من لباس الصوف . للمزيد انظر احمد بن محمد بناني ، موقف الامام ابن تيمية من التصوف والصوفية مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ص ٦٧-٧٠ .
- (٤) ص : ٥٠٩ - ٥١٠ .
- (٥) حسنين ربيع ، النظم العالية في مصر ، ص ٧٨ .

ومن المؤكد ان السبب في توجيه هذه الرعاية هو اعتقاد بعض حكام المسلمين حينئذ بأن في دعوات هؤلاء يكمن النصر على اعدائهم من الصليبيين .

فعلى ذلك كان اعتقاد الملك العادل نور الدين زنكي^(١) الذي كان يعتبر أن من اهم العوامل المؤدية الى النصر دعوات هؤلاء الزهاد.^(٢)

ومن المرجح ان صلاح الدين اراد بتشجيعه للتصوف ان يستوعب التغلغل الشيعي داخل الحركات الصوفية التي كانت تنتشر بين طوائف الصناعات، وبالتالي يمكن تحويل هذا التصوف نحو المذهب السني^(٤) ، ضماناً لتأمين جبهة المسلمين الداخلية ضد الخطر الصليبي ، خاصة وان فترة الحروب الصليبية قد شهدت ازدهاراً في حركات التصوف الذي وجد فيه الكثير من المسلمين الملجأ للهروب النفسي من واجب الجهاد المقدس.^(٥)

- (١) عنه انظر ص : ٣٧ هامش (٤) .
- (٢) شاكر احمد ابوبدر ، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ، بيروت ص ١٨٢ .
- (٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، بحث منشور في مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ١٤٠ ، مورييس لومبارد ، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي ص ٢٠٧ .
- (٤) مورييس لومبارد ، م.م.س ، ص ٢٠٩ .
- (٥) محمد سيد الكيلاني ، الحروب الصليبية ص ٤٤ - ٤٥ .

وعلى كل فان هذا المظهر الاجتماعي قد ترتب عنه ان اصبح
التصوف مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر في ذلك الوقت (١).

فكان سكان القاهرة يعتبرون خروج المتصوفة لصلاة الجمعة من خفكاه
سعيد السعداء (٢) التي بناها صلاح الدين للمتصوفة ، من الفرج التي
يحرصون على مشاهدتها (٣).

ولقد شمل التغير الاجتماعي في عصر صلاح الدين الكثير من
العادات والتقاليد التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، حيث صبح هذا
الجانب من الحياة الاجتماعية بصيغة جديدة تتفق مع التحول الى المذهب
السني في القاهرة (٤) ، فاختفت الكثير من العواكب والاحتفالات التي كانت
سائدة في مصر زمن الفاطميين (٥) فلقد كانت اعياد الفاطميين متعددة ،
وبلغت من الكثرة حتى ليخيل الى الباحث ان ايامهم في

- (١) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمعاليك ص ١١٧
اسمت غنيم ، الدولة الايوبية والصليبيون ، الاسكندرية ١٩٨٥ م
ص ١٣٥ ، عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ص ٩٥ .
(٢) عن هذه الخانكاه انظر ص : ٤٨٢ - ٤٨٣ .
(٣) المقریزی ، الخطط ، ٤١٥ / ٢ ، حسن بن ربيع ، النظم المالية في مصر
ص ٧٤ ، السيد الباز العريني ، مصر في عهد الايوبيين ، القاهرة
ص ٢١٧ - ٢١٨ ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، ن . م . س ،
اسمت غنيم ، ن . م . س .
(٤) شحاته ابراهيم ، القاهرة ص ١١١ .
(٥) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص ٥٩ .

مصر كانت كلها اعيادا (١).

ومن الواضح انهم قصدوا بذلك ابراز سلطانهم وقوتهم امام رعاياهم امعانا في تثبيت هذا السلطان وتأكيد وجوده (٢).

وبالغاء الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧٨م، والتحول الى المذهب السني ادى الى اختفاء العديد من الاحتفالات التي كانت سائدة في العصر الفاطمي كما سبق بيانه، حيث اختفت معظم الاحتفالات الشيعية (٣) التي كانت موجودة عند الفاطميين (٤) وما يرتبط بها من بدع لا اصل لها في الدين الاسلامي.

(١) الامين عوض الله، الحياة الاجتماعية ص ٢٤، وكان عدد هذه الاعياد يتراوح ما بين خمسة وعشرون وثمانية وعشرون عيداً، عبد اللطيف حمزة، م.م.س ص ٥٧.

(٢) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم، ٤٣-٤٢/٢، عبد اللطيف حمزة، ن.م.م.س.

(٣) كان للفاطميين عدد من الاعياد الشيعية من اهمها الموالد مثل مولد النبي صلى الله عليه وسلم . ومولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومولد ابنه الحسن والحسين . ومولد الخليفة الحاضر . الخ .

الامين عوض الله، الحياة الاجتماعية ص ٢٤. وعن الاحتفالات بهذه الاعياد انظر المقرئى، الخطط، ٤٦٠-٤٩٢/١، والقلقشندي، صبح الاعشى، ٤٩٤/٣، ٥٥٥. ومحمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٦٣-١٦٩. (٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، ص ١٣٣، واسم غنيم، الدولة الايوبية والصليبيون، ص ١٤٠.

في حين ان ما بقي منها جرى تحويله على عادات اهل السنة في ذلك الوقت ،
 فيوم عاشوراء^(١) الذي اتخذه الفاطميون يوم حزن^(٢) ، جعله الايوبيون
 يوم فرح وسرور يدخلون فيه الحمامات ، ويوسعون فيه على اهلهم وعيالهم
 على عادة اهل الشام^(٣) .

كما اختفي في عهد صلاح الدين الاحتفال الرسمي بمواسم النصارى
 واعيادهم^(٤) ، حيث كان الفاطميون يشاركون النصارى اعيادهم ، ضمن
 سياستهم التي اتبعوها في مصر والقائمة على محابة اهل الذمة^(٥) . ففي عصر
 صلاح الدين الايوبي اختفت هذه المشاركة الرسمية من قبل الدولة كما يشير

(١) هذا اليوم معظم عند المسلمين وهو اليوم العاشر من المحرم ولقد
 اوصى عليه الصلاة والسلام على صيامه وصيام يوم قبله أو بعده .
 انظر سيد سابق ، فقه السنة ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ / ج ١ ص ٣٨١ -
 ٣٨٢ .

(٢) جعله الفاطميون يوم حزن لأنه وافق فيه مقتل الحسين بن علي
 رضي الله عنه سنة ٦١ هـ . الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ،
 ص ٢٦٠ . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ج ٢ ص ١٢٨ .

(٣) المقرئ ، الخطط ، ١ / ٤٩٠ ، عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية
 في مصر ، ص ٥٩ ، سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٣ ،
 است غنيم ، الدولة الايوبية ، ص ١٤٠ .

(٤) كان للاقباط في مصر عدد كبير من الاعياد من اهمها النورز القبطي
 وعيد الميلاد والنسطاس والفصح وغيرها من الاعياد ، انظر المقرئ
 ، م . س ، ١ / ٣٦٤ - ٣٦٩ . عبد المنعم ماجد ، م . س ، ٢ / ١٣١ -
 ١٣٦ .

(٥) عبد المنعم ماجد ، م . س ، ٢ / ١٣١ - ١٣٢ .

الى ذلك ابن اياس عند حديثه عن عيد خميس العدس^(١) ففي العصر الفاطمي كانوا يضربون في هذا العيد (. . . خرايب من ذهب ويفرقونها على ارباب الدولة برسم التبرك بها . . . فبطل ذلك في دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب)^(٢) الا ان عدم المشاركة الرسمية من قبل بني ايوب لهذه الاحتفالات لا يعني اختفائها من الحياة الاجتماعية في مصر . ان اهلها ظلوا يحتفلون بها . وربما شاركهم فيها في ذلك الوقت بعض المسلمين كما يشير الى ذلك القاضي الفاضل عند حديثه عن النوروز القبطي .^(٣) (٤)

-
- (١) سمي خميس العدس لأن النصارى يطبخون به العدس المصفى ويزعم النصارى بأن عيسى عليه السلام امر تلاميذه بأن يطبخوا انايا بالماء ويزمزموا عليه ثم يمسحون ارجلهم في مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع ، المقریزی ، الخطط ، ١٦٦/١ .
- (٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢١٣ .
- (٣) نقلا عن المقریزی ، م . س . ١٠٠ ، ٢٦٩/١ .
- (٤) النوروز القبطي ، هو اول السنة القبطية وهو من مواسم اللهو عند اقباط مصر ، عنه انظر المقریزی ، م . س . ١٠٠ ، ٢٦٧/١ - ٢٦٩ .
- عيد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ١٣٢/٢ - ١٣٣ . وهو من مواسم الفرص التي اتخذوها لاعياد العام الجديد ، على ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ، القاهرة ص ٥٢٧ وكان العامة بمصر ينتخبون في النوروز رجلا يسمونه امير النوروز يطلو وجهه بالدقيق او بالحبر ويلبس ثوبا احمر او اصفر ، ويسير مخترقا الشوارع على حمار ، ومعه جمع كبير من الناس يتسلطون على العارة ويطلبون منهم رسم رتبة ومن لا يدفع يرش بالماء المزوج بالاقدار . آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابوريده بيروت ، ط ١ سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ٢/٢٩٣ . الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ٣٥ .

ومن التقاليد الاجتماعية التي اختفت في عهد صلاح الدين عادات التنزه التي كانت عند الخلفاء الفاطميين الذين كان ميلهم لحياة الترف والرفاه سببا في ان يقيموا العديد من المنشآت الخاصة بنزههم مثل تلك التي كانت في جزيرة الروضة والقرافة^(١) ، علاوة على البساتين الجيوشية^(٢) ، وهي منشآت كان من عادة الخلفاء الفاطميين الخروج اليها في كل يوم سبت وثلاثاء^(٣) . فمن المؤكد ان مثل هذه التقاليد اختفت في عهد صلاح الدين الذي عرف عنه الميل للزهد والبعد عن الترف^(٤) ، لذلك لم يوسّع شرعنه سوى الخروج الى بركة الجب^(٥) للصيد

-
- (١) المقرئى ، الخطط ، ١/٤٦٥ .
- (٢) المقرئى ، م.س ، ١/٤٨٧ ، والبساتين الجيوشية بستانان كبيران احدهما يمتد من خارج باب الفتوح حتى المطرية والاخر من خارج باب القنطرة حتى الخندق وسميت بذلك نسبة لأمير الجيوش بدرالجمالي لأنها من جملة حبسه على ذريته ، م.س. ويذكر علي باشا مبارك بأنه يدل في عصره على موضع هذان البستانان الاراضي التي في المزارع والبساتين المعتدة من المنطقة الواقعة من امام بوابة الحسينية الى الدرداش ، والمطرية وصولا الى الخليج القاهري . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ٢/٦٧ .
- (٣) المقرئى ، م.س ، ١/٤٩٥ .
- (٤) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٢-١٣٣ هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ترجمة يوسف ايبش ، بيروت ص ١٩٩ .
- (٥) بركة الجب اوجب عميرة بركة تقع شمالي القاهرة على مسيرة ست ساعات منها وعرفت في العصر المملوكي ببركة الحاج لنزول قوافل الحجاج عندها . انظر عنها ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ليدن ، ص ١٤٩ ، وهشام عجمي ، قلاع الازم والوجه وضبعها دراسة معمارية حضارية رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ ، ص ١٥٠ .

ولعب الاكره^{(١)(٢)}، ولا تذكر المصادر انه قد كان له منشآت خاصة بنزهته
كتلك التي عند الفاطميين .

ولقد كان للتغير الاجتماعي في عصر صلاح الدين دور هام
في سيادة بعض المظاهر الاجتماعية الجديدة ، فنتيجة للحروب الصليبية
ظهرت في ذلك الوقت الاحتفالات الخاصة بالانتصارات الحربية^(٣) ،
فكانت المدينة الكبرى تزين عندما تنتصر الدولة الصلاحية على احد خصومها ،
ففي سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م عندما تمكن صلاح الدين من ضم ميفارقين^(٤)
الى حكمه زينت بهذه المناسبة مصر والقاهرة .^(٥)

- (١) المقرئى ، خطط ، ١٦٤/٢ مؤلف مجهول ، تاريخ مصر
القاهرة ، ورقة : ١٩٧ .
- (٢) الاكرة : عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة مرنة اشبه بالفلين
ونحوه وتلقى في الميدان فيتسابق الفرسان الى التقاطها بعضا
معقوفة تعرف بالصولجان او الجوكان .
- جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، بيروت ٦٩٨/٢ .
- (٣) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ص ٦٠ .
- (٤) من أشهر مدن ديار بكر ، وقيل هي قاعدتها ، وتقع بين الجزيرة
وأرمينية عنها انظر : الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)
فتوح الشام ، بيروت ٩٥/٢ . ابن شداد : عز الدين محمد بن
على (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء
الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى عبادة ، دمشق ١٩٧٨ م
- ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ . أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد
ابن عمر ، تقويم البلدان ، تحقيق دينور والبارون ما كوكين دى
سلان ، باريس ١٨٤٠ م ص ٢٧٨ .
- (٥) صاحب حماء ، مضمار الحقائق ، ص ٢٢٢ .

كذلك سادت في ذلك الوقت عادة لعب الاكورة ، فصلاح الدين كان من عاداته الخروج الى " بركة الجب " للصيد ولعب الاكورة هناك كما سبق بيانه ، وهذه العادة ربما اكتسبها صلاح الدين من سيده الملك المعادل نور الدين زنكي الذى كان مغرماً بما رسة هذه اللعبة ، والتي يذكر ان من اسباب غرامه بها هو روح الفروسية التي تتميز بها هذه اللعبة ، والتي كانت مفيدة للخيال في المعارك ، فمن هذه اللعبة تتعود الخيل (. . . سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب . . .) (١)

ونتيجة للحروب الصليبية تزايد الاهتمام بسير السلف واخبارهم ، علاوة على ظهور العناية بالشعر خاصة الحماسي منه (٢) ، لذا فمن المؤكد انه قد ساد في ذلك الوقت ظاهرة عقد الحلق لقراءة الاخبار والسير وانشاد الاشعار في الأسواق كما يشير الى ذلك المقرئ عند حديثه عن سوق بين القصرين (٣) الذي يعود تاريخ ظهوره الى عصر صلاح الدين . (٤)

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص ٢٦٦ .

(٢) محمد سيد الكيلاني ، الحروب الصليبية واثرها في الادب العربي ص ٥١ ، ٣٠٠ .

(٣) المقرئ ، الخطط ، ٢٨/٢ . الخاصكي : آق بغا (دوادار السلطان قانصوه الغوري) ، التحفة الناضرة بذكر رسوم خطوط القاهرة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ، ومنه نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم (١٤٢٧ ت) لوحة : ٣٦ .

(٤) ص : ٤٢٨ .

ومن العادات الاجتماعية التي سادت في القاهرة في ذلك الوقت ،
عادة شراء الأطعمة المطبوخة من الاسواق ، وهذه العادة يبدو انها
ظهرت في عصر صلاح الدين نتيجة تحول الاماء الطباخات اللواتي كن في
القصور الفاطمية الى العمل في اسواق الطعام ^(١) ، بعد ان اخلى صلاح
الدين القصور من ساكنيها و تخلص من محتوياتها ، واطلق ما فيها من اماء
بالبيع والهبة والعق ^(٢) .

ونظرا لما كان يتمتع به الاماء من مهارة في الطبخ ، ولهن فيه
صناعة عجيبة ^(٣) فمن المؤكد ان ذلك ادى الى اقبال الناس على شراء
ما يعملنه من اطعمة ، فأصبح سكان القاهرة لا يأكلون الا من الأسواق ، وذلك
على اختلاف درجاتهم ^(٤) ، بل ان الوزراء انفسهم كانوا يمارسون هذه
العادة ، فكانت تشتري لهم الاطعمة المطبوخة من الاسواق ^(٥) .

كما دخلت الى القاهرة في عصر صلاح الدين عادات جديدة في
مجال الزي ، فاصبح الجنود في العصر الايوبي يلبسون الاقيصة

- (١) ابن سعيد الاندلسي ، علي بن موسى بن حمد بن عبد الملك
(ت اواخر ق ٧ هـ / ١٣ م) ، النجوم الزاهرة في حلل حضرة القاهرة
(القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلل المغرب) ، تحقيق
حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٢٩ .
- (٢) المقرئ ، الخطط ، ١ / ٤٩٦ .
- (٣) ابن سعيد الاندلسي ، ن م س ،
- (٤) العبدري ، الرحلة المغربية ، ص : ١٢٨ .
- (٥) مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ٣٣ .

التتارية (١) والكوتات (٢) الصفراء التي توضع على الرأس بدون عمامة ،
 إضافة الى المنطقة (٣) في وسط الجسم ، وذكر القلقشمدى ذلك بقوله :
 ... فأما ما به تغطية رؤوسهم فقد تقدم انهم كانوا في الدولة الايوبية
 يلبسون كلوتات صفر بغير عمام ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها
 خلفهم ... اما ثياب ابدانهم فيلبسون الاقبية التتارية والتكلاوات فوقها
 ثم القباء الاسلامي (٤) فوق ذلك يشد عليه السيف من جهة اليسار

-
- (١) القباء من الملابس الخارجية ، وهو عبارة عن رداء يقفل من الامام بأزرار
 واكام ، سناء بلال ، الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ، ط ١
 ١٩٨٢ م ص ٣٩ ، والقباء التتارى من اصل اجنبي سمي بذلك لأنه
 بدلا من عمل الشقة المستقيمة العادية للأقمصة التي كانت تستخدم
 في العصر الفاطمي فانه جعل لها كمران تلف الصدر من اليسار الى
 اليمين . وكان القباء يصنع عادة من الصوف والاطلس الحرير أو القطن
 البعلبكي ، وألوانه هي : الابيض يزين أحيانا بالازرق والاحمر .
 ل . ا . ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي مراجعة
 وتقديم عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ص ٤٠-٤١ .
- (٢) الكلوتة : هي غطاء للرأس ، وهي اخف من الشربوش ، وكانت في
 بادىء الامر صغيرة الحجم تصنع من الصوف الملطي يحيط بحافتها
 شريط عريض مزخرف . ل . فاير ، م . س ص ٥١ ، ٥٢ .
- (٣) المنطقة : وتعرف ايضا بالحياصة ، وهو حزام يلبسه العسكريون ، يصنع
 من معدن ثمين - الذهب أو الفضة - ل . ماير ، م . س ص ٤٧ - ٤٨ ،
 السيد البطز العريني ، الممالك ، بيروت ص ٢٢٤ . سناء بلال ،
 م . س ، ص ٥٩ .
- (٤) يذكر ماير بأن هذا القباء لا يختلف عن الاقبية التتارية على عكس ما ظنه
 كاشمير ودوزى اللذان يريا ان هذا الرداء له طريقة عربية مميزة
 في التفصيل ، ل . ماير ، م . س ص ٤٢ .

والصولق (١) والكرلك (٢) من جهة اليمين (٣) وهذا النوع من الزى ورثه بنو ايوب عن زنكيوا الموصل (٤).

ولقد ترتب عن هذه التغيرات الاجتماعية العديد من المظاهر العمرانية اهمها ما يلاحظ بشكل عام على أن الحياة الاجتماعية في القاهرة بدأت تزخر بالنشاط والحيوية (٥) نتيجة الأمن والاستقرار الذي يعد ضروريا لأي نمو حضارى وعمراني (٦). وهذه الظاهرة لا بد وأنها أثرت في ازدهار النشاط العمراني الذي شهدته القاهرة في عهد صلاح الدين (٧)، علاوة على أن المستوى الحضارى لانسان القاهرة قد تزايدت درجته وارتفع مقداره (٨)

-
- (١) الصولق : جيوب من الجلد البلغارى كبيرة الحجم يسع الواحد منها اكثر من نصف ويبه غلة يفرز فيها منديل طوله ثلاثة اذرع ، وتكون الصولق ضمن الكرمان اللذان يلبسهما الجندى فوق القباء .
المقريزى ، الخطط ، ٩٨/٢ ، ل . ماير ، م . م . س ، ص ٥٠ - ٥١ .
- (٢) الكرك : وهي عادة تطلق في اقليم مصر على السكين الصغيرة ولم يرد لها أى تعريف فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع .
- (٣) القلقشندى ، صبح الاعشى ٣٩/٤ - ٤٠ .
- (٤) القلقشندى ، م . م . س ، ٦ - ٥ / ٤ .
- (٥) حسن الباشا ، القاهرة ص ٢٩١ . شحاته ابراهيم ، القاهرة ، ص ١١١ .
- (٦) Suzan Jane , Conquest and Fasion, P. 95.
- (٧) ص : ٢٨٢ .
- (٨) حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، ص ٢٩١ . سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٤ .

يشير الى ذلك ما يذكره عبداللطيف البغدادي عن حمامات هذه المدينة عند زيارته لها في تلك الفترة ، حيث يقول (. . .) واما حماماتهم فلم اشاهد في البلاد اتقن منها وصفا ولا اتم حكمة واحسن منظرا ومخبرا . . .)^(١) فكان يستخدم في بنائها الرخام بجماه والوانه المختلفة ، بل انه يشير ايضا الى مدى الاهتمام في بناء العمار والاهتمام باساساتها ومرافقها المختلفة^(٢) ، الامر الذي يوءد على ان هذه الامور كانت من المظاهر التي تميزت بها القاهرة في ذلك الوقت والذي لفت انتباه هذا الرحال .

ولقد كان لاختفاء بعض المناسبات الفاطمية دورا عمرانيا ايضا ان اختفاء هذه المظاهر الاجتماعية كان له دور كبير في تغير الوظيفة العمرانية لبعض المساحات الخالية من البناء في القاهرة الفاطمية ، فلقد ربط الفاطميون العديد من المناسبات التي كانت في عصرهم برسوم ونظم^(٣) كان الفرض منها اظهار حكمهم بنوع من القوة والفخامة والاجلال ، وذلك لكسب ولاء رعاياهم ، بالاضافة الى منافسة الخلافة العباسية ومحاولة التفوق عليها في هذا المجال^(٤) .

(١) عبد اللطيف البغدادي ، ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ابن علي عاش في القرن ٦ هـ / ١٢ م . وعاصر عهد الناصر صلاح الدين ، الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، المجلة الجديدة ص ٥٣ ، زكي حسن ، الاعمال الكاملة ، ١١٦/٨ .

(٢) ن . م . ص .

(٣) عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٣٩/٢ .

(٤) سناء بلال ، الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ، ص ٣٤ .

لذلك كان في بعض الاعياد الفاطمية ما يطلق عليه بـ (المواكب) (١) حيث كانت تصطف الحاشية والجنود يتقدمهم الخليفة في ترتيب معين ليسيروا وفق مراسيم محددة موضوعة مسبقا (٢) وتطالعهم الناس بشغف وشوق أثناء سير هذه المواكب في الشوارع (٣) . ومن المؤكد ان هذه المواكب كانت تقتضي أن تكون شوارع المدينة الرئيسية التي تسير فيها واسعة . ان ان المشتركين فيها عادة ما يكونون بعشرات الالاف كما يشير الى ذلك ناصر خسرو أثناء حديثه عن موكب فتح الخليج (٤) (٥) ، وان كان هذا العدد تراجع

-
- (١) وتعرف ايضا " بالمواسم " و " بالركوب " وكلها تدل على خروج الخليفة ورجال الدولة والجيش في موكب رسمي يلبسوا فيه الملا بس الفاخرة مصطحبين الالات الملوكية ، وذلك في ايام محددة — السنة ، وهي على نوعين : المواكب الكبيرة والتي تعرف (بالمواكب العظام) ، والمواكب الصغيرة وتعرف (بالمختصرة) . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٤٦-٤٥/٢ .
- (٢) عبد المنعم ماجد ، م.س ، ٤٦/٢ .
- (٣) عبد المنعم ماجد ، م.س ، ٩١/٢ .
- (٤) بلغ عدده حسيما يذكر ناصر خسرو اكثر من (٢٠٠) الف وان يبدو على هذا الرقم المبالغة ، انظر ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٩٤ .
- عبد المنعم ماجد ، م.س ، ٤٨/٢ .
- (٥) يعتبر فتح الخليج من المناسبات الرئيسية للنزهة بالنسبة لسكان المدينة . ابن دقماق ، الانتصار ، ق ١ ، ص ١١٥ ، لذلك كان الفاطميون يحتفلون به احتفالا زائدا ، وكان لهم منظرية تعرف (بالسكرة) تشرف على السد الذي يفتح في وقت فيضان النهر ليدخل الماء الى خليج القاهرة ، وكان الفاطميون يسرون في موكب خاص بذلك وله زيه خاصة . القلقشندی ، صبح الاعشى ، ٥١٤/٣ - ٥١٧ . عبد المنعم ماجد ، م.س ، ١٠٧-١٠٩/٢ . الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٣٣-٣٤ .

كثيرا في اواخر العصر الفاطمي عما كان عليه . فابن الطوير عند حديثه عن
موكب أول العام ^(١) يذكر بأن عدد الذين يشتركون في هذا الموكب (. .
تزيد على اربعة الاف في الوقت الحاضر وهم اضعاف ذلك) ^(٢) ، وترتيب
هذه المواكب يتطلب ايضا شوارع واسعة ، فحرس الخليفة الخاص والذين كان
عددهم يصل الى الف فرد كانوا يحيطون بالخليفة كالجناحين المتديين
عن يمينه وشماله ^(٣) ، علاوة على تلك المساحات التي يحتاجها المتفرجون
من عامة الشعب والذين كانوا يصطفون في الشوارع ايضا للتفرج على مثل
هذه المواكب . كما استغلت رسوم هذه المناسبات بعض الرحاب والبيادين ،
ففي موسم اول العام كان يجتمع في ميدان بين القصرين ^(٤) في صبيحة
يوم الاحتفال من القاهرة والفسطاط من ارباب الرتب من حملة الاقلام والسيوف
انتظار الخروج الخليفة ^(٥) ، كما يحتفل في هذا الميدان بالموالد :

-
- (١) كان الفاطميون يحتفلون ببداية العام الهجري حيث يكون لهم موكب
يجتمع فيه رجال الدولة من ارباب السيف والقلم . المقریزی ، الخطط
٤٤٥ / ١ - ٤٥٠ ، القلقشندي ، م . س ، ٤٤٩ / ٣ - ٥٠٥ . عبد
المنعم ماجد ، م . س ، ٤٤٩ / ٢ - ٥٠٥ .
- (٢) المقریزی ، م . س ، ٤٥٠ / ١ .
- (٣) المقریزی ، م . س ، ٤٤٩ / ١ . صبح الاعشى ، ٥٠٣ / ٣ .
عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٨٩ / ٢ .
- (٤) عن هذا الميدان انظر ص : ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (٥) المقریزی ، م . س ، ٤٤٨ / ١ .

كمولد النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، والاحتفال بليالي الوفود الأربع^(٢)،
 في حين ان الميدان الذي يعرف بالمنحر^(٣) كان مخصصا لكي تتم فيه مراسيم
 النحر التي كان يقوم فيها الخليفة في المناسبات الخاصة بذلك كالنحر في
 عيد الغدير^(٤) وعيد الأضحى^(٥) في حين ان رحبة العيد^(٦) كان يصطف
 فيها الجنود انتظارا لخروج الخليفة لصلاة العيدين^(٧).

(١) المقرئى ، م.س ، ١/٤٣٣ . والاحتفال بالموالد للنبي عليه الصلاة
 والسلام او غيره من الصالحين من الامور التي لا اصل لها في الاسلام
 وهي ليست من منهج السلف وهي من المناسبات التي ابتدعها
 الخلفاء الفاطميون في مصر . انظر ابن محفوظ ، الابداع في مضار الابتداع
 ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) وهذه الليالي هي اول ليلة من رجب وليلة النصف منه وأول ليلة من
 شعبان والنصف منه ولا يكون فيها موكب للخليفة وانما لقاضي القضاة
 الذي يذهب الى ميدان بين القصرين ويطل الخليفة من منظر تطل على
 الميدان ثم تقام الخطبة . انظر القلقشندي ، م.س ، ٣/٤٩٧ - ٤٩٨ .
 الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) عن موقع المنحر انظر ص : ٣٦٦ .

(٤) وهذا العيد من بدع الشيعة واصله يقوم على اساس ان الرسول صلى الله
 عليه وسلم قال في غدیر خم (. . . من كنت مولاه فعلى مولاه . . .) فاعتبر
 الشيعة ذلك دليلا على احقية علي رضي الله عنه بالخلافة بعد الرسول
 صلى الله عليه وسلم ، المقرئى ، الخطط ، ١/٣٨٨ .

(٥) المقرئى ، م.س ، ١/٤٣٦ .

(٦) عن موقع الرحبة انظر ص : ٣٦٧ .

(٧) الخاصكي ، التحفة الفاخرة / لوحة ٦٣ . مؤلف مجهول ،

تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ٥٥ .

وكما سبق ان اشرنا فان غالبية المناسبات الفاطمية قد اختفت في عهد صلاح الدين باستثناء بعضها ذات المردود الاقتصادي ، حيث شارك صلاح الدين في الاحتفال بتخليق المقياس^(١) وفتح الخليج . فقد قام بالمشاركة بهذه المناسبة في عام^(٢) ٥٧٧ هـ وفي فتح خليج ابي المنجا^(٣) الذي حافظ الايوبيون على الاحتفال بفتحه كما كان عليه الحال في العصر الفاطمي^(٤) ، فان هذه المواقب على الرغم من بقائها لم تظل على ما كانت عليه في العصر الفاطمي من فخامة وضخامة ، ان تراجع مستواها عما كانت عليه كثيرا^(٥) ، ان الدولة الصلاحية لم يكن لديها الاستعداد للانفـاق على مثل هذه المظاهر العرفية التي لا يجنى من ورائها طائلا ، خاصة وانها كانت تحمل لواء مجاهدة الصليبيين في الشام ، الأمر الذي يتطلب

(١) المقياس منشأة يحدد بها مقدار وفاء النيل ومبلغ الزيادة ، ولذلك فانه يتخذ من مصر مناسبة يعبر فيها عن الفرح والسرور . وكان للفاطميين في ذلك رسوم واحتفالات . ويدهن المقياس في ذلك اليوم بالزعفران والعسك . انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١٢/٢٠ - ٥١٤ ، ٤٧/٤٠ .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٣ .

(٣) هذا الخليج من خلجان الشرقية من اعمال الديار المصرية امر بفتحه الوزير الفاطمي الافضل بن امير الجيوش الا انه نسب الى المشرف عليه وهو رجل يهودى يدعى بأبى المنجا ، المقرئى ، الخطط ، ٤٨٧/١ .

(٤) المقرئى ، م . س ١٠ ، ٤٨٨/١٠ .

(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٣ ، حسن ربيع ، النظم المالية

في مصر ، ص ٦٠ .

توجيه الاموال تجاه هذه الجهود ^(١)، لذا فان اختفاء مثل هذه التقاليد وتراجع مستوى ما بقي منها قد أثر بدون شك على الوظيفة العمرانية للأماكن التي كانت تشغلها من شوارع فسيحة ورحاب وميادين، ولذلك فقد جرى استغلال مثل هذه الأماكن ليبنى عليها المنشآت والدور ^(٢)، حيث لم يعد لوجودها خالية من البناء أى حاجة.

ولقد كان لتغيير عادات النزهة ايضا دور في أن تستغل المنشآت التي خصصها الفاطميون لنزهتهم لأغراض أخرى فجرى تحويل العديد منها إلى مواضع للسكنى ^(٣).

ومن الموءكد ان ظهور عادة شراء الأطعمة من الاسواق وتغيير الزى قد اثرت على اسواق المدينة حيث ازدهرت اوضاع هذه الاسواق بظهور اسواق جديدة واتساع الاسواق القديمة ^(٤) وكان لانتشار لعبة الأكره دورا في ظهور ميادين جديدة خارج أسوار القاهرة ^(٥).

ولقد كان للتغيير الاجتماعي دور في اضافة منشآت جديدة إلى المدينة، فرعاية التصوف ادى إلى بناء الخانقاوات ^(٦) للمتصوفة، وهي منشآت تدخل إلى المدينة لأول مرة ^(٧). في حين تزايدت عمارة الربطة ^(٨) للمتصوفة حيث اخذت في الانتشار في اجزاء المدينة المختلفة بعدما كانت قاصرة في وجودها على القرافة ^(٩).

(١) عبد اللطيف حمزة، م.م.س، ص ٥٩٠.

(٢) ص : ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٣) ص : ٣٤٩ - ٣٥١.

(٤) ص ٤٢٤.

(٥) ص : ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٦) عن الخانكاه انظر ص : ٤٨٢ هامش (٦).

(٧) ص : ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٨) عن الرباط انظر ص : ٤٩٦ هامش (٩).

(٩) ص : ٤٩٦.

الفصل الثالث

العودة السياسية والعسكرية

نظرا لكون العوامل السياسية والعسكرية تعتبر من العوامل التي لها دور رئيسي في نشأة المدن وتطورها ^(١)، فلقد كانت لهذه العوامل أيضا تأثيرا كبيرا على التطور العمراني للقاهرة في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، ففي هذه الفترة أخذ دور هذه المدينة في المجالين السياسي والعسكري يبرز بشكل كبير، مما أدى إلى تطور في بعض نواحيها العمرانية، كنوع من التكيف مع وظيفتها السياسية والعسكرية المستجدة.

ومن أبرز مظاهر التأثير السياسي والعسكري على القاهرة حينئذ يمكن ملاحظته في ثلاث جوانب رئيسية هي :

أ - أهمية القاهرة سياسيا :

إن الأهمية السياسية لأي مدينة ترتبط بعدد من العناصر التي تظهر من خلالها وتعمل على ترسيخ الدور الذي تقوم به هذه المدينة كوظيفة وبالتالي كقيمة موضوعية . ومن أبرز هذه العناصر وأشدها تأثيرا الناحية الجغرافية ، فالموقع أحد أهم العناصر التي تكسب المدينة صفة من الصفات ، سواء سياسية أو عسكرية أو تجارية ... الخ ^(٢) . لذلك فإن دراسة موقع القاهرة والبعد الجغرافي لها ، يعد من الأمور الضرورية لاكتشاف أهمية هذه المدينة .

(١) ص : ٥٩ - ٦٣ .

(٢) جمال حمدان ، جغرافية المدن ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

والحقيقة فان أهمية القاهرة جغرافيا لا تكمن فيما يمتلكه موقعها من أهمية أو خصائص معينة ^(١) ، فهذه السمات الجغرافية - لموقع القاهرة - لا يوجد لها أى بعد جغرافي يمكن الاستفادة منه هنا . بيد أن ذلك لا ينفي عن القاهرة أى سمات جغرافية ذات دلالات مفيدة للناحية السياسية . ونظرا لكون القاهرة عاصمة للاقليم المصرى فقد اكسبها صفة سياسية مهمة نبعت من موقع مصر الجغرافي .

فمصر تقع على الطرف الشمالي الشرقي من القارة الافريقية ، وتتصل في الوقت نفسه مع الطرف الجنوبي لاسيا لتكون جزءا من المنطقة التي يتداخل فيها الماء واليابس بشكل كبير ^(٢) ، حيث يوجد البحر المتوسط ، والبحر الأحمر ، وخليج السويس ، والخليج العربي ، ولقد تميزت هذه المنطقة على الدوام بأنها أهم مركز لحركة التجارة العالمية منذ أقدم العصور ^(٣) . الأمر الذى جعل مصر مهياة للاتصال ببقية مناطق العالم القديم ^(٤) .

ولقد أكسب هذا الموقع مصر أهمية سياسية كبرى اذ يعتبر بعض المختصين بدراسة الجغرافيا السياسية أن مصر هي المركز الاساسي في

(١) سبق الاشارة الى اهمية موقع الفسطاط التجارى والعسكرى ،

انظر ص ٦٢-٦٣ .

(٢) جمال حمدان ، شخصية مصر ، ٦٩١/٢ .

(٣) انظر فيما يذكره نقولا زيادة عن طرق التجارة في العصور الوسطى التي

كانت تتركز حينئذ في هذه المنطقة أو على أطرافها . نقولا زيادة ،

الطرق التجارية في العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ،

العددان ٥٩ - ٦٠ ، ١٤٠٤/١٩٨٣ م / ص ١٢-٢٢ .

(٤) ص : ٢٧٠ .

التأثير السياسي في المنطقة^(١) . وهو تأثير يتسع ويضيق بحسب الأوضاع السياسية المختلفة التي مرت بها هذه البلاد عبر تاريخها الطويل^(٢) .
فمثلا كانت القوى المتحكمة في منطقة الهلال الخصيب خطرا دائما يهدد مصر على الدوام ، فان مصر كانت أيضا على نفس درجة الخطورة تجاه هذه المنطقة^(٣) ، ولعل ذلك ما يفسر الهلع الشديد الذي أصاب القوى الصليبية عندما تمكنت القوات الزنكية بقيادة الناصر صلاح الدين من احكام قبضتها على هذا الاقليم^(٤) .

ان هذه المكاسب التي تحققت للبلاد المصرية من خلال موقعها تزداد اهمية اذا ما أخذنا في الاعتبار خصائص التكوين الجغرافي لهذه البلاد فمصر بنهرها الذي يخترق أراضيها الجافة تعتبر بقعة خضراء في وسط صحراوي . فعلى امتداد الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، ولمسافة ألف ميل من الصحراء ، لا يوجد نطاق معمر بشكل كبير سوى وادي النيل ، الذي يمتد على طول ذلك النهر العظيم^(٥) ، والذي حول مصر الى بلاد تملك قوة اقتصادية ضخمة مثله (. . في وفرة انتاجها وثراء غلاتها . .)^(٦) فاعتبرت

- (١) جمال حمدان ، شخصية مصر ٦٩٠/٢ .
- (٢) جمال حمدان ، م . م ، ٧٠١/٢ وانظر ايضا في حدود مصر ، عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- (٣) جمال حمدان ، م . م ، ٦٩٣/٢ - ٦٩٥ .
- (٤) ص : ٢٠٦ - ٢١٠ .
- (٥) جمال حمدان ، م . م ، ٦٩١/٢ .
- (٦) ن . م . م .

(١) مصر عند المسلمين (... معظم دار الاسلام ، وحلويه بيت مالهم ...) (١٠) .
والبلاد التي لا يحتاج أهلها الى غيرهم ، بينما غيرهم يحتاج اليها . (١٢) فاذا
أضفنا الى الاعتبار السابقة ، أهمية مصر كمنطقة تركز بشري ضخم ، نظرا
لوجود النهر الذي جعلها على الدوام مهوى أفئدة الجماعات البشرية المهاجرة ،
ولوقوعها عند اطراف قارتين كبيرتين - افريقيا وآسيا - حيث عادة ما تكون
اطراف القارات منطقة جذب سكاني (١٤) . فان كل الاعتبارات الجغرافية
السابقة - الموضع ، الاقتصاد ، السكان - أدت الى أن تكتسب هذه البلاد
أهمية سياسية على مستوى المنطقة على أقل تقدير ، الأمر الذي دفع بأحد
قادة لويس الرابع عشر الى القول بأنه لا يوجد بين اجزاء المعمورة جميعها
بلد يمكن السيطرة من خلاله على العالم وبحاره سوى مصر . (١٥)

ولاشك في أن مثل هذه الخصائص التي تتمتع بها هذه البلاد ،
ستكون مجسدة بشكل أو بآخر في العاصمة التي تدير شؤونها ، وبالتالي
فان مصر من ناحية - الجغرافيا السياسية - هي القاهرة أيضا .

بيد أن أهمية القاهرة سياسيا ليست قاصرة على هذه الناحية ، فعلى
الرغم من القيمة المكنمة من الوضع الجغرافي فان أهمية هذه القيمة لا تظهر
الا من خلال الدور الانساني فيها ، فجغرافية المكان لا تبرز أهميتها الا من

(١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٥ .

(٢) ابن مساتى ، قوانين الدواوين ، ص ٧٧-٧٨ .

(٣) جمال حمدان ، شخصية مصر ، ٦٩٣/٢ .

(٤) جون كلارك ، جغرافية السكان ، ص ٤٣ .

(٥) جمال حمدان ، م . م ، ٦٩٤/٢ .

خلال علاقة الانسان بالمكان . لأن هذه العلاقة هي التي تبرز أهمية المكان
وشخصيته .^(١)

ولذلك فان الظروف التاريخية هي احدى أهم الجوانب التي يمكن
من خلالها التعرف على أهمية القاهرة في فترة من الفترات . فالظروف التاريخية
التي مرت بهذه المدينة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، تعتبر من
الجوانب الهامة التي يمكن من خلالها التعرف على أهمية القاهرة في تلك
الفترة .

ولقد أدرك بنوأيوب أهمية مصر خاصة بعدما تعرفوا على هذه
البلاد ومقدراتها من خلال الحملات المتعاقبة عليها كقادة لجيش نور الدين
زنكي . حيث تنقل المصادر عن أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي ،^(٢)
ما يفيد بأنه كان راغبا في الاستيلاء على هذه البلاد والتمكن منها^(٣) لما
تمتلكه من خصائص جغرافية اذ قال أسد الدين لأصحابه (. . . قد علمتم
رغبتى في هذه البلاد ومحبتى لها وحرصى عليها ولا سيما وقد تحققت أن
عند الفرنج منها ما عندى . . .)^(٤)

ومن المؤكد أن هذا الوضوح في الروء يا حيال مصر يعني الكثير
بالنسبة للدولة الأيوبية ، هذه الدولة التي يعتبر بعض المؤرخين أن
بداية ظهورها كان منذ أن تولى صلاح الدين منصب الوزارة في عام

(١) ص : ٨٠ .

(٢) عنه انظر ص : ٢١ هامش (٢)

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان

١٤٧/٧ ، ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة ، ص ١٣٩ .

(٤) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٥ .

(١١٦٨ م / ٥٦٤ هـ) في عهد الخليفة الفاطمي العاضد . (٢١) (٢)

فلقد كان ميلاد هذه الدولة ايذانا بتحول تاريخي للموقف السياسي للقاهرة التي بدأت بالدخول في مرحلة سياسة جديدة ، تختلف عما كانت عليه في أواخر العصر الفاطمي . ففي أواخر هذا العصر تدهورت قيمة هذه المدينة بشكل كبير ، يدل على ذلك حريق الفسطاط ^(٣) ، الذي لم يجد الفاطميون بدا منه لهدم قدرتهم في الدفاع عنها ، ضد المحاولة التي قام بها الصليبيون للاستيلاء عليها ^(٤) ، وهذه الحادثة ذات دلالة واضحة على مدى التردى الذي وصلت اليه الدولة الفاطمية وقتئذ حيث اضطرت الى التضحية بأحد أهم أقسام المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) .

ولذلك فان وصول الأيوبيين الى السلطة في القاهرة كان ايذانا بوقف هذا التردى السياسي الذي كانت المدينة تعاني منه ان تطور الموقف السياسي للمدينة من خلال تخير الدولة وظهور موقف جديد يقوم على أساس ديني أخلاقي ، يهدف الى توحيد العالم الاسلامي ^(٥) في ظل سيادة واحدة

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ١ / ١٧١ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص ٤٢ .

(٢) عن الخليفة الفاطمي العاضد انظر ص : ١٣٠ هامش (٦) .

(٣) عن هذا الحريق ، انظر ص : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٤) ص : ٣٠٧ .

(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٤٧ ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق

السياسية والادارية (للعهود الفاطمية والأتاكية والأيوبية دراسة

ونصوص ١ ، بيروت ط ١ . الاولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٦٩ .

هي الخلافة العباسية التي كان صلاح الدين يكن لها الولاء الشديد^(١١) ، وهذا التوحيد يستهدف ايجاد جبهة قوية موحدة قادرة على مقاومة الوجود الصليبي في بلاد الشام والقضاء عليه^(١٢) . وهذه السياسة وورشها صلاح الدين الأيوبي عن سيده نور الدين زنكي^(١٣) الذي كان يعمل جاهدا على تحقيق اهدافها^(١٤) . فصلاح الدين الأيوبي كان رجلا مؤمنا بالله وبعقيدة الاسلام متمسكا بمبادئه . التي حرص على أن يمارس سياسته من خلالها^(١٥) .

وتذكر الروايات التاريخية أنه عندما آلت اليه الأمور في البلاد المصرية ، بتوليته منصب الوزارة وقع في صدره ما يدفعه نحو مجاهدة الصليبيين ، ف شعر بأنه أصبح ملزما بمهمة تحرير الأراضي الاسلامية وانقاذها من أيديهم^(١٦) ،

- (١١) هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .
- (١٢) محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية ، ص ٦٩ ، هاملتون ، جب ، م . س ص ١٩٢ .
- (١٣) عنه انظر ص : ٣٧ هامش (٤) .
- (١٤) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٩ - ١٠ ، جمال الدين الرمادي ، صلاح الدين الأيوبي ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ١٤ ، جمال الدين الشيال تاريخ مصر الاسلامية ، (العصران الأيوبي والملوكي) القاهرة ١٩٦٧ م ص ١١ .
- (١٥) هاملتون جب ، م . س ص ١٩٣ - ١٩٥ .
- (١٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤١ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٠٦ .

نأقبل على الجد^(١) وأخذ يعد العدة نحو تحقيق هذا الهدف الذي سيطر على توجهاته وسلوكه.

ولذلك نجد أنه كان حريصاً على توحيد الجبهة الإسلامية ، ورفع راية الجهاد ، بل إن طموحه تعدى ذلك إلى مواصلة الفتح الإسلامي في بلاد الشرك والكفر ، فابن شداد ينقل عن صلاح الدين رغبته في مواصلة الفتح في (. . جزائهم ، أتتبعهم فيها حتى لا ابقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت . . .)^(٢)

ما تقدم يمكن أن نصل إلى تفسير أشد وضوحاً ، لما قام به صلاح الدين الأيوبي من تحركات سياسية وعسكرية تهدف إعادة توحيد الجبهة الإسلامية ، تلك الحركات التي بدأت أبعادها تتضح بعد قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في عام (٦٧٢هـ / ١٢٧١م) .

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن ننفي وجود الدافع الشخصي لدى الناصر صلاح الدين ، كدافع اسهم بفاعلية في هذه التحركات ، إلا أنه من المؤكد أنها لم تكن الدافع الرئيسي أو الوحيد . فما تذكره بعض المصادر من أسباب ودوافع لتبرير ما قام به صلاح الدين من ظلم لبلاد اليمن في عام (٦٩٠هـ / ١٢٧٣م) ، من أنه أراد بذلك أن يجد له ولائاً سرته ملجأً يكون به فيما لو هاجمه

(١) ابن شداد ، م.م.س ، ص ٤٠ ، ابن سفيان الأندلسي ، النجوم

الزاهرة ص ١٤٠-١٤١ .

(٢) ابن شداد ، م.م.س ، ص ٢٢ .

نور الدين زنكي^(١١) ، الذي أصبح بينه وبين صلاح الدين شيئاً من الجفاء والوحشة لأن الأخير ظن بأن صلاح الدين لم يكن على ولائه وأن الأيوبيين يريدون إقامة ملك خاص لهم في مصر^(١٢) . وأياً كان الأمر فإننا لا يمكن أن نجزم بأن هذا هو الدافع الرئيسي الوحيد الذي أدى ببني أيوب إلى القيام بهذا العمل ، لأن من المؤكد أن وراء ضم الممّن أسباباً أخرى من أهمها رغبة صلاح الدين في توحيد القوى الإسلامية ، وهو ما أشار إليه صلاح الدين في إحدى رسائله للخليفة المقتفى^(١٣) العباسي^(١٤) ، "أضف إلى ذلك أن هذه الخطوة يمكن أن تعبر أيضاً عن مدى رغبة وإصرار صلاح الدين في القضاء على ذيول التشيع والمفاسد التي نشرها أتباع

(١١) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م تحقيق نخبة من العلماء ، بيروت ط. الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م . ١٢٢/٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١/٢٣٧ . البازالعريني مصر في عصر الأيوبيين ص ٤٠ .

(١٢) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ص ١٥٨ أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥١٨ - ٥١٩ . ابن واصل ، م. ص ، ١/٢٢١ على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١٥٦ .

(١٣) هو أبو محمد الحسن بن المستنجد يوسف بن المقتفى محمد (٥٦٦هـ / ٥٧٥ - ١١٧٩م) اشتهر بالعدل والاحسان والجلود . عنه انظر ابن دقماق ، الجواهر الثمين ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ابن العماد شذرات الذهب ، ٤/٢٥٠ - ٢٥١ .

(١٤) محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية ، ص ٢٥٤ .

الفاطميين في تلك البلاد^(١١)، فلقد كان (. . . باليمن ما علم من ابن مهدي الضال ، وله اثار في الاسلام ، وثار طالبه النبي عليه السلام ، لأنه سبى الشرائف الصالحات . . . ، وكان يبدعه قد دعا الى قبرا أبيه وسماه كعبة ، وأخذ أموال الرعايا المعصومة وأباحها ، . . . فتأنهضنا اليه أخانا^(١٢) بمسكنا بعد أن كلفنا له نفقات واسعة وأسلحة رائعة ، وسار فأخذناه ، ولك الحمد ، وأنجح الله فيه القصد . . .)^(١٣)

والى جانب ذلك فاننا ينبغي ألا نهمل أهمية ضم اليمن من الناحية الاقتصادية حيث أن نجاح صلاح الدين في ذلك سيمكنه من السيطرة الكاملة على البحر الأحمر ، الذي كان يعتبر في ذلك الوقت أحد أهم الشرايين التجارية في العالم^(١٤) .

وكذلك الحال بالنسبة لتوسعات صلاح الدين في بلاد الشام ، والتي قام بها على حساب أسياده من بني زنكي ، وهو التحرك الذي قام به بعد وفاة نور الدين زنكي في عام (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)^(١٥)

-
- (١) جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ، ص ٣٦ ، جميل حرب ،
الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٨٣ .
- (٢) يقصد بذلك شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين ، ابن الاثير
الكامل ، ٩ / ١٢٢ .
- (٣) ورد هذا النص ضمن الخطاب الذي بعث به صلاح الدين الى الخليفة
المقتدى العباسي ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية ،
ص ٢٥٧ .
- (٤) جمال الدين الشيال ، م . س ، ص ٣٧ ، جميل حرب ، م . س ، ص ٩٦ .
- (٥) علي بيومي ، قيام الدولة الأيوبية ، ص ٢٠١-٢٠٢ .

وعلى الرغم من تحفظ بعض المؤرخين تجاه هذا السلوك^(١١)، فمن الواضح أن ما قام به صلاح الدين لم يكن ناجما عن طموح شخصي ومطامع ذاتية، بقدر ما هو ناجم عن الرغبة في تحقيق الاهداف السامية لرفع شأن الاسلام وضمان نصرته وهو شأن يعلو على كل شأن^(١٢). إذ أنه بعد وفاة نور الدين أخذت هذه الدولة في التدهرج نحو الهاوية، حيث ورث أمورها ابن قاصر^(١٣)، أخذ الأمراء الاقطاعيون المحيطون به يوجهون الامور حسب أهواءهم ومصالحهم الشخصية، غير مباليين بالاطار التي تواجهه الأمة^(١٤) والتي كان من أكثرها الحاحا الوجود الصليبي^(١٥).

وهكذا فإن تحرك صلاح الدين نحو ضم بلاد الشام كان يهدف الى توحيد الجبهة الاسلامية وهو هدف أساسي عنده.

-
- (١١) لاحظ ما يذكره ابن تغري بردي عن اخذ صلاح الدين لبلاد الشام من الملك الصالح إذ يعتبر ذلك انتفاضا على النعمة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩٠/٦.
- (١٢) محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية، ص ٢٦٣.
- (١٣) ابن شداد، النوادر السلطانية ص ٥٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان ١٦٥-١٦٦، ابن تغري بردي، م.س، ٢٤/٦.
- هاملتون جب، صلاح الدين الايوبي، ص ١٨٨.
- (١٤) علي بيومي، قيام الدولة الايوبية، ص ٢٠٥، هاملتون جب، ن.م.س، البازالعريني، مصر في عصر الايوبيين، ص ٤٢-٤٣.
- (١٥) ابن كثير، الهداية والنهاية ٢٨٢/١٢، سعيد عاشور، مصر والشام ص ٣٣، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امير فارس، منير البعلبكي، بيروت ط. السابعة ١٩٧٧م ص ٣٥٤.

ان هذا الموقف السياسي الذي اتخذته الدولة الصلاحية ، كما أخذ
 ينعكس في شكل قوة متنامية عسكريا واقتصاديا^(١) ، وبشكل متناسق وكأن الأمر
 يبدو من أوله الى آخره مخططا له ، فنجد أن امسك صلاح الدين بمقاليد
 الأمور كوزير للخليفة العاضد ، في سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م وحتى وفاته في
 عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م والدولة الأيوبية تتنامى وتتطور أوضاعها بشكل سريع ،
 فشملت مساحات واسعة من الاراضي تمتد من نهر الفرات شرقا وتنتهي في
 أطراف بلاد المغرب غربا ، علاوة على الحجاز واليمن في الجنوب^(٢) .

ولتحقيق الاهداف التي تبناها هذا الفاتح العظيم ، فقد عمل منذ
 توليه الوزارة ، على توطيد مركزه وتطوره في بلاد مصر ، فعمل على تقوية
 أتباعه واضعاف أتباع الفاطميين ، فأخذ من أولئك اقطاعاتهم وقام بتوزيعها
 على رجاله بل وزاد في اقطاعاتهم^(٣) . فضلا عن ذلك فقد عمل على نشر
 العدل وبذل الأموال للناس مما أدى الى شفاف العامة به^(٤) . بيد أن
 تزايد نفوذ صلاح الدين الأيوبي لم يظهر بشكل جلي الا بعدما تمكن
 من القضاء على ثورة العبيد السودان (٥٦٤هـ / ١١٦٨م وهي ثورة
 كانت تستهدف القضاء على حكمه^(٥)) ولقد أدى قضاء صلاح الدين على
 تلك الثورة الى ضعف الخلافة الفاطمية ، فأصبح الخليفة العاضد^(٦) خالى

Suzan Jane , Conquest and Fasion, p. 95. (١)

ابن ايامس ، بدايع الزهور ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٤٩ . (٢)

ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٣/٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ (٣)

ص ٤٥٠ ، المقريزي ، الخطط ، ١/٣٥٨ .

المقريزي ، م.س ، ٢/٢٣٣ . (٤)

عن هذه الثورة انظر ص : ٢١٤ - ٢١٥ . (٥)

عنه انظر ص : ١٣٠ هامش (٦) . (٦)

الوفاض أمام صلاح الدين الأيوبي^(١)، ووصل الأُمراء إلى منع الخليفة العاضد من سائر موارده، واخذ في الاستيلاء على كافة ممتلكاته^(٢) حتى قيل أن صلاح الدين لم يبق لهذا الخليفة الفرس التي كان يركبها^(٣). وقد تزايد نفوذ صلاح الدين بوصول أقربائه إليه^(٤)، ضمن التدفق البشري على مصر، حيث قدّم في عام ٥٦٥هـ / ١١٦٩م إلى مصر من بلاد الشام، عدد كبير من أقرباء صلاح الدين منهم والده وأخوته، علاوة على اصدقائه ومن يعز عليه وعدد كبير من التجار^(٥).

ولما قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م أخذ في توسيع نفوذه فقام في سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م بإرسال حملة

-
- (١) ابن واصل، مفرج الكرب، ١/١٧٨، الخاصكي، التحفة الفاخرة لوحة : ٢ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهر ، ورقة ٠٢ .
- (٢) المقریزی : م.س ، ١/٣٥٨ .
- (٣) ابن واصل ، م.س ، ١/١٧٩ ، المقریزی : ن.م.س .
- (٤) العيني ، أبو محمد بدر الدين بن أحمد بن موسى ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م ، السيف المهندس في سيرة الملك المؤيد ، شيخ محمودي تحقيق فهد محمد شلتوت ، القاهرة ١٩٦٦م ص ١٩٢ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/١٠٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٤٦٥ ، ابن واصل : م.س ، ١/١٨٥ . ويذكر ابن كثير ، بأنه قد وقد مع هو لا جيش كثيف ارسله نور الدين الى صلاح الدين ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٢٦٠ .

السي بلاد النوبة بقيادة أخيه شمس الدين توران شاه (١) فاتجهت السي
أسوان (٢) ثم استولت بعد ذلك على ابريم (٣) (٤).

ومن الواضح أن من اهداف هذه الحملة التعرف على المنطقة
واكتشاف بعض الامتدادات الاقليمية لمصر، غير أن هذه الحملة سرعان ما عادت
الى مصر بعدما تبين عدم الجدوى من السيطرة على تلك المنطقة (٥)،
فضلا عن رغبته في عدم احداث مشاكل فيها بعد أن جرى صد محاولة
للمهجوم على مصر من هذه الجهة قام بها أهل هذه البلاد (٦).

(١) الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب
كان أسن من أخيه صلاح الدين، اشتهر بالسخاء والكرم والشجاعة
انظر ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٨٢/٦، ابن العماد،
شذرات الذهب، ٢٥٥/٤-٢٥٦.

(٢) اسوان : مدينة كبيرة باقصى جنوب مصر تشرف على النيل من شرقيه
وتشتهر بزراعة التمور . انظر : الاصطخرى : المسالك والممالك ،
ص ٤٠ . ياقوت ، معجم البلدان ١/١٩١-١٩٢ .

(٣) ابوشامة ، م.س ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ ، ابن كثير ، م.س
٢٧٠/١٢ ، سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٢٨٠ . على بيومي ،
قيام الدولة الايوبية ، ص ١٨٥ .

(٤) ابريم : حصن كان قاعدة لبلاد النوبة ، ابن الاثير ، م.س ، ١١٨/٩ ،
ابن كثير ، ن.م.س .

(٥) ابن الاثير ، م.س ، ١١٨/٩-١١٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ،
ق ٢ ص ٥٣١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢٢٩/١ ، ابن كثير ،
ن.م.س .

(٦) ابوشامة : ن.م.س .

وقد جهز صلاح الدين في عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م حملة كبيرة وجهها الى بلاد الحجاز واليمن بقيادة أخيه شمس الدولة أيضا ^(١) ، وقد سبقت الإشارة الى اهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية ^(٢) ونتج عن هذه الحملة خضوع بلاد الحجاز واليمن لنفوذ الأيوبيين منذ تلك الفترة ^(٣).

وكان لوفاة نور الدين زنكي في اواخر عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م أثرًا كبيرًا في خطط صلاح الدين الأيوبي ، حيث توجهت انظاره نحو بلاد الشام بصفة عامة وأملاك الدولة الزنكية بصفة خاصة ، نظرا لأهمية هذه البلاد في مواجهة القوى الصليبية ^(٤) ، علاوة على ان الدولة الزنكية أضحت عرضة للانقسام ^(٥) ، فالصليبيون وجدوا في ذلك فرصة للتقدم نحو دمشق ، فقاموا في نفس العام بتوجيه حملة عسكرية نحو بانياس ^(٦) القريبة من دمشق .

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٦٠ ، ابن خلكان ، وفيات

الاعيان ، ١٦٥/٧ .

(٢) ص : ١٧٥-١٧٧ .

(٣) جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ص ٣٩ . سعيد عاشور ،

مصر والشام ص ٢٨ .

(٤) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣٥٤ .

(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٣٢-٣٣ ، هاملتون جب ، صلاح الدين

الأيوبي ، ص : ١٢٢-١٢٣ .

(٦) هذا الموقع هو في الاصل نهر من انهار دمشق ، كانت تحيط به القرى

والمزارع بطبيعة الحال ، ياقوت ، معجم البلدان ١/٣٣٠ ،

ويذكر ابن واصل ان به قلعة ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢/٧

ولم يتراجعوا عن تحقيق ذلك ، الا بعدما تعهدت الدولة الزنكية بدفع مبلغ معين من المال ، وهددتهم باستدعاء صلاح الدين من مصر ، ان هم أصروا على خططهم ^(١) . كذلك فان حكام الموصل من أمراء البيت الزنكي ، والذين كانوا في أواخر عهد نور الدين زنكي تابعين له ^(٢) فانهم اخذوا يوسعون املكهم على حساب الدولة الزنكية في البلاد الجزرية ^(٣) .

ولقد كانت تلك الاضطرابات سببا رئيسا في أن يتوجه صلاح الدين نحو بلاد الشام رافعا شعار الوصاية على الملك الصالح ^(٤) بن نور الدين ^(٥) الذي كان عمره احدى عشر سنة ^(٦) فتم لصلاح الدين ضم دمشق الى ادارته وذلك في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م ^(٧) ودخل بعد ذلك في صراع مع ثلاثة

(١) ابن كثير ، الكامل ، ١٢٧/٩ - ١٢٨ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٥٨٩ . ابن واصل : ن . م . س .

(٢) اخضع نور الدين في اواخر عهده اتابكية الموصل الى حكمه . انظر ابن واصل : م . س ، ١٩١/١ - ١٩٣ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢٧/٩ ، التاريخ الباهر ص ١٧٥ ، ابو شامة الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٢٧ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ص ٤٣ .

(٤) هو الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود ٥٦٩ - ٥٧٧هـ / ١١٧٣ - ١١٨١م ولي الحكم بعد ابيه وكان عمره احدى عشر عاما ، توفي وعمره تسعة عشر سنة كان حليما كريما . عنه انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ٢٨٥/٤ .

(٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٥٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٦٦/٧ ، الباز العريني ، مصر في عصر الايوبيين ص ٤٣ .

(٦) انظر هامش (٤) .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١٣٠/٩ - ١٣١ .

اطراف اساسية تكافت ضده هي : الزنكيون في حلب والموصل ، والقوى الصليبية في بلاد الشام ، وفرقة الحشاشين من الاسماعيلية ، اما الطرف الأول وهم الزنكيون في الموصل ^(١) وحلب ^(٢) الذين انتقل اليهم الملك الصالح بناءً على توصية بعض قاداته ^(٣) فكان بينه وبينهم حروب ومفاوضات وهدن ، أطنبت بذكرها المصادر ^(٤) وهي ليست من شأن هذه الدراسة ، وقد انتهت الأمور بانتصار صلاح الدين حيث ضم اليه حلب ، وخضعت الموصل والبلاد الجزرية الى حكمه ^(٥).

-
- (١) المدينة المشهورة وهي احدى قواعد بلاد الاسلام بها سعة رقعة وكثرة خلق فهي باب العراق ومفتاح خراسان . انظر ابن خرداذبة المسالك ، ص ٩٣ ، ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ص ١٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ٢٢٣/٥ ، سعيد الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ١٧٥/١ - ٢١٨ ، طلال رفاعي ، البريد ، ٦٠٩ .
- (٢) مدينة عظيمة واسعة كانت قصبة جند قنسرين وهي من سكك البريد انظر ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٧٤ ، قدامة ، الخروج ٤٥٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ٢٨٢/٢ - ٢٨٤ .
- (٣) ابن الاثير ، م.م. ص ١٢٦-١٢٧ ، ١٣٠-١٣١ ، هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٢٣-١٢٤ .
- (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠-٥٢ ، ٥٤-٩٧ ، ٥٩-٦٧ ، ٧٠-٧١ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ص ١٦٦-١٧٢ جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ص ٤٧-٤٨ .
- (٥) هاملتون جب ، م.م. ص ١٢٧-١٤١ .

الأمر الذي اضطر صلاح الدين معه الى الانسحاب والتوجه نحو هذه المدينة لفك الحصار عنها^(١).

وعلى أية حال فلقد دخل الصليبيون مع صلاح الدين في مناوشات متلاحقة كما عقدوا معه الهدنة مرات عديدة قبل أن يحقق الله على يديه الانتصار العظيم في حطين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م^(٢).

أما الجبهة التالية التي دخل معها صلاح الدين في صراع عسكري وسياسي ، فهم الحشاشون الاسماعيلية ، الذين حرصوا على التحالف مع الزنكيين بهدف القضاء على صلاح الدين الايوبي .

ولقد قام الحشاشون بمحاولتين لقتل صلاح الدين الايوبي ، وحصلت اولاهما خلال محاصرته لمدينة حلب في عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م^(٣) وتذكر المصادر بأن هذه المحاولة قد حصلت نتيجة اتفاق سري عقد بينهم وبين الزنكيين في حلب ، حيث بذل الزنكيون لهم الاموال لتحقيق هذا الغرض غير أن المحاولة باءت بالفشل^(٤) ، وأما المحاولة الثانية فقد جرت في السنة التالية ٥٧١هـ / ١١٧٥م اثناء محاصرة صلاح الدين لقلعة اعزاز وكان مصيرها الفشل كسابقتها^(٥).

(١) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢٠ / ٢٨٩ .

(٢) هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ، ص ١٤١ ، ١٤٩ .

(٣) وكانت المحاولة تقوم على اساس ان يتسلل بعض الاسماعيلية ويقتلوا صلاح الدين في معسكره ، للمزيد انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٠ / ١٣٢ .

(٤) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ - ٦١١ .

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢ / ٤٤ - ٤٥ .

ومن الواضح أن لدى هذه الطائفة الاسماعيلية موقفاً حاداً تجاه صلاح الدين ، الذي قضى على دولة الشيعة في مصر وحارب التشيع ومذاهبه في كل مكان (١).

وأمام هذه المواقف التي تبناها الحشاشون ، فإن صلاح الدين قام بتوجيه ضربة قوية لهم في عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م ، فهاجم حصونهم وكاد أن يقضي عليهم لولا أنهم استعانوا ببعض أقاربهم الذين توسطوا لدى صلاح الدين ليدخل في صلح معهم (٢) ، ولعل صلاح الدين قدّر بأن المصلحة تكمن في مهادنتهم ، وبذلك فقد تمكن الناصر من السيطرة على القوى الأساسية التي واجهته في المنطقة .

وبشكل عام فإن هذه التطورات علاوة على الإمكانيات التي تمتع بها الاقليم المصري ، أدت إلى أن تتبوأ القاهرة مركز الصدارة كعاصمة لدولة من أكبر دول العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، ومن أهمها على الإطلاق نظراً لما قامت به من دور يهدف إلى توحيد العالم الاسلامي . وطرد الصليبيين من معظم الأراضي التي احتلوها ، حيث لم يبق للصليبيين في

(١) لاحظ ما فكرناه عن موقف صلاح الدين من التشيع والتحول الديني في

مصر ص : ١٣٩ - ١٤٢ .

(٢) استعان الحشاشون بخال صلاح الدين الأيوبي شهاب الدين محمود

الحارص الذي كان جاراً للحشاشين الاسماعيلية لأنه كان حاكماً لمدينة

حماء التي تقع بجوار حصونهم وتذكر المصادر أن هو لا إسماعيلية

مارسوا مع خال صلاح الدين نوعاً من التهديدات حيث هدده بقتله هو

وأهله . ابن الأثير : الكامل ، ١٣٩/٩ . ابن واصل ، مفرج الكروب

٤٧٠ - ٤٨٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٦٥ .

عهد صلاح الدين سوى شريط ساحلي ضيق^(١).

ومن أبرز الدلائل على ذلك هو أن زعيم هذه الدولة قد خص بعناية الكثير من مؤرخي السير في عصر الحروب الصليبية^(٢)، الذين أفاضوا بالحديث عن أهدافه السامية وبشخصيته العظيمة وأخلاقه الكريمة. وبطبيعة الحال فإن ذلك سينعكس على وضع القاهرة نفسها، التي تحولت ابتداءً من هذا التاريخ إلى عاصمة الصمود، ومقر قيادة حركة الجهاد الإسلامي ضد هجمات أعداء هذا الدين وهذه الأمة. ولذلك كان لا بد أن تكتسب السمات العمرانية التي تعبر عن هذا الوضع، فأخذ صلاح الدين بتحويل القاهرة إلى عاصمة جديدة بدولة عظيمة فقام بتحصينها حيث بنى لها سوراً كبيراً يوفر الحماية لمساحة شاسعة من المدينة الكبرى^(٣)، علاوة على قلعة حصينة تبنى في هذه المدينة لأول مرة^(٤)، كذلك زودها بمشآت دينية تعليمية ضخمة فمدرسته الواقعة بجوار قبر الإمام الشافعي، كانت أشبه ما تكون ببلد مستقل بذاته^(٥).

(١) لم يبق للصليبيين بعد انتصار صلاح الدين عليهم سوى مدينة صور وطرابلس وناطكية وغيرها من المراكز الثانوية. سعيد عاشور،

الحركة الصليبية، ٢/٨٠٧.

(٢) أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص ٢٥٣.

(٣) ص : ٤٩٥.

(٤) ص : ٤٦٩.

(٥) ص : ٤٧٨.

ب - موقف الصليبيين من القاهرة :

تمثل الحروب الصليبية منعطفًا خطيرًا في التاريخ الإسلامي ، لما ترتب عنها من نتائج سياسية واجتماعية في حياة المسلمين ، إذ أن دخول الصليبيين إلى بلاد الشام وانتصارهم على المسلمين وتأسيسهم لمجموعة من الإمارات فيها أوجد ردود فعل مختلفة عند المسلمين أخذت في نهاية الأمر تتطور في شكل مواجهة للعدوان الصليبي ، ترتب عنها تغيرات في الخارطة السياسية للمنطقة بشكل عام .

وعلى أية حال فإن دراسة موقف الصليبيين من القاهرة يمكن فهمه من الموقف العام لهم تجاه الإقليم المصري ، حيث أن القاهرة تمثل مركز القيادة الذي يدار منه أمر البلاد وبالتالي فإن الموقف الصليبي العام تجاه مصر يتبلور فيه ذات الموقف تجاه عاصمتها القاهرة .

ويمكن القول بأن الموقف الصليبي تجاه مصر خلال تلك الفترة قد مر بثلاث مراحل تاريخية كانت تنصب جميعها في هدف واحد وهو الاستيلاء على أرض الكنانة .

إذ أن الصليبيين أدركوا منذ أن وطئت أقدامهم أرض بلاد الشام ، أهمية مصر من الناحيتين الجغرافية والاقتصادية وأن كان هذا الإدراك قد أخذ يتطور بشكل عميق بمرور الأيام ، يدل على ذلك المراحل التاريخية الثلاث التي مر بها الموقف الصليبي تجاه مصر .

وأولى هذه المراحل التاريخية تبدأ بدخول الصليبيين بلاد الشام وتنتهي بدخول القوات الزنكية إلى مصر وتمكنها من بسط الهيمنة الزنكية عليها في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م فلقد تزامن الدخول الصليبي

الى بلاد الشام ، مع سوء الاوضاع الداخلية للدولة الفاطمية حيث كانت الدولة الفاطمية تعاني من الضعف في ذلك الوقت ^(١) ، ولذلك لم تكن قادرة على مواجهة الهجمة الصليبية على بلاد الشام ^(٢) ، مما أدى الى أن يوصف الموقف الفاطمي تجاه هذه الهجمة بالسلبية وعدم المبالاة ^(٣).

وما كاد الصليبيون أن يوطدوا اقدامهم في بلاد الشام ، حتى بدأت انظارهم بالتوجه ناحية مصر بهدف الاستيلاء عليها ، فكانت اولى خطط غزو مصر قد أعدت من قبل أول ملوك بيت المقدس ، جودفري دى بواين ، غير أن تلك الخطة لم يكتب لها النجاح ، لوفاته في سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م قبل أن يبدأ في تنفيذها ^(٤).

ويبدو أن أخاه وخلفه ، بلدوين الأول ، قد عقد العزم على تنفيذ تلك الخطة ، ذلك انه قام في سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م بحملة استطلاعية تمكن فيها من الاستيلاء على أيلة ^(٥) وقطع سينا متجها نحو الأراضي

- (١) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٩ ، احمد بيلي ، حياة صلاح الدين الايوبي ، القاهرة ، ط. الثانية ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ص ٤٢ قدرى قلعجي ، صلاح الدين الايوبي ، بيروت ص ١٦١ .
- (٢) احمد الصاوي ، المجاعات في العصر الفاطمي ص ١٨٥ .
- (٣) احمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ص ٩٨ .
- (٤) سعيد عاشور ، م.س ، ص ١٠ .
- (٥) مدينة مطة على ساحل البحر الاحمر ، مما يلي بلاد الشام ومصر ، وهي آخر الحجاز ، يجتمع في هذه المدينة حجاج الشام ومصر والمغرب وبها التجارة الكثيرة واهلها اخلاط من الناس .

الواقعة شرق الدلتا^(١)، ويظهر أن حالته الصحية قد تدهورت فتراجع نحو العريش^(٢)، حيث وافته منيته، وهو في طريق عودته الى فلسطين، في سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م^(٣).

ولقد توقفت بعد ذلك الحملات الصليبية على مصر لفترة ليست بالقصيرة اذ لم تذكر المصادر أي غزوات ضدها حتى منتصف القرن السادس هـ / ١٢ م وان كان ذلك لا يعني بأن الصليبيين قد تخلوا عن فكرة الاستيلاء على مصر، وانما اقتضت مصلحتهم تأجيلها لبعض الوقت، لكي يتفرغوا لمواجهة القوى الاسلامية المتنامية في بلاد الشام ممثلة بالدولة الزنكية^(٤) خاصة وانهم قد ادركوا بأن الدولة الفاطمية أضحت تتآكل من الداخل^(٥)، وبالتالي فان تأخير غزوها سيجعل السبيل اليها امرا ميسورا.

- == البكري، ابو عبدالله عبدالله بن عبد العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت ١/ ٢١٦. ، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٩٢. (١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ١/ ٣٣٠. (٢) مدينة جليلة على طرف الشام بينه وبين مصر، عنها انظر: الاضطخري المسالك، ص ٣٨، ياقوت، م.س، ٤/ ١١٣-١١٤. (٣) ابن ظافر، جمال الدين بن علي ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م اخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندريه فريسه، القاهرة ١٩٧٢ م. ص ٩٠، ويذكر سعيد عاشور ان هذا الامر تم في سنة (٥١٢ هـ / ١١١٨ م)، سعيد عاشور، مصر والشام، ص ١٠. (٤) على بيومي، قيام الدولة الايوبية ص ٧١. (٥) سعيد عاشور، م.س، ص ١١.

وتقدم المصادر المعتمدة معلومات عن استيفاء الصليبيين في حدود منتصف القرن السادس ١٢٠ هـ / ١١٢ م لجباية سنوية من الدولة الفاطمية ، غير انها لا تورد اسباب ذلك ولا تقدم تحديدا واضحا للفترة التي بدأ الفاطميون بدفع تلك الأموال ، ومن المرجح أن يكون ذلك قد حصل خلال النصف الأول من القرن الخامس ، كما يشير الى ذلك ابن القلانسي في ثنايا حديثه عن حوادث سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م .^(١)

ويظهر أن التنافس والصراع بين الوزراء في اواخر العصر الفاطمي أدى الى عودة اهتمام الصليبيين مرة أخرى بمصر ، لذلك استأنفوا محاولاتهم للتدخل في شؤنها مدفوعين بعاملين رئيسيين : اولهما الأُزمة التي حصلت بين الوزير الفاطمي ضرغام^(٢) وملك بيت المقدس ، حول الجزية التي كان على مصر أن تدفعها اليه سنويا ، وقد كان من نتائج تلك الأُزمة أن سار الملك بلدوين في اوائل سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م الى مصر ليفرض على الوزير الفاطمي اعادة دفع الجزية مرة أخرى^(٣) ، وقد تصدى الجيش المصري بقيادة ضرغام للجيش الصليبي غير أنه عجز عن إيقاف

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣١ .

(٢) هو الملك المنصور أبو الاشبال ضرغام بن سوار اللخمي (٥٥٨ هـ /

٥٥٩ هـ) وزير للخليفة العاضد الفاطمي عنه انظر : ابن خلكان ،

وفيات الاعيان ، ٤٤٢ / ٢ .

(٣) حسنى ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد

العرب ، القاهرة ط . الرابعة ١٩٨١ م ص ١٩٠ ، ويذكر سعيد

عاشور ان هذا الامر تم في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، سعيد عاشور

، مصر والشام ص ١٢ .

زحفهم ، وازاء ذلك تراجع الوزير بجيشه وامر بفتح سدود النيل الذى كان وقت فيضانه ، فاغرق البلاد مما عرقل امكانية التقدم الصليبي ودفع الملك بلدوين الى الانسحاب نحو فلسطين^(١) ، وقد قام الوزير الفاطمي بعد هذه التجربة المريرة بمهادنة الصليبيين بل ووافق على استئناف دفع الجزية السنوية وعلى زيادة مقدارها^(٢) مما يسر له تحقيق اغراضه في عقد تحالف عسكرى آمن مع الملك الصليبي ، بسبب ما علمه من ان منافسة الوزير السابق شاور^(٣) ، والذي هرب منه الى الشام ، قد اخذ يستحث نور الدين في الدخول الى مصر وان الاخير قد وافقه على ذلك^(٤) .

أما العامل الثاني الذى دفع الصليبيين نحو التوجه مرة أخرى الى مصر بعد استقرار الامر فيها لصالح حليفهم فهو توجه نور الدين زنكي نحو مصر وخطورة ذلك على مصالحهم وأمنهم^(٥) .

ولقد بدأت عوامل الجذب توءثر في موقف نور الدين زنكي تجاه مصر منذ أوائل القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) من خلال

(١) ن . م . س .

(٢) حسنى ابراهيم حسن ، ن . م . س .

(٣) ابو شجاع شاور بن جبر بن فؤاد السعدى ، وزير للخليفة العاضد

وقد كان عامه على الصعيد الاعلى ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، ابن

خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤٣٩/٢ - ٤٤٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن ، م . س . ، ص ١٩٠ .

(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٢ .

الاتصالات التي كان يجريها الوزير الفاطمي علي بن السلار^(١) معه ،
والتي بدأت منذ أن كان الأخير واليا على الاسكندرية^(٢) ، ثم تطورت بعد
أن ولي الوزارة في عام (٥٤٤هـ / ١١٥٠م) ، إذ سعى خلال تلك الفترة
- وقد أدرك اطماع الصليبيين في مصر - الى اقامة نوع من التحالف فيما
بينه وبين نور الدين من اجل توجيه ضربات عسكرية الى الصليبيين ،
لمنعهم من غزو مصر ، فأوفد اسامة بن منقذ^(٣) الى الملك العادل نور الدين
، طالبا منه القيام بمهاجمة طبرية^(٤) من جهته ، ليقوم الوزير بالمسير

(١) هو ابو الحسن علي بن السلار ، المنعوت بالملك العادل (٥٤٤ -
٥٤٨هـ / ١١٤٩ - ١١٥٣م) وزير للخليفة الظاهر العبيدي
(٥٤٤ - ٥٤٩هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤م) عنه انظر : ابن خلكان ،
وفيات الاعيان ٤١٦/٢ - ٤١٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٨٤ .

(٣) ابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكنانى ت ٥٨٤هـ /
١١٨٨م ، من اكابر بني منقذ اصحاب حصن شيزر ، كان عالما
شاعرا ذا خطوة عند الامراء والملوك ، عنه انظر : ابن خلكان
، م . ص ١٩٥ / ١ - ١٩٩ .

(٤) بليده على البحيرة المعروفة بطبرية وهي في طرف جبل ، وجبل الطور
مطل عليها ، فتحها شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه سنة ١٣هـ / ٦٣٤م
عنها انظر : ابن خرداذبة ، المسالك ص ٧٨ ، قدامة ،
الخراج ، ص ٤٦٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١٧/٤ ، طلال
رفاعي ، البريد ، ٦٢٩ / ٢

في نفس الوقت الى غزة^(١) وعسقلان^(٢). الا أن نور الدين تمنع عن القيام بمثل ذلك العمل^(٣)، حيث ان أقدامه في الشام لم تتوطد بعد بالشكل الكافي في تلك الفترة، إذ أنه لم يتمكن من ضم دمشق الى حوزته الا في عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م^(٤).

ولقد عملت تلك الاتصالات على أن يكون أكثر ادراكا لما وصلت اليه احوال الدولة الفاطمية من ضعف، والانتباه الى مدى ما بلغت الاطماع الصليبية تجاه هذه البلاد^(٥).

وتزايد الانقسامات الداخلية في الدولة الفاطمية، مع ازدياد الضعف فيها^(٦)، بدأت بعض الزعامات في الساحة المصرية بالالاحاح في طلب

(١) تقع هذه المدينة في اقصى الشام ناحية مصر وعلى جادتها وفي طرف البادية قرب البحر، عنها انظر: ابن خرداذبة، م.س، ص ٨٠، المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٧٧، ياقوت، م.س، ٢٠٢/٢.

(٢) تقع هذه المدينة بالشام في اعمال فلسطين على ساحل البحر بالقرب من غزة، وميناء جبرين، وكان يقال لها عروس الشام، عنها انظر، ياقوت، م.س، ١٢٢/٢.

(٣) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٧.

(٤) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٨٣، وعن ضم نور الدين لدمشق انظر: ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ١٠٦-١٠٨.

(٥) حسن ابراهيم حسن، م.س، ص ١٨٢.

(٦) محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية ص ١٢٧.

المساعدة من نور الدين الذي يظهر في أوضاعه العامة في بلاد الشام قد استقرت مما دفعه الى الاستجابة لتلك النداءات ، ويدلنا على ذلك أن الخليفة المقتنى بأمر الله ^(١) العباسي قد فوزه في السنة التي ضم فيها دمشق ٥٤٩هـ / ١١٥٤م على حكم الساحل ومصر معا ^(٢) .

ولقد كانت أولى المحاولات التي قام بها نور الدين للتدخل في شؤون مصر ، عندما وفد اليه الوزير الفاطمي شاور ، فهذا الوزير الذي تمكن من الوصول الى سدة الوزارة بالقوة في عام ٥٥٨هـ / ١١٦٣م لم يلبث أن خلع عنها في نفس السنة من قبل ضرغام الذي كان احد القادة العسكريين في القاهرة ، حيث قام بثورة ضد شاور ، انتهت باقصائه ووصول الاخير الى سدة الوزارة ^(٣) ، وقد هرب شاور بعد ذلك الى الشام ، مستجدا بنور الدين زنكي ، الذي استجاب لدعوته ^(٤) ، ولعله رغب في أن يكون اكثر المام بالامور في مصر ، وقد وجه نور الدين زنكي حملة

(١) هو ابو عبدالله محمد بن المستظهر بالله احمد ٥٥٣-٥٥٥هـ / ١١٥٨-
١١٦٠م ، كان قوى البأس اعاد للخلافة العباسية شيئا من هيبتها
عنه انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١/١٣١-١٣٣ .
ابن ايوب ، كنز الدرر ، ٧/١١٠ ابن دقاق ، الجواهر الثمين ،
ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ٣/٢٢٣ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢/٤٤٤ ، جمال الدين سرور ، الدولة
الفاطمية ص ١٢٧ ، على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ٩٩ .
(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٣٦ ، ابن خلكان ، ص ٢٠٠ .
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١/١٣٨ ، على بيومي ، ص ٢٠٠ .
اسم عثيم ، الدولة الايوبية ص ١٦ .

الى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه يصاحبه الوزير السابق شاور في اوائل عام ٥٥٩هـ / ١٠٦٤م^(١) حيث اصطدمت بالقوات المصرية ضد بلبيس^(٢) ، وألحقت بها الهزيمة ، غير انها سرعان ما تجمعت مرة اخرى تحت اسوار القاهرة^(٣) لتدور فيما بينها وبين القوات الزنكية معارك استمرت عدة أيام وقد تمكن شاور خلال ذلك من الاستيلاء على الفسطاط^(٤) ولينتهي الأمر بقتل الوزير المتغلب ضرغام بعد ان تفرقت عنه الانصار^(٥) ، ويظهر انه كان سيء السيرة كما يذكر عمارة اليمني^(٦) وبذلك تمكن شاور من العودة الى منصب الوزارة مرة أخرى ، في حين أن اسد الدين شيركوه قد عسكر بالقوات الزنكية خارج القاهرة في انتظار ان يفي شاور بوعوده الى نور الدين بعد ان ساعده في استعادة الوزارة ، وكان قد وعدم بتقديم جزية سنوية مع التكفل بجميع

-
- (١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٨ .
 (٢) مدينة تقع شمالي القاهرة على مسافة عشر فراسخ ، ومنها يكون الطريق الى بلاد الشام ، فتحها عمرو بن العاص سنة ١٨ و ١٩ هـ .
 عنها انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ / ٤٧٩ .
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ / ٨٥ .
 (٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٩٠ .
 (٥) ابن الاثير ، ن . م . س ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٣ .
 ابن كثير ، ن . م . س .
 (٦) عمارة اليمني ، ابو محمد نجم الدين عمارة الحكي ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م .
 النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية ، تحقيق هرتويغ دركيرغ ،
 ، شالون ١٨٩٧ م ص ٧٤ .

نفقات الحملة^(١)، بيد أنه لم يلتزم بما وعد ولم يرسل سوى مبلغ بسيط^(٢) ، وقد أدى ذلك الى تأزم الامور بين الوزير وأسد الدين ، وسرعان ما تطورت الى ما يندر بالخطر ، فقد صمم أسد الدين على استيفاء الجزية حتى لو اضطر الى استعمال القوة ، وقد خطط لتحقيق ذلك بان تراجع عن اسوار القاهرة وأن يستقر ببليبس ليستجمع قواته وليتھياً لما يستجد من الظروف^(٣) . وفي سبيل توفير الأموال اللازمة له ومن اجل الضغط على شاور فانه وضع يده على اقليم الشرقية من بلاد مصر^(٤) ، ويعد أن اطمان الى سلامة وضعه فانه باغت القاهرة بسلسلة من الهجمات المتتالية في محاولة منه للضغط على الوزير شاور ودفعه للالتزام بتعهداته^(٥) . غير أن شاور على ما يظهر صمم على الاستعداد لتحمل حصار طويل^(٦) ، كما أنه اخذ في الوقت نفسه يرأسل الفرنجة ويقدم لهم الوعود ، ويخوفهم من نتائج استيلاء الزنكيين على مصر وأخطار ذلك عليهم^(٧) ، وقد استجاب ملك

-
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ٨٥/٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٧/١٢ - ٢٤٨ ، علي بيومي ، قيام الدولة الايوبية ص ١٠٥ .
- (٢) علي بيومي ، م.س. ص ٢٠٩ .
- (٣) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٣٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ١٣٩/١ .
- (٤) ن . م . س .
- (٥) علي بيومي ، م.س. ، ص ١١٠ .
- (٦) ن . م . س .
- (٧) ابن الاثير ، م.س. ، ٨٥/٩ ، ابوشامة ، م.س. ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٣٥ ، ابن واصل ، م.س. ، ١٣٩/١ .

بيت المقدس عموري ، باعداد حملة عسكرية أرسلها الى مصر على عجل ^(١١) ، وقد تحالفت هذه القوات الصليبية مع القوات المصرية بقيادة شاور ضد قوات الزنكيين ، وحاصرتهم في بلبس لمدة ثلاثة اشهر ، ودارت بين الطرفين معارك عديدة انتهت بالاتفاق على عودة الجيش الزنكي والصليبيين الى بلادهم ^(١٢) . وهذا ما كان يرجوه شاور خاصة وأن نور الدين انتهى من فرصة رحيل عموري بجيشه عن فلسطين ، فأخذ في مهاجمة الصليبيين في بلادهم واسترد عدة مواضع منهم ^(١٤) . مما اضطر عموري الى الموافقة على الانسحاب من البلاد مقابل انسحاب القوات الزنكية ^(١٥) .

وقد ترتب على هذه الحملة أن اصبحت القوات الزنكية اكثر العاما بأحوال مصر واكثر شغفا في الاستيلاء عليها ، لما تعنيه من أهمية اقتصادية وعسكرية ، ووضح هذا الاهتمام بشكل جلي عند أسد الدين

- (١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٨ .
- (١٢) ابوشامة ، ن . م . س ، ويذكر ابن كثير بان الحصار دام ثمانية اشهر ابن كثير ، ن . م . س .
- (١٣) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ص ١١١ .
- (١٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٤٠ / ١ ، الحنبلي ، احمد بن ابراهيم ت ٨٢٦ هـ / ، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٨٢ م ص ٢٢ .
- (١٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٨٥ / ٩ ، على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١١١ .

شيركوه قائد هذه القوات ، الذى اصبح راغبا في امتلاك مصر ^(١) ، وهكذا بدأت الاستعدادات الزنكية لضمها ، والتي ما ان علم شاور بها حتى بادر باعادة الاتصال بالصليبيين ليضمن مساعدتهم له ^(٢) .

ولقد توجهت الحملة الزنكية الثانية صوب مصر ، في أوائل عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، ودخلت هي والقوات الصليبية التي انجذبت شاور الى مصرفى وقت واحد تقريبا ^(٣) ، لتدور بين الطرفين معارك عنيفة كان من ابرزها معركة البابيين ^(٤) في الصعيد ، حيث تمكنت القوات الزنكية من ايقاع هزيمة نكراء بالقوات الصليبية والمصرية ، رغم تفوق الأخيرة عليها في العدد والعدة ^(٥) . بيد أن هذا الانتصار لم يكن كافيا بالقدر الذى يمكن القوات الزنكية من التوجه نحو القاهرة ، ذلك انها لم تكن تملك القوات الكافية لتحقيق هذا الغرض ^(٦) ، وعوضا عن ذلك فان أسد الدين شيركوه بادر بالتوجه على رأس جيشه نحو الاسكندرية ^(٧) عبر الطريق الصحراوى ، وقد تمكن من السيطرة

-
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٧٠ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٣ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٩١ .
- (٢) حسن ابراهيم حسن ، ن . م . س .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ / ٩٥ ، على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١١٦ .
- (٤) البابيين قرية تقع جنوب المينا . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٥٠ / ١٠٠ ، هامش (١) .
- (٥) ابن واصل ، م . س . ١٥٠ / ١٠١ .
- (٦) حسن ابراهيم حسن ، م . س . ، ص ١٩٢ .
- (٧) مدينة مشهورة على البحر وهي شفر من شفر الاسلام وميناء تجارى هام ،

عليها دون مقاومة تذكر ، ولما اطمأن الى استقرار أوضاعه فيها سلم مسؤوليه حكم المدينة والدفاع عنها الى ابن اخيه صلاح الدين الأيوبي ، تاركا معه بعض قواته في حين أنه عاد الى الصعيد لجباية الخراج (١).

ولم تكن مهمة صلاح الدين في الاسكندرية سهلة إذ أنه ما أن ابتعدت قواته عن أسد الدين في وجهتها نحو الصعيد ، حتى بادرت القوات المصرية الصليبية المشتركة الى التوجه صوب الاسكندرية بهدف القضاء على صلاح الدين ومن معه من القوات الزنكية برا وبحرا فقد تولت القوات المصرية الصليبية حصارها من البر (٢) في حين قام الاسطول الصليبي بمحاصرتها من جهة البحر (٣) . وقد واجه صلاح الدين الأيوبي من الحصار مشقة بالغة غير أنه ما ان علم أسد الدين شيركوه باخبار الحصار حتى بادر بالاسراع لنجدة ابن اخيه وتخفيف الحصار عنه (٤).

وقد وجد أسد الدين شيركوه أن قواته قد وهنت ومزقتها القتال وأنه لا بد من العودة الى الشام للراحة والاستعداد (٥) ، وقد واثته الفرصة

== اهتم خلفاء المسلمين وامراءهم بتحصينها . عنها انظر ياقوت ،

معجم البلدان ، ١٨٢/١ - ١٨٨ ، المقريزي ، الخطط ، ١٤٤/١ - ١٧٢

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٩٥/٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ،

ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، حسن ابراهيم حسن ، م.س .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٥١/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية

٢٥٢/١٢ - ٢٥٣ .

(٣) علي بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) ابو شامة : م.س ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٦ .

(٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٨ .

حيث وافق على اقتراح الوزير الفاطمي بالصلح ومقابل أن يعود الى الشام فان شاور سيدفع له خمسين ألف دينار^(١).

أما الصليبيون فلقد استقر الأمر بينهم وبين المصريين على عقد اتفاق محالفة وحماية يتم بمقتضاه أن تدفع الدولة الفاطمية لملك بيت المقدس الصليبي جزية سنوية مقدارها (١٠٠) مائة ألف دينار^(٢) مع الإبقاء على حامية عسكرية تمنع عودة القوات الزنكية الى مصر مرة أخرى^(٣).

ويتضح من هذا الاتفاق الصليبي المصري، أن مصراضحت تحسنت حماية الصليبيين وهي اقرب الى قبضتهم من ذي قبل. ان أن وجود حامية لهم في هذه البلاد يعني أن الصليبيين اصبح لهم تأثير مباشر على شئون مصر. خاصة وأن هذه الحامية قد اخذت في جمع المعلومات عنها، فكتبوا أسماء القرى جميعها وعرفوا مقدار غلتها^(٤) و (٠٠) اطلعوا على العورات، وكشفوا المستورات (٠٠)^(٥) الأمر الذي زاد من مطامع الصليبيين واصرارهم على احتلال مصر، وقد دفع ذلك امراءهم الى ممارسة الضغوط على ملك بيت المقدس عموري، من اجل القيام بعمل عسكري لغرض احتلال مصر^(٦).

-
- (١) ابن الاثير، الكامل، ٩٦/٩، على بيومي، قيام الدولة الايوبية، ص ١٢٣.
 (٢) ابن الاثير، ن. م. س.، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٣/١٢.
 (٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٢/١، على بيومي، م. س.، ص ١٢٤.
 (٤) ابوشامة، الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٠. الحنبلي، تسريح القلوب، ص ٣٢.

- (٥) ابوشامة، ن. م. س.
 (٦) ابن الاثير، الكامل، ٩٩/٩.

خاصة وأنه كان بين المصريين من يستحثهم على هذا العمل عداوة للوزير
شاو^(١) . غير أن عموري تحفظ على ذلك الرأي وخالفه ، وكان يرى بأنه
من الأفضل الاكتفاء بابقاء الوضع على ما هو عليه في تلك الفترة على الأقل ،
إذا كان يخشى من أنه في حالة قيام الصليبيين بمهاجمة مصر أن يؤدى
ذلك الى تدخل نور الدين زنكي ووقوع البلاد في يده ، الأمر الذى قد يترتب
عنه نتائج خطيرة بالنسبة للوجود الصليبي في بلاد الشام^(٢) ، حيث
ان اتحاد الجبهة المصرية والشامية سيقتج عنه زوال الوجود الصليبي .
بيد أن هذا الرأي لم يجد اذنا صاغية لدى الأمراء الصليبيين الذين
أصروا على رأيهم فما كان من الملك عموري الا أن اذعن لهم^(٣) وبدأ
في التخطيط والاعداد للحملة^(٤) حيث اتصل عموري بصهره الإمبراطور
البيزنطي مانويل كومنين ، بهدف عقد حلف فيما بينهما لغرض
الاستيلاء على مصر ، وتحديد ما يمكن أن تقدمه بيزنطة من مساعدات في هذا
المجال .

ويبدو أن الإمبراطور قد وافق على الموضوع^(٥) غير أن هذه المساعدات

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٨٩ ، الحنبلي ، ترويح القلوب ،
ص ٣٢٢ .

(٢) ابن الاثير ، ن . م . س .

(٣) ن . م . س .

(٤) ن . م . س . ، ابوشامة ، م . س . ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٨٩ ، ابن كثير ،

البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٥٥ .

(٥) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١٢٩ .

الموعودة لم تصل^(١)، فما كان من عموري إلا أن جمع في اوائل عام ٥٦٤ هـ (جسعا عظيما من اجناس الفرنج واقطعهم مصروسا يريد اخذ مصر...^(٢)) دون أن يظهر ذلك حتى تأخذ حملته وقع المفاجأة على المصريين، ولعله أراد أن يأمن من ردود الفعل الزنكية أيضا .

الا أن الوزير شاور أدرك خطورة الوضع، واخذ في اعداد العدة وترتيب الامور لتحمل ويلات الهجوم وما قد يترتب عليه من حصار^(٣)، وفعلا استطاعت القاهرة أن تقاوم الصليبيين بفضل تحصينها الجيد ، ويسبب ارتفاع الروح المعنوية لدى المدافعين الذين خشوا أن يفعل الصليبيون بهم كما فعلوا بأهل بلبس ، قبل مقدمهم الى القاهرة حيث ارتكبوا في المدينة مجزرة بشعة ، تذكر المصادر أنه لولا ذلك لتمكن الصليبيون من حكم مصر^(٤)، وقد قام الصليبيون كذاك باستخدام أسطولهم بهدف الاستيلاء على الساحل ودعم هجومهم البري^(٥).

(١) المقرئى ، الخطط ، ٣٣٨/١ .

(٢) ابن الأثير ، ن . م . س ، ابوشامة ، م . س ج ١ ، ق ٢ ص ٣٩٠ .

(٣) على بيومي ، م . س ، ص ١٣١ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٩٩/٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٣٩٠ ، ابن واصل ، فرج الكروب ، ١٥٧/١ ، الحنبلي ، ترويح

القلوب ، ص ٣٣ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ،

ص ١٩٤ .

(٥) على بيومي ، م . س ، ص ١٣٦ .

بيد أن هذا الغزو الصليبي قد حقق النتائج العكسية التي تخوف منها عموري ، حيث ترتب عن المحاولة الصليبية نتائج أثرت على أوضاع المنطقة بأسرها ، فكان من نتائجها العباشية أنها أدت الى بسط النفوذ الزنكي على مصر ، ومن ثم فإنها أدت بشكل غير مباشر الى قيام الدولة الأيوبية .

ذلك أن الخليفة الفاطمي العاضد^(١) بعث الى نور الدين زنكي برسالة مؤثرة بطيها خصلات من شعور نساء القصر وهو يستغيث فيها طالبا منه المبادرة الى انقاذ مصر من براثن الصليبيين^(٢) ، وان لم يكن نور الدين بحاجة الى وصول هذه الرسالة لكي يبادر الى التدخل^(٣) ، ذلك أنه لم يكن يوافق من حيث المبدأ على فكرة خضوع مصر للحكم البيزنطي ، لذلك فإنه بادر بإرسال حملة قوية لمساعدة المصريين ، وحماية مصر من خطر الاختلال يذكر ابن دقماق بأن تعداد أفرادها بلغ عشرة الاف فارس وخمسين ألف راجل^(٤) . وقد انتهى الأمر بانسحاب الملك عموري وجنده الى فلسطين

(١) عنه انظر ص : ١٣٠ هامش (٦)

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٩١ . ابن كثير ، البيدانية

والنهاية ، ٢٥٥/١٢ . ويذكر ابن واصل ان الذي ارسل هذه

الرسالة الوزير شاور ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٥٨/١ .

والراجح ان كل من الخليفة والوزير قد بادرا بإرسال الرسائل الى

نور الدين ، انظر ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٥٠/٥ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٨ ، ولاحظ ما يذكره أبوالمحاسن

من ان نور الدين ارسل قواته الى مصر قبل ان تصله رسائل الاستغاثة

منها ، ابن تغري بردي ، ن . م . س .

(٤) ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص ٢١٨ .

(١)

المحتلة ، بعد أن وجدوا انفسهم غير قادرين على مواجهة القوات الاسلامية .

وبمقتل شاور على يد بعض قادة الجيش الزنكي ، بتدبير اشترك فيه القائد

صلاح الدين الايوبي ^(٢) ، تولى أسد الدين شيركوه الوزارة للخليفة الفاطمي

العاظم ^(٣) ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من مراحل الموقف الصليبي

تجاه القاهرة .

أما المرحلة الثانية من الموقف الصليبي تجاه القاهرة ، فانها تبدأ بنهاية

المرحلة الأولى ، وتتميز بانها أشد خطورة من الأولى ، نظرا لما ترتب عنها

من تطور في موقف الصليبيين تجاه مصر ، نظرا لتغير الأوضاع فيها . فبعد ما

كانت مصر لعبة في يد الصليبيين ، يفرضون عليها الجزية ويشنون عليهم

الحملة بهدف الاستيلاء عليها وهم أكثر اطمئنانا بقدرتهم في تحقيق

هذا الفرض ، فان بسط النفوذ الزنكي على هذه البلاد ، قد أربك الصليبيين

في الشام حيث أنهم خافوا وأيقنوا بأن في ذلك هلاكهم ^(٤) ، مادفعهم

الى طلب العون من أوروبا فبعثوا (. . جماعة من القسوس والرهبان يحرضون

الناس على الحركة . .) ^(٥) لنجدة اخوانهم الصليبيين في المشرق

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٨ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٥٠ / ٧ ، ابن تغرى بردى ، م . م ،

٣٥١ / ٥ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٠٠ ، ابن خلكان ، م . م ،

ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٥٦ / ١٢ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥ / ٩ ، ابن خلكان ، م . م ، ١٥٢ / ٧ .

(٥) ابوشامة ، الروشتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ .

مستغلين المشاعر الدينية لتهيج مشاعر الناس بالتباكي على مصير بيت المقدس،
الذي أصبح قاب قوسين من أن يؤول الى ايدى اصحابه المسلمين^(١).

ان هذا التحول يعني بأن الموقف الصليبي تحول من طمع ورغبة
في الاستيلاء على مصر، الى خوف من التطورات التي حدثت في مصر لـ
يترتب على ذلك من نتائج تهدد مستقبل وجودهم.

ولقد ترتب عن هذا التحرك الصليبي في أوروبا أن وصلت المساعدات
الضخمة (. . . بالمال والرجال والسلاح . . .)^(٢)، خلافا لما ذكره الدكتور
سعيد عاشور من أن عموري ملك بيت المقدس قد فشل في الحصول على المساعدات^(٣)،
الا أنه يبدو أنها لم تكن كافية، لذا فقد اتجه عموري صوب البيزنطيين ليتدالف
معهم لغزو مصر، ويظهر أنه نجح في هدفه هذا حيث أعد الامبراطور البيزنطي
مانويل أسطولا ضخما توجه الى عكا للاتفاق مع الصليبيين على الخطة التي
ينبغي تنفيذها وقد كان من نتائجها أن تم عقد التحالف واتفق الطرفان على
بدء هجومهم على مصر في أوائل عام ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م.^(٤)

ولقد كانت خطة الهجوم تركز على محورين أساسيين، يعتمد أولهما
على مهاجمة دمياط^(٥) برا وبحرا من قبل قوات الفرنجة، لكي يجعلوها

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٠٥/٩.

(٢) ابوشامة، الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٤٥٦.

(٣) سعيد عاشور، مصر والشام ص ٢١.

(٤) ن . م . س .

(٥) مدينة قديمة، بين تينيس ومصر، وتقع على فرع من افرع النيل بالاضافة

الى البحر، وهي من شغور الاسلام، حظيت بالاهتمام والتحصين،

وتشتهر بصناعة الحرير، عنها انظر: ياقوت، معجم البلدان ٢/٤٧٢-٤٧٥.

نقطة ارتكاز ينطلقون منها للاستيلاء على بقية البلاد. (١)

وهذا ما أشار اليه ابن الاثير ، حيث ذكر أن الغرض من مهاجمة

هذه المدينة هو أن تكون (. . .) ظهر يملكون به الديار المصرية . . . (٢)

أما المحور الثاني من الخطة ، فقد قام على أساس أن صلاح الدين سيفطر

الى توجيه جهوده العسكرية للدفاع عن دمياط مما سيتيح الفرصة لاتباع

الفاطميين للقيام بالانقلاب على صلاح الدين ومهاجمة جيوشه من الخلف. (٣)

غير أن صلاح الدين أدرك أبعاد هذه المؤامرة حسبما ذكر

المقريزي عند حديثه عن غزو الفرنجة لدمياط حيث أشار الى أن صلاح

الدين (. . .) اتهم في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بمالأة الفرنج

ومكاتبهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم . . . (٤) بالإضافة الى أن

المصادر تورد بأن صلاح الدين عندما كتب الى نور الدين يطلبه المدد

لصد الهجوم الصليبي على دمياط ، فإنه تخوف من احتمال قيام أتباع

الفاطميين بالغدر ومهاجمته من الخلف ، فيما لو توجه بنفسه وكامل

قوته للدفاع عن هذه المدينة. (٥)

(١) نظير حسان سعداوى ، التاريخ العربي المصرى فى عهد صلاح الدين

الايوبى ، القاهرة ص ١٧ - ١٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥٠/٩ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٨١/١ .

(٤) المقريزي ، الخطط ٢٥١/١ ، ويذكر حسان سعداوى ان مؤامرة

ثورة العبيد كانت مرتبطة بالهجوم على دمياط ، انظر حسان نظير

سعداوى ، م . م . س ، ص ١٧ ، وعن ثورة العبيد انظر ص : ٤١٣ - ٤١٥

(٥) ابن الاثير ، م . م . س .

وعلى أية حال فإن مصير هذه الحملة باء بالفشل^(١)، كما أن اضرارها على الصليبيين في الشام كانت كبيرة جدا ، إذ استغل نور الدين توجسه الصليبيين نحو مصر ، فهاجمهم من الشرق وأمن تفتيلا وتخريبا في المناطق التي يحتلونها مضيئا/ خسارتهم في دياط خسائر أخرى^(٢) . وهذه هي المرحلة الثانية من الموقف الصليبي ازاء القاهرة .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فإنها تبدأ بعد نهاية المرحلة الثانية ، وفي هذه المرحلة أصبحت الهجمات ضد مصر تأتي من أوروبا مباشرة ، مما يعكس مدى أهميتها في خطط الأوربيين ، خاصة بعدما تمكن صلاح الدين الأيوبي من القضاء على الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، وبعد أن داوم على مناوشة الصليبيين من الجبهة الجنوبية الغربية فشن عليهم عددا من الحملات المتعاقبة^(٣) .

ولقد أدى ذلك لأن يدرك الأوربيون مدى خطورة وضع الدولة الأيوبية في ذلك الوقت على بني جلدتهم في الشام . فعمدوا الى مهاجمة من أوروبا مباشرة ، ففي أوائل عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م قام اصطول صقلي ضخم بمهاجمة ميناء الاسكندرية^(٤) في موعد تواطؤا فيه مع بعض أتباع

(١) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ١٤١ ، سعيد عاشور ، مصر والشام

ص ٢٢ - ٢٣ . الباز المعري ، مصر في عصر الأيوبيين ، ص ٣٦٠ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ / ١٠٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ / ١٨١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٦٠ .

(٣) هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ، ص ١٢٠ .

(٤) ابن الاثير ، م . س ٩ / ١٢٩ ، ويذكر ابن واصل ان الهجوم في اواخر العام السابق ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، ابن واصل : م . س ٩ / ٢ ، ويبدو أن الهجوم بدأ في اواخر ٥٦٩ هـ واستمر حتى اوائل عام ٥٧٠ هـ .

الفاطميين الذين قاموا في اواخر عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م بثورة في الصعيد تمكن صلاح الدين من القضاء عليها. (١)

ولقد آل مصير الحملة البحرية الصقلية على الاسكندرية الى الفشل الذريع ، فغتم المسلمون من اعدائهم مغانم كثيرة (٢) واستمرت هذه المرحلة الى ما بعد عهد صلاح الدين الأيوبي ، ان شهدت مصر بعد عهد صلاح الدين اتجاه الحملات الصليبية نحو مصر مباشرة من أوروبا ويعكس هذا الأمر مدى تطور النظرة الصليبية نحو مصر ، كما أنه يعكس أهمية مصر ، والتي اضحت بفضل الأيوبيين مركز المقاومة الاولى ضد الوجود الصليبي في العالم الاسلامي. (٣)

أما عن الآثار العمرانية التي نجمت عن الموقف الصليبي تجاه القاهرة فقد كانت متعددة الجوانب ، ان أن الاحداث التي مرت بها هذه المدينة كان لها دور كبير في التأثير على الوضع العمراني للقاهرة الكبرى ، حيث تأثرت خريطة المدينة ببعض الأحداث التي ارتبطت بهذا الموقف ، كما حدث للفسطاط التي احرقت في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م على يد الوزير شاور ، بسبب أنه لم يكن قادرا على الدفاع عنها ، حينما حاول الصليبيون الاستيلاء عليها (٤) ، ولقد ترتب على هذا الحريق احدى الظواهر الجغرافية في المدينة وهي ظاهرة "الأكوام" ، والتي سبق الحديث عنها. (٥)

(١) ص : ٢٢٢ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٤٩ . سعيد عاشور ، مصر والشام

ص ٣٢ .

(٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ٢ / ٩٢٠ - ٩٢٣ .

(٤) ص : ٣٠٧ .

(٥) ص : ١١٠ - ١١١ .

كذلك فان وجود الخطر الصليبي في الشام كان من الدوافع الرئيسية التي جعلت صلاح الدين يقوم بتنفيذ مشروعه التحصيني الكبير لمدينة القاهرة (١).

ولا شك بأن هذه الخطر الصليبي كان من العوامل الرئيسية التي دفعت بصلاح الدين نحو تشجيع الهجرة الى مصر (٢)، إذ أن زيادة الكثافة السكانية في هذه البلاد سيساعد الى حد بعيد على زيادة قدرتها نحو مقاومة الهجمات الصليبية . وبطبيعة الحال فان مثل هذه الهجرات ستنعكس على المدينة بشكل أو بآخر في ازدياد سكانها ، وبالتالي زيادة في نشاطهم العمراني الذي يمكن ملاحظته في جانب من جوانب تلك المساحات الخالية من البناء ، التي جرى تعميرها في القاهرة الكبرى في عهد الناصر صلاح الدين (٣).

ج - الفتن والحوادث الداخلية :

ومن العوامل التي أثرت على الأوضاع العمرانية للمدينة خلال تلك الفترة ، الفتن والحوادث الداخلية ، ونظرا لحرص صلاح الدين على تثبيت الأمن والاستقرار في البلاد والعودة بها الى مذهب السلف من أهل السنة والجماعة (٤) فقد واجهه وضعاً أمنياً سيئاً في داخل اقليم مصر .

(١) احمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ٢ / ٧ - ٨ ، ٢٢ ، بول

كزانونا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٣٢ .

(٢) ص : ٥٠٨ - ٥١١ .

(٣) ص : ٣٦٤ - ٣٩٤ .

(٤) ص : ١٣٩ - ١٤٢ .

(١) ان كانت البلاد تعاني في أواخر العصر الفاطمي من انتشار الفوضى والاضراب . فلقد شهد أواخر هذا العصر قتالا عنيفا بين الولاة والقادة ، من أجل الوصول الى سدة الوزارة ^(٢) ، ونشأ عن هذا الوضع أن البلاد عاشت في حالة من الفوضى والاضطراب الداخلي الذي أدى الى التعجيل بنهاية الحكم الفاطمي ^(٣) كما أدى أيضا الى جذب الزنكيين والصليبيين للتدخل بشكل مباشر في شؤون مصر ، حيث لجأ بعض الوزراء الى الاستعانة بالقوى الخارجية للمحافظة على مناصبهم ^(٤) ، بل ان طوائف الجند الفاطمي كانوا في تلك الفترة عناصر تخريب وفوضى ، فطائفة الجند السودان كان خطرهم (. . عظيما لامتداد أيديهم الى أموال الناس وأهليهم . .) ^(٥) .

كذلك كانت الفتن المسببة في قتل وزير واعتلاء آخر تؤدى الى نهب الدور والأسواق والدكاكين ^(٦) . وهذه ظاهرة تحولت في أواخر العصر الفاطمي الى (. . . عادة مستقرة وشيئا معهودا . .) ^(٧) . بل ان هذه الاضطرابات أثرت على الأوضاع السكانية في المدينة ، التي من المؤكد أنها أصيبت بنقص سكاني ذريع ، حيث أودت هذه الحوادث بحياة

- (١) احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ١٨٥ .
- (٢) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ٥٣٠ .
- (٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٨٠ .
- (٤) جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية ص ١٢٧ ، على بيومي ، م . س . ص ٩٤ ،
- اسمت غنيم ، الدولة الايوبية ، ص ١٥ .
- (٥) المقرئى : الخطط ، ١٩/٢ .
- (٦) المقرئى ، اتعاظ الحنفاء ، ١٤٣/٣ .
- (٧) ن . م . س .

الكثيرين من القادة والأُمراء وذوى الرأى في البلاد (١) ، ولا شك والحالة كهذه أن يكون أثرها على السكان كبيرا .

وباعتلاء صلاح الدين الأيوبي كرسى الوزارة ، دخلت البلاد فسي مرحلة جديدة من الفتن والحوادث الداخلية ، فعلى الرغم من أن صلاح الدين قد تمكن من فرض ارادة الأمن في عموم البلاد (٢) ، إلا أن أوضاع العصر الفاطمي ما كانت لتنتهي بسهولة خاصة وأن الفاطميين لا يمكن أن يقبلوا بالوجود الزنكي لديهم ، إذ أنهم أدركوا أن هذا الوجود يمثل تهديدا خطيرا لحكمهم .

وبوء كد ذلك ما تذكره الروايات التاريخية عن حادثة احراق جامع عمرو بن العاص ، والتي تمت أثناء حريق الفسطاط في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، فعلى الرغم من أن هذا الحريق كان يهدف الى منع استيلاء الصليبيين على هذه المدينة ، فان مؤتمن الخلافة جوهر (٣) برر حرق هذا الجامع بقوله أنه لا يريد أن (.. يخطب فيه لبني العباس ..) (٤) لذلك فقد كان من الطبيعي أن يلجأ الفاطميون الى مقاومة الوجود الزنكي في مصر .

(١) المقرئى ، م.س ، ٣ / ١٤٩ ، ١٥١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، وانظر الى ما يذكره ابوشامة عن دور الوزير ضرغام في اضعاف الدولة الفاطمية بقتله الأُمراء . ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ، ق٢ ، ص ٢١٧ .

(٢) ص : ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المعتمدة . بيد انه من الواضح انه هو الذى قتله صلاح الدين في نفع العام لاشتراكه في مؤامرة ضده بالتعاون مع الصليبيين . انظر ، المقرئى : الخطط ، ٢ / ٣٠٢ ، الخاصكى ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢ .

(٤) المقرئى ، م.س ، ٢٠ / ٣٢٠ .

فأقدمت الادارة الفاطمية على التآمر ضد صلاح الدين الأيوبي عن طريق الاتصال بالصليبيين والتخطيط والتنسيق معهم . فتكاد المصادر التاريخية أن تجمع على أن رأس هذه المؤامرة هو مؤتمن الخلافة جوهر^(١) ، وإن كان من الواضح أن الخليفة الفاطمي العاضد هو الذي كان يقف وراءها ويوجهها كما يشير الى ذلك ابن تفرى بردى^(٢) وعلى أية حال فإن صلاح الدين قد تمكن من اكتشاف تلك الاتصالات الحاصلة فيما بين مؤتمن الخلافة والصليبيين^(٣) ، فقام بقتل الأخير بعدما تمكن من الاساك به خارج القصر^(٤) ، الأمر الذى أشعل شرارة الفتنة في القاهرة ، فاجتمع عدد كبير من أفراد الجيش الفاطمي يقدر عددهم بخمسين الفا من الأمراء وطوائف الجند السوداني وغيرهم . اتجهوا نحو دار الوزارة يريدون الفتك بصلاح الدين ، حيث التحمت قواتهم مع قوات الناصر في معارك عنيفة دارت رحاها في داخل القاهرة ، فسي المنطقة الممتدة من ميدان بين القصرين حتى باب زويلة ، حيث حاصرت قوات صلاح الدين المتمردين عند هذا الباب ، بعدما تمكن من سحق

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٣/٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ق ٢ ،

ص ٤٥٠ - الفتح البندازى ، سنا البرق ، ص ٤٢ . ابن كثير ،

البداية والنهاية ، ٢٥٧/١٢ ، المقرئى ، م.س ٢/٢ .

(٢) ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٣٥٤/٥ ، وانظر أيضا ، حسان

نظير سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٨ .

(٣) ابو شامة ، م.س ، ج١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب

١٢٥/١ ، الفتح البندازى ، م.س .

(٤) ابن كثير ، م.س ، ٢٥٨/١٢ .

هجماتهم الأولى ، وليمنتهى الأمر باخراج المتمردين الى خارج القاهرة .^(١)

ولقد كان لهذا الانتصار أثره الكبير على تقلص النفوذ الفاطمي مشلا في الخليفة العاضد في حين أن قوة صلاح الدين تزايدت عن ذي قبل بشكل كبير^(٢) . وبالرغم من ذلك التحول في النفوذ والقوة فان محاولات الفاطميين أو أتباعهم للقضاء على صلاح الدين الأيوبي لم تنقطع حتى بعد أن قضى صلاح الدين على خلافتهم في عام ٥٦٢هـ / ١١٧١ م ، إذ استمرت حركات التمرد والتآمر ضد الدولة الأيوبية بعد هذا التاريخ لفترة طويلة ، في محاولة لاعادة الحياة للدولة الفاطمية . ففي عام ٥٦٩هـ / ١١٧١م اكتشف صلاح الدين مؤامرة تستهدف اعادة احياء الخلافة الفاطمية ، كان من أركانها جماعة من أعيان المصريين ومنهم الشاعر عماره اليميني^(٣) ، وقد قام هو^٤ بالاتصال ببعض اعداء صلاح الدين في الخارج ، حيث أجروا اتصالات بالصليبيين في الشام وصقلية ، علاوة على الاسماعيلية الحشاشين ،

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ ، المقرئى ، الخطط

٢ / ٣ . الخاصكى ، التحفة الفاهرة ، لوحة ٢ ، مؤلف مجهول

تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٢

(٢) ص : ١٨٥ - ١٨٦ .

(٣) هونجم الدين ابو محمد عمارة بن ابي الحسن علي بن ديوان الحكى

اليميني ، شاعر مشهور . ولد باليمن وتعلم بها ، ثم انتقل الى مكة

حاجا ، حيث اتصل بأمرها قاسم بن فليته ، الذى سيره الى مصر رسولا

الى الخليفة الفائز الفاطمي ٥٤٩هـ / ٥٥٥هـ - ١١٥٤ / ١١٦٠م

فمدح الفاطميين ، فقر به اليهم ومضى عندهم الى اواخر عهدهم .

عنه انظر : عمارة اليميني ، النكت العصرية ص : ٧ - ٤١ ، ابن خلكان

وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٣١ - ٤٣٦ ، شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ،

القاهرة ص ١٥٤ - ١٥٧ .

وقد انتهت المشاورات فيما بينهم على اقامة جبهتين متحدثتين ، تقومان بمهاجمة صلاح الدين في وقت واحد .^(١)

الا أن صلاح الدين تمكن من اكتشاف بعض خيوط المؤامرة ، وذلك عن طريق احد الاجناد الذى دسه صلاح الدين فيما بينهم^(٢) ، والذى يبدو أنه كان أحد افراد جهاز الاستخبارات المتطور الذى كان يمتلكه صلاح الدين الأيوبي .^(٣)

وكان من نتيجة ذلك اقدام صلاح الدين على القضاء على أركان تلك المؤامرة وصلبهم في ميدان بين القصرين في القاهرة^(٤) . وان كان من المرجح أن ذيول تلك المؤامرة لم تكتشف تماما ، اذ من المؤكد أن ثورة الكنز التي حدثت في صعيد مصر في أوائل عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وكانت تهدف الى اعادة الدولة الفاطمية ، لم تكن سوى جزءا منها^(٥) . ومرتبطة بهجوم الاسطول الصقلي على الاسكندرية التي حدثت في أواخر عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م كما سبق وأن أشرنا اليه .^(٦)

(١) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٣٥ . ويذكر ابو شامة ان الذى نسب عن هو لا^١ الثائرين هو الفقيه نجم الدين ابن نجيه الواعظ ، انظر : ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، تحقيق ، محمد زاهد ، بيروت ط . الثانية ١٩٧٤ م ص ٣٥ .

(٣) ستيفن رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني بيروت ٢ / ٦٧١ .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٥٢٨ . وعن ميدان بين القصرين انظر ص :

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ / ١٣٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ص ٥٧ ، حسان نظير سعداوى التاريخ الحربى المصرى ، ص ٢٧ .

(٦) ص : ٢٠٩ - ٢١٠ .

ولقد كان مصير هذه المؤامرة الفشل حيث تم القضاء على ثورة الكنز سريعاً (١) ، بيد ان بقايا الفاطميين لم تردعهم الهزائم المتلاحقة ، والاجرايات التي اتبعها صلاح الدين ضدهم ، فقاموا بتكرار المحاولة ، وواصلوا العمل من أجل العودة بالحكم الفاطمي الى الوجود ، ففي عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م حدثت فتنة كبيرة في مدينة قفط (٢) بسبب ان دعيا من بنى عبد القوى ادعى بانه احد ابناؤ الخليفة العاضد ، فاجتمع حوله عدد من أهل المدينة لاعادة الدولة الفاطمية (٣) فعاجل صلاح الدين هذه الحركة بارسال حملة قوية بقيادة أخيه الملك العادل (٤) حيث تمكنت من القضاء عليهم (٥) .

وتذكر المصادر كذلك بأنه قد جرت في عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م محاولة هامشية أخرى ، اذ دخل القاهرة اثنا عشر رجلا شاهرين سيوفهم ورافعين شعار الدولة العلوية (٦) صائحين (... يآل على ، يآل على ...) (٧) ويظهر انهم قد تصوروا بأن الناس سوف يجتمعون حولهم ، وكانوا يهدفون القيام بثورة ضد صلاح الدين الأيوبي ، الذي كان مشغولا في ذلك الوقت

-
- (١) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠١ .
 (٢) مدينة بالصعيد كانت في عصر الفراعنة عاصمة الاقليم ، واشتهرت في العصر الاسلامي بصناعة السكر وبها معدن الزمرد . المقريزي : الخطط ٢٣٢ / ١ - ٢٣٣ .
 (٣) المقريزي ، م . ص ٢٣٣ / ١ .
 (٤) عنه انظر ص : ٢٣٠ هامش (٧) .
 (٥) المقريزي ، ن . م . ص .
 (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٧ / ٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ١٣٨ / ٢ .
 (٧) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠١ .

بمحاربة الصليبيين في فلسطين^(١) ، إلا أنه لم يتحقق أى غرض من اغراضهم .

ولقد استمرت محاولة إعادة الدولة الفاطمية حتى أواخر عصر صلاح الدين الأيوبي ، إذ يشير المقرئى الى محاولة ثم اكتشافها في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م حيث قام أحد أخفاد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله^(٢) بمحاولة الدعوة للدولة الفاطمية ، يبدو أنه قد اشترك معه فيها بعض أقرباء الوزير شاور ، فقبض عليهم وأودعوا السجن .^(٣)

ولقد ترتب عن هذه الحوادث والفتن مظاهر عمرانية شتى ، ذات ابعاد انشائية عمرانية أو سكنية ، فتوة العبيد نتج عنها اختفاء بعض الحارات في المدينة حيث اختفت بعض الحارات بشكل نهائي بينما كان اختفاء الأخرى رمزيا^(٤) ، ومن المؤكد أن هذه الثورات قد اسهمت بشكل أساسي في تبني صلاح الدين للمشروعات التحصينية في القاهرة ، إذ لا شك في أن بناء قلعة القاهرة لكي تكون مقرا للسلطان^(٥) ، إنما كان

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٧/٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ١٣٨/٢٠ .

(٢) هو عبد المجيد بن محمد بن المستنصر العبيدي ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ /

١١٣٠ - ١١٥٤ م ، عنه انظر ، ابن دقماق ، الجواهر الثمين ،

ص ١١٢ - ١١٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ١٣٨/٤ .

(٣) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤) ص : ٣٩٨ - ٤٠٢ .

(٥) ص : ٤٧٢ .

يهدف الى توفير مكان آمن يهدف الى حماية السلطة في حال حدوث ثورة
من الثورات .

كذلك كان لهذه الحوادث دورا في احداث التغير السكاني
في القاهرة ، ان قام صلاح الدين بتهجير الكثير من أتباع الشيعة الى
خارج القاهرة عقب هذه الثورات . (١)

(١) ص : ٥٠٦ - ٥٠٨ .

الفصل الرابع

العمل في القضاء والولاية

أولاً : العوامل الاقتصادية :

تشكل العوامل الاقتصادية دوراً هاماً في نشأة المدن وتطورها الحضري والعمراني^(١) ، لذلك كان لهذه العوامل في عهد صلاح الدين دوراً مؤثراً في تطور القاهرة ونموها .

ومنظرة فاحصة للناحية الاقتصادية في نهاية العصر الفاطمي نلاحظ أن مصر كانت تعاني من أزمة اقتصادية حادة يدل عليها ما ورد في سجل تعيين أسد الدين شيركوه^(٢) كوزير للخليفة الفاطمي العاضد^(٣) ، جاء فيه (والأموال فهي سلاح العظام ومواد العزائم وعتاد المكارم وعماد المحارب والمسالمة ، وأمير المؤمنين يؤمل أن تعود بنظر عهود النضارة وإن يكون عدلك في البلاد وكيل العمارة فاعمر أوطانهم التي أخرجها الجور والأذى)^(٤) .

كما يتفق الباحثون على أن من أسباب الأزمة النقدية التي عانت منها البلاد سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م كان سببها تدهور الأوضاع الاقتصادية وأخيراً حكم الفاطميين^(٥) .

وعلى أية حال فقد عمل صلاح الدين على التصدي لهذه الأزمة الاقتصادية باتباع سياسة حكيمة في معالجتها^(٦) . فوجه اهتماماً

(١) ص ٦٣-٦٩ .

(٢) عنه انظر ص ٢١ هامش (٢) .

(٣) عنه انظر ص ١٣٠ هامش (٦) .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١٠٠ / ٨٩ .

(٥) حسنين ربيع ، النظم المالية ص ٩٤ - ٩٥ ، عطية القوصي ، تجارة مصر

في البحر الأحمر (منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية)

القاهرة ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٦) عطية القوصي ، م.م ص ١٤٤ .

كبيرا نحو الشئون الزراعية والتجارية ، مما ادى الى تحسن كبير في أوضاع هذه المجالات لتخرج البلاد مما كانت عليه من تدهور اقتصادي (١) ، كما يشير الى ذلك القاضي الفاضل في خطاب وجهه الى صلاح الدين وهو في الشام عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م جاء فيه أن (. . . البلاد ليست الآن كعهدنا في انقطاع أسفارها ووقوف معاشها وكساد أسواقها وانكسار تجارتها . . .) (٢) ولكي نبين أثر العوامل الاقتصادية على الأوضاع العمرانية للقاهرة الصلاحية لا بد من التركيز على ابرز جوانب اقتصاديات المدينة ذات الصلة بالنواحي العمرانية وهي كالتالي :

أ - زيادة تراكم الثروة في القاهرة الصلاحية :

لقد كان عصر الناصر صلاح الدين مرحلة تحول كبير في مجال زيادة الثروة والرخاء الاقتصادي بمصر بشكل عام ، حيث تحسنت أوضاع الموارد الاقتصادية المختلفة بصورة اكبر عما كانت عليه في العصر الفاطمي ، على الأقل في اواخره كما سبق ان أشرنا .

وبطبيعة الحال فان القاهرة الصلاحية سوف تتأثر كثيرا بمظاهر التحسن الاقتصادي هذه والى حد بعيد جدا بحكم انها عاصمة البلاد ، التي عادة ما تكون - العاصمة - ملتقى الأنشطة الاقتصادية في الدولة (٣) . وان كان عصر الناصر صلاح الدين قد زاد من مقدار الفرص المتاحة لتراكم الثروة في القاهرة ، بما أحدثه من تعديلات وتطورات على الأوضاع الزراعية

(١) انظر ما يلي .

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ١٧٧/٢ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ٣٤٣/١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ .

التي تعتبر من أهم الركائز الاقتصادية في مصر. (١)

فعلى الرغم من أن الدولة الإسلامية كانت تجني على النوام الكثير من الفوائد المالية من الزراعة نتيجة تطبيق نظام الخراج (٢)، مما يعني بدوره أن الكثير من هذه الموارد ستنصب في العاصمة، فإن عصر الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي كان سببا رئيسيا في زيادة تراكم

(١) عبد الفتاح وهبة، الجغرافيا التاريخية، ص ٢٨٦.

(٢) أحمد العسال، فتحي أحمد عبد الكريم، النظام الاقتصادي الإسلامي

(مبادئ وأهدافه) ص ٦١ - ٦٢، قطب إبراهيم، النظم المالية

في الإسلام، ص ٨١ - ٨٢، والخراج نظام أول من طبقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقوم على أساس أنه يحق للإمام أن لا يقسم الأراضي المفتوحة بين الفاتحين وإنما يفرض عليها مقدار من المال وتبقى في أيدي أهلها تحت حكم الاستغلال، للمزيد انظر:

أبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٣ هـ، الخراج، بيروت ١٣٩٩ هـ/

١٩٧٩ م، ص ٢٣ - ٤٧، ابن رجب الحنبلي، أبي الفرج عبد الرحمن بن

أحمد ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م، الاستخراج في أحكام الخراج، تحقيق

محمد إبراهيم الناصري، رسالة ماجستير في الحضارة الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ٨٢ - ٢٧١،

ويذكر حسنين ربيع أن المعادن في مصر وهي الذهب والذهب والنظرون

تخضع لحكم الخراج معتمدا في ذلك على ما يذكره ابن ماتي من أن

هذه المعادن تستخرج من أراضي مصر، وأن كان الأخير لا يذكر

ولا يشير إلى ذلك. انظر حسنين ربيع، النظم المالية في مصر، ص ٤٥

وانظر فيما يذكره ابن ماتي في هذا الصدد، ابن ماتي، قوانين

الداويين ص ٨١، والحقيقة فإن الخراج ينطبق فقط على الزراعة

حسبما تشير المصادر بذلك، انظر الماوردى، الأحكام السلطانية،

ص ١٤٦، القلقشندى، صبح الأعشى، ٣ / ٤٤٨.

الثروة في القاهرة عن طريق الزراعة نتيجة للتوسع في تطبيق نظام
الاقطاع^(١) ، الذي ساهم الى حد بعيد في زيادة الثروات المتراكمة
لدى رجال الدولة وجندها عما كان عليه الحال في العصر الفاطمي ،
ان تذكر المصادر التاريخية ، ان الوزير الفاطمي شاور^(٢) لما أراد فسي

- (١) الاقطاع من اقطع قطعة ، اي قاطعه من الارض ، تفرد عن بقية
الاراضي يطلق عليها " قطعة " ، الزبيدي ، تاج العروس ٤٧٤/٥ .
مادة (ق . ط . ع) ، والاقطاع على ضربين :
١ - اقطاع تمليك بان يقطع الامام ارضا لفرد او اكثر فيتملكوها ،
٢ - واقطاع استغلال واستغلال الارض دون امتلاك رقبته .
انظر ، الماوردي ، م . س . ص ١٩٠ ، الزبيدي ، ن . م . س ، احمد
عبدالله خياط ، الاقطاع في الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر
العباسي الاول . رسالة ماجستير في الحضارة الاسلامية ، جامعة أم
القرى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ١٤٠٠هـ / ١٤٠١هـ /
١٩٨٠ - ١٩٨١ م ص ٥٢ - ٦٤ .

ولقد عرف الاقطاع منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
استمر في عهد الراشدين والامويين والعباسيين والفاطميين ، وكانت
القطائع تقطع في مصر ولكن على نطاق ضيق .
المقريزي ، الخطط ، ٨٥/١ ، ٩٥-٩٧ ، ابراهيم علي طرخان ،
النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ص ١٠-١٢ ،
حسن ربيع ، م . س . ص ١٣ ، ٢٥-٢٦ ، ولم يتوسع في تطبيق
نظام الاقطاع بمصر الا في عصر صلاح الدين الأيوبي ، انظر
ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

- (٢) عنه انظر ص ٣٧ هامش (٥) .

عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ان يدفع فدية للصليبيين مقابل عدم استيلائهم على القاهرة^(١)، لم يستطع تجميع المبلغ المطلوب من سكانها لانهم كانوا من الجند ورجال الدولة^(٢). في حين انه بحلول حكم الأيوبيين، أصبح الامراء والاجناد رمزا للغنى والثروة، فمن أسباب عظمة القاهرة وفخامتها في ذلك العصر، كونها مأوى لهذه الفئة من الناس^(٣)، الذين كان لانتقالهم الى الفسطاط في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب^(٤) سببا في نموروح الاغتناء وتركز الثروة فيها^(٥). فالأجناد أصبحوا أداة مهمة من أدوات الاستهلاك تلاحقهم الأسواق اينما حلوا^(٦).

ومن المؤكد أن السبب في ذلك يعود لكون رجال الدولة وعلى الأخص العسكريين منهم أصبحوا يتمتعون بمداخل كبيرة جدا، حيث بلغ مقدار الدخل السنوي في العصر المملوكي لأكابر امراء الجيش بالديار

(١) عن محاولة استيلاء الصليبيين على القاهرة ومصر باكملها انظر ص ٢٠٢-٢٠٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ١٠٠/٩، المقرئى : اتعاظ الحنفاء،

٢٩٨-٢٩٩/٣

(٣) ابن سعيد الاندلسي، الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط، من

كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق زكي محمد حسن وآخرون،

ج ١ (من القسم الخاص بمصر) القاهرة، ١٩٥٣م ص ١١،

النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص ٢٧. المقرئى، الخطط،

٣٤٢/١

(٤) عنه انظر ص ٨٩ هامش (١).

(٥) ابن سعيد الأندلسي : ن.م.س،

(٦) ن.م.س.

المصرية ، ما مقداره مائتي (٢٠٠) الف دينار حبشية ^(١) للواحد منهم ، وربما زاد عن ذلك في بعض الاحيان ^(٢) ، الأمر الذي ترتب عنه ان يصبح لدى بعضهم ثروات ضخمة جدا ، توازي ما تملكه مدينة صغيرة بأكملها ^(٣) .

ومن الواضح أن هذا الدخل كان لا يختلف كثيرا عما كان عليه الحال في العصر الأيوبي ، الذي يعتبر العصر المالي امتدادا له في تنظيماته وحضارته ^(٤) .

(١) وهو دينار مسمى فرضى استعمل في تقدير غيره الاقطاعات لافراد الجيش و القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٤٤٢/٣ ، وتختلف قيمته الحقيقية في العصر الايوبي بحسب عناصر الجيش اذ كان يساوى دينارا حقيقيا بالنسبة للاجناد من الاتراك والاكراد والتركمان ، في حين انه يساوى نصف دينار لكتائب الكنانية والعساقلة ، وربع دينار لرجال الاسطول ، وثمان دينار للعربان .
ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٦٩ ، وانظر ايضا حسنين ربيع ، النظم المالية ص ٦٤ .

(٢) القلقشندى ، ن.م.س ، ٥٠/١٤ ، وهذا الرقم يقل بمقدار (١٠٠) الف دينار عن مقدار رواتب الجند والموظفين بأجمعهم في أوائل العصر الفاطمي حيث بلغت (٣٠٠) الف دينار ، عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ، ١٢٥/١ ، احمد السيد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ٢٥٣ ، بيد أن هذه المداخيل تزايدت بعض الشيء في اواخر العصر الفاطمي بتزايد نفوذ رجال الدولة وعلى الاخص العسكريين على حساب نفوذ الخليفة ، وان لا توجد ارقام واضحة تحدد مقدار هذه الزيادة بشكل عام ، انظر أحمد الصاوى ، م.س.س. ص ٢٥٣-٢٦٣ .

(٣) Lapidus - Ram , Muslim Cities in the later middle ages , p. 50 .

(٤) Suzan Jane , Conquest and Fasion , p. 101. (٤)

ان السبب في زيادة مداخيل رجال الدولة من العسكريين على هذا النحو، هو التغير الذي حصل في نظام الدولة نفسها عنه عما كان عليه في العصر الفاطمي . ذلك ان الدولة الايوبية دولة ذات روح حربية عسكرية، استمدت اصولها من الدولة الزنكية ومن قبلها دولة آل سلجوق (١) . وهذه الدول كانت السلطة فيها تستمد قوتها من اولئك القادة العسكريين (٢) الذين كان يتبعهم عدد كبير من الجند - ذوى الولاء الشديد لامرائهم - كل بحسب درجته ومقدار غناؤه ، حيث يعتمد الواحد منهم الى شراء عدد كبير من الارقاء ، يجرى اعدادهم وتدريبهم وفق نظام عسكري صارم (٣) . وبالتالي كان لزاما ان يحظى مثل هؤلاء القادة وجندهم بالكثير من الاموال والثروات لكي ترتبط مصالحهم بالسلطة ، ويدافعوا عنها ويحافظوا عليها . فذلك كان حالهم في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي حيث كانوا على سعة رغد من العيش ، وكانوا لا يقبلون بأى حال من الاحوال أن تنتقص ايراداتهم الكبيرة أو ان لا يحظوا بالشئ الوافر من ثروات البلاد (٤) .

-
- (١) هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ، ص ١٨٥ - ١٨٧ ، ولاحظ ما يذكره العبادى عن التأثيرات العسكرية للدولة السلجوقية على الايوبيين ، وأن الاولى كانت هي ومن تفرع عنها من دول اقامها ماليتهم دول حربية الطابع ، احمد مختار العبادى ، قيام دول المالكة الاولى في مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩ م ص ٧٢ ، ٧٦ .
- (٢) هاملتون جب ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، ترجمة احسان عباس واخرون بيروت ط الثالثة ١٩٧٩ م ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ولاحظ ما يذكره العبادى عن نفوذ امراء الاقطاعات في العصر السلجوقي وفي العصر الايوبي ايضا ، العبادى ، م. م. ، ص ٧٧ ، ٨٧ - ٩٣ .
- (٣) هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ص ١٨٦ .
- (٤) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٩ .

ان هذا التحول في أساسيات قوة السلطة وما يترتب عنه ماليا سيؤدى بطبيعة الحال الى زيادة الأعباء المالية المترتبة على الدولة ، بما قد يفوق قدرتها على الصرف على هؤلاء الأمراء والاجناد ، ولذلك فلقد قام الوزير السلجوقي نظام الملك ^(١) باشاعة نظام الاقطاع العسكرى ، بحيث يكون لكل منهم ما مقدار راتبه اقطاعا ^(٢) ، الأمر الذى يدفعهم نحو السعى لزيادة مداخيلهم ، عن طريق عمارة الأراضي الزراعية والاهتمام بشئونها وتحسين احوالها . ^(٣)

-
- (١) ابو على الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك ، من اشهر وزراء الاسلام وله الكثير من التنظيمات والاعمال منها نشر المدارس وغيرها . وزر للسلطانين السلجوقيين ألب ارسلان ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م وطك شاه ٤٦٥ - ٥٤٨ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م . مات مقتولا في سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م عنه انظر : العماد الاصفهاني ، تاريخ دول آل سلجوق باختصار الفتح السندارى ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى في دار الاوقاف الجديدة ، بيروت ط . الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٥٨ - ٦٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٢٨ / ٢ - ١٣١ .
- (٢) عزام باشا : النظام الادارى في الدولة العباسية في العصر السلجوقي ٤٣٢ - ٤٨٥ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٢ م ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الاسلامية في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦ هـ ص ٣٠١ ، ٣٠٤ .
- (٣) العماد الاصفهاني ، م . م ، ص ٦٠ ، العبادى ، قيام دولة الماليك الأولى ، ص ٧٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٦ .

ونظرا لأن الدولة الأيوبية ، تعتبر امتدادا للدولة الزنكية^(١) ، التي بدورها وريثة لدولة بني سلجوق في نظامها وإدارتها^(٢) ، فلقد قام صلاح الدين الأيوبي بتعميم نظام الاقطاع العسكري في مصر ، بحيث أصبح جل أراضيها الزراعية اقطاعا للسلطان وامرائه وجنده^(٣) ، فضلا عن اقطاعات العربان^(٤) . فحتى كبار رجال الدولة حصلوا على اقطاعات كبيرة ، يدل على ذلك اقطاعات البيت الأيوبي نفسه . فوالد صلاح الدين الأيوبي نجم الدين ايوب^(٥) كان اقطاعه يشمل عدد من اقاليم الديار المصرية^(٦) .
ففي حين أن اقطاع شمس الدولة توران شمس^(٧)
(٨) (٩) (١٠) (١١)
كان يشمل قوص واسوان وعيذاب .

-
- (١) القلقشندي ، صبح الأعشى ٥/٤ ، حسنين ربيع : ن . م . ص .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٧٩/٥ ، ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٠ ، العبادي ، ن . م . ص ، ص ٧٣ .
(٣) المقرئى ، الخطط ، ٩٧/١ ، ابراهيم طرخان ، ن . م . ص ، ص ٣٣-٣٢ .
(٤) حسنين ربيع ، ن . م . ص ، ص ٢٧ .
(٥) عنه انظر ص ٢٤ هامش (١) .
(٦) وهي الاسكندرية والبحيرة ودمياط ، ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ص ٣٦ - ٣٧ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٧ .
(٧) عنه انظر ص ١٨١ هامش (١) .
(٨) مدينة تقع جنوبي الفسطاط على الشاطئ الشرقي للنيل ، وتبعد عنها مسير اثنا عشر يوما وتعد قصبة الصعيد وأهلها على ثراء واسع ، ويشتهلون بالتجارة ، عنها انظر : ياقوت : معجم البلدان ٤/٤١٣ ، المقرئى ، الخطط ، ٢٣٦/١ - ٢٣٧ .
(٩) عنها انظر ص ١٨١ هامش (٢) .
(١٠) ابراهيم طرخان ، ن . م . ص ، ص ٣٧ ، حسنين ربيع ، ن . م . ص .
(١١) هي بليدة على البحر الاحمر ، تعد ميناء تجاريا هاما لتجارة القادمة من على هذا البحر ، عنها انظر ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٤٥ - ٤٨ ، ياقوت ، ن . م . ص ، ٤/١٧١ .

وهو الاقطاع الذى حظى به بعد انتصار صلاح عن ثورة العبيد
 في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ^(١) ، بل ان اقطاع شمس الدولة أخذ في
 التزايد ، فأضيف اليه في عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م عدة أقاليم مصرية أخرى ^(٢)
 وأقطع أيضا ما يفتح الله على يديه من البلاد ^(٣) ، لذلك فان غالب اراضي
 اليمن كانت اقطاعات لشمس الدولة بعد ان فتحها في سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ^(٤) .
 ولقد كان لهذه الاقطاعات ايرادات ضخمة على اصحابها ، يدل على
 ذلك العبء المتحمله عنها للدولة . فضواحي الاسكندرية كانت عبرتها
 في عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ما مقداره (٨٠٠٠٣٨) ديناراً ^(٥) ، كذلك
 كانت عبره قوص واسوان وعيذاب في عام ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م ما مقداره (٢٦٦)
 الف دينار ^(٦) وبلغت غلة اقطاع أخي صلاح الدين الملك العادل ^(٧)

-
- (١) ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٧ .
 (٢) وهي مدينة من اعمال الجيزة وسحنود وغيرها . حسنين ربيع ، النظم
المالية ، ص ٢٧ .
 (٣) ن . م . س .
 (٤) ابراهيم طرخان ، ن . م . س .
 (٥) المقرئى ، الخطط ، ٨٧ / ١ .
 (٦) حسنين ربيع ، ن . م . س .
 (٧) هو الملك العادل سيف الدين ابوبكر بن ايوب ٥٩٦ - ٦١٥ هـ /
 ١١٩٩ - ١٢١٨ م ، ملك مصر بعد وفاة الملك العزيز عثمان بن صلاح
 الدين ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ / ١١٩٣ - ١١٩٨ م الذى ورثه ابن قاصر ،
 واضطربت احوال الدولة ، كان مشهورا بالحكم والمكر والدهاء ، عنه
 انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣٢٦ - ٣٢٧ . الحموى ، ابن الفضائل
 محمد بن علي الحموى (عاش في القرن ٧ هـ / ١٣ م) التاريخ المنصورى ،

بمصر فقط ما مقداره (٧٠٠) ألف دينار كل سنة^(١) . الا أن أهمية الزراعة كرافد للثروة لم تقتصر أهميته في عهد الناصر صلاح الدين على زيادة مداخيل رجال الدولة عن طريق تطبيق نظام الاقطاع فحسب ، بل ان الزراعة أسهمت الى حد بعيد في تراكم الثروة وزيادتها نتيجة لتطورها وتحسن أوضاعها في عهد صلاح الدين الأيوبي ، يدل على ذلك التحسن الذي طرأ على بعض الاقاليم الزراعية في هذه البلاد ، ان ازدهرت الزراعة في اقليم الفيوم^(٢) خلال تلك الفترة^(٣) ، الأمر الذي زاد من مقدار المداخيل وبالتالي من مقدار الثروة المتحصلة ، حيث زاد مقدار الجباية الخراجية المتحصلة للدولة بمقدار الضعف تقريبا عنها في أواخر العصر الفاطمي . فابن ظهيرة القرشي يذكر بانها استقرت في عهد صلاح الدين الأيوبي عند (٤٦٥٣٠١٩) ديناراً^(٤) في حين ان آخر احصائية يوردها المقرئ

- === تلخيص كشف البيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العبد دودو دمشق ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ٧٦ ، ابن دقماق ، الجواهر الثمين ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٦ / ١٦٠ - ١٧٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٥ / ٦٤-٦٥ .
- (١) ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٩ .
- (٢) من اخصب اقاليم مصر الزراعية وهي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط مسيرة اربعة ايام وعاصمته اسمها الفيوم أيضا ، واشتهر في العصر الاسلامي بزراعة الرز والكتان . عنه انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٨٦-٢٨٨ ، محمد رمزي ، القاموس الجغرافي ، ق ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٦ .
- (٣) مصطفى المنصوري ، تاريخ الفيوم ، القاهرة ١٩٢٩ م ص ١٩ .
- (٤) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٢٦ .

عن مجموع إيرادات الخراج في اواخر العصر الفاطمي ، قد بلغت ما مقداره (٢٢٠٠٠٠٠) ديناراً وذلك في عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م ^(١) ثم تراجع الإيراد بعد ذلك عن هذا المبلغ حيث (. .) لم يجبيها هذه الجباية أحد حتى انقرضت الدولة الفاطمية (. .) ^(٢) .

ومن الواضح أن هذا التطور في مقدار الجباية يعكس الزيادة في المساحة المزروعة في عهد صلاح الدين الأيوبي إذ نلاحظ أن عدد القرى قد تزايد في تلك الفترة بمقدار الضعف تقريباً عما كانت عليه في اواخر العصر الفاطمي ، حالها حال الجباية الخراجية ، فتذكر المصادر أن عدد القرى التي احصاها ابن ماتي في مصر قد بلغت في ذلك الوقت (٤٠٠٠) قرية ، بينما كانت عددها في اواخر العصر الفاطمي لا يتجاوز الألفي قرية إلا بقليل ، حيث كان يتراوح فيما بين (٢١٢٨) ^(٤) و (٢٠٨٢) ^(٥) قرية . بل أنه من المرجح أنه قد جرى في عهد صلاح الدين ، استغلال غالبية الأراضي الصالحة للزراعة أن لم تكن جميعها ، نظراً لأن مقدار الجباية الخراجية الذي استقر حينئذ عند مبلغ يزيد عن (٤٥) مليون دينار

(١) المقرئى ، الخطط ، ١٠٠/١ .

(٢) ن ٥٠٠ س .

(٣) المقرئى ، م ٥٠ س ، ١٦٠/٢ ، الزيدى ، تاج العروس ، ٥٤٣/٣ ،

مادة : م ٥٠ ص ٠ ر .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق ١٨/١ .

(٥) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ م ص ١٨ ، عبد المنعم ماجد ، المرأة المصرية تتزعم مظاهرات في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٧٧ ، المجلد ٢٤ ص ٣٦ . احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ٢٢٢ .

يدل على ان المساحة المزروعة قد شملت معظم الاراضي القابلة للزراعة
في مصر الاسلامية (١) .

والحقيقة فان هذا التطور يعكس مدى عناية صلاح الدين بالشؤون
الزراعية ، حيث وجه اهتماما كبيرا نحو متطلباتها من شق الترع والقنوات
المائية واقامة الجسور وغير ذلك مما تتطلبه الزراعة ، ففي عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م
صدرت الأوامر بحفر الترع واقامة السدود للاراضي الزراعية (٢) ، كما
صدرت الأوامر سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م الى كل من والى الغربية ووالى
الشرقية بالاهتمام بامر الجسور والعناية بها وعمارتها (٣) ، كما أن هذا

(١) ان من ابرز الشواهد على ان هذا الرقم يدل على أن غالبية
الاراضي أو كلها قد استخدمت في الزراعة لتحقيقه ، ما حدث في
عهد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٢ - ٧٤٤م
عندما كان عبدالله بن الحباب واليا له على خراج مصر ، فلقد قام
الاخير بتوجيه الاهتمام والرعاية الى المشاريع الزراعية واجرى عمليا
مسح للاراضي الزراعية وقام باجراء اصلاحات اللازمة لها فكانت
النتيجة أن بلغ الخارج في عام ١٠٧هـ / ٧٢٦م ما مقداره (٤)
ملايين دينار ، المقرئى م.س ٩٩/١ ، مع العلم أن مستوى
الفيضان بلغ في تلك السنة ١٨ ذراعا ، ابن تغرى بردى ،
النجوم الزاهرة ، ٢٦١/١ ، وهذه هي الحدود القصوى للفيضان
في تلك السنوات والتي يتحقق منها ارواء كامل للاراضي الزراعية
في مصر انظر ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) جورجى زيدان ، تاريخ مصر ، ٣٢١ - ٣٢٢ ، وعن الترع والسدود

انظر ص ٢٣٦ هاشم (٢٠١) .

(٣) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ٧٤٠ - ٧٥٠ .

[illegible]

- (١) ب . م . جيار ، موسوعة الحياة الاقتصادية ، ضمن كتاب وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية ، ترجمة زهير الشايب ط . الاولى القاهرة ١٣/١ .
- (٢) الاصطخرى ، المساك والممالك ص ٤٠ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٣٣٥/٥ ، جيار : ن ٣٠٠ م .
- (٣) جيار ، ن ٣٠٠ م .
- (٤) عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٢٨٦ ، يبدأ منسوب المياه في هذا النهر بالارتفاع في بداية الصيف وتبلغ الزيادة اقصاها مع اعتدال الخريف اى ان مدة الزيادة هي ثلاثة أشهر على وجه التقريب . للمزيد انظر ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٧٤ ، ياقوت الحموى ، م . م ، ٣٣٤/٥ - ٣٣٥ ، المقرئى ، الخطط ، ٥٥/١ ، جيار ، ن ٣٠٠ م .

عن طريق مقياس النيل ، الذى كان الغرض منه تحديد مستوى الفيضان
النهرى ^(١) ، كما عرفت مصر أيضا نظام رى الحياض ، حيث قسمت الاراضي
الزراعية الى مجموعة من الحياض تصل مساحة الصغير منها الى (٢٠٠٠)
فدان ^(٢) والكبير الى (٥٠٠٠٠) فدان ^(٣) ، يتم اروائها عن

- (١) عرفت مصر عددا من المقاييس بعضها يعود الى ما قبل الاسلام ،
يبدو أن اخرها الذى بنته الروم فى قصر الشمع ، وبنى المسلمون
عددا اخر من هذه المقاييس ، كان اهمها الذى امر الخليفة
العباسي المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٠ هـ / ٨٤٦ - ٨٢٤ م ببنائه فى عام
٢٤٧ هـ / ٨٦١ م وجعل امر الاشراف عليه للمسلمين ، وهو يقع
عند انف الجزيرة الجنوبي ، انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ،
١٧٨ / ٥ ، ابن ظهيرة القرشي ، الفضائل الباهرة ، ص ١٧٨ - ١٧٩ ،
محمد بن ابي الفتح الصوفي الشافعي ، الصفوة فى وصف الديار
المصرية ونظام الممالك الاسلامية ، مخطوط عن نسخة مصورة بالميكرو
فيلم فى مكتبة المتحف البريطانى رقم ٢٢٣٩ ، لوحة (١٠) .
ويتكون مقياس جزيرة الروضة من عامود من الرخام مشتمل الاضلاع
ومثبت فى وسط بركة تقع على شاطئ هذه الجزيرة الجنوبي ، وكان
هذا العامود مقسم الى اثنتين وعشرين ذراعا مقسمة الى اربعة
وعشرين قسما تعرف بالاصابع الا ان الاثنا عشر ذراعا الاولى
مقسمة الى ثمانية وعشرين اصبعاً . للمزيد انظر ابن ممتي ، قوانين
الدواوين ص ٧٦ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩ ، ياقوت الحموى ،
ن . م . س . القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٢٨٩ / ٤ .
- (٢) الفدان وحدة قياس لمساحة الاراضي الزراعية ، وكان يساوى ابا الفدان
الاسلامي ٦٢٠٩ مترا مربعا ثم اصبحت فى العصر المملوكي ٦٠٣٤
مترا مربعا اما فى أواخر العصر العثماني فلقد كانت مساحتها ٥٩٢٩
مترا مربعا ، محمد رمزي ، القاموس الجغرافي ، ق ١ / ص ١٠ .
- (٣) عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ص ٢٨٧ .

طريق التحكم بالفيضان من خلال الخلجان والترع (١) والجسور (٢) لذلك فانه عندما يأتي الفيضان تفتح هذه الخلجان والجسور ، لتبدأ الأراضي الزراعية بالامتلاء بهذه المياه ، مكونة سلسلة من البرك التي تتدرج في الارتفاع بعضها فوق بعض (٣) ، حتى تبدو جميع الأراضي الزراعية كأنها بحيرة تتخللها القرى الواقعة فوق تلال مرتفعة ، والتي يكون

(١) تقوم الخلجان والترع بعملية توزيع المياه على مجموع الأراضي الزراعية وكانت الرئيسة منها تمتد الى عشرات الكيلومترات ، فقد اشارت المصادر الى الاكثر أهمية منها مثل خليج الاسكندرية ، ومنها القاهرة وغيرها من الخلجان ، انظر المقرري ، الخطط ، ٧٠ / ١ - ٧٢ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٢٩٧ / ٤ - ٣٠١ ، جيار ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٤ ، عبد الفتاح وهبة ، م.م ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) تقوم الجسور بمهمة توزيع المياه أيضا والتحكم في خروجها ودخولها ، علاوة على حفظ الأراضي من أخطار الفيضان وهي على نوعين الجسور الطولية وتقع بمحاذاة النهر وفروعها ، والعرضية وهي التي تمتد فيما بين الأراضي الصحراوية والنهر ، ولقد قسمت هذه الجسور الى قسمين جسور سلطانية وهي التي على السلطان الاهتمام بامرها لعموم نفعها ، وجسور بلدية وهي التي يهتم بها أهل الناحية . للمزيد انظر ، ابن ماتي ، م.م ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، المقرري ، م.م ، ص ١٠١ / ١ ، القلقشندى ، م.م ، ص ٤٤٤ / ٤ - ٤٤٥ .

(٣) عبد الفتاح وهبة ، م.م ، ص ٢٨٩ ، جيار ، م.م ، ص ١٤ - ١٥ .

الاتصال فيما بينها متعذرا الا بالقوارب أو من فوق الجسور. (١)

وبالنظر الى النصوص التاريخية التي توردها المصادر ، عن مدى تأثير مستوى الفيضان على الاراضي الزراعية في مصر الاسلامية ، يلاحظ بأن تأثير منسوب الفيضان على هذه الاراضي ، قد طرأ عليه عدد من التغيرات في العصور المختلفة ، بدءا من الفتح الاسلامي حتى اواخر العصر المماليكي ، ذلك ان حد الوفاء (٢) النافع ابان الفتح الاسلامي كان (١٦) ذراعا حيث ان النيل اذا بلغ فيضانه هذا المستوى ، فان ذلك يكفي لزراعة اراضي مصر بطريقة تؤدى الى أن يفيض من الغلات ما يكفي لمدة عامين (٣) بيد أنه ابتداء من منتصف القرن الرابع (٤٤٠ هـ / ١٠ م) تقريبا ، يلاحظ ان هناك اختلافا واضحا فيما ذكر عن حدود الوفاء (٤) ، ان يذكر المسعودي انه اذا بلغ مستوى الفيضان (١٦) ذراعا ، فان ذلك يكفي لزراعة ثلاثة ارباع الاراضي الزراعية في مصر (٥) ، وأن (١٧) ذراعا تكون كاملة النفع ، في حين انه اذا بلغ الوفاء (١٨) ذراعا فان هذا يؤدى استبعاد بعض الاراضي الزراعية وتلف المراعي (٦) ، كما يذكر المقرئى انه

- (١) المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٣٠٦ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ٣٣٦/٥ . عبد الفتاح وهبه ، الجغرافيا التاريخية ص ٢٨٩ ، جيران ، الحياة الاقتصادية ص ١٥ .
- (٢) يقصد بالوفاء هو زيادة النيل ومقدار فيضانه ، القلقشندي ، صبح الأعشى ٢٩٠/٤ - ٢٩١ .
- (٣) احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٢ .
- (٤) ن . م . س .
- (٥) نقلا عن ن . م . س .
- (٦) نقلا عن المقرئى ، الخطط ٥٩/١ . احمد الصاوى ، ن . م . س .

الى ما بعد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م كان الوفاء النافع هو (١٦) ذراعا
، واذا زاد عن ذلك ذراعا واحدا فان الخراج يزيد مئة (١٠٠) ألف
دينار، واذا بلغ (١٨) ذراعا كان ذلك الغاية القصوى ، فان زاد بمقدار
ذراع اخرى اى (١٩) ذراعا فانه يؤدى الى نقص في الخراج بمقدار
(١٠٠) الف دينار^(١)، نظرا لما يستبخر من الاراضي المنخفضة^(٢)
اما ابن مماتي فانه عندما تحدث عن الوفاء يذكر بانه كان يعتبر قديما
في حدود (١٦) ذراعا، ويشير الى ان هذه الزيادة لم تعد بنفس المستوى
في عصره^(٣)، ولكن دون ان يبين مقدار ما حصل من تغير، واكتفى بالقول
بانه قد (٠٠) تغيرت الاحوال واختلفت أحكام الاعمال^(٤)، ويلاحظ
ان المقرئى عندما تحدث عن مستويات الفيضان في القرن السادس (١١٢هـ/١٢م)
والتي سبق الاشارة اليها، فانه يذكر ما يوازيها من مستويات في عصره ،
بحيث ان (١٦) ذراعا في الماضي أصبحت توازى ثمانية عشر (١٨)
ذراعا من ناحية تأثيرها على الاراضي الزراعية^(٥)، وهكذا فقد كانت مستويات
الفيضان في أواخر العصر المماليكي تنقسم الى ثلاثة أقسام هي : الحد
الأدنى ويقع في حدود (١٦) ذراعا، والمتوسط وهو في حدود (١٧)
ذراعا ، أما العالي فيتجاوز (١٨) ذراعا، وربما زاد في بعض المواسم
عن (٢٠) ذراعا^(٦) . وهذه المستويات من الفيضان لا تختلف كثيرا

(١) المقرئى ، الخطط ٦٠/١

(٢) ن ٥٠٠ ص

(٣) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص ٧٦

(٤) ن ٥٠٠ ص

(٥) المقرئى ، الخطط ٦٠/١

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ٢٩٦/٣

عما كان عليه الحال في عهد صلاح الدين الأيوبي ، إذ يذكر ابن جبير بأن مستويات الفيضان التي يكون فيها للنفع هي : (١٦) ذراعا كحد أدنى حيث لا خراج للسلطان إذا ما نقص الفيضان عن ذلك ، في حين أن (١٧) ذراعا تعتبر متوسطة ، أما إذا بلغ الماء (١٩) ذراعا (. . .) فهي الغاية عندهم في طيب العام (١) ، وإذا زاد عن ذلك فإنه قد يؤدى إلى استبحار الأراضي على ما يبدو . ويعني هذا بأن هناك فرقا في الحدود القصوى للمستويات النافعة من الفيضان في عصر صلاح الدين عنه في أواخر العصر المالكي بمقدار ذراع كاملة تقريبا ، كذلك يعني بأن هناك فرقا في الحدود الدنيا لما كان عليه الحال في العصر الفاطمي - في أواسط هذا العصر على الأرجح - حيث كانت الحدود الدنيا للفيضان والتي لا ينتج عنها القحط خلال تلك الفترة هي (١٥) ذراعا (٢) ، بينما نجد هنا في عهد الناصر صلاح الدين (١٦) ذراعا ، حيث لا يستحق السلطان الخراج على ما دون ذلك كما سبق أن أشرنا .

وإجمالا ، فبالإمكان القول بأن هناك ثلاثة فترات تاريخية تغيرت فيها المقاييس التي يتحدد بموجبها مستوى الفيضان وما يترتب عنه من آثار زراعية وبالتالي اقتصادية ، وهي فترات يمكن تمييزها من خلال الحدود القصوى للمستويات النافعة من الفيضان ، فالفترة الأولى تمتد من صدر الإسلام وتنتهي في أوائل القرن السادس (١٢٠٢ هـ / ١٢٠٢ م) ، وهي التي أشار إليها المقرئ كما سبق أن ذكرنا . وفي هذه الفترة كان الفيضان

(١) ابن جبير ، الرحلة ص ٣٠ .

(٢) أحمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٧ .

يعتبر قد وصل الى اقصى مستوى له اذا بلغ (١٨) ذراعا ، فما دون ذلك يكون وفاء النيل قد نقص عن بلوغ المستوى الاقصى النافع كما يشير الى ذلك ناصر خسرو^(١) . اما الفترة الثانية وهي التي تبدأ من اوائل القرن السادس (١١٢هـ / ١١٢م) ، وامتدت على ما يظهر الى ما بعد بداية القرن الثامن (١١٤هـ / ١١٤م) حيث تغير تحديد مستوى تأثير الفيضان كما يذكر القلقشندي^(٢) ، فمن الموء كد أن الحدود القصوى للمستوى النافع من الفيضان في هذه الفترة هي (١٩) ذراعا ، كما يتضح من خلال حديث ابن جبير الذي سبق الاشارة اليه^(٣) . في حين ان الفترة الثالثة والتي كانت في اواخر العصر المالكي ، فان الحدود القصوى للوفاء النافع الكامل هي في حدود (٢٠) ذراعا^(٤) .

وتختلف التفسيرات التي تقدمها المصادر حول تحديد اسباب هذه الظاهرة ، فابن ماتي يعتبر ان السبب في تغير تحديد مستويات الفيضان النافع هو (... بلوغ العمارة الى حد اعتبره هذا المقدار ...)^(٥) مما يشير الى ان الوسائل التي كانت تستخدم في الري^(٦) كانت من الكفاية بحيث اذا بلغ مستوى الفيضان (١٦) ذراعا ، فان ذلك فيه النفع الكامل . بينما كان نقص الكفاية في هذه الوسائل ، السبب المباشر في عدم الوصول الى النفع الكامل اذا بلغ الوفاء في حدود الانزع سالفه الذكر . ولعل

-
- (١) ناصر خسرو ، سفرنامه ص ٨٣ .
 (٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ٢٩٦/٣ .
 (٣) الصفحة السابقة .
 (٤) الصفحة السابقة .
 (٥) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ص ٧٦ .
 (٦) سبق الاشارة الى هذه الوسائل ، انظر ص ٢٣٦ هامش (١ ، ٢) .

ذلك هو ما قصده المقرئى حين ذكر ان فساد أحوال الجيسور في وقته ،
هو السبب المباشر في ان لا تبلغ مياه الفيضان كافة الاراضي الزراعية ،
حتى لو بلغ مستوى الفيضان ما فوق (٢٠) ذراعا ^(١) . الا أن اختلال
مستوى أنظمة الري لم تكن السبب الوحيد الذي دفع الى ايجاد هذه الظاهرة
فالقشندى يضيف سببا آخر لا يقل اهمية عن الأول ، وهو ارتفاع مستوى
الاراضي الزراعية عن مستوى الفيضان نتيجة الارساب التي يحملها النهر
معه ، عندما يعم هذه الاراضي وقت الفيضان فتأخذ الاراضي بالارتفاع
التدريجى سنة بعد اخرى ، فيصبح من العسير وصول الماء اليها الا بعدما
ان يصل الفيضان الى مستويات عالية جدا ^(٢) .

الا أن هذا الارتفاع يقابله ارتفاع في منسوب قعر النيل بسبب
الارساب ايضا ، حيث لاحظ ول لكوكس (Willcocks) ان مستوى
الفيضان كان يرتفع ايضا منذ أن انشيء مقياس الروضة في القرن الأول (١هـ /
١٢٧) حتى القرن الثالث عشر (١٣هـ / ٢٠) بما مقداره ثلاثة اذرع . فكان
يبلغ في القرن الاول (١هـ / ٢٧) سبعة عشر ذراعا ، وبلغ في القرن الثالث
عشر (١٣هـ / ٢٠) عشرين ذراعا تقريبا ^(٣) . الا ان هذه الزيادة في
مستوى قاع النهر لم تكن لتبلغ مستوى الزيادة نفسها في الاراضي الزراعية
فهي أقل منها دائما ^(٤) أى أنها أدت الى الابطاء من الاضرار الناجمة

(١) المقرئى ، الخطط ١/ ٦٠ .

(٢) القشندى ، صبح الاعشى ٢٩٦/٣ .

(٣) Willcocks , Egyptian brigaton 1913 Vo. II, p.294

(٤) عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ص ٢٤٩ .

عن الزيادة في ارتفاع مستوى الاراضي الزراعية عن مستوى الفيضان النهري ،
بحيث ان هذه الاضرار لم تظهر الا بعد مرور فترات تاريخية طويلة جدا ،
ربما استغرقت عدة قرون . كما اتضح لنا أثناء الحديث عن الفترات التاريخية
الثلاث ، التي ظهر فيها تغير في مدى تأثير مستوى الفيضان على الاراضي
الزراعية .^(١)

ونظرا لأن عهد صلاح الدين الأيوبي قد شهد تغيرا في منسوب
المياه التي يتعين بموجبه حد الوفاء النافع^(٢) فان هذا يدل على أن ذلك
العهد قد شهد ظاهرة ارتفاع الاراضي عن مستوى الفيضان . خاصة اذا
ما علمنا أن مستويات الفيضان لم تبلغ خلال معظم فترة حكم صلاح الدين
الايوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ / ١١٦٨-١١٩٣م) الحدود القصوى كاملة النفع
(١٩) ذراعا - وبالنظر الى ما يورده ابن تغري بردي عن مستويات الفيضان
خلال تلك الفترة ، يلاحظ بشكل عام ان معدلات الزيادة في مناسيب النيل
في موسم الفيضان ، كان يغلب عليها المستوى المتوسط - (١٧) ذراعا -
حيث بلغ مستواه فيما بين (١٧) ذراعا و (١٨) ذراعا في سنوات
متفرقة أو متتالية ما يزيد على العقد من الزمان ، في حين انه بلغ مستواه
فيما بين (١٦) ذراعا و (١٧) ذراعا ما مقداره سبع مرات ، اما المرات
التي بلغ مستواه فيما بين (١٨) ذراعا و (١٩) ذراعا فلقد كان عددها
سنة مرات^(٣) مما يدل على أن هناك مساحات من الاراضي لم يكن يبلغها

(١) انظر ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) ص ٢٣٩ .

(٣) انظر جدول (١) الذي تم اعتماده نقلا عن ابن تغري بردي ،

النجوم الزاهرة ٥ / ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، و ٦ / ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٣ ،

٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ،

١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ .

- ٢٤٣ -

جدول (١) يوضح مقدار الزيادة في فيضان النيل في عهد صلاح الدين الأيوبي

مقدار الزيادة في الفيضان		السنوات (٥٦٤ - ٥٨٨)
اصبع	ذراع	
١٢	١٦	٥٦٤
١٤	١٦	٥٦٥
٢١	١٦	٥٦٦
٢٠	١٧	٥٦٧
٢٨	١٨	٥٦٨
١٠	١٧	٥٦٩
١٩	١٧	٥٧٠
١٠	١٦	٥٧١
٢١	١٦	٥٧٢
٢١	١٧	٥٧٣
١٩	١٦	٥٧٤
٧	١٨	٥٧٥
١٦	١٦	٥٧٦
٥	١٨	٥٧٧
٢	١٧	٥٧٨
٢٣	١٧	٥٧٩
١٣	١٨	٥٨٠
١	١٧	٥٨١
١	١٧	٥٨٢
١٢	١٧	٥٨٣
١٣	١٧	٥٨٤
٢٢	١٧	٥٨٥
٤	١٨	٥٨٦
١٤	١٨	٥٨٧
١١	١٧	٥٨٨

المجموع : ١٧-١٨ ذراع (١٢ مرة) ١٦-١٧ ذراع (٧ مرات)

ما فوق ١٨ ذراع (٦ مرات) .

الفيضان النهري في كثير من السنين ، وهي مساحات كبيرة يوءد ذلك انتشار زراعة قصب السكر في تلك الفترة ^(١) ، وهي زراعة صيفية لا تتم في الاراضي التي يغمرها الفيضان . وانما تكون في تلك التي تعتمد على الارواء الصناعي ^(٢) .

ولا شك بان هذا يدل دلالة واضحة على ان الزراعة قد انتشرت ايضا في المناطق التي لم يكن يشملها ماء الفيضان ، والتي يبدو انها اهتمت في اواخر العصر الفاطمي ، فكانت من الاسباب الرئيسية لتدني مقدار الجباية الخراجية التي سبق الإشارة إليها ^(٣) في حين انه في عصر صلاح الدين الأيوبي ، جرى استغلال هذه الاراضي وزراعتها بالارواء الصناعي ، نتيجة تطبيق نظام الاقطاع الذي اوجد فئة قادرة - المقطعون - على الانفاق على الزراعة ^(٤) . وبالتالي توسع المساحات المزروعة . وهي ظاهرة سيكون لها تأثيرها على الاوضاع الاقتصادية والثروة كما سبق ان ذكرنا .

-
- (١) عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ص ٣٠٠ .
- (٢) عبد الفتاح وهبة ، م . م ص ٢٩٥ ، ووسائل الارواء الصناعي مثل الساقية والشادوف والطنبور ، انظر منها : عبد الفتاح وهبة ، م . م ص ٢٩١ ، جيار ، الحياة الاقتصادية ص ١٩ .
- (٣) ص ٢٣٢ .
- (٤) ص ٢٢٨ ، ويلاحظ ان انتشار زراعة قصب السكر التي سبق الإشارة إليها تدل على ان هناك نفقات ضخمة وجهت نحو الزراعة .
- ان أنه يعد من المحاصيل الصيفية كما ذكرنا ، وهي محاصيل تحتاج الى نفقات باهظة نتيجة حاجة الارض في هذه الحال الى اعداد خاصة من تسميد وبنار وغيره علاوة على توفير وسائل الارواء الصناعي . انظر عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ص ٢٩٦ .

ومن الروافد التي أسهمت في زيادة الثروة وتراكمها في مصر في عهد
الناصر صلاح الدين الأيوبي التجارة التي ازدهرت أوضاعها في تلك الفترة^(١)،
حيث نتج عنها زيادة كبيرة في مقدار الثروة المتراكمة في هذه البلاد^(٢).
فمن الموءكد أن زيادة التبادل بين مصر ودول أوروبا في عهد الناصر صلاح
الدين^(٣)، قد أسهم إلى حد بعيد في زيادة الموارد النقدية الذهبية
التي تتحصل مصر عليها من تلك البلاد^(٤). ولا يعدوا أن يكون الأمر
كذلك بالنسبة لموارد النقد الذهبي القادم من بلاد السودان وعلى الأخص
الجانب الغربي منها^(٥)، التي تزايد التبادل التجاري معها في تلك
الفترة أيضا^(٦).

ولا شك بأن زيادة موارد النقد هذه، هي التي أسهمت بشكل أساسي
في أن تتمكن الدولة الصلاحية من سك عملات ذهبية جديدة رغم نضوب موارد
الذهب من منابعه الموجودة في مصر في ذلك الوقت^(٧). إذ قام صلاح الدين

-
- (١) ص : ٢٧٠ - ٢٧٨.
- (٢) نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب
(أواخر العصور الوسطى)، القا هرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م،
ص ٢٩٦.
- (٣) ص : ٢٧٣ - ٢٧٧.
- (٤) القلقشندی : صبح الأعشى ٣/٤٣٧. مورييس لومبارد، الجغرافيا
التاريخية للعالم الاسلامي ص ٣٠٤.
- (٥) مورييس لومبارد، م.م. ص ٢٩٥.
- (٦) ص : ٢٧٤.
- (٧) يلاحظ انه منذ اواخر العصر الفاطمي انخفض استغلال الذهب في
مناجم وادى العلاقي بالشرقية وانتهت سيطرة الدولة على هذا

في عام ١١٧١هـ/١١٧١م بسك عملة ذهبية جديدة ^(١) تفريجا للأزمة النقدية التي واجهتها البلاد في تلك السنة ^(٢) واتبع ذلك الاصدار باصدار آخر في عام ١١٧٤هـ/١١٧٤م ليطلوه اصدار ثالث عام ١١٨٠هـ/١١٨٠م ، وكان صلاح الدين يتجه في ذلك نحو أوج قوته السياسية ^(٣).

ولقد ترتب عن تراكم الثروات في القاهرة ، اثار عمرانية عدة ، من أهمها اسهام هذه الثروات في زيادة النشاط العمراني في القاهرة ^(٤) ان أن الوفرة المادية يدفع الناس نحو تأثّل العقار وامتلاكه ^(٥) . لذلك فمن المؤكد أنه قد اندفع في ذلك الوقت العديد من افراد المجتمع القاهري نحو امتلاك وبناء المنشآت والمباني ، فكان للمالكي الاسدية والصلاحية ^(٦) العديد من المنشآت والمباني في القاهرة الصلاحية ظلت تحمل أسمائهم ردحا من الزمن ^(٧) . خاصة وأن صلاح الدين الايوبي قد شجع على مثل هذه

== الاستغلال . عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها القاهرة ١٩٦٤م ص ٧١ . والسبب في ذلك هو فحوب هذه المادة في هذه المصادر . انظر عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر ص ١٤٥ .

(١) المقرري ، السلوك ج ١ ق ١ ص ٤٥ . حسنين ربيع ، النظم المالية ص ٩٧ .

(٢) حسنين ربيع ، ن . م . ص .

(٣) ن . م . ص .

(٤) عن هذا النشاط العمراني انظر ص :

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ١/٣٦٨ .

(٦) المالكي الاسدية تنسب الى اسد الدين شيركوه ، اما الصلاحية

فينسبون الى صلاح الدين الايوبي . العبادي ، قيام دولة

المالكي ص ٨٢ - ٨٣ .

(٧) العبادي ، م . ص ، ص ٩٠ - ٩٢ .

الاعمال ، فقام ببيع العديد من المنشآت التي ورثتها دولته عن الفاطميين وأتباعهم^(١) ، بالإضافة ببيعه لمساحات من الاراضي في المدينة الكبرى ، اذ أن تقي الدين عمر^(٢) اشترى جزيرة الروضة من بيت المال ليوقفها على مدرسته التي بناها في ذلك الوقت^(٣) . كذلك فان تراكم الثروة ، سيسهم بطبيعة الحال في ايجاد مظاهر الرخاء الاقتصادي الذي تميزت به الحياة الاجتماعية في مصر في ذلك الوقت ، والذي ترتب عنه نتائج عمرانية هامة ، سنشير اليها فيما يلي .

ب : انتشار الرخاء الاقتصادي :

نظرا لأن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، قد تميزت بانتشار الرخاء والرفاه^(٤) ، فمن الموءكد أن هذه المظاهر لن تكون موجودة لو لم يصاحبها رخاء في الاوضاع الاقتصادية ، كانعكاس لتحسين النشاط الاقتصادي وتراكم الثروة ، الذي سبق الإشارة اليه .

(١) الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ٦٠ ، المقريزي ، الخطط

٠٤٩٦/١

(٢) هو الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بني أيوب

المشهور بصاحب حماه (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) ، ابن أخي

السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي . وكان ينوب عنه في مصر

أثناء غيابه . وظل كذلك الى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م حيث ولاه

صلاح الدين مدينة حماه واشتهر بها . عنه انظر ابن خلكان ،

وفيات الاعيان ٤٥٦/٣ - ٤٥٧ .

(٣) ص : ٤٨٢ .

(٤) ص : ١٤٧ .

وبما أن هذا الرخاء والرفاه كان مظهرًا اجتماعيًا سائدًا ، فإن ذلك يدل على أنه لم يكن قاصراً على الأمراء من البيت الأيوبي وكبار رجال الدولة الذين كانوا يعيشون في هذه الحياة فحسب^(١) ، بل تجاوز ذلك إلى سائر أفراد الشعب ، حيث أخذت الكثير من الموارد المالية للبلاد بالتحول إلى أيدي هذه الفئة من الناس .

فلقد امتاز العصر الأيوبي بكثرة النفقات العالية التي تطال وجوه البر وأعمال الخير المختلفة مما سيساعد بدون أدنى شك في وصول الكثير من الأموال إلى سائر أفراد الشعب خاصة المحتاجين منهم^(٢) ، وهذه الظاهرة تزعمها الأيوبيون أنفسهم ، الذين وسمهم القاضي الفاضل بأنهم أمة على الأموال لكثرة ما ينفقون^(٣) . فالناصر صلاح الدين اشتهر بالكرم وحبه لأعمال البر والخير^(٤) بصورة لم يسبق لها مثيل في ذلك العصر وكان حريصاً على أن تصل عطاياه إلى سائر الناس على اختلاف درجاتهم^(٥) ،

- (١) هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٩٢ ، ٢٠٠٠ .
- (٢) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفن الاسلامي في العصر الأيوبي ، القاهرة ١٩٦٣ م ص ٦٣ .
- (٣) جمال الدين بن نباته (ت ٧٦٢ هـ / ١٣٧٠ م) مختارات من كلام القاضي الفاضل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ ورقة ١٠ .
- (٤) الاسحاقى ، محمد عبد المعطي بن أحمد (ت /) ، لطائف اخبار القول فيمن تصرف في مصر من الدول ، مخطوط بمكتبة اسعد افندى ، باسطنبول رقم ٢٣٦٢ ورقة ١٦٤ .
- (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٤٠ - ٤١ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٥٢/٧ .

بل ان رعايته كانت تصل الى الغرباء الوافدين الى بلاده من طلاب العلم وصوفيه وغيرهم^(١) ، يهون عليه في ذلك نفقات بيوت الاموال^(٢) التي لم يكن يحرص على ان يكون فيها احتياطات مالية ، فالاموال التي كانت لدى الخليفة الفاطمي العاضد^(٣) وتلك التي جمعها عمه اسد الدين شيركوه^(٤) قام صلاح الدين بانفاقها عندما الت اليه مقاليد الامور^(٥) . بل ان سياسته المالية هذه كانت سببا في احراج متولي الشؤون المالية في دولته ، فكان نوابه على المال (. .) يخفون عليه شيئا من المال حذرا ان يواجههم مهم لعلمهم بأنه متى علم به أخرجه .^(٦) ولم يكن هذا المظهر الانفاقي قاصرا على صلاح الدين ، وانما تجاوزة الى رجال الدولة نفسها وأقربائه شمع الدولة توران شاه^(٧) اشتهر بالكرم وكثرة الانفاق وسعة العطاء ، بل ان خصاله هذه جعلته يموت وهو مدان بمبالغ كبيرة قضاها عنه صلاح الدين.^(٨)

- (١) ن ٠ م ٠ ص .
- (٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧ .
- (٣) عنه انظر ص : ١٣٠ هامش (٦) .
- (٤) عنه انظر ص : ٢١ هامش (٢) .
- (٥) ابوشامة ، الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان (٨) ١٥٥/٧ .
- (٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ١٧٠ .
- (٧) عنه انظر ص : ١٨١ هامش (١) .
- (٨) المقرئى ، الخطط ٣٨/٢ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ورقة ٤٣ .

كذلك اشتهر تقي الدين عمر^(١) بالسعي وراء اعمال البر والحسنات فكان
(.. كثير الاحسان الى العلماء والفقراء وأرباب الخير)^(٢)

الا أنه من المؤكد أن ابرز الاسباب التي أدت الى زيادة انتشار
الثروة بين أفراد المجتمع القاهري في عصر صلاح الدين الأيوبي كان نتيجة
تحول الدولة ورجالها الى مستهلكين رئيسيين من اسواق المدينة^(٣) بعد
ما أدخله صلاح الدين الأيوبي من تغييرات على اوضاع الحواصل التي كانت
موجودة في عهد الفاطميين .

فلقد كان للدولة الفاطمية العديد من المنشآت والصناعات المختلفة
التي تقوم بتوفير الاحتياجات المتنوعة لهم ولعامةهم ورجال دولتهم . وكانت
هذه المنشآت تعرف بحواصل الخلافة ، وهي تنقسم الى خمسة أقسام^(٤) ،
الأول منها هو الخزائن ، والتي بلغ عددها ستة عشرة صنفا ، كما ورد عرضا
في نص للمعريزي عنها^(٥) . اما القسم الثاني فهو حواصل المواشي ، الذي
ينقسم الى قسمين رئيسيين ، أولهما الاسطبلات ومايجرى في مجراها ،

-
- (١) عنه انظر ص : ٢٤٧ ها مش (٢) .
(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٤٥٦/٣ .
(٣) ص : ٢٦٧ .
(٤) زكي حسن ، الاعمال الكاملة (كنوز الفاطميين) ١٦/٤ .
(٥) وهي خزائن : الكتب والبندود ، والسلاح والتجمل ، والورق ،
والسروج ، والفرش والامتعة والكسوات والادم والشراب ، والتوابل
والخيم ، والجوهر والطيب والطرائف ، ودار التعبئة ، ودار
افتوكيين ، ودار العلم ، ودار الفطرة . المعريزي ، الخطط
١/٤٠٨ . وكان يشرف على هذه الخزائن كبار الاستاذين المحنكين
وكل منهم باسم حامي او مقدم أو متولى . ويتبعهم جهاز اداري ضخم
من المشرفين والفراشين . انظر عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين
ورسومهم ١٣/٢ .

والثاني هو المناخات ^(١)، وكانت تحوى على اعداد كبيرة من الجبال ، يقصر عنها الحد على حد تعبير القلقشندى ^(٢) . في حين ان القسم الثالث من حواصل الخلافة فهو مخازن الغلال وشؤون الانبات ، حيث كان للفاطميين عدد كبير من الاهراء لخزن الغلال ، التي كانت تتكدس فيها بكميات كبيرة ^(٣)، وكانت هذه الاهراء تتوزع على مواضع عدة فكان بعضها يوجد في القاهرة واخرى في الفسطاط والمقسى ^(٤) ، بينما كانت شؤون الانبات تقع فيما بين الفسطاط والقاهرة ، وتحوى على الاتبان الخاصة باحتياجات المواشى الديوانية ^(٥) . والقسم الرابع هو الخاص بالبضائع ، وكان يحوى العديد من المواد الخام ، كالاخشاب والحديد والزفت وغيرها ^(٦) ، وكان المناخ يحوى على المنشآت التي كانت تخزن فيها هذه البضائع ^(٧) ، بينما كان القسم الاخير من هذه الحواصل مختصا بالاطعمة

-
- (١) وهذا اللفظ مأخوذ من اناخة الابل أى بروكها ، ابن سيدة ، أبو الحسن على بن اسماعيل (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٦٥ م) المخصص ، تحقيق لجنة من احياء التراث العربي في دارالافاق الجديدة بيروت ج ٢ السفر ٧ ص ٩٣ .
- (٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ٣ / ٤٧٥ .
- (٣) المقرئى ، الخطط ١ / ٤٦٤ - ٤٦٥ .
- (٤) القلقشندى ، ن . م . س ، .
- (٥) المقرئى ، م . س ، ٢ / ٤٤٠ ، القلقشندى ، م . س ،
- (٦) القلقشندى ، ن . م . س . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢ / ٢٧٠ .
- (٧) المقرئى ، م . س ، ٢ / ٤٤٤ .

والاسمطة^(١) وما يرتبط بها ، وكان يتبعها المطابخ^(٢) والطواحين^(٣)
ودار الفطرة^(٤) (٥)

لقد كان لهذه الحواصل مهمات متعددة الوجوه ، فهي تقوم بتوفير
شروط حياة الترف التي كان يعيشها الفاطميون واتباعهم ، علاوة على
دورها في سياسة الانفاق العام التي تتبعها الدولة . فبالنسبة لحياة
الترف والرفاه ، فلقد كان من مهامها توفير احتياجات هذه الحياة ، التي بالغ
فيها الفاطميون كثيرا ووصلوا بها الى حد لم تعرفه مصر الاسلامية

(١) ومفردا سماء وتجمع على سماعات وهي ما يمد من الطعام ،
الزبيدي ، تاج العروس ١٦٢/٥ وكان لبنى عبيد اسمطة تمد في
شهر رمضان والعيدين . انظر القلقشندی ، م.م.س ٥٢٣/٣ -
٥٢٤

(٢) كانت هذه المطابخ تقع خارج القصر الخلفي ، وتتصل به عن طريق
مر تحت الارض ، وتقوم بتحضير اطعمة الخليفة والموظفين . عبد
المنعم ماجد ، ن.م.س .

(٣) وهي تنقسم الى قسمين ، احداها لغلال القصر والاخرى للموظفين
عبد المنعم ماجد ، ن.م.س .

(٤) القلقشندی ، م.م.س ٤٧٦/٣

(٥) كان يعد في هذه الدار ما يلزم العيد من حلوى وغيرها ، وبها تحفظ
المواد الخاصة بذلك . المقریزی ، م.م.س ٤٢٥/١ - ٤٢٧ ، القلقشندی
م.م.س ٥٢٤/٣ - ٥٢٥ ، عبد المنعم ماجد ، م.م.س ٢٧/٢ - ٢٨ .

في تاريخها^(١)، مع وجود ميل شديد الى اقتناء التحف وجميع الكنوز،^(٢)
حيث يوثق شرع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي^(٣) بأنه لما دخل الى
مصر قادما من المغرب جلب معه الكثير من الاموال والنقائس^(٤). لذلك
فقد كان للخلفاء الفاطميين خزائن متخصصة لحفظ نقائسهم وتحفهم، فخزانة
الجوهر والطيب والطرائف^(٥) يوجد فيها من الجوهر ما لم يكن يعرفه
تجار البلاد أنفسهم^(٦). ولكي يكون الترف أكثر امعانا اقتنى الفاطميون
الآنية العرصعة بالجوهر^(٧)، فكانت الخزانة سابقة الذكر تحوى على

-
- (١) ص : ١٤٧ .
(٢) زكي حسن ، الاعمال الكاملة ٦/٤ .
(٣) هو ابوتعيم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم العبيدي -
(٣٤٢ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٣ - ٩٧٥ م) من خلفاء الفاطميين -
ضمت مصر الى حكمهم في عهده وأسس القاهرة . عنه انظر : ابن
حماد ، اخبار ملوك بني عبيد ص ٨٣ . ابن سعد الاندلسي
، النجوم الزاهرة ص ٣٨ - ٤٥ ، ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن
على بن جلب زاغب (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٨ م) اخبار مصر ، (بانتقا
المقريزي) تحقيق ايمن فؤاد سيد ، القاهرة ص ١٥٩ - ١٦٨ .
ابن دقماق ، الجوهر النفيس ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .
(٤) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ١٩ .
(٥) وهي خزانة كبيرة بل عدة خزائن كما يعتبرها البعض جعلها
الفاطيون لحفظ كنوزهم الثمينة وكان بها الجوهر والالات والاواني
المذهبة وغيرها من نفيس التحف والصناعات المختلفة الانواع .
انظر المقريزي : الخطط ١/٤١٤ - ٤١٦ ، زكي حسن ، ص
٤١/٤ - ٥١ . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ١٧/٢ - ٢٠ .
(٦) زكي حسن ، ص ٤١/٤ - ٤٢ .
(٧) شفاء بلال ، الملايس في العصرين القبطي والاسلامي ص ٣٤٠ .

السكاكين المذهبة والمفضضة والمرصعة بالجواهر^(١)، في حين أن خزانة الكسوات^(٢)، تحتفظ باجود الثياب وافخرها، القادمة من دور الطراز في تينيس^(٣) ودمياط^(٤) والاسكندرية^(٥)(٦)، علاوة على ما يريد من ارجاء العالم المختلفة^(٧). بينما كان للفرش الفاخر الذي يوضع في قاعات القصور، وخزانة تعرف بخزانة الفرش والامتعة، تحوى على الفرش والستور التي يزدان بعضها بخيوط الذهب والفضة^(٨). كما أن الفاطميين

- (١) المقریزی، الخطط ٤١٤/١، زكي حسن، الاعمال الكاملة، ٤٤/٤، عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم ١٨-١٩.
- (٢) هذه الخزانة كانت تحفظ فيها اجود الاقمشة والثياب، وكانت على قسمين، قسم خاص بالخليفة وقسم خاص باطلاقاته من الثياب والاقمشة. انظر المقریزی، م.س ٤٠٩/١ - ٤١٣. القلقشندی صبح الاعشى، ٤٧٢/٣، زكي حسن، م.س ٣٥/٤ - ٣٩، عبد المنعم ماجد، م.س ١٥/٢ - ١٧.
- (٣) من اشهر مدن الدلتا في مصر وتقع في جزيرة يحيط بها النهر والبحر اللذان يكونان بحيرة حولها وتشتهر هذه المدينة بعمل القماش والاردية الملونة. المقدسي، احسن التقاسيم ص ٣٠١. ياقوت، معجم البلدان ٥١/٢ - ٥٤.
- (٤) عن دمياط انظر ص: ٢٠٧ هامش ٥.
- (٥) عن الاسكندرية انظر ص: ٢٠٠ هامش ٧.
- (٦) القلقشندی، م.س ٣٧٢/٣، عبد المنعم ماجد، م.س ١٦/٢.
- (٧) زكي حسن، م.س ٣٥/٤.
- (٨) المقریزی، م.س ٤١٦/١ - ٤١٧، زكي حسن، م.س ٥٢/٤ - ٥٣، عبد المنعم ماجد، م.س ٢٠/٢ - ٢١.

كانوا يوفرون في خزائهم مستلزمات الرعاية الطبية ، فخزانة الشراب يوجد بها اصناف مختلفة من المعاجين والادوية ^(١) التي تلزم اطباء القصر لصرفها (. . . للجهات وحواش القصر) ^(٢) وكان من مهام الخزائن الخاصة بالطعمة حفظ المواد الغذائية اللازمة للمطابخ ^(٣) التي تقوم باعداد اسطة الخلفاء ^(٤) ، ولقد بلغ بالفاطميين الترف لدرجة أن كان لهم خزانة تعرف بدار التعبئة ، مهمتها توفير الورد والازهار التي تزين قاعات القصور واجنحتها المختلفة ، علاوة على ما يحتاجه الجهات والحرم ، والامراء والوزراء وغيرهم من كبار رجال الحاشية والمستخدمين ^(٥) . كما كان من مهام هذه الحواصل أيضا توفير المستلزمات الخاصة بالمناسبات المختلفة مثل المواكب الرسمية الخاصة بالاحتفالات ^(٦) علاوة على الكثير من المستلزمات التي يحتاجها رجال الدولة . فخزائن الجوهر والطيب والطرائف (. . . كان بها الاهلام والجوهر التي يركب فيها الخليفة في الاعياد ويستدعي منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الفنى . . .) ^(٧) . ومن مهام

-
- (١) علاوة على احتوائها على أنواع مختلفة من الاشربة والمربيات مختلفة الأنواع التي تقدم في مجالس الخليفة ، المقریزی ، م.م.س ، ١/٤٢٠ ، القلقشندی ، ن.م.م.س ، عبد المنعم ماجد ، م.م.س ٢/٢٣-٢٤ .
- (٢) المقریزی ، ن.م.م.س .
- (٣) وكانت تحوى هذه الخزائن على العديد من اصناف المواد الغذائية من السكر والعسل والزيوت بأنواع مختلفة ، القلقشندی ، ن.م.م.س .
- (٤) عن هذه الاسطة انظر ص : ٢٥٢ هامش (١) .
- (٥) المقریزی ، الخطط ، ١/٤٢٢ . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢/٢٤-٢٥ .
- (٦) عن هذه الاحتفالات انظر ص ١٥١-١٥٤ .
- (٧) المقریزی ، م.م.س ١/٤١٤ .

خزائن الاسلحة وخزائن التجميل التي تتبعها^(١) توفير الرايات والاسلحة التي تستخدم في الموكب كما يشير الى ذلك ابن الطوير أثناء حديثه عن موكب أول العام^(٢)، وكانت الاسطبلات^(٣) توفر للحيوانات الخاصة بركوب الخليفة والامراء والخاصة، اضافة الى تلك الخاصة بالموكب حيث توزع كموايد للمشاركين فيها^(٤)، كما كانت تقوم بتهيئة الحيوانات الخاصة بركوب أرباب الرتب العالية والمستخدمين من مدنيين وعسكريين^(٥).

فقاضي القضاة كان يقدم له من اسطبلات الخليفة بغلة يستخدمها في تنقلاته^(٦)، في حين أن كل جندي يعين في الجيش الفاطمي تثبت له

- (١) عندما يتحدث القلقشندي عن هذه الخزائن يجعل كل واحدة منها خزانة مستقلة بذاتها والراجح انها صنف واحد ينقسم الى عدة اقسام بعضها لحفظ الاسلحة المستعملة في الحروب للقوات البرية والاسطول واخرى خاصة لحفظ الاسلحة الثمينة وما يستخدم منها في الموكب والحفلات، انظر المقرئى : م.س ٤١٧/١ - ٤١٨،
- القلقشندي، صبح الاعشى ٤٧٣/٣ - ٤٧٤. زكي حسن،
- الاعمال الكاملة ٥٤/٤ - ٥٨، عبد المنعم ماجد، م.س ٢٠/١ - ٢١.
- (٢) نقلا عن المقرئى، م.س ٤٤٦/١، ولاحظ ما يذكره القلقشندي عن استيفاء الاستعدادات الخاصة بهذا الموكب من حواصل الخلافة.
- القلقشندي، م.س ٤٩٩/٣ - ٥٠٠ وانظر ايضا زكي حسن، م.س ٥٧/٤.
- (٣) كان يوجد في القاهرة عدد من الاسطبلات، من اهمها اسطبل الخليفة وهما الطارمه والجميزة حيث كان يوجد بهما الف رأس من مواشي الركوب انظر عهدهما المقرئى، م.س ٤٤٤/١ - ٤٤٥.
- (٤) المقرئى، م.س ٤٤٤/١، القلقشندي، م.س ٤٧٤/٣، عبد المنعم ماجد، م.س ٢٥/٢.
- (٥) المقرئى، م.س ٤٤٤/١.
- (٦) المقرئى، م.س ٤٠٣/١، القلقشندي، صبح الاعشى ٤٨٢/٣.

فرس جيدة^(١) بينما كان على خزانة السروج^(٢) ، توفير أدوات الركوب الخاصة بكل ذلك^(٣) كذلك كان على خزانة الاسلحة ، توفير ما يحتاجه الجيش منها ليخوض بها المعارك^(٤) ، بل ان الاسلحة الشخصية التي لدى الامراء ورجال الحاشية كانت توزع لهم من هذه الخزانة كموادي ، حيث يعاد اليها ما بحوزة أى منهم من الاسلحة بعد وفاته^(٥) . ومن المرجح ان الدولة الفاطمية كان توفير الأثاث وما يتعلق به لمنازل الوزراء والأمرء وكبار رجال الدولة ، فالمسبحى يذكر اثناء حديثه عن سكنى احد قادة الجيش الفاطمي في دار قرب القصر ، بأنه قد حمل الى داره (. . من بيت المال من الفروش والستور والالات كل قطعة طريفة معجزة . .)^(٦) وهي مقتنيات لا بد وأن قامت بتوفيرها حواصل الخلافة عن طريق خزائنها ، ولا شك بأن الدار التي كانت مخصصة للوزراء كانت

- (١) المقرئى ، م.س ٤٠١/١٠
- (٢) كانت هذه الخزائن تحوى من السروج وغيرها من ادوات الركوب على ما لا تحوى عليه مثلها ملكة من الممالك على حد تعبير بعض المؤرخين وكانت تحوى على انواع عدة من هذه المقتنيات بعضها يمكن اعتباره من النفائس . انظر المقرئى ، م.س ٤١٨/١
- (٣) القلقشندى ، م.س ٤٧٣/٣ ، زكى حسن ، الاعمال الكاملة ٥٩/٤ - ٦١
- (٤) المقرئى ، م.س ٤١٨/١ ، القلقشندى ، م.س ، زكى حسن ، م.س ٥٩/٤
- (٥) المسبحى ، اخبار مصر ، ص ١٧٩ ، المقرئى ، م.س ٤١٧/١ - ٤١٨
- (٦) عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢٠/٢ - ٢١
- (٧) زكى حسن ٥٨/٤
- (٨) المسبحى ، م.س ، ص ٢٠٠

تخضع لنفس الاعتبار^(١) . ولم يكن اتفاق الفاطميين على اتباعهم قاصرا على ما سبق ذكره من جوانب فحسب ، بل ان جزءا كبيرا من الاغذية كانت الدولة توفرها لموظفيها واتباعها ، بحيث لا يبقى لهم من الاحتياجات الغذائية اليومية سوى (. . اللحم والخضروات . .)^(٢) كما يذكر ابن الطويراثنا حديثه عن خزائن دارأفتكين^(٣) ، التي كانت تحوى على الكثير من انواع المواد الغذائية^(٤) . ولقد كانت " الاهراء " تطلق الاقوات (. . . لارباب الرتب والخدم وارباب الصدقات وارباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان . . (و) جرايات رجال الاسطول . .)^(٥) .

(١) كان في القاهرة دارمحددة لسكنى الوزير ، ولقد كانت في يادى الامر في موضع دارالديباج ثم نقل الوزير الفاطمي اميرالجيش بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٢ م) سكنى الوزرا الى دار كبيرة بناها في حارة برجوان ، ليقوم ابنه الوزير الفاطمي الافضل (٤٨٧ - ٥١٥ / ١٠٩٤ - ١١٢١ م) ببناء دار جديدة بجوار القصر الشرقي الكبير الى الشمال منه تجاه رحيه باب العيد عرفت بدار الوزارة الكبرى . واستمرت كذلك حتى اواخر الحكم الفاطمي حيث جعلها صلاح الدين بعد القضاء على دولتهم دارا للسلطنة . انظر المقرئى الخطط ١ / ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ .

(٢) المقرئى ، م . م ، ١ / ٤٢٢ .

(٣) هذه الخزائن كانت دارا لاحد قواد الجيش الفاطمي ومن ممالك امير

الجيش بدر الجمالي ٤٦٦ - ٤٨٢ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م قتله الافضل

ابن امير الجيش ٤٨٧ - ٥١٥ / ١٠٩٤ - ١١٢١ م في عام ٤٨٨ هـ /

١٠٩٥ م بعد ما شق نزار عصا الطاعة عليه ، فجعلت داره من جملة

الخزائن وكان بها يحفظ الشمع القادم من الاسكندرية برسم

الوقودات بالاضافة الى العديد من انواع المواد الغذائية كالاغسال

والسكر والقند الشيرج والزيت والفستق ومايجرى في هذا المجرى .

انظر المقرئى ، م . م ، ١ / ٤٢٢ / ٤٢٣ .

(٤) انظر الهامش السابق . (٥) المقرئى ، الخطط ١ / ٤٦٥ .

بل ان توفير الاغذية من قبل الدولة تجاوز مرحلة المواد الضرورية الى مرحلة توفير المواد الغذائية الثانوية من الحلوى وغيرها خاصة في المناسبات ،
فدار الفطرة التي تحوى على المواد الخاصة بصناعة الحلوى ^(١) ، وتقوم في شهر رمضان بتوزيع المواد الخاصة بها ، علاوة على توزيع المصنوعة فيها ^(٢) . فكانت تتولى تقديمها لارباب الرسوم من حملة السيوف والاقلام ^(٣) .
فيعم ذلك الكبير والصغير ويصل الى مختلف طبقات أتباع الفاطميين ولا يفوت أحد منهم شيء من ذلك على الاطلاق ^(٤) . كما كانت دار الفطرة تقوم بتوزيع الحلوى في المناسبات المختلفة . كالاحتفالات بالمولد النبوى ^(٥) وغيره ، فتوزع فيه الحلوى على ارباب الرسوم كقاضي القضاة وداعي الدعاة ^(٦) ، والخطباء والمدرسين بجوامع الفسطاط والقاهرة وغيرهم ممن لهم اسم ثابت في الديوان ^(٧) .

ولكي يتسنى للفاطميين سهولة توفير هذه الاحتياجات لهم ولا تباعهم عمدوا الى ايجاد تنظيمات حكومية مناسبة تتولى توفيرها ، فالخليفة المعز لدين الله العبيدى ، كان يجمع افضل الصنائع ويلحقهم بخدمته في قصره

-
- (١) المقرئى ، م.س ٤٢٥/١ .
(٢) المقرئى ، الخطط ٤٢٦/١ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ٥٢٥/٤ ، الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٣٢ .
(٣) الامين عوض الله ، م.س ص ٣٨ .
(٤) المقرئى : م.س .
(٥) عن الاحتفال بالمولد النبوى انظر ص : ١٢٠ هامش (١) .
(٦) عن داعي الدعاة انظر ص : ١٣٦ هامش (٣) .
(٧) القلقشندى ، صبح الاعشى ٤٩٨/٣ - ٤٩٩ .

ليعملوا في صناعات الدولة^(١)، وكان يطلب الى عماله في الاقاليم ان يرسلوا اليه من يرون فيهم الصلاح للقيام بمثل هذه الاعمال^(٢) كما احتسوت كل خزانة من خزائن الخلافة على صناع يشتغلون فيها اذا كانت محتوياتها تتطلب ذلك^(٣)، فخزانة الكسوة كان يفصل بها كسوات الثياب التي توزع على الأتباع او يختص بها الخليفة لنفسه^(٤)، في حين كانت دار الديباج^(٥) مخصصة لصناعة الحرير الديباج^(٦) بينما كان من مهام خزانة السلاح صناعة الاسلحة كالسيوف والدروع وغيرها^(٧)، وان كان من المؤكد ان الاسلحة الثقيلة مثل المنجنيقات^(٨)

- (١) زكي حسن، الاعمال الكاملة ٧٩/٤.
- (٢) زكي حسن، ن.م.س.
- (٣) زكي حسن، م.س ٢٦/٤.
- (٤) المقرئى، الخطط ٤٠٩/١، ٤١٢، القلقشندي، صبح الاعشى ٤٧٢/٣، عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم ١٦/٢.
- (٥) الديباج نوع من القماش، واصله فارسي معرب كما ذهب سيبويه وهو على نوعين الرقيق حسن الصنعة ويعرف بالرفرف، والخشن ويطلق عليه الاستبرق، ابن سيدة، المخصص ج١ السفر ٤ ص ٧٦.
- (٦) المقرئى، م.س ٤٦٤/١.
- (٧) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم ٢٢/٢-٢٣.
- (٨) وهو عبارة عن آلة خشبية لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، الذى تجعل فيه كفة المنجنيق التي يوضع فيها المقذوفات كالحجارة وزجاجات النفط والزرنخ وغير ذلك، ومنه الكبير والصغير وله انواع عدة أجودها العربي ومنها التركي والافرنجى انظر: الطرسوسي، تبصرة ارباب الالباب ص ١٦-١٨. احمد محمد عدوان، العسكرية الاسلامية في العصر المملوكي، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٥ م ص ٦٤-٦٥، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية القاهرة، ط. الثالثة ١٩٦٧ م ص ٣٥٧-٣٥٨.

والديابات ^(١) كانت تصنع في المناخ ، والذي كان يحوى على العديد منها
وبه اعداد كبيرة من الصانع ذوى الاختصاصات المختلفة من حدادين ونجارين
ودهانين وفعلة وغيرهم ، يرجح بانهم كانوا يختصون بانتاج العديد من
الصناعات وعلى الاخص الثقيلة منها ^(٢) . ومن مهام خزانة السروج ،
صناعة أدوات الركوب المختلفة ، وكان بهاعدد جم من أهل هذه الصنعة ^(٣) .
أما خزائن دارافتكين ، فلقد كان من مهامها صناعة الشمع وتوفيره عند
الحاجة في المناسبات وغيرها ، وقد اورد المقرئى انه سبك الشمع بها
لاستخدامه اثناء الاحتفال بليالي الوفود الاربع ^(٤) وكان بخزانة البنود ^(٥)
عدد كبير من الصانع حيث كان بها ثلاثة الاف صانع في عهد الخليفة الظاهر ^(٦) .

-
- (١) وهي عبارة عن برج متحرك لها طوايق عدة في بعض الاحيان
اولها يصنع من الخشب وثانيها من الرصاص وثالثها من الحديد والرابع
يكون من النحاس ، ولها عجلات في اسفل ، يتجه بها الى الاسوار
لثقبها ويكون في داخلها الجنود . انظر الطرسوسي ، م.س.ص ١٨٠ .
احمد عدوان ، م.س.ص ٦٣ ، حسن ابراهيم حسن ، م.س.ص ٣٥٨
(٢) المقرئى ، م.س. ٤٤٤/١ .
(٣) المقرئى ، م.س. ٤١٨/١ ، زكي حسن ، الاعمال الكاملة ٥٩/٤ .
(٤) المقرئى ، الخطط ٤٦٧/١ .
(٥) كلمة فارسية معربة ويقصد بها هنا العلم الكبير وجمعه اعلام . قال
الشاعر : * واسيافنا تحت البنود الصواعق * الجوهرى ،
اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م ، تاج اللغة وصحاح العربية
تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ١٤٠٢ هـ / ٢٠٠٢ م .
(٦) المقرئى ، م.س. ٣٥٥/١ ، ٤٢٣٠ .

ولكي يحافظ الفاطميون على لاستمرارية الصناعة وتطويرها ، فقد حرصوا على توفير المواد الخام المختلفة الانواع التي تتطلبها هذه الصناعات ، فحواصل البضاعة كانت تحوى على الاخشاب والحديد والزفت والقنب والكتان وغيرها من المواد ^(١) ، وكان موقعها في اواخر العصر الفاطمي بالمناخ ، كما يشير الى ذلك ابن الطوير ^(٢) ، بل من الواضح ان الدولة الفاطمية كانت تسيطر الى حد بعيد على تجارة المواد الخام التي تلزم هذه الصناعات ، اذ انها مارست التجارة بانواع مختلفة من البضائع لتوفير هذه الاحتياجات ولجني الارباح أيضا ^(٣) . وبالتالي فان وجود الجمال في المناخات ^(٤) لا بد وان من جملة اهدافه خدمة الاغراض التجارية للدولة .

لقد كان عصر صلاح الدين الايوبي عصر تحول جذرى في اوضاع الحواصل التي كانت موجودة في العصر الفاطمي ، فعلى الرغم من بقاء هذه الحواصل كما يشير الى ذلك التصوص التاريخية فتزد الاشارة عن المطابخ والاسطبلات السلطانية ^(٥) ، بيد أن هذا الابقاء لا يعني انها ظلت على

-
- (١) المقرئى ، م.س ٤٤٤/١ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ٤٧٥/٣
 عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢٧/٢ .
 (٢) انظر المقرئى ، ن.م.س .
 (٣) مارست الدولة الفاطمية التجارة بالفلال والصابون ، والخبشب والحديد وغير ذلك انظر احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ٩٧ - ٩٨ .
 (٤) ص : ٢٥١ .
 (٥) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ص : ٣٥٠ ، ٣٥٤ .

اوضاعها التي كانت عليه في السابق ، ان تراجع حجمها عن ذلك كثيراً
فالخزانات جرى القضاء على جهازها بشكل كامل تقريباً ، حيث جرى التخلص
من محتوياتها بعد القضاء على الدولة الفاطمية ٥٦٩هـ / ١١٧٣ م . فأخذ
الناصر صلاح الدين منها ما يحتاجه لنفسه ، وجعل قسماً آخر هبات وهدايا
نال منه اقربائه ورجال دولته الشيء الكثير ، وما بقي جرى بيعه ، وكان
من الكثرة لدرجة ان البيع استمر فيه لمدة عشرين^(١) . ولم يبق
من هذه الخزانات سوى خزانتيين حسبما تذكر المصادر ، الأولى عرفت
بالخزانة " السعيدة " مهمتها توفير ما يحتاجه السلطان من اثاث وغيره^(٢)
والثانية خزانة الاسلحة^(٣) وهي خزانة لا بد وأن تبقى عليها الدولة
لدواعي الحرب ، أو تثبيت الأمن اذا ما احتيج الى السلاح في مله من هذه
العلمات . ولقد نتج عن اختفاء الخزانات الفاطمية ان اختفى معظم الجهاز
الصناعي الكبير الذي كان ينتجها ، حيث اختفت مصانع النسيج التي كانت
للدولة الفاطمية ، ان ان الدولة الأيوبية أصبحت توفر احتياجاتها من ملابس
الخلع والتشريف ، التي ينعم بها السلطان على رجال دولته عن طريق
السوق^(٤) كذلك فان الخزانة المعدة لحياكة ملابس الخليفة في العصر

(١) وكانت هذه المحتويات عبارة عن ذخائر وتحف واثاث ، ولا تذكر
المصادر بأن صلاح الدين قد وجد اموال كثيرة ، ابن الأثير ،
الكامل ١١٢/٩ ، الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ص ٥٩ ،
ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٧ ، المعريزي ، الخطط
٤٩٦/١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق ١ ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ص ٢٧١ .

(٣) ابن ماتي : م . س ، ص ٣٥٤ .

(٤) ص : ٤٢٩ - ٤٣٠ .

الفاطمي لم يعد لها وجود في عهد صلاح الدين الأيوبي ، اذ يلاحظ ان شعار دار الطراز^(١) قد اختفى من على المنسوجات المصنوعة في مصر في عهد الأيوبيين^(٢) . بل ان تحول دار الديباج الى منطقة سكنية في عصر صلاح الدين الأيوبي^(٣) ، يعد دليلا قويا على اختفاء مصانع الدولة في هذا المجال . ومن المؤكد أن الصناعات التي كانت في المناخ قد انتهت في تلك المرحلة ايضا ، اذ لم يعد له وظيفة يقوم بها ، حيث يذكر ابن ماتي بأنه قد أضحى خاويا على عروشه^(٤) ، الا ان الغاء مصانع الدولة لم يكن يشمل كـل الصناعات ، انما شمل تلك التي يكون اختفائها او اضطراب أوضاعها ليس من الأمور المضرة بالدولة ، ولذلك فلقد حرصت الدولة على أن يكون لها مصانع للأسلحة^(٥) نظرا لأهمية هذه الصناعة بالنسبة لها خاصة في تلك الفترة ،

(١) وهذا اللفظ " طراز " في الاصل مشتق من كلمة " ترازيدن " بمعنى التطريز والنسيج ، وهو يدل على ملابس الخليفة أو الامير أو رجال الحاشية ، ولا سيما اذا كان فيها شيء من التطريز ، وعليها أشرطة من الكتاية يرد فيها اسم الخليفة وغير ذلك من الكتابات كالادعية وموقع المصنع ، ودار الطراز هي مصانع تبنتها الدولة لصناعة النسيج ، حيث كان منها الخاص بالخليفة ورجاله ومن ينعم عليهم ، والعام الذي يباع منه في الاسواق ، انظر زكي حسن ، فنون الاسلام ص ٣٤٦ ، سعاد ماهر ، النسيج الاسلامي ١٩٧٧ م ، القاهرة ص ٢٤-٢٨ ، نعمت اسماعيل سلام ، فنون الشرق الأوسط في العصور الاسلامية ، ط الثانية القاهرة ص ٩٥ .

(٢) سعاد ماهر ، م . س ، ص ٢٥ .

(٣) ص : ٣٦١ .

(٤) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٣ .

(٥) ابن ماتي ، م : س ، ص ٣٥٤ .

حيث حملت على عاتقها ازالة الوجود الصليبي من الشام^(١) . وبطبيعة الحال فان حواصل البضاعة التي كانت تغذى هذه الصناعات قد تقلص حجمها أيضا ، فابن الطوير عندما يتحدث عن اوضاع المناخ في عصر صلاح الدين يذكر بأن الدولة الأيوبية استفادت كثيرا من محتوياته من المواد الخام التي كانت موجودة من العصر الفاطمي ، ولكنه لا يشير الى أنها لجأت الى المحافظة على وضعها السابق ، أى انها لا تعوض عما يوءخذ منه من بضائع ببضائع مماثلة^(٢) ، الأمر الذى افقده وظيفته كما سبق أن ذكرنا .

ان هذا التغير الكبير الذى طرأ على الحواصل يعكس تغيرا في وظيفتها ، حيث تراجع حجم الدور الذى كانت تقوم به الى حد بعيد ، نتيجة اختفاء مظاهر الترف لدى السلطة نفسها ، فصلاح الدين الأيوبي كان يميل في حياته الخاصة والعامة الى الزهد والبعد عن الترف^(٣) ، فضلا على ان الدولة نفسها لم تعد تعبر عن حكمها باظهار الترف ، يدل على ذلك ما طرأ على المواكب من تغيرات في مستواها ، حيث انخفض مستوى الفخامة كثيرا على ما كانت عليه في العصر الفاطمي^(٤) ، كما أن الدولة نفسها لم تعد ملزمة بتقديم التزامات عينيه لرجالها وعلى الاخص العسكريين منهم ، الذين أصبح على امرائهم المقطعيين توفير كامل تجهيزاتهم واحتياجاتهم^(٥) . لذلك أصبحت الالتزامات العينية التي تقدمها الدولة محدودة الى حد بعيد ، فالملايس لم تعد تقدم من قبل الدولة الا كخلع

(١) سبق الاشارة الى هذه السياسة واهدافها انظر ص : ١٨٠ - ١٨١ .

(٢) انظر المقرئى ، الخطط ١ / ٤٤٤ .

(٣) ص : ١٥٥ .

(٤) ص : ١٦٥ .

(٥) حسنين ربيع ، النظم المالية ص : ٣٤ .

وتشاريف لكبار الموظفين ومن يرى السلطان أنه أهل لانعامه^(١) كما حدث بالنسبة للقاضي الفاضل الذي خلع عليه صلاح الدين عندما ولاه الوزارة^(٢). كذلك فإن الدولة لم تعد توفر الأسلحة الشخصية الخاصة بأفراد الجيش من أمراء وجند وفيرهم ، على الرغم من أن لديها خزانة وصناعة للأسلحة ، فالأمراء والجناد عليهم توفير أسلحتهم بأنفسهم عن طريق شرائها من الأسواق^(٣) ، وهو مظهر يمكن مشاهدته في أوائل عصر المماليك والذي يعتبر امتدادا لحكم الأيوبيين في تنظيماته وحضارته^(٤). ففي عهد الملك الظاهر بيبرس^(٥) ، صدرت الأوامر سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٢م بأعداد العدة لأجراء تدريبات عسكرية ، فجرى الاهتمام لأعداد الترتيبات اللازمة لذلك ، فاتجه رجال الجيش إلى سوق السلاح ، حيث كثرت الأزدحام عليه (. . . وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناعات السلاح)^(٦) . ومن المؤكد أن الدولة لم تعد ملتزمة منذ ذلك العهد بتقديم بهائم الركوب ، للموظفين ورجال الجيش ، إذ لا يخرج من الأسطبلات السلطانية إلا ما هو بحكم العادة على سبيل الهبة والاعطية لأعبارات يراها السلطان^(٧).

-
- (١) ويكون في كثير من الأحيان على سبيل الهبة والاعطية ، القلقشندی ، صبح الاعشى ، ٥٢/٤ - ٥٤ .
- (٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٨ .
- (٣) احمد عدوان ، العسكرية الإسلامية في العصر المماليكي ص ٥٣ .
- (٤) ص : ٢٢٦ .
- (٥) عنه انظر ص : ٨٩ هامش (٤) .
- (٦) المقریزی ، السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥١٣ .
- (٧) القلقشندی ، م . س ، ٥٤/٤ .

ان هذا التراجع في وظيفة ودور الحواصل ، جعل الدولة تلجأ الى الاسواق المحلية في المدينة بشكل متزايد لتوفير العديد من احتياجاتها ، اذ ان سوق الشرايشي ^(١) الذي ظهر في عهد صلاح الدين الايوبي ^(٢) ، كان يباع فيه ملابس الخلع والتشاريف التي ينعم بها السلطان ^(٣) ، بل ان الخزانة السعيدة كانت توفر احتياجاتها عن طريق السوق أيضا ^(٤) .

كذلك فان تراجع التزامات الدولة العينية تجاه رجالاتها وعلى التخصيص العسكريين منهم ^(٥) ، جعلهم يتجهون نحو الاسواق لتوفير احتياجاتهم المختلفة ويدل على ظهور الاسواق التي تباع احتياجات الجند من ملابس وزي وسلاح في تلك الاثناء ^(٦) .

ولقد ترتب على هذه التغيرات تطور في الطبيعة الاستهلاكية في القاهرة ، اذ ان الدولة ورجالها يعدان أداة استهلاك مهمة وكبيرة جدا ^(٧) ، مما يعني أن الكثير من الموارد العالية ستوجه نحو الاسواق ومن يوجد بها من مجموعات بشرية عاملة من تجار وعمال وصناع وغيرهم فأدى ذلك بطبيعة الحال الى توجيه المزيد من الثروات باتجاه فئات الشعب . الذين يشتغلون في هذه المجالات وما يرتبط بها من نشاطات اقتصادية ^(٨) .

-
- (١) الشربوش : هو غطاء الرأس يوضع عليها بغير عمامة ويشبه التاج ويبدو انه مثلث الشكل ، ولقد اختص الامراء بلبسه ، ماير : الملايس الملوكية ص ٥١ .
- (٢) ص : ٤٢٩ - ٤٣٠ .
- (٣) المقریزی ، الخطط ٩٨ / ٢ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٧٤ مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ورقة ١١٨ .
- (٤) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص : ٣٣٠ .
- (٥) ص : ٢٦٥ .
- (٦) ص : ٢٦٦ .
- (٧) ابن خلدون ، المقدمة ٣٦٩ / ١ .
- (٨) ن ٣٠٠ ص .

الأمر الذي سيزيد من مقدار توزيع الثروة بين فئات الشعب المختلفة . فتزايد الانفاق في القاهرة بشكل عام . يؤيد ذلك ازدهار الفنون الصناعية خلال ذلك العصر ، فاخذت الاشكال الزخرفية تميل للدقة والرقّة في اساليب الزخرفة والتشكيل كما هو ملاحظ في الصلعات الخشبية^(١) التي زاد الاقبال عليها في ذلك العصر ، رغم ندرة هذه المادة في مصر في ذلك الوقت^(٢) كذلك ازدهرت المنتجات الصناعية الشعبية ، فالخزف المحزوز تحت الطلاء^(٣) ، وهو خزف شعبي ظهر بمصر في اواخر العصر الفاطمي^(٤) ، يلاحظ بأن استخدامه شاع في العصر الأيوبي^(٥) ، مما يعكس تطورا في الاستهلاك الشعبي العام ، إذ ان الصناعات لا تزدهر ولا تتطور الا بزيادة الطلب عليها كما يذكر ابن خلدون^(٦) . بل ان ما اسهم في زيادة الرفاه ونمو الاستهلاك في ذلك العصر هو ما قام به صلاح الدين الأيوبي من الغاء المكوس . حيث قام أولا باسقاط متأخرات سابقة حتى عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م بلغت قيمتها مليون دينار ومليونين اردب : غلة وابطل هذه الضرائب —

-
- (١) م.س ، ديمانند ، الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد عيسى ، مراجعة احمد فكرى ، ط. الثانية ١٩٥٨م القاهرة ص ١٢٢ . احمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ١٦/٢ .
- (٢) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفن الاسلامي في العصر الايوبي ص ٢٩ .
- (٣) هذا النوع من الفخار وزخارف محفورة ومحزوز في طينة الاناء تحت طلاء ذي لون واحد . انظر زكي حسن ، الاعمال الكاملة ، ١٢٤/٤ .
- (٤) احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ٤٠٣ .
- (٥) زكي حسن ، ن.م.س .
- (٦) ابن خلدون ، المقدمة ٢/١ ٣٦٠-٣٦١-٣٦٩ .

الدواوين^(١)، ثم اتبع ذلك باسقاط ما كان يتأدى من الحجاج بالحجاز من المكوس ايضا^(٢). كذلك ابطل سنة ٥٦٢هـ / ١١٢١م ما كان يستأدى في مصر والقاهرة على السلع والمنتجات المختلفة وكان جملة ذلك كل سنة مائة (١٠٠) الف دينار^(٣)، بالإضافة الى ما يستخرج بالاعمال القبلية والبحرية وهو بنفس المقدار ايضا^(٤)، الأمر الذي سينعكس بزيادة الاستهلاك ونموه نتيجة اتجاه الاسعار نحو الانخفاض^(٥)، حيث ان فرض المكوس يدفع التجار الى رفع قيمة السلع المباعة بمقدار ما يؤخذ منهم، وهو ما أشار

- (١) لاحظنا ينقله ابوشامة عن ابن أبي طي في هذا الصدد، ابوشامة الروضتين، ج١ ق ٢ ص ٤٤٣، وانظر ايضا المقرئى، الخطط ١٠٥/١.
- (٢) ن.م.م. ويذكر ابن جبير ان مقدار الضريبة على الحاج الواحد كانت ٧٢ دينارا مصرية. ابن جبير، الرحلة ص ٣٠.
- (٣) ابوشامة، م.م.س، ج١ ق ٢ ص ٥٢٢ - ٥٢٣. ويذكر ابن جبير بانها كانت مفروضة على كل ما يباع ويشترى حتى ان شرب الماء كان المكس يؤدى عليه، في حين ان القلقشندى يذكر بأنها كانت مفروضة على ٧٢ جهة الا انه بالنظر الى انواع المنتجات والسلع كما وردت عند المقرئى يدل على انها كانت تزيد على ٨٠ جهة. انظر، ابن جبير، م.م.س، ص ٣١. المقرئى، الخطط، ج١ / ١٠٤-١٠٥، القلقشندى، صبح الاعشى ٣/ ٤٦٦.
- (٤) ابوشامة، م.م.س، ج١ ق ٢ ص ٤٤٣، احمد الصاوى، المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٤٨.
- (٥) عبدالله عبد الغنى غانم، النظرية في علم الانسان الاقتصادى، دراسات للاتجاهات النظرية في الانثروبولوجيا الاقتصادية، الاسكندرية ١٩٨٤م ص ١٢٥، وانظر ايضا: التسعير والصرف مقال في مجلة

اليه القاضي الفاضل الذي ذكر بأن فرض المكوس سيجعل (. . .) المت
المتعيشين من ارباب الدكاكين يزدون في اسعار مأكولات العامة بمقدار
ما يؤخذ منهم (١).

ان انتشار الرخاء الاقتصادي بين فئات الشعب في القاهرة صلاح
الدين انعكس على النواحي العمرانية فيها فنمت وازدهرت ، حسبما يقرره
ابن خلدون الذي يعتبر أن الرخاء الاقتصادي عامل هام في استعمار
العمران في المدينة (٢).

بيد أن ابرز المؤثرات لهذه الظاهرة تتجلى في الاسواق التي
ازدهرت اوضاعها بشكل عام فضلا عن ظهور العديد من الاسواق الجديدة
عامة ومتخصصة (٣).

ج - ازدهار التجارة :

اكتسبت مصر بحكم موقعها خصائص جعلتها تتمتع بسمات تجارية
وذلك انها تمتلك المنافذ المفتوحة على العالم في ذلك الوقت (٤) ، نظرا
لكونها جزءا من قلب ذلك العالم وملتقى لقارتي اسيا وافريقيا مما جعل
اراضيها ترتبط بمسالك الشرق والغرب (٥).

-
- (١) انظر المقرئى ، الخطط ١/ ١٠٥ .
 - (٢) ابن خلدون ، المقدمة ١/ ٣٦١ ، ٣٦٩ .
 - (٣) انظر ص : ٤٢٤ - ٤٣٧ .
 - (٤) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص ١٠١ .
 - (٥) محمد فاتح عقيل ، اهمية الموقع الجغرافي لسواحل مصر ، بحث منشور
ضمن كتاب البحرية المصرية القاهرة ص ١٥ ، حسنين ربيع ، النظم
المالية ص ٢٤ .

ويحلول عصر صلاح الدين الايوبي شهدت التجارة في مصر نشاطا ملحوظا وقويا ، كما تشير الى ذلك النصوص التاريخية ، فلقد ازدهرت التجارة في كافة المدن والاقاليم المصرية . فمدينة القاهرة كانت التجارة بها مفعمة بالحركة والنشاط فعندما يتحدث القاضي الفاضل عن حوادث عام ٥٨٧هـ / ١١٩١ م ، يذكر بأن سواحل المدينة كانت تزخر بالسفن الحاملة للمباضع ، حيث كان هناك اعداد كبيرة منها تقف على ساحل المقص^(١) علاوة على تلك التي عند باب القنطرة^(٢) . كذلك كان الحال بالنسبة للموانسي فميناء الاسكندرية^(٣) كان يفيض بالنشاط التجاري ، فتزاحم السفن على ارصفت مينائه . ففي شتاء عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م كان يوجد في هذا الميناء سبع وثلاثون سفينة قادمة من أوروبا ، وهو عدد لن تكون له اهمية كبيرة اذا ما قورن بمكان السفن التي كانت تصل الى هذا الميناء في فصلي الصيف والخريف^(٤) . وكذلك حال ميناء عيذاب^(٥) ومدينة قوص^(٦) ، اللتان كان النشاط التجاري بهما مزدهرا كما يوءد ابن جبير ، حيث يذكر عندما يتحدث عن قوص بأنها ذات اسواق متسعة ، بها كثير من الخلق بسبب اتساع حال التجارة فيها^(٧) ، اما ميناء عيذاب فلقد قال عنه بأنه

-
- (١) عن المقص انظر ص : ٨٤ هامش (٢) .
 (٢) المقریزی ، الخطط ٢٤/٢ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢٩ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٢٨
 (٣) عنها انظر ص : ٢٠٠ هامش (٧) .
 (٤) البازالعريني ، مصرفي عصر الايوبيين ص ٢٠٢ ، حسنين ربيع النظم المالية ص ٥١-٥٢ ، عقبة القوصي ، تجارة مصر ص ١٤٨ .
 (٥) عنها انظر ص : ٢٢٩ هامش (٣) .
 (٦) عنها انظر ص : ٢٢٩ هامش (٤) .
 (٧) ابن جبير ، الرحلة ص ٤٠ .

من احفل مراسى الدنيا ، لأن المراكب الحاملة لسلع الهند واليمن تحط رحالها فيه ، علاوة على تلك التي تحمل ركب الحجيج (١) .

ولقد كان هذا الازدهار التجارى يعكس نمو المبادلات في مصر على الصعيدين الداخلي والخارجي . فعلى الصعيد الداخلي ازدهرت التجارة بين اطراف الدولة الصلاحية نفسها ، فالسفن الكثيرة التي كانت عند ساحل القاهرة في عام ٥٨٧هـ / ١١٩١ م ، كانت تحمل الكثير من منتجات الريف المصرى من اغذية وغيرها (٢) . ومن المؤكد ان توسع الدولة الصلاحية وضعها لبلاد الشام والحجاز وغيرها من الاقاليم (٣) ، قد أسهم الى حد بعيد في زيادة التبادل التجارى بين هذه الاقاليم ، حيث يذكر ابن جبير اثناء حديثه عن مدينة قوص بأن بها عدد من تجار اليمن (٤) ، الذين سيقومون هم وغيرهم من تجار الاقاليم الاخرى بنقل المنتجات المختلفة فيما بينها . فمن المؤكد انه في تلك الفترة كان يسفر من القاهرة العديد من المنتجات المصنعة التي تشتهر بها ، فكان يصدر منها الى الشام الانطاع المستحسنة (٥) علاوة على الكمرنات (٦) المختلفة الانواع وحقائب الجلد

-
- (١) ابن جبير ، م.س ص ٤٥ .
 (٢) المقرئى ، الخطط ٢٤/٢ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢٩ .
 (٣) انظر ص : ١٨١ - ١٨٤ .
 (٤) ابن جبير ، الرحلة ص ٤٠ .
 (٥) الانطاع جمع نطع وهو البساط من الجلد ، ابن سعيد الاندلسي ،
 النجوم الزاهرة ص ٢٩ هامش (١) .
 (٦) الكمر والكمران ، حزام يلبسه السلاطين والامراء والجنود فوق اقبعتهم
 ن.م.س ، هامش (٢) .

وغيرها من المصنوعات^(١) ولا شك بان الازدهار الزراعي الذي شهدته مصر حينئذ ، قد أوجد الكثير من الفوائض الغذائية التي ستجد طريقها الى الحجاز والشام^(٢) ، وغيرها من أقاليم الدولة ، فصلاح الدين فرض للحجاز ميرة مجزية (. . من السعين . والفلة أشياء يطول شرحها)^(٣) ، وكان لازدهار زراعة قصب السكر في ذلك الوقت^(٤) دورا كبيرا في أن يكون من أهم الصادرات الزراعية المصرية^(٥) .

أما بالنسبة للصعيد الخارجي ، فمن الواضح ان البلاد قد شهدت نموا في العلاقات التجارية الخارجية في عهد صلاح الدين الأيوبي ، تحت تأثير بوادر الازدهار التجاري الكبير جدا الذي شهدته التجارة العالمية في القرن السادس (١٢هـ / ١٢م)^(٦) . فتمت العلاقات التجارية بين أوروبا والدولة الأيوبية في ذلك الوقت ، فعقد في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م معاهدات تجارية بين صلاح الدين الأيوبي ، ومدن تجارية اوروبية كبرى هي البندقية وجنوا وبيزا^(٧) .

-
- (١) ابن سعيد الاندلسي ، م. ص ٢٩٠ .
(٢) عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٣٢٤-٣٢٥ ، وعن الازدهار الزراعي انظر ص ٢٣١-٢٣٣ .
(٣) أبوشامة ، الروضتين ، ج ١ ق ٢ ص ٤٤٣ ، وانظر أيضا ابن جبير ، الرحلة ص ٣١ .
(٤) ص : ٢٢٤ .
(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ص ١٢٩ .
(٦) نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ص ٢٩٦ ، يلاحظ لوفران ان هذا الازدهار تزامن مع استقرار الاوضاع داخل أوروبا نفسها ، نتيجة قيام سلطات مركزية اكثر قوة وتماسكا وازدهار حركة الاتصالات ، انظر جورج لوفران ، تاريخ التجارة ، ترجمة هاشم الحسيني ، بيروت ص ٣٩ .
(٧) عطية القوسي ، تجارة مصر ، ص ١٤٧ .

كما تذكر المصادر أنه بعد أن انتهت حالة الحرب بين المسلمين والصليبيين بعقد الصلح المشهور "بصلح الرملة" ^(١) ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م ، فإن ذلك أدى إلى ازدهار التبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين ، فحمل كل منهم بضائعه ومتاجره لبيعها في بلاد الطرف الآخر ^(٢) ويعد وجود تجار من بلاد الهند والحبشة في مصر حينئذ ^(٣) ، دليلاً واضحاً على وجود نشاط قوى في العلاقات التجارية بينها وبين هذه البلاد والمناطق المحيطة بها ، والحقيقة فإن نمو العلاقات التجارية تبدى أكثر ما تبدى في ازدهار تجارة النقل عبر مصر خاصة تجارة البهار حيث أصبح البحر الأحمر عصباً لها خلال تلك الفترة نتيجة لدخول الصليبيين إلى بلاد الشام الأمر الذي أثر على الطرق التجارية القادمة عبرها من العراق ، فأخذت هذه التجارة بالاتجاه نحو هذا البحر ^(٤) . فعمل الصليبيون في بادئ الأمر على السيطرة عليها ، وذلك باستيلائهم على ميناء

(١) هذا الصلح الذي عقده الناصر صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد ملك الانكليز وهو ينص على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا بما فيها قيسارية وحيفا وارسوف . وتكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين وتبقى عسقلان بيد المسلمين ، ودخل في هذا الصلح الاسماعيليين (الحشاشون) وصاحب انطاكية وطرابلس . عنه انظر ابن واصل مفرج الكروب ، ٤٠٢/٢ - ٤٠٣ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية

٨٦٢/٢ - ٨٦٣ ، بسام العسلي ، صلاح الدين ص ١٧٥ .

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٤٧/٦ - ٤٨ .

(٣) ابن جبير ، الرحلة ص ٤٠ .

(٤) هاملتون حبيب ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ٣٣ - ٣٤ .

أيلة^(١) سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م^(٢) ، الذى كان من مواني* تجارة العبور بين الشرق والغرب قبيل دخول الصليبيين الى بلاد الشام^(٣) ، فأدى هذا التحرك الصليبي الى قيام مدن التجارة الاوروبية بمقاطعة تجارة العبور القادمة عبر مصر في اواخر العصر الفاطمي ، واتجهوا = دعما لبني عقيدتهم نحو الحصول على امتيازات تجارية لدى الدويلات الصليبية في الشام^(٤) ، بيد أن هذا الوضع لم يستمر طويلا اذ سرعان ما عادت هذه التجارة الى الاعتماد مرة اخرى على الطريق التجارى العابر لمصر^(٥) ، فسعت مدن التجارة الاوروبية نحو عقد معاهدات تجارية مع صلاح الدين الأيوبي كما سبق أن ذكرنا ، لأنها وجدت نفسها قد خسرت كثيرا بسبب حركة المقاطعة هذه^(٦) . علاوة على قيام صلاح الدين الأيوبي بالسيطرة على المنافذ التجارية المطلة على البحر

(١) عنها انظر ص ١٩٠ هامش ٥ .

(٢) ص : ١٩٦ .

(٣) احمد رمضان، شبه جزيرة سيناء ، ص ١٨ - ١٩ .

(٤) عن ذلك انظر عطية القوسي ، تجارة مصر ، ص ١٣٧ - ١٤٢ ، ومن الواضح ان هذه المقاطعة ادت الى تدهور الأوضاع الاقتصادية في أواخر هذا العصر لان هذه التجارة كانت عصب قوة الاقتصاد المصرى . انظر جوستاف فون جرونباوم ، انجازات العصر الفاطمي ، ضمن ابحاث الندوة الدولية ١ / ٣٦٣ .

(٥) كان هذا الطريق يمر من خلال عدد من المحطات بدءا من عدن مروراً بعيذاب ، ثم تحمل القوافل البضائع الى قوص تحمل عبر النيل الى البحر الابيض المتوسط . انظر نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ، ص ١٢٧ - ١٣٧ .

(٦) عطية القوسي ، تجارة مصر ص ١٤٠ .

الأحمر ، فقام في عام ٥٦٦ هـ / ١١٢٠ م باستعادة أيلسة ^(١) ، ليتلوه بعد ذلك في سنة ٥٦٩ هـ / ١١٢٢ م بضم بلاد اليمن ^(٢) وصولا الى ميناء عدن ^(٣) الذي يعد نقطة الوصل الرئيسية بتجارة الشرق في ذلك الوقت ^(٤) . وبذلك يكون صلاح الدين قد احكم قبضته على أحد أهم طرق التجارة العالمية في عصره . الأمر الذي دفع بمدن التجارة الأوروبية نحو عقد المعاهدات التجارية معه رغم قرارات التجريم التي اصدرتها البابوية ، خاصة وأن صلاح الدين قد شجع هذه المدن نحو ممارسة التجارة مع بلاده ^(٥) فأخذت تجارة العبور تزدهر عبره بشكل فاق ما كان عليه الحال في عهد الفاطميين ^(٦) . وعلى الأخص تجارة السهارة ، الذي يذكر ابن جبير بأن القوافل القادمة من عيذاب كانت تحمل كميات كبيرة منه حتى ليخيل لمن رآه بأنه (. . يوازي التراب قيمة) ^(٧) .

-
- (١) ابن الأثير ، الكامل ١١٠ / ٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، محمد بهادر المومني ، مختصر تاريخ العيني المسمى فتح النصر في تاريخ ملوك مصر ، مخطوطة في مكتبة اياصوفيا باسطنبول رقم ٣٣٤٤ ورقة ٧٠ .
- (٢) عن هذا الضم انظر ص ١٨٢ ، ويعتبر القوسي ان من جملة الاهداف التي دفعت صلاح الدين لضم اليمن هو الاهمية التجارية . انظر عطية القوسي ، تجارة مصر ص ١٥٨ .
- (٣) تقع هذه المدينة على ساحل بحر العرب وهي مرافأ الشرق بشكل عام ومن اقدم اسواق جزيرة العرب ، عنها انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨٩ / ٤ ، ابراهيم المحقق ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، صنعاء ١٩٨٥ م ص ٢٧٩ .
- (٤) نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ص ١٣٦ - ١٣٧ .
- (٥) عطية القوسي ، تجارة مصر ص ١٤٦ - ١٤٧ .
- (٦) عطية القوسي ، م . ص ، ص ١٧١ .
- (٧) ابن جبير ، الرحلة ص ٤٣ .

ان هذا الازدهار التجارى ، ادى بطبيعة الحال الى زيادة المبادلات في السلع ، خاصة مع أوروبا ، التي اصبح أهلها في تلك الفترة مقبلين على المنتجات الصناعية المختلفة للعالم الاسلامي ، بعد ان زادت معرفتهم بها نتيجة احتكاكهم المباشر بالحضارة الاسلامية في فترة الحروب الصليبية^(١) . لذلك فان منتجات مصرية لا بد وان تجد لها اسواقا رائجة في تلك البلاد ، كذلك فان القاهرة كانت في تلك الفترة ملتقى للبضائع المختلفة ، التي تجلب اليها من شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه وبكميات هائلة^(٢) .

ولقد كان لازدهار التجارة دورا عمرانيا كبيرا في القاهرة ، ان أنها أدت الى ظهور العديد من المنشآت التي تخدم هذه التجارة ، حيث ظهرت الفنادق المختصة لنزول التجار^(٣) ، ان نمو المبادلات التجارية سبب عنها كثرة في الداخلين والخارجين من وإلى مدن مصر ، فكثرة الخلق في مدينة قوص انما كانت بسبب ازدهار حركة التجارة^(٤) . ومن المؤكد أن الكثير من التجار الشاميين كانوا يفدون الى القاهرة في ذلك الوقت ، ان أن فندق سرور الذى بني حينئذ^(٥) ، كان مختصا لنزول أعيان التجار القادمين من الشام^(٦) .

(١) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٠ ، أ.هـ. كريستس ، الفنون الاسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الاوروبية ، بحث منشور في كتاب تراث الاسلام ، ترجمه زكي حسن ١٩٣٦م القاهرة ، ص ص ١٩ ، ٩٨ .

(٢) ابن سعيد الاندلسي ، النجوم الزاهرة ص ٢٩٠ .

(٣) عن الفنادق وهذه الفنادق انظر ص : ٤٩٣ - ٤٩٥ .

(٤) انظر ص : ٢٧١ .

(٥) عن هذا الفندق انظر ص : ٤٩٤ .

(٦) المقرئى ، الخطط ٢ / ٩٢ .

كذلك ساهم النمو التجاري على ازدهار اسواق المدينة ، ان ان
المنتجات الريفية التي كانت تنصب بكميات هائلة في اسواق القاهرة ^(١) ، كانت
تعرض للبيع على الارصفة وكانت من الكثرة لدرجة أن الماشي يلقي صعوبة في
السير في الطرقات ^(٢) ، علاوة على ما يوجد في اسواق القاهرة (. . من
الاخباز واللحوم والالبان والفواكه ما قد ملاها . .) ^(٣) في منظر بهيج
للعين وما رؤى قبله مثله على حد تعبير القاضي الفاضل ^(٤) . ومن المؤكد
ان هذه الاسواق قد ازدهرت فيها المعروضات القادمة من بلاد الفرنجة
من الجلود والفراء والجوخ وغيرها ^(٥) ، وذلك بعدما سمع صلاح الدين
لبعض هؤلاء بالسكنى في اطراف القاهرة ، فعمدوا الى جلب منتجات
بلادهم ^(٦) ، حتى ان بعضهم كان يمارس البيع في شوارع القاهرة ، كما
يشير الى ذلك الشيزرى ^(٧) . وهذا الازدهار لا شك انه ادى الى
ظهور العديد من المنشآت الاقتصادية ^(٨) في مدينة القاهرة ، ان يلاحظ
أن ابن ماتي عندما يضرب مثالا بالمنشآت التي تقام على الساحات التي
تؤجرها الدولة داخل المدينة فانه يضرب المثال بالقياس ^(٩) ، مما
يعني ان هناك الكثير من المنشآت من هذا النوع التي تبني في مثل هذه الأماكن .

- (١) ص : ٢٧٢ .
- (٢) المقرئى ، م . س ، ٢٤ / ٢ .
- (٣) ن . م . س .
- (٤) ن . م . س .
- (٥) مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ١٢٤ .
- (٦) جورجى زيدان ، تاريخ مصر ، ١ / ٢٢٤ .
- (٧) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٥٥ .
- (٨) عن هذه المنشآت انظر ص ص ٤٩٣ - ٤٩٦ .
- (٩) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٧ .

ثانيا : العوامل الادارية :

نظرا لما للادارة من دور مهم في ظهور المدن وتطورها ^(١) ، فلقد كان لبعض التغيرات الادارية في عهد صلاح الدين الأيوبي دورا عمرانيا مؤثرا .

والحقيقة فلقد كان لظهور الايوبيين دورا مهما في احداث تطورات ادارية رئيسية ، تأثر بها الجهاز الادارى في العصر الفاطمي ، فيذكر القلقشندي بأن الدولة الأيوبية عندما ورثت حكم الفاطميين (. . خالفتهما في كثير من ترتيب المملكة وغيرت غالب معالمها) ^(٢) ، ان أن قدوم الايوبيين من مشرق العالم الاسلامي حمل معه روحا جديدة في الادارة كان مصدرها خلافة العباسيين ^(٣) . ولقد تعددت أوجه التغيير التي ادخلها بنوأيوب في الادارة ، فكان من ابرزها : ظهور مناصب ادارية جديدة مثل منصب نائب السلطنة ^(٤) ، الذي يعكس ظهوره ضرورة خروج السلطان من البلاد نتيجة الحروب الصليبية ، فكانت الحاجة الى وجود من ينوب السلطان أثناء

(١) ص : ٥٩ - ٦٣ .

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ / ٥٠ .

(٣) حسن الباشا ، اللقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، القاهرة

١٩٧٨ م ص ٧٧ .

(٤) وهو بمثابة السلطان في حكمه ما دام السلطان غائبا ، ولذلك يطلق عليه

السلطان الثاني كما يحلو لبعض المؤرخين ، انظر ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢ هـ ص ٦٥ - ٦٦ القلقشندي ، م . م ، ٣ / ١٦ - ١٧ ، على ابراهيم حسن ، الممالك

البحرية ص ٢٧٥ - ٢٨٧ .

غيابه^(١) ، كذلك تراجع في هذا العصر حجم الجهاز الادارى ونفوده . حيث تراجع نفوذ الوزراء عنه عما كان عليه الحال في اواخر العصر الفاطمي فأصبح الوزراء وزراء تنفيذ^(٢) ، علاوة على ان بعض المؤسسات الادارية اخذت في الاختفاء مثل ديوان التحقيق^(٣) الذى اختفى في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي^(٤) ، بيد أن مثل هذه التغيرات الادارية لا تعنى كثيرا بالنسبة للبحث ، اذ لا يمكن تلمس مجالات تأثير عمراني واضحة تعكس هذا التطور ، لكن هذا لم يلغى دور العامل الادارى في احداث

(١) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص ٨٤ ، على ابراهيم حسن ، م.س ، ص ٢٧٥ .

(٢) عبد اللطيف حمزة ، م.س ، ص ٤٧ ، ولقد تزايد نفوذ الوزراء في اواخر العصر الفاطمي واصبحوا وزراء تفويض يتصرفون بشئون الدولة دون الرجوع للخليفة ، على ابراهيم حسن ، حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٣٤ .

وتنقسم الوزارة في النظم الاسلامية الى نوعين ، وزارة تنفيذ ووزارة تفويض ، حيث يكون حكمه في الاولى الوساطة بين الامام والناس ، ولا يستبد برأيه في تصريف الأمور وانما يعرضها على الامام ويتلقى اوامره ، اما الثانية فهي ان يعهد الامام للوزير النظر في امور الدولة دون الرجوع اليه ولا يبقى للخليفة بعد ذلك الا ولاية العهد ، وعزل من يوليهم الوزير . انظر ، الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ٢٢ - ٢٩ ، على ابراهيم حسن ، حسن ابراهيم حسن م.س ، ص ١٢١ ، عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٨١/١ - ٨٥ .

(٣) وموضوع هذا الديوان مراجعة عمل الدواوين ، وهو يتبع "نظام

الدواوين" ويلتحق به . انظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ،

٤٨٩/٣ . عبد المنعم ماجد ، م.س ، ١١٢/١ .

(٤) ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص ٧٧ .

تطورات عمرانية على القاهرة الصلاحية ، فلقد كان لبعض مجالات النشاط الإداري تأثيرات عمرانية عليها في ذلك الوقت ، من أبرزها :

أ - التخطيط والتنظيم :

على الرغم من أن هناك من لا يستطيع ان يعتبر التطورات العمرانية الكبرى التي أحدثها الناصر صلاح الدين الايوبي على القاهرة ، هي من وحي التخطيط والتنظيم . نظرا لعدم وجود نصوص تاريخية تشير الى ذلك بشكل مباشر^(١) ، فان هذا الاعتبار لا شك بأنه غير صحيح . ان من المؤكد أن هذه التطورات قد استمدت بعض جوانب وجودها من رؤى تخطيطية ، فالمسلمون كان لديهم تصورات واضحة المعالم تجاه انشاء المدن وتخطيطها واضفاء الصفة التنظيمية لمرافقها المختلفة^(٢) . وبالتالي لا بد وان القت هذه التصورات بظلالها على مظاهر التطور العمراني الذي شهدته القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين ، فمن المؤكد أن الناصر قد كان راغبا في احداث تغيرات عملية على المدينة . يدل على ذلك التطورات العمرانية المقصودة التي جرى القيام بها خلال تلك الفترة . فلا شك بأن الدولة الايوبية قد ادركت الدور العمراني الذي سوف تقوم به مشروعاتها التحصينية - السور والقلعة -^(٣) من حيث التأثير على توزيع

Janet Abu - Lughod , Cairo , P. 27.

(١)

(٢) ص : ٧٧ - ٧٨ .

(٣) عنها انظر ص ٤٦٩ - ٤٧٤ ، ٤٨٤ ، ٤٩٣ .

النشاط العمراني في المدينة الكبرى بشكل عام^(١) . كذلك يلاحظ بأنها كانت حريصة على أن يشغل العمران المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة^(٢) ، بحيث تكون الأجزاء الغربية منها مشغولة بالمنتزهات والبساتين^(٣) ، بينما خصصت الشرقية للأحياء السكنية^(٤) . ومن الواضح أن صلاح الدين الأيوبي كان يهدف إلى إدخال القاهرة في طور عمراني جديد ، باباحتها لسكنى جميع طوائف الشعب^(٥) ، وما أحدثه من تغيرات عمرانية على منشأتها حيث جرى تحويل العديد منها إلى أحياء سكنية^(٦) ، وذلك بهدف طمس معالم الفاطميين ، إذ أن الدولة الجديدة تحب أن تخفي معالم الدولة السابقة لها^(٧) .

ومن التنظيمات العمرانية التي أدخلها صلاح الدين على القاهرة في تلك الفترة التخصص في الأسواق ، بحيث يكون لاهل كل سلعة من السلع سوق متخصصة بها ، فالتخصص في الأسواق لم يكن معروفاً بشكل واضح في مصر قبل عصر صلاح الدين الأيوبي ، وإنما كان قاصراً على مدن المشرق الإسلامي ، دون مغربه^(٨) . في حين أنه منذ عهد صلاح الدين

(١) عن دور السور في توزيع النشاط العمراني في بعض أجزاء المدينة

الكبرى انظر ص ص ٣١٢ - ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ .

(٢) ص : ٣٠٢ .

(٣) ص : ٣٢١ .

(٤) ص ٣٢٢ .

(٥) كانت السكنى في القاهرة الفاطمية مقصورة على الخليفة ورجال الدولة

والجيش ، عن ذلك انظر ص ص ٥١٢ ، ٥١٦ .

(٦) ص : ٣٤٢ - ٣٦٤ .

(٧) ص : ٧٨ .

(٨) بدروش المعيا : الأسواق ، ضمن كتاب المدينة الإسلامية ص ١٠٩ .

اصبحت ظاهرة التخصص معروفة في اسواق القاهرة ، يدل على ذلك الاسواق التي ظهرت في تلك الفترة حيث كان غالبها من هذا النوع ^(١) ، ويعد هذا الاتجاه استجابة للدعوة التي أطلقها الشيزى بالتخصص في اسواق السلع ، والبضائع المختلفة ، حيث يذكر بأن على المحتسب أن (. . . يجعل لأهل كل صناعة منهم سوقا يختص بهم ، وتصرف صناعهم فيه ، فان ذلك لقصادهم أرفق ، ولصنائعهم أنطق) ^(٢) . وهذه الدعوة لا بد وأن الشيزى قد أتى بها من مشرق العالم الاسلامي ، حيث قضى شطرا من حياته في بلاد الشام ^(٣) .

ب - انتقال مركز الحكم والادارة :

ومن العوامل الادارية التي ترتب عنها مظاهر عمرانية جديدة تغير موضع مركز الحكم والادارة ، ففي عصر صلاح الدين الأيوبي أصبح مركز الحكم والادارة في دار الوزارة الكبرى ^(٤) والتي تحول اسمها منذ ذلك العصر الى دار السلطنة ، بعد أن اتخذها صلاح الدين مقرا لسكناه ^(٥) . فأدى ذلك للتأثير على وضع القصر الشرقي الكبير ^(٦) الذي كان مقرا للخليفة ولد واوين الدولة ^(٧) حيث تحول الى منطقة سكنية - خطط واحياء - بعد

(١) ص : ٤٢٤ .

(٢) الشيزى ، نهاية الرتبة ، ص ١١ .

(٣) الشيزى ، م . م ، المقدمة ص " ك " .

(٤) عن هذه الدار ، انظر ص : ٢٥٨ هامش : (١) .

(٥) المقرئى : الخطط ، ١ / ٤٣٠ .

(٦) عن هذا القصر انظر ص ٣٢٣ ، هامش (٣) .

(٧) المقرئى ، م . م ، ١ / ٣٨٣ ، ٣٩٧ .

الباب الثاني

نظام النقل العمومي

أن أجريت عليه التعديلات المناسبة^(١) . كذلك تأثرت الساحات والشوارع المحيطة به ، فجرى البناء على اجزاء منها^(٢) بعد ان فقدت أهميتها بفقدان القصر لأهميته ، كما يشير الى ذلك المقرئ اثناء حديثه عن ميدان بين القصرين^(٣) اذ يذكر بأن هذا الميدان لم يبتذل ويبنى عليه الا بعدما تغيرت معالم القصور الفاطمية بتغير ساكنيها^(٤).

(١) ص : ٣٥٤ .

(٢) عن هذه الساحات والشوارع والبناء عليها انظر ص : ٣٦٥ - ٣٧٠ ،

٣٧٩ - ٣٨٠

(٣) عن هذا الميدان انظر ص : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) المقرئ ، م . س ، ٢٨ / ٢ .

مطلب

في ضوء العوامل التي سبق ذكرها في الباب الأول ، يتضح أن القاهرة قد شهدت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي متغيرات حضارية عميقة المدى ، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في أن تشهد المدينة في تلك الأثناء ازدهارا عمرانيا واسعا النطاق ، حيث لم يعد هناك فيها موضع قابل للاستغلال إلا ويجرى استغلاله ، كما ذكر عبد اللطيف البغدادي (١) .

ومن الواضح ان هذا الازدهار قد أدى الى وقف حالة التدهور العمراني التي شهدته المدينة في اواخر العصر الفاطمي . اذ من المؤكد أن تدهور الأوضاع الأمنية وانتشار الفوضى والاضطراب (٢) علاوة على تردى النشاط الاقتصادي (٣) ، والتناقص السكاني فيها (٤) ، في تلك الأثناء . قد أدت الى تراجع مستوى العمران في القاهرة ، فأخذت بعض الأحياء السكنية الواقعة خارجها بالاختفاء ، فمن المرجح ان ما يذكره ابن عبد الظاهر عن حارة الحسينية (٥) من انها كانت موجودة في العصر الفاطمي ، كمساكن لبعض الأجناد ، ثم يذكر تارة أخرى أنها تنسب الى جماعة من الأشراف الحسينيين قد مروا من الحجاز في عهد الملك الكامل (٦) وسكنوا بها ، ليس تناقضا كما يعتبره المقرئ (٧) . وانما كان بسبب اختفاء العمران في هذه الحارة في أواخر العصر الفاطمي ، وعودته اليها في عهد الكامل .

(١) عبد اللطيف البغدادي ، الافادة والاعتبار ص ٢٥ .

(٢) ص : ٢١٢ .

(٣) ص : ٢٢١ .

(٤) ص : ٢١٢-٢١٣ .

(٥) عرفت هذه الحارة بطائفة من الجند الفاطمي يطلق عليهم الحسينية المقرئ ، الخطط ، ج٢ / ٢٠ ولا تزال حتى الوقت الحاضر مشهورة بمكانها .

(٦) عنه انظر ص : ٨٨ هامش (٣) .

(٧) المقرئ ، م.س ، ج٢ / ٢١ .

بل ان هذا الاختفاء بلغ ذروته بحريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ / ١١٦٧م)
حيث اختفت اجزاء كبيرة منها وتحولت الى اكوام . (١)

وبالاضافة الى وقف التدهور العمراني ، فلقد ادى ازدهار النشاط
العمراني في عهد الناصر صلاح الدين الى ان تتخذ المدينة أوضاع عمرانية
جديدة تختلف عما كانت عليه في السابق ، كما سيتضح لنا فيما يلي من فصول
هذا الباب .

الفصل الأول

التحضير الثاني

يعبر التخطيط العام للمدينة عن طبيعة تكوينها الحضارى والمادى
معا ، فأهمية الجامع عند المسلمين ، هي التي جعلتهم يتجهون فـي
تخطيطهم للمدن نحو جعله النقطة المركزية الوسيطة^(١) . لذلك
فلقد أدت التحولات الحضارية والعمرانية التي شهدتها القاهرة في عهد
الناصر صلاح الدين ، لأن تتجه المدينة نحو اتخاذ تخطيطا يختلف
 عما كانت عليه في السابق^(٢) ، سارت تطوراتها العمرانية على هداه فيما
تلى من عصور ولمدة تصل الى سبعة قرون تقريبا^(٣) . ومن أبرز مظاهر
التطور التي أثرت على تخطيط القاهرة في تلك الأثناء هي :

أ - توسع القاهرة :

شهدت القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، توسعا
عمرانيا هائلا ، شمل مجالاتها الانسانية ، والمادية ويتمثل ذلك في التوسع
الوظيفي . فبالإضافة الى محافظة القاهرة على دورها كمركز للإدارة والحكم^(٤)
، فان وظيفتها أخذت في تلك الأثناء بالاتجاه نحو مزيد من التعقيد ،
بتوسع مجالات النشاط الانساني فيها . فمن الناحية السكانية توسع
محتواها البشرى كيفاً وكماً . فمن الناحية الأولى ، تخلصت القاهرة من
محتواها السكاني الضيق ، وأباحت لسكنى كافة أفراد الشعب^(٥) . أما

(١) ص : ٥١ - ٥٢ .

(٢) عبد الفتاح وهبة : جغرافية العمران ، ص ، ص : ٢٦٥ ، ٢٦٧ .

(٣) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، ج ٢ / ٧ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، ج ١ / ٣٤٨ .

(٥) ص : ٥١٢ .

بالنسبة للثانية فلقد صارت القاهرة مركز التكتل للكثافة السكانية ففي المدينة الكبرى بعد أن كانت الفسطاط تمثل ذلك^(١) . كما أنها توسعت اقتصاديا اذ بدأ العديد من أوجه النشاط الاقتصادي بالظهور فيها ، في شكل أسواق وصناعات جديدة مستحدثة في حين انتقل إليها أيضا أسواق وصناعات من الفسطاط كي تلبي احتياجات لم تكن المدينة تعرفها في السابق^(٢) .

وبطبيعة الحال فإن مثل هذه التغيرات الوظيفية قد دفعت المدينة نحو تكيفات يظهر مداها في مزيد من النمو العمراني والحضري^(٣) . وتتمثل في متغيرات أصابت بنيتها ، وأقسامها ومرافقها ، التي بدأت تظهر فيها جميعا مظاهر تطور عمراني كبير جدا^(٤) . ذلك أن هذه التغيرات هي التي أدت بالبعض ان يعتبر القاهرة لم تتحول الى مدينة بالمعنى الحقيقي ، الا في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي^(٥) . ففي حين أنها لم تكن في العصر الفاطمي سوى حصن^(٦) ، يقطنه الخليفة وجنده وحرمه ، ويحتوى به من الملوك والنواب^(٧) . وبالإضافة الى

-
- (١) ص : ٥١٢ - ٥١٣ .
 (٢) ص ص ٤٢٥ - ٤٣٠ ، ٤٣٢ - ٤٣٤ .
 (٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ / ٢٧٩ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .
 (٤) انظر الحديث عن البنية في هذا الفصل ، وانظر الفصل الثاني والثالث من هذا الباب .
 (٥) حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، ص ٢٩ ، عبد الفتاح وهبة ، جغرافية العمران ، ص ٢٦٥ .
 (٦) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص : ١٠٨ .
 (٧) المقرئ ، الخطوط ، ج ١ / ٣٦٤ .

التوسع الوظيفي ، فلقد أخذت حدود المدينة بالتوسع أيضا ، والمقصود
(١)
بالحدود هنا هو الحدود الادارية للمدينة او النطاق الادارى لولايتها .
وعلى الرغم من أن المقريزي يقدم أوصاف مفصلة عن حدود المدينة ، إلا أنه
من الواضح أن هذه الأوصاف توضح النطاق الادارى لها في عصره
وما مثل من تطورات عمرانية خلال العقود المختلفة ،^(٢) حيث تميزت
حدود القاهرة بعدم الاستقرار والثبات عند منطقة بعينها ، ففي
بعض المراحل تكون عرضة للزيادة ، بينما تكون في أخرى عرضة للنقصان .
فعندما يتحدث ابن عبد الظاهر عن الحدود الفاصلة فيما بين الفسطاط
والقاهرة ، يشير الى حدوث تعديلات فيها . حيث يذكر أن حالها
استقر في عصره - على أن تكون في خط تصورى - ممتدة فيما بين
السبع سقايات^(٣) الى مسجد السيدة زينب عرضا^(٤) ، في حين

(١) لاحظ ما يذكره ابن دقماق أثناء حديثه عن الحمراء القصوى بأنها
الحد الفاصل بين ولايتي مصر والقاهرة . ابن دقماق ، الانتصار ،
ق ٩١ / ١ .

(٢) تحدث المقريزي عن حدود القاهرة في أكثر من موضع حيث
أشار اليها صراحة وأثناء حديثه عن ظواهر هذه المدينة ،
وقدم تفصيلا دقيقا لها أثناء حديثه عن أجزاء المدينة الكبرى
في عصره ، انظر : المقريزي ، ج ١ / ٣٦٠ - ٣٦١ ، ٣٦٣ -
٣٦٤ ، ج ٢ / ١٠٨ - ١١١ .

(٣) السبع سقايات هي خط السبع سقايات ، ويقع بالحمراء القصوى
شرقي الخليج المصرى ، ويقع في المنطقة التي تحد في الوقت
الحاضر ، من الشرق بشارع السد الجوانى عند جامع السيدة
زينب ، ومن الشمال والغرب شارع الخليج المصرى . ومن الجنوب
جنينة قماش . للمزيد انظر : المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ٣٤٣ ،
ج ٢ / ١٣٥ ، عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ، ص ١٠٠ .

(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ٣٤٤ .

أنها كانت قبل ذلك تمتد من المجنونة^(١) الى المسجد المذكور^(٢) . وهذا يشير الى حدوث تعديلات في الحدود بين المدينتين ، والى أنها توسعت في احداها على حساب الأخرى ، إذ أن انتقال الحدود من المجنونة الى السبع سقايات ، يشير الى أن حدود القاهرة في هذه الجهة توسعت نحو الجنوب ، وكان هذا التوسع بطبيعة الحال على حساب حدود الفسطاط^(٣) .

ومن الواضح أن هذا التغير في حدود المدينة يخضع لا اعتبارات عمرانية فعندما يتزايد النشاط العمراني فيها ، فإن حدودها تنمو وتتسع تبعاً لذلك . فجزيرة الفيل^(٤) لم تكن في العصر الايوبي تتبع القاهرة ، وإنما كانت منفصلة عنها ، كما يشير الى ذلك ابن ماتي^(٥) .

(١) المجنونة قنطرة يدخل الماء من تحتها من الخليج الى بركة الفيل وسميت بالمجنونة نسبة الى الامير المملوكي المعروف بالطبيرسى كان قد عمرها وكان يعتريه شيء من الجنون نسبت اليه .
المقريزى ، الخطط ، ج٢ / ١٦٢ . ويدل على موضعها فسي
العصر الحديث المنطقة الواقعة بجوار جامع ذى الفقار بك
الشهير بجامع فيطاس ، للمزيد انظر : على باشا مبارك ،
الخطط التوفيقية ، ج٣ / ١٠٣ ، عبدالرحمن زكى ، موسوعة
مدينة القاهرة ، ص : ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) المقريزى ، م.س ، ج١ / ٣٦٠ .

(٣) انظر خويطة رقم (٢٣) .

(٤) عن هذه الجزيرة انظر ص : ٩٦ .

(٥) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ١٢٦ .

في حين أنها دخلت في العصر المملوكي ضمن حدود المدينة ، حيث جعلها المقرىوى من أقسام المدينة الكبرى ، وذلك أثناء حديثه عن هذه الاقسام في عصره . (١)

ولا شك أن هذا التحول يعكس التوسع العمراني للقاهرة في تلك الفترة ، حيث تحولت الجزيرة الى منطقة عمرانية ، تصل المنشآت والمباني فيما بينها وبين القاهرة . (٢)

وبالنظر الى الاعتبار السابق ، فإنه من المؤكد أن حدود القاهرة في العهد الفاطمي كانت قريبة جدا من أسوارها . وان كانت المصادر لا تقدم معلومات واضحة في هذا المجال (٣) . أما في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فلا شك أن التوسع الوظيفي الذي سبقت

- (١) المقرئى ، الخطط ، ج١ / ٣٦١ .
- (٢) المقرئى ، م . س ، ج٢ / ١٨٥ - ١٨٦ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ٢١٧ .
- (٣) لا تقدم المصادر معلومات عن حدود القاهرة في العصر الفاطمي . وان كان بالامكان القول بأنها كانت محدودة جدا ، فمن الملاحظ أنها في أوائل العصر الفاطمي لم تكن تصل فسي الناحية الشمالية الى الخندق ، اذ انه لما أسكن المعز لدين الله العبیدی (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧١ م) بعض أتباعه في هذه القرية ، جعل عليهم واليا وقاضيا مما يشير الى انها لم تكن تتبع ادارة المدينة في تلك الفترة وان كان يبدو أن الحدود شهدت بعض التوسعات المحدودة ففي عهد الأمر بأحكام الله (٤١٤ - ٥٢٤ هـ / ١١٠٢ - ١١٣٠ م) عندما عمر بن أبى التبان غربى الخليج كان والى القاهرة ينيب فيه عنه نائبا ، أى أنه أصبح ضمن حدود المدينة ، وبالتالي فان ذلك يشير الى توسع المدينة من الناحية الغربية . انظر : المقرئى م . س ، ج٢ / ١١٤ - ١١٥ ، ١٣٨ .

الإشارة إليه ، علاوة على التوسع المادى ^(١) ، قد دفع حدود المدينة للتوسع بشكل كبير جدا ، إذ أن الحد الغربي لها ، قد أخذ بالتحدد وصولا الى شاطئ النيل ، مشتملا بذلك المنطقة الواقعة غربي الخليج ^(٢) ، ففي تلك الأثناء تزايدت الروابط بين القاهرة وهذه المنطقة حيث شملها سور القاهرة ، الذى أمر الناصر صلاح الدين ببنائه في عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦ م) ^(٣) ، علاوة على تحدد المباني والمنشآت فيها وصولا الى الساحل ^(٤) . كذلك فإن الحدود الشمالية للمدينة أخذت بالتوسع أيضا ، وامتدت حتى بركة الجب ^(٥) . فعندما يتحدث ابن مماتي عن هذه البركة يذكر أنها تعتبر في وقته من جملة ضواحي القاهرة ^(٦) ، مما يشير الى أن حدود المدينة قد وصلت الى هذه البركة منذ تلك الفترة نتيجة تطور العلاقة العمرانية فيما بينها وبين القاهرة حينئذ ، ففي عهد الناصر صلاح الدين أضحت هذه البركة من أفضل متزهاته ^(٧) ، علاوة على كونها مركزا لتجمع الجيوش وعرضها ،

-
- (١) ص : ٢٩٨ - ٢٩٩ .
 (٢) المقرئى ، الخطط ، ج ٢ / ١٠٩ .
 (٣) ص : ٢٩٩ .
 (٤) ص : ٣٨٦ - ٣٨٨ .
 (٥) المقرئى ، ن . م . س ، ولقد سبق الإشارة الى هذه البركة . ويدل عليها في الوقت الحاضر ناحية البركة بمركز شبين القناطر ، محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق ٢ / ج ١ / ٣١ .
 (٦) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص : ١١٠ .
 (٧) ص : ٤٣٩ .

إذا ما خرجت من المدينة برسم الجهاد (١) ، ومن المؤكد أيضا أن الحدود الجنوبية للمدينة قد شهدت في تلك الأثناء توسعات شبيهة بتلك التي حدثت لحدودها الغربية والشمالية ، فهذه الناحية طرأت على حدودها تغيرات ذكرها ابن عبد الظاهر وسبق الإشارة إليها . (٢) من المؤكد أن بدايتها كانت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي حيث أن القاهرة أخذت تنمو في تلك الأثناء - من الناحية السكانية وبالتالي العمرانية - على حساب مدينة الفسطاط (٣) ، الأمر الذي لا بد وأنه سينعكس على حدودهما من حيث الزيادة والنقصان بشكل متبادل ، وإن كانت المصادر لا تقدم نصوص يمكن من خلالها التعرف على مدى التطورات التي شهدتها حدود المدينة في هذا الجانب خلال ذلك العصر . أما بالنسبة للحدود الشرقية للقاهرة ، فإنه ليس بالامكان تلمس تطورات بارزة طرأت عليها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث يبدو أن وجود جبل المقطم في هذه الناحية (٤) ، قد حدد بشكل كبير من حدوث تطورات ملموسة في هذا المجال في تلك الأثناء . وإذا كنا قد تعرضنا لحدود القاهرة ، فإنه يكون من الأجدى أيضا التطرق إلى حدود الفسطاط ، نظرا لكونها جزء رئيسي من المدينة الكبرى . فعلى الرغم من قلة المعلومات التي تقدمها المصادر

(١) ص : ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٢) ص : ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٣) ص : ٥١٢ - ٥١٣ .

(٤) فتحى الحديدي ، القاهرة ، ص ٧٠ .

عنها^(١) ، فانه بالامكان تلمس بعض المتغيرات التي طرأت على حدودها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . حيث أخذت هذه الحدود بالتراجع والانكماش . كما يدل على ذلك انفصال بعض الأقسام التي كانت في العصر الفاطمي تعد جزءاً منها ، فالجيزة التي تقع على الضفة الغربية للفيح ، كانت في العصر الفاطمي تتبع الفسطاط ، وتعد من جملتها ، كما يذكر ناصر خسرو^(٢) ، وأشار اليه الطبيب الحسن بن رضوان (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) . الذي ذكر الجيزة كقسم من أقسام المدينة الكبرى^(٣) . بينما يلاحظ أنها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لم تعد هذه المنطقة تتبع الفسطاط ، أو تعد جزءاً منها . فابن جبير^(٤) عندما يتحدث عنها يصفها بأنها قرية ، ولا يذكر بأنها تتبع الفسطاط الأمر الذي لا شك بأنه يعبر عن انفصال هذا القسم عن المدينة ، حيث أصبح في العصر الأيوبي كوره إدارية منفصلة بذاتها^(٥) . ومن الواضح أن هذا الانفصال قد أدى لأن تتراجع حدود المدينة من الناحية الغربية ، وتصبح نهايتها عند الشاطيء الشرقي لنهر

(١) كل ما يرد في المصادر من معلومات عن حدود الفسطاط هي تلك التي ذكرها المقرئ عن حدود المدينة في عصره وهي حدود من المرجح أنها تقل عما كان عليه الفسطاط في عهودها الأولى . انظر عبد الفتاح وهبه ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٤٠٥ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص : ١٠٤ .

(٣) نقلاً عن المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ص ٣٣٩ .

(٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩ .

(٥) عبد العال الشامي ، مدن مصر وقراها عند ياقوت ، ص : ٤٥ .

النيل^(١) . ويبدو أن هذا الانكماش قد تكرر أيضا في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة ، حيث أن المناطق العمرانية التي تقع في هذه الناحية أخذت بالتحول الى مقبرة عرفت بالقرافة الكبرى^(٢) ، فكان ذلك ان اعتبرت القرافة الكبرى الحد الشرقي للمدينة منذ تلك الفترة على ما يبدو^(٣) . والراجع أن مثل هذه التغيرات تنطبق على بقية حدود الفسطاط . فلا شك أن تمدد حدود القاهرة الجنوبية قد أدى بدوره لتراجع الحدود الشمالية للفسطاط ، نظرا لاشتراك حدود المدينتين في هذه الجهة^(٤) . ومن الواضح أن التراجع في حدود الفسطاط ، إنما يعكس حالة الانكماش العمراني الذي أصيبت به المدينة بعد حريق شاور عام (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) حيث هجرها الكثير من سكانها باتجاه القاهرة^(٥) ، وتحولت أجزاء كبيرة منها الى أكوام^(٦) . ولم يكن توسع القاهرة قاصرا على النواحي سابقة الذكر ، بل أخذت رقعتها المادية بالتوسع من خلال السور الذي أمر

(١) المقریزی ، الخطط ، ج ١ / ٣٤٣ ، عبد الفتاح وهبه ،

الجغرافيا التاريخية ، ص ٤٠٦ .

(٢) عنها أنظر ص : ٤٦٢ ، هامش (٤) .

(٣) المقریزی ، ن . م . س ، عبد الفتاح وهبه ، ن . م . س .

(٤) ص : ٢٩٦ .

(٥) ص : ٥١٢ - ٥١٣ .

(٦) ص : ١١٠ - ١١١ .

الناصر صلاح الدين ببنائه في عام (٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) ^(١) حيث امتدت المدينة ناحية الغرب وصولا الى ساحل النيل ، واتجهت شرقا لمسافة ليست بالكبيرة وصولا الى برج الظفر ، ثم امتدت جنوبا حتى قلعة الجبل . وليتوغل السور بعد ذلك ليضم عواصم مصر الاسلامية القديمة ، وهي الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ^(٢) ، بحيث يدار (...) عليها سورا واحدا من الشاطيء الى الشاطيء ^(٣) .

وتشير مظاهر التوسع هذه على أن حركة النشاط والنمو العمراني قد أضحت تتركز في القاهرة ، وأن هذا الارتكاز كان على حساب الفسطاط ، أى أن هذه الحركة أصبحت تتجه من الأولى الى الثانية - من القاهرة الى الفسطاط - مما يعد انقلابا لما كانت عليه الحال في العصر الفاطمي اذ كانت هذه الحركة تتجه من الفسطاط الى القاهرة ، حيث أن الثانية كانت تعتبر من جملة الأولى ، فعندما يتحدث المقدسي عن الفسطاط حينئذ ^(٤) يذكر بأنها عاصمة مصر ، ومقر الخلافة ،

- (١) عن هذا السور انظر ص : ٥٨٤ - ٥٩٣ .
- (٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، ج ٢ / ٩ - ١٠ ، أنظر خريطة رقم (٢) .
- (٣) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ / ق ٢ / ٦٨٧ ، الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ١١٩ .
- (٤) زار المقدسي مصر في عهد العزيز بالله العبيدي (٣٦٥ هـ - ٣٨٦ / ٩٧٦ - ٩٩٦ م) . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨ - ٩ . طلال رفاعي ، البريد ، ج ١ / ٤٤٧ ، كراتشوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافي ج ١ / ١٠٩ .

وإدارة الدولة الفاطمية^(١) ، رغم أن يشير في ذات الوقت الى نفس الخصائص أثناء حديثه عن القاهرة^(٢) ، وهذا يدل بلا شك على أن القاهرة ، كانت تعتبر في أوائل العصر الفاطمي جزءاً من الفسطاط^(٣) ومن الواضح أن هذا الاتجاه قد قاومه الفاطميون خشية أن تذوب عاصمتهم بالانضمام الى الفسطاط ، وتختفي دلالتها الرمزية^(٤) . ولذلك فلقد عمدوا منذ عهد الخليفة الحاكم بأمر الله^(٥) على منع الاتصال العمراني فيما بين المدينتين ، وذلك بجعل حدود لمجال النمو العمراني من الفسطاط تجاه القاهرة ، فبني في تلك الأثناء بناءاً يحدد هذا المجال ، أطلقت عليه المصادر لفظ " الباب الجديد " ^(٦) والذي كان

-
- (١) المقدسي : م . س ، ص : ١٩٧ .
- (٢) المقدسي : م . س . ص : ٢٠٠ .
- (٣) يلاحظ بأن الفسطاط كانت تلتهم العواصم التي اقيمت بجوارها وهي العسكر والقطائع ، وذلك نتيجة اتجاه المدينة نحو التوسع شمالاً . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣٣٢ . عبد الرحمن زكي ، الفسطاط ، وضاحتها العسكر والقطائع ، ص : ٨٣ ، شحاته ابراهيم ، القاهرة ، ص ٤٠ ، عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٤١٢ .
- (٤) سبق الإشارة الى أن الدولة قد توءس عاصمة تعبره عن حكمها ، ص : ٦٠ .
- (٥) عنه انظر ص : ١٢٠ هامش (٣) .
- (٦) المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، ج ٢ / ١٠٠ ، ١٠٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣٥٠ . على باشا مبارك ، الخطة التوفيقية ، ج ٢ / ١٥٣ . ومن المؤكد ان هذا الباب هو الذي وصفه ابن جبير ، ويذكر بأنه عبارة عن برجين يعلوهما تمثالين أحدهما يتجه للشرق والآخر للغرب . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٦ .

يقع بالقرب من الجامع الطولوني الى الشمال منه ^(١) . فأصبحت امكانية البناء في هذه المنطقة متاحة من حد هذا الباب والمواضع التي تقع الى الجنوب منه ، حيث أخذت الأحياء الجديدة التي بنيت حينئذ بالظهور في هذه المنطقة كما يذكر المقرئى بقوله (. . .) اتصلت العمائر من الباب الجديد الى الفضاء الذى هو الآن خارج المشهد النفيس . . .) ^(٢) ، ولتحقيق تنفيذ هذه السياسة التي تبناها هذا الخليفة ، فلقد جرى في تلك الفترة أيضا ازالة الأحياء السكنية التي تقع فيما بين هذا الباب وسور القاهرة الجنوبي ، أى الأحياء التي تقع شمالي الباب المذكور ، فمن المؤكد أن حارة الروم ^(٣) التي جرى ازالتها في عام (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م) إنما هي حارة الروم البرانية التي كانت تقع في هذه المنطقة في تلك الأثناء . ^(٥)

ومن الواضح أن هذه السياسة العمرانية ، ظل معمولاً بها لفترة يصعب تحديد نهايتها على وجه الدقة ، وان كان من المؤكد أنها استمرت الى أوائل القرن السادس (٢ هـ / ١٢ م) فالأحياء التي

-
- (١) يدل على موقع هذا الباب المنطقة الواقعة فيما بين حارة الوالي حسن وحارة درب الاغوات على باشا مبارك ، ن . م . س .
- (٢) المقرئى : م . س ، ج ٢ / ١٠٠ .
- (٣) تنسب هذه الحارة الى طبقة من الجند القادمين مع جوهر الصقل ، ولقد بنت الروم حارتين احدهما داخل القاهرة وأخرى خارجها انظر : المقرئى ، م . س ، ج ٢ / ٨ . فتحى الحديدي ، القاهرة ، ص : ٢١ .
- (٤) المقرئى ، ن . م . س .
- (٥) وذلك قبل أن تضاف الى توسعة القاهرة التي جرت في أواخر القرن الخامس (٥ هـ / ١١ م) على باشا مبارك ، م . س ، ج ٢ / ٢٠٣ .

أنشئت فيها في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله^(١) ، كانت تقع بجوار الباب المذكور وتمتد منه جنوباً إلى الفسطاط^(٢) ، ولم يحدث أن بنى فيما بين الباب وسور القاهرة الجنوبي ، إلا قبيل سقوط الفاطميين بقليل^(٣) .

لقد أثرت هذه المتغيرات على تخطيط المدينة الكبرى ، التي أضحت لها قلعة تشرف على كافة أرجائها ، علاوة على وجود السور الذى تحكم في توجهات النمو والتوسع العمراني فيها ، والذي أدى بدوره إلى أن تدخل مصر والقاهرة في مرحلة دمج فعلي^(٤) ، خاصة وأن الناصر صلاح الدين حرص على أن يزيل الفوارق التي كانت سائدة فيما بينهما ، ويملأ الفراغ القائم بينهما بالعمران^(٥) . فأدى ذلك كله إلى ظهور شوارع جديدة ، تتكيف مع هذه التوسعات^(٦) ، علاوة على أحداث تعديلات ببعض الشوارع القديمة عن طريق توسعة بعضها وزيادة امتداد البعض الآخر^(٧) .

(١) هو الأمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المتعلي بن المستنصر العبيدي (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠٢ - ١١٣٠ م) ولي الحكم وهو ابن خمس سنوات وقتلته إحدى فرق الباطنية التي ظهرت في عهده وهم النزارية ، كان سيء السيرة ظلوماً . عنه أنظر : أبي سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ١٣ - ١٥ . ابن ميسرة أخبار مصر : ١١٠ - ١١١ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) ص : ٣١٧ - ٣١٨ .

(٣) ص : ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٤) من المؤكد أن هذا السور واتصال المباني فيما بين المدينتين هو الذى أدى لأن تصيران بلداً واحداً كما يذكر المقرئ .

المقرئ م . س ، ج ١ / ٣٦٥ ، وانظر أيضاً ، حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، ص ٢٤ .

(٥) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، ج ٢ / ٧ .

(٦) ص : ٤١٤ - ٤١٦ .

(٧) ص : ٤١٨ - ٤٢٠ .

ب : البنية :

ومن المظاهر التي ظهر فيها تغيرات أساسية في تخطيط المدينة في البنية ، التي تعرضت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لتغيرات أساسية كما سيتضح لاحقاً مع العلم ان هذه المتغيرات لم تكن تنطبق على كافة أجزاء المدينة الكبرى بصورة متجانسة ، وانما كانت مظاهر التغير تختلف من منطقة لأخرى ، لذلك فان متابعتها تستوجب أن يتم التناول لكل منطقة على حده ، وبالنظر الى هذه المتغيرات فانه يمكن من خلال دراسة تأثيراتها الأساسية تقسيم المدينة الكبرى الى أربعة أقسام رئيسة تبين من خلالها أوجه التغير التي طرأت على بنيتها ، وذلك من خلال مقارنتها بما كانت عليه في أواخر العصر الفاطمي .

أولا : الفسطاط :

على الرغم من أن أجزاء كبيرة من هذه المدينة قد تعرض للتلف والتخريب أثناء الشدة المستنصرية^(١) في أواسط العصر الفاطمي^(٢) ، فان استتباب الأمور على يد الوزير بدر الجمالي^(٣) قد أعاد للمدينة

- (١) سبق الإشارة الى هذه الشدة ، انظر ص : ١٠٧ .
- (٢) المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ٣٣٥ - ٣٣٧ . عبد الرحمن زكي ، الفسطاط ، ٣٣ .
- (٣) هو أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م) ، ملوك أرمني ترقى في الخدمة العسكرية وتقلب في الولايات كان آخرها نيابة عكا قبل أن يلي الوزارة للمستنصر العبيدي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠١٤ م) فأنقذ البلاد مما كانت فيه من فوضى واضطراب صاحبت الشدة المستنصرية . للمزيد أنظر : المقرئ ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ١٤١ / ٥ .

الشيء الكثير من حيويتها وعمرانها^(١) ، ولم تفقد سوى بعض الأجزاء الشرقية منها والتي تحولت الى أكوام منذ تلك الفترة^(٢) . ويمكن القول بأن هذا المظهر قد استمرت عليه حتى أواخر العصر الفاطمي ، وإن كان يبدو أنها واجهت بعض مظاهر التدهور العمراني ، مع تردى الأوضاع الأمنية والاقتصادية في تلك الفترة^(٣) والتي عادة ما يوء ثروتها على النشاط العمراني بشكل عام . وبالنظر الى ما توفره المصادر من نصوص عن هذه المدينة في تلك الأثناء يمكن التعرف على بنيتها من خلال تقسيمها الى قسمين رئيسيين ، الأول وهو الذى يحيط بالجامع العتيق^(٤) ، وهذا القسم كان الوزير الفاطمي شاور قد شرع في بناء سور حوله ، قبل أن يتعرض للحرق في عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م إذ ذكر المقرئى هذا السور قائلاً (وكان شاور قد شرع في بناء سور على مدينة مصر واستعمل فيه الناس فلم يبق أحد من المصريين الا وعمل فيه . وحفر من ورائه خندقاً فلم يكمل من ناحية النيل ، وعمل في السور ثمانية أبواب أحدها بدار النحاس^(٥) على ساحل البحر

(١) المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٣٢٧ .

(٢) ن.م.س ، وانظر خريطة رقم (٣) .

(٣) سبق الإشارة الى هذه الأوضاع الأمنية والاقتصادية ، أنظر :

ص ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٤) أنظر خريطة رقم (١٣) .

(٥) هذه الدار بناها وردان الرومي مولى عمر بن العاص رضي الله عنه وحولت في عهد معاوية رضي الله عنه مقراً للديوان . ابن دقماق الانتصار ، ق ١ / ٦ ، وهي تقع غربي الجامع العتيق ناحية

الساحل القديم . - Casanova , Paul , de Reconstitution , p. 43 plan 1.

- (٢) هدم في سنة (. . .) (١) وخمسين وستمئة وأخرب جانب كوم البواص ،
وثالث على سكة سوق وردان (٣) سقط سنة احدى وستين وستمئة ،
وباب في طريق زين العابدين (٤) ، وباب عرف بباب الصفا (٥) ،

- (١) سقط بمقدار كلمة لم يتمكن المحقق من تحديدها . المقرئ
، اتعاط الحنفاء ، ج٣ / ١٩٦ ، هامش (١) .
(٢) لم أشر على اشارة تدل على موقع هذا الكوم فيما اطلعت عليه
من مصادر ومراجع .
(٣) ينسب هذا السوق الى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص
رضي الله عنه . ابن دقاق ، م.س ، ق ٣٢ / ١ . ويقع الى
الشمال من جامع عمر بن العاص .
Casanova , Paul , de Reconstitution , p.43, plan 1.
(٤) من الواضح ان هذا الطريق يقع بالقرب من مسجد زين العابدين
الذى يقع فيما بين جامع ابن طولون والفسطاط . المقرئ ،
الخطط ، ج٢ / ٤٣٦ . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة
القاهرة ص ٣٤٣ ، ويجعل كزانوفا هذا الباب هو باب الصفا
الذى سنشير اليه لاحقا ، وهذا مخالف لما أورده المقرئ .
أنظر : Casanova, Op. Cit.
(٥) يضع كزانوفا هذا الباب في موضع خاطئ كما سبق أن
أشرنا أن باب زين العابدين غير باب الصفا كما هو واضح من النص .
ويبدو أن هذا الباب يقع الى الشمال الشرقي من باب زين
العابدين على شارع القصبة " الطريق العظمى " حيث كان
يوجد مدخل الفسطاط الرئيسي . ابن دقاق ، م.س ، ق ٢٨ / ١ ،
المقرئ ، م.س ، ج١ / ٣٤٧ . وعن الطريق العظمى ، أنظر
ص : ٤١٧ .

وباب بحرى مصلى (١) الا موات سقط قبيل سنة خمسين وستمئة ، وباب
عند اقمنه الجبر (٢) مما يلي درب السريه (٣) ، وباب لقنطرة بنى
وائل (٤) وتحت قنطرة بنى وائل التي تصب في بركة الشعيبه... (٥) (٦)
أما القسم الثاني فهو الذى سماه ابن دقماق بمدينة باب لهون قد
ذكر انها كانت كبيرة جدا ويوجد بها أربعمئة حمام (٧) . ومن الواضح
أن هذا القسم يقع جنوبى الأول ويمتد حتى يشمل الرصد (٨)

(١) لم أجد تحديدا لهذا المصلى ، لعله يقع بالقرب من الدرب
الذى عرف بدرب المعاصر ، وبدرب الوداع أيضا حيث كانت
تخرج منه الجنائز لدفنها القرافة ، وبالتالي يكون موقع هذا
الباب الى الشمال الشرقى من جامع عمرو بن العاص . انظر ابن
دقماق ، الانتصار ، ق ٢٨/١ ،

Casanova, Paul , de Reconstitution, p.42, plan 1.

- (٢) لم أجد اشارة تدل على هذا الموضع ، قد يكون ناحية الساحل
حيث أن صناعة الجير تحتاج الى الماء كما هو معروف .
- (٣) لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر اشارة لهذا الدرب .
- (٤) سبق الاشارة الى هذه القنطرة ، وهي تقع جنوبى الفسطاط
ناحية الساحل ، انظر : Casanova, Op.cit.
- (٥) عن هذه البركة أنظر ص : ١١٨ .
- (٦) المقرئى ، اتعاط الحنفاء ج ٣ / ٢٦٩ .
- (٧) ابن دقماق . الجوهر الثمين ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- (٨) انظر خريطة رقم (٣) ولقد سبق الاشارة الى هذا
الرصد ، انظر ص : ١٠٢ ، هامش (٦) .

فاسم المدينة ينسب الى حصن باب ليون^(١) الذى يقع على هذا الرصد ،
 في الطرف الجنوبي منه^(٢) . ولقد تعرضت الفسطاط قبل سقوط
 الدولة الفاطمية لحريق هائل عام (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) ترتب عنه أن
 أصيبت المدينة بأضرار بليغة . وكان ذلك بسبب قصد الصليبيين
 مصر للاستيلاء عليها^(٣) ، ونظرا لعدم قدرة شاور على الدفاع عن
 المدينة^(٤) ، فانه أمر سكانها باخلائها وأضرم فيها النار^(٥) التي
 استخدم فيها عشرين ألف قارورة نפט واستمر الحريق مشتعلا في منشآتها
 على ما يزيد عن خمسين يوما^(٦) . وتختلف المصادر في تحديد هـا
 للآثار الناجمة عن هذا الحريق ، فابن دقماق يشير الى أن الجزء الذى
 أحرق وأتلف هو مدينة باب ليون سابقة الذكر^(٧) أى أنه بذلك
 يستثنى القسم المحيط بالجامع العتيق ، وهذا مخالف لما ذكره المقرئزى ،

(١) هذا الحصن بناء يعود الى ما قبل الاسلام ، وتذكر بعض الروايات
 انه هو قصر الشمع ، والأرجح أنه بناء غير القصر المذكور ، يقع على
 الرصد . انظر المقرئزى ، الخطط ج ١ / ٢٧٨ - ٢٨٨ ، ج ٢ / ٤٥٢ ،
 القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣١٩ - ٣٢٠ ، فؤاد فـرج
 المدن المصرية ج ٤ / ٢٩٠ .

(٢) Casanova, Paul , de Reconstitution , plan 1. (٢)

(٣) ص : ٢٠٢ - ٢٠٤

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ / ٩٩ ، صفى الدين عبدالموئ من ،
 مرصد الاطلاع ج ٣ / ١٠٣٦ ، عبد الرحمن زكى ، القاهرة ،
 ص ٤٠ .

(٥) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ / ق ٢ / ٤٣٢ . المقرئزى ، م . س .
 ج ١ / ٢٨٦ .

(٦) المقرئزى ، م . س . ، ج ١ / ٣٣٩ .

(٧) ابن دقماق ، الجواهر الثمين ، ٢١٧ - ٢١٨ .

من أن غالب منشآت المدينة قد دمرت نتيجة الحريق ^(١) . ويفهم أيضا ما ذكره ابن جبير في حديثه عن هذه المدينة أثناء زيارته لها حيث ذكر أن غالب مبانيها ومنشآتها قد أعيدت عمارته ، بعدما كان قد تعرض للتلطف نتيجة هذا الحريق ^(٢) . ويبدو أن ابن دقاق أراد بإشارته عن مدينة بابليون أن يشير إلى أكثر الأجزاء تضررا في المدينة ، حيث أن هذا القسم هو الذى أخذ بالتحول إلى أكوام منذ تلك الفترة . ويقع خارج السور الذى أحاط به الناصر صلاح الدين المدينة ، كما سيتضح لنا لاحقا . ومن الواضح أن هذا الحريق كاد أن يأتي على الفسطاط نهائيا ، لولا أن تداركتها عناية بني أيوب . فمنذ أن ولي أسد الدين شيركوه الوزارة ^(٣) ، أظهر الحرص على إعادة عمارتها ، فاجتمع بأعيانها الذين كانوا قد انتقلوا إلى القاهرة إبان الحريق ، وطلب إليهم العودة إلى مدينتهم ^(٤) ، إلا أنهم اعتذروا إليه بعدم قدرتهم حيث أن هذا الحريق قد أودى بأموالهم مما اضطره إلى وعدهم بتقديم المساعدة ، وتوفير أسباب العون لهم ، من أجل إعادة عمارة مدينتهم ، كما يتضح من حديثه لهم حيث قال (... لا تقولوا هذا ، وعلى باذن الله حراستكم ، وإعادةتها إليكم بما كانت عليه وأحسن ، فاستدعوا منى

(١) المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٢٨٦ .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ص ٢٩ .

(٣) عنه أنظر ص : ٢١ هامش (٢) .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ج ٩ / ٩٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ / ٢ ق / ٤٣٢ ،

المقرئى ، الخطط ج ١ / ٢٨٦ .

كل مالكم فيه راحة ، فهي بلادى ، وربما أسكن فيها بينكم .. (١)

الا أن الأمر لم يطل بأسد الدين شيركوه الذى توفى بعد توليته الوزارة ببضع أسابيع (٢) ، فواصل المهمة من بعده ابن أخيه صلاح الدين الذى وجه اهتماما كبيرا نحو الفسطاط (٣) ، فقام بإصلاح جوامعها ومنشأتها الرئيسية ، وبنى بها المدارس (٤) وتوج أعماله هذه بضمها مع القاهرة في سور واحد ، يضمن من خلاله توفير الحماية لهما (٥) .

فترتب على هذا الاهتمام أن أخذ العمران يعود الى المدينة بشكل تدريجي (٦) . لكن إعادة التعمير هذه لم يشمل المدينة بأكملها ، حيث أن أجزاء كبيرة من المدينة لم تعد العمارة اليها ، كما يشير الى ذلك ابن جبير أثناء حديثه عنها حيث يقول (. . . ومدينة مصر آثار من الخراب الذى أحدثه الاحراق الحادث بها وقت الفتنة عند انتساح دولة العبيديين وذلك سنة أربع وستين وخمسمائة ، وأكثرها الآن مستجد والبنيان بها متصل ، وهي مدينة كبيرة والآثار القديمة حولها ، وعلى مقربة منها ظاهرة تدل على عظمة اختطاطها فيما سلف) (٧) . كذلك فان المصادر

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ، ج ٣ / ٣٠٣ .

(٢) ص : ٣٧ - ٣٨ .

(٣) عبد الرحمن زكي ، الفسطاط وضاحتها ، ص ٣٤ .

(٤) ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٥٠٣ - ٥٠٤ .

(٥) الفتح البندارى ، سدا البرق ، ص ١١٩ وعن هذا السور أنظر

ص : ٤٨٤ - ٤٩٣ .

(٦) المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ص ٣٣٩ .

(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩ .

تذكر أن هذا الحريق أدى الى اختفاء العديد من منشآتها ، مما يشير الى عدم إعادة شعيرها ، فهناك العديد من المساجد التي اختفت ودرست ولم يعد يوجد لها أثر على الإطلاق^(١) علاوة على بعض منشآت المرافق التي تعرضت لنفس المصير أيضا مثل أوقاف الأزهري وقد أشأ رالى ذلك ابن عبد الظاهر أثناء حديثه عن أوقاف الجامع الأزهري في الفسطاط التي اختفت وجهلت مواقعها نتيجة هذا الحريق.^(٢)

ان وجود هذا المظهر منذ تلك الأثناء ، يشير الى أن المدينة قد طرأ عليها تعديل في بنيتها حيث أن السور الصلاحي لم يضم أجزاءها كاملة ، وإنما ضم الأجزاء الغربية الشمالية منها ، والتي يقع فيها الجامع العتيق^(٣) . في حين أن الأجزاء الجنوبية الشرقية منها أضحت خارج السور^(٤) ، إذ أن مدينة باب ليون التي كانت تمثل معظم هذه المنطقة أضحت خارج هذا السور^(٥) ، وبالتالي فمن المؤكد أن غالبية الأجزاء التي لم تعمر من الفسطاط حينئذ ، كانت تقع في هذه المنطقة ، فأخذت خرائبها وأطلالها تتحول الى أكوام من جهة^(٦) ، ولتضاف الى مقبرة المدينة من جهة أخرى^(٧) ، بينما أخذت المواضع الواقعة داخل السور

(١) السخاوي ، تحفة الاحباب ، ص : ٢٩٩ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص : ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحتها ، ص ٣٨ وانظر خريطة

رقم (١٢) .

(٤) انظر خريطة رقم (١٢) .

(٥) ابن دقماق ، الجواهر الثمين ، ٢١٢ - ٢١٨ .

(٦) ن.م.س وانظر أيضا فيما يذكره المقرئى من أن أكوام الفسطاط

تمتد الى الرصد وبركة الحبش . المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٣٤٣

(٧) ص : ٤٦١ - ٤٦٤ .

بالتحول الى محور النشاط العمراني للمدينة ، فمن الواضح أن بدايات
تعميرها كانت في المنطقة المحيطة بالجامع العتيق ^(١) . ثم أخذت
بالتوسع نحو المواضع القديمة الواقعة داخل السور ، حيث عمرت الأحياء
القديمة الواقعة شمالي الجامع العتيق + فعندما يتحدث المنذرى عن
الشيخ الفقيه ابراهيم بن اسماعيل الهاشمي ^(٢) ، المتوفى بالفسطاط
سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) يذكر بأنه (. . أم بالناس في الصلوات
المدة الطويلة بمسجد الزبير بن العوام ^(٣) ، بمصر حتى صار يعرف
بالمسجد المذكور .) ^(٤) الأمر الذي يدل على عودة النشاط العمراني
في المنطقة التي يقع فيها المسجد فالمساجد تعمر بعمارة ما حولها ^(٥)
، علاوة على أنه يشير الى عودة العمران في المناطق الواقعة شمالي
الجامع العتيق ، فخط مسجد ابن الزبير الذي ينسب الى المسجد المذكور ،
يقع في هذه المنطقة ، بالقرب من سوق وردان ^(٦) . ومن المؤكد أن المواضع

-
- (١) المقرئى : الخطط ، ج١ / ٣٣٩ . ولقد ترتب عن ذلك إعادة
عمارة الأحياء المحيطة بهذا الجامع . انظر ص : ٣٩٥ .
- (٢) عنه أنظر : المنذرى ، ابو محمد زكي الدين ، عبد العظيم
(ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) التكملة لوفيات النقلة " تحقيق
بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، بيروت
ج١ / ١٨٥ .
- (٣) لم اعثر فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع على اشارة عن هذا
المسجد وتاريخ نشأته . قد يكون نسبه الى الصحابي الجليل
الزبير بن العوام رضي الله عنه فهو ممن شهدوا فتح مصر وكانت
له دار بالفسطاط ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ / ٣٢٩ .
- (٤) المنذرى ، ن.م.س .
- (٥) المقرئى : م.س ، ج٢ / ٣١٢ .
- (٦) ابن دقماق ، الانتصار ق ٢ / ٤١ ، ولقد سبق الاشارة الى هذا السوق
وموقعه . انظر ص : ٣٠٥ ها مش (٣) .

الواقعة شرقي الجامع المعتيق فيما بينه وبين السور قد عمرت في تلك الاثناء
اذ أنها لم تتحول الى أكوام الا في أوائل العصر المماليكي ، حيث بدأ الهجران
الفعلى لها منذ ذلك الوقت ^(١) . ولم يكن تأثير السور قاصرا على تحديد
المواضع التي أعيد تعميرها ، وانما تحكم أيضا في توجيه مسارات النمو والتوسع
في المدينة ^(٢) ، فنظرا لأن السور قد حدد من امكانيات التوسع في الأجزاء
الجنوبية والجنوبية الشرقية من المدينة ، على عكس ما كان سائدا في العصر
الفاطمي ^(٣) ، بعدما أن اقتطع المدينة من هذه الجهات ^(٤) . فلقد
أخذت امكانيات النمو والتوسع في المدينة تبحث عن جهات أخرى ، فاتجهت
نحو الغرب حيث ساحل النيل . خاصة وأن فرصة البناء عليه أصبحت
مواتية منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ^(٥) ، فجرى انشاء الباني
والأسواق والمصانع في هذه المنطقة ^(٦) ، حتى وصل الأمر الى البناء
على الجزر المتكونة من الطرح النهرى ^(٧) ، علاوة على عودة السكنى
في جزيرة الروضة ^(٨) التي فقدت أهميتها كمطقة سكنية خلال العصر

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣٣٤ .

(٢) انظر خريطة رقم (١٢) .

(٣) ص : ٣١٥ - ٣١٦ .

(٤) ص : ٣١٠ .

(٥) ص : ٩٨ .

(٦) ص : ٤٣٦ .

(٧) ص : ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٨) ص : ٣٩١ .

الفاطمي (١) . فأدى ذلك الى أن يتحول محور الارتكاز للنشاط العمراني من شرقي المدينة الى غربيها ، يدل عليه انتقال شارعها الرئيسي من الجهة الأولى الى الثانية (٢) ، علاوة على أن الأجزاء الشرقية منها استمرت فيما تلى من عهود عرضة للخراب لمصلحة الغربية منها ، فكانت هناك حركة انتقال عمراني شبه دائمة على ما يبدو من المواضع القديمة شرقي الجامع العتيق الى الجديدة غربي هذا الجامع (٣) ، التي أضحت هي الأجزاء المعمورة فعلا من الفسطاط في أواخر العصر المماليكي (٤) وما تلاه من عهود . (٥)

وبالإضافة الى التوسع ناحية الغرب ، فلقد أصبح بإمكان (٦) الفسطاط الاتجاه نحو منطقة التوسع الطبيعي لها ، وهي الناحية الشمالية ، فأخذت المباني تتجه ناحية القاهرة ، وصولا الى القلعة ، والخليج ،

- (١) من الواضح أن اتخاذ الفاطميين للجزيرة كموضع نزهة خاصة بهم ، قد حدد من سكانها من قبل عامة الناس ، لذلك يلاحظ المقدسي قلة سكانها ، في حين أن ناصر خسرو يشير الى خلوها من السكان وان بقايا النشاط السكني فيها لا تزال ماثلة حتى وقته . انظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص : ١٠٤ .
- (٢) انظر ص : ٤١٦ - ٤١٧ .
- (٣) المقرئى : الخطط ، ج ١ / ٣٣٩ . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣٣٤ .
- (٤) ن ٠ م ٠ س .
- (٥) لا يزال الخراب ماثلا في الفسطاط شرقي الجامع العتيق حتى الوقت الحاضر . انظر خريطة الآثار الاسلامية ، خريطة رقم (١٦/ب) .
- (٦) سبق الإشارة الى المناطق السهلية شمالي الفسطاط أعطت المدينة فرصة التوسع فيها . انظر ص : ٩٨ .

والجامع الطولوني ، اذ أن الدور التي بنيت فيما بين الفسطاط وهذه المواضع سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ^(١) ، تعد دليلا قويا على أنها قد اتجهت نحو تحقيق هذا الغرض . الذي يعد تغيرا لاتجاهات النمو والتوسع التي كانت سائدة في المدينة خلال العصر الفاطمي . فنظرا لقيام الفاطميين بمنع المدينة من التقدم باتجاه الشمال ^(٢) ، ولعدم توفر امكانية التقدم ناحية الغرب باتجاه الساحل في تلك الفترة أيضا ^(٣) . فلقد أخذت المدينة بالتوسع ناحية الجنوب والجنوب الغربي ^(٤) ، حيث الرصد والمنطقة التي عرفت في عصور لاحقة بالقرافة الكبرى ^(٥) ، فهذه المواضع على الرغم من أنها شغلت بعض خطط الفسطاط الأولى ^(٦) ، إلا أنه من المؤكد أن أهلها قد أخذوا بالانتقال عنها بعد ذلك ليشغلوا المواضع الحالية من البناء فيما بين الخطط الواقعة بالقرب من الجامع العتيق ، حيث أضحت المدينة في أواخر الحكم الأموي تتركز في هذه المنطقة ^(٧) ، وأقصى امتداد في جنوبيها من المؤكد أنه لم يكن

- (١) ص : ٣٨٩ - ٣٩٠ .
 (٢) ص : ٣٠٠ - ٣٠٢ .
 (٣) ص : ٩٧ - ٩٨ .
 (٤) انظر خريطة رقم (٣) .
 (٥) ص : ٤٦٢ .
 (٦) هناك من خطط الفسطاط الأولى ما كان موقعها على الرصد وجوار بركة الحبش ، وفي موضع القرافة الكبرى . المقريزي : الخطط ، ج ١ / ٢٩٨ ، ج ٢ / ٤٤٤ ، عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحتها ، ص : ١٧ - ١٨ ، فؤاد خوج : المدن المصرية ج ٤ / ٣٤٠ .
 (٧) عبد الفتاح وهبة : الجغرافيا التاريخية ٤٠٩ .

يتجاوز قصر الشمع^(١) ، الذى يقع الى الشمال من الرصد^(٢) . وهذا وضع ظلت المدينة محافظة عليه حتى عهد الفاطميين ، اذ أن اتجاهات النمو والتوسع للفسطاط خلال تلك الحقبة من الزمن كانت تتجه شمالا ، كما يشير الى ذلك بناء العسكر والقطائع في هذه الناحية^(٣) . ولم يظهر الاهتمام بالناحية الجنوبية الا منذ العصر الفاطمي ، يدل على ذلك أن المعز لدين الله العبيدى^(٤) عاتب جوهر الصقلي^(٥) باني القاهرة لأنه لم يجعلها على الرصد^(٦) . الأمر الذى يشير الى الاهتمام كما سبق أن ذكرنا ، و أن هذه المنطقة لم تكن معمورة في تلك الفترة ،

(١) ن.م.س . وهذا القصر يعود الى ما قبل الاسلام وكان مقر الحكم المحلى لمصر في تلك الأثناء . القلقشندي ، صبح الأعشى ج٣ / ٣١١ - ٣٢٠ ، فؤاد فرج : المدن المصرية ، ج٤ / ٢٨٨ .

(٢) Casanova , op . Cit . plan , ١

(٣) عبد الفتاح وهبه ، ن.م.س . ص ، ص : ٤١٠ ، ٤١٣ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ، ص : ٤٤ .

(٤) سبقت الإشارة الى ترجمته ، ص ٢٥٧ هامش (٣) .

(٥) جوهر الصقلي ملوك رومي للمعز لدين الله العبيدى -

(٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م) كان يكنى بأبي الحسن ولقب

بقائد القواد ، كان قائد الجيش الذى دخل به الفاطميون مصر .

توفي سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١ م) . للمزيد أنظر : ابن خلكان

، وفيات الأعيان ، ج١ / ٣٧٥ - ٣٨٠ ، المقرئى : الخطط

ج١ / ٣٧٧ - ٣٧٩ .

(٦) القلقشندي ، ن.م.س ، ج٣ / ٣٥١ .

ولذلك فلقد توجهت جهود الفاطميين نحو بنائها ، فبنوا فيها من القصور والجوامع والمساجد ^(١) ، وسكنها بعض أفراد الأسرة الفاطمية ^(٢) . وطوائف من جندهم الذين نسبوا اليها ^(٣) ، فكان لذلك انعكاسه على ازدهار العمران فيها ، والذي استمر حتى عشية حريق الفسطاط ، كما يشير إلى ذلك ابن دقماق في حديثه عن مدينة باب اليون التي كانت تقع في هذه المنطقة ^(٤) . وهذا فيما يتعلق بالفسطاط والتطورات التي طرأت على بنيتها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

ثانيا : المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة :

ويمكن تقسيم هذه المنطقة الى قسمين رئيسيين ، أولهما يقع فيما بين الفسطاط والباب الجديد ^(٥) ، ويشغل معظم أجزائه العسكر والقطائع ، كما تشير التوقيعات على الخرائط بذلك ^(٦) . ولقد تعرض

(١) السخاوى ، تحفة الاحباب ، ص : ١٨٠ .

(٢) ن ٠ م ٠ س .

(٣) ص : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٤) ص : ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٥) انظر خريطة رقم (٣)

(٦) انظر خريطة رقم (٦) تقع العسكر شمال الفسطاط وهي

تمتد من الكوم الخارج جنوبا - وان كان السخاوى يعد الكوم من جملتها - الى قناطر السباع - ميدان السيدة زينب حاليا - ومن قنطرة السد غربا - شارع السد والدبوره حديثا - الى تلال المقطم شرقا . أما القطائع فتقع الى الشمال من العسكر فيما بين الجبل الذى عليه قلعة الجبل وجامع ابن طولون وهذا طولها من الشرق الى الغرب ، اما عرضها فيمتد من الارض الصفراء -

هذا القسم في العصر الفاطمي لتحويلات واسعة النطاق ، ان العسكر
والقطائع تعرضتا للتلف والتخريب الشديدين أثناء الشدة المستنصرية ،
ما نتج عنه أن تحولتا الى أطلال وأكوام ^(١) يعتقد بعض الباحثين انه
مظهر استمر فيهما عقودا عديدة تجاوزت العصر الفاطمي ^(٢) . وهو
ما تنفيه الشواهد التاريخيه ، ان من الواضح أن أجزاء كبيرة قد أعيدت
عمارتها مرة أخرى في أواخر العصر الفاطمي ، حيث يقول المقرئى
في هذا الشأن أنه (. . .) لما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر ، ^(٣)
وخربت القطائع والعسكر صارت مواضعها خرابا الى خلافة الأمر بأحكام
الله ^(٤) فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللها خراب وبنى
للناس في الشارع ^(٥) من الباب الجديد الى الجبل عرضا حيث قلعة
الجبل الآن وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب
طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون والمستخدمون يصلون
العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم في مصر ولا يزالون في

====
جنوبي جامع ابن طولون - الى ميدان الرميله - المنشية في
شارع العطارين . في ذلك انظر : المقرئى ، الخطط ، ج ١ /
ص ٣٠٥ ، ٣١٣ ، السخاوى : تحفة الاحباب ، ص ١٢٨ ، حسن
الباشا وآخرون ، القاهرة ص ١٨ ، ٢٠ ، عبد الرحمن زكي ، القاهرة
ص ٥ - ٦ .

- (١) المقرئى ، م. س ، ج ١ / ٣٣٧ .
(٢) عبد الرحمن زكي ، الفسطاط وضاحتها ، ص ٣٣ . حسن الباشا وآخرون
، القاهرة ، ص ٥٥ . عبد الفتاح وهبه ، الجغرافيا التاريخية
ص ٤٢١ .
(٣) عنه انظر ص : ١٠٧ هامش (٢) .
(٤) عنه انظر ص : ١١٠ هامش (٥) .
(٥) الشارع : المقصود به الطريق العظمى عنه انظر ص : ٤١٩ - ٤٢١ .

ضوء وسرج وسوق موقوده من الباب الجديد خارج باب زويله السى باب الصفا ... (١) ، وبالنظر الى النص السابق يتضح أن هناك عملية بناء واسعة النطاق قد جرت في المنطقة في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله ، وأنها شملت القطائع والعسكر ، حيث لم يعد هناك خراب بين الفسطاط والقاهرة ، اضافة الى أن الباني اتجهت ناحية الجبل وهي منطقة تعد من جملة القطائع . (٢) بيد أن هذا البناء لم يشمل المنطقة كلها حيث بقي منها أجزاء لم يجرى عمارتها مرة أخرى ، فسترت بدائط . ويبدو أن هذه الأجزاء هي الواقعة الى الجنوب الشرقي من المنطقة ، فهي تبعد عن الفسطاط والقاهرة ، في حين أن البناء كان يتركز في المواضع القريبة منهما ، وهو ما يتضح من خلال التوقعات على الخرائط (٣) .

وعلى الرغم من أن المصادر لا تقدم نصوص يمكن من خلالها معرفة ما اذا استمر وضع المنطقة على ما هو عليه حتى نهاية حكم بني عبيد ، أم أنها تعرضت لتطورات أخرى ، حيث لا تتجاوز في حديثها عهد الأمر بأحكام الله . فانه من المؤكد أن الوضع العمراني لم يستمر متواصلا فيها . إذ أخذ سكانها بالانتقال الى القسم الثاني من المنطقة ، والذي يقع فيما بين الباب الجديد وسور القاهرة الجنوبي . (٤) وقد وظل هذا القسم خاليا من البناء منذ عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العبيدي ، واستمر كذلك الى ما بعد عهد خلفه الأمر بأحكام الله ، حيث أن المصادر تشير الى أن البناء في هذه المنطقة لم يكن يتجاوز في ذلك الأثناء شمالي

(١) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ١٠٠ .

(٢) المقرئى : م٠ س ، ج١ / ٣١٣ .

(٣) انظر خريطة رقم (٥٠) .

(٤) انظر خريطة رقم (٣) .

الباب الجديد ^(١) ، كذلك فان المستخدمون الذين يعملون في القاهرة كانوا لا يسيرون في سوق وسرج موقوده الا من الباب الجديد وما هو في جنوبه وصولا الى باب الصفا بمصر ^(٢) ، أى ان المواضع الواقعة شمالي هذا الباب لم يكن فيها ما يدل على وجود العمران على الاطلاق حتى عهد الأمر بأحكام الله ، فسي حين يلاحظ أن حارة المنصورية ^(٣) التي أحرقها الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) كانت تقع بجوار سور القاهرة الجنوبي وشمالي الباب الجديد ^(٥) ، الأمر الذي يدل على أن هذه المنطقة قد عمرت في أواخر العصر الفاطمي ، ومن الواضح أن هذه الأحياء التي نشأت هنا إنما كانت بديلة لتلك التي تقع خلف منطقة الباب المذكور ، يدل على ذلك انتقال أسماء مواضع بعض الحارات من المنطقة الواقعة بجواره الى منطقة قريبة من سور القاهرة الجنوبي ، فحارة اليانسية ^(٦) عندما خططت في بادئ الأمر كانت تقع بالقرب من ذلك الباب وقبالة بركة الفيل ^(٧) . بينما يلاحظ أن على باشا مبارك

-
- (١) المقریزی ، الخطط ، ج٢ / ٢٠ ، ١٠٠ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة : ٠٨٨
- (٢) المقریزی ، م.س ج٢ / ١٠٠ .
- (٣) هذه الحارة تنسب الى بعض طوائف الجند من العبيد السودان . المقریزی : م.س ، ج٢ / ١٩ مؤلف مجهول ، تاريخ مصر ، القاهرة ، ورقة : ٠٢٢
- (٤) ص : ٠٣٩٩
- (٥) يدل على ذلك موقع الحارة الحالي ، وهو حارة الغربية ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٣ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وخريطة رقة (٣) .
- (٦) تنسب هذه الحارة لطائفة من الجند الفاطمي يعرفوا باليانسية ، المقریزی ، م.س ، ج٢ / ١٦٠ .
- (٧) المقریزی ، م.س ، ج٢ / ١٠٠ .

عندما يحدد موقع هذه الحارة في عصره بناءً على اشارة من المقرئ فانه يجعلها قريبة جدا من سور القاهرة الجنوبي وتبعد كثيرا عن الباب والبركة^(١) . وهذا يدل بدون ريب على أن سكان الحارة قد انتقلوا من موقعهم القديم الى موقع جديد بالقرب من سور المدينة^(٢) ، مما يشير الى حدوث عملية انتقال شاملة حدثت في تلك الاثناء من جنوب الباب الى شماله^(٣) . وهذا يعد أمرا طبيعيا لا سيما اذا علمنا ما كان يتهدد المنطقة من اخطار في اواخر العصر الفاطمي، اذ شهدت اضطرابات وفوضى عظيمة^(٤) ، اضافة الى وجود أطماع خارجية ، تمثلت بشكل أساسي في الخطر الصليبي^(٥) ، لذلك عمد السكان القاطنين خارج المدينة الى الاقتراب من أسوارها ، طلبا للحماية ، وسرعة اللجوء الى داخلها ، أمام أى نوع من التهديدات .

ان العرض السابق يقودنا الى تصور واضح عما كانت عليه بنية المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة في أواخر العصر الفاطمي ، بحيث يمكن القول بأن العمران كان يتركز في المناطق الملاصقة لسور القاهرة الجنوبي . ويعتبر عهد الناصر صلاح الدين مرحلة تغير حقيقي

-
- (١) بناءً على تحديد على باشا يكون موقع الحارة ناحية الدرب الاحمر أى بالقرب من الضلع الجنوبي الشرقي لسور القاهرة الفاطمية . انظر على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠ .
- (٢) خريطة رقم (٢٦) .
- (٣) خريطة رقم (٢٧) .
- (٤) عن هذه الاضطرابات انظر ص : ٢١١ - ٢١٣ .
- (٥) انظر ص : ١٨٩ - ٢٠٦ .

وللموس في بنية هذه المنطقة ، لرغبته الاكيدة في ملئها بالعمران حتى يتصل ما بينها وبين الفسطاط ^(١) . وهي رغبة أسهم في تحقيقها بناء تحصينات القاهرة . إذ أن هذه المنطقة أصبحت داخل السور وأقرب أجزاء المدينة الكبرى من القلعة ^(٢) . وذلك يعد من عوامل الجذب العمراني ، فبناء السور عمل على نشر العمران في المنطقة بشكل عام ، فآلاف المنازل بنيت فيها عندما تقرر البدء ببناء سور الفسطاط عام (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ^(٣) .
 كذلك فان بناء القلعة أسهم في امتصاص المباني والمنشآت الى ناحيتها ^(٤) .
 لذلك فلقد أخذت المنطقة تتشكل بطريقة أخرى تختلف عما كانت عليه في السابق ، وأخذ بالانقسام الى قسمين رئيسيين أيضا . أولهما الواقع غربي الشارع الأعظم ^(٥) ، أى على يمين الخارج من باب زويلة بامتداد يصل الى الفسطاط ، فهذه المنطقة تحولت الى موضع نزهة تطفئ عليها البساتين ^(٦) ، التي أخذت بالامتداد غربي هذا الشارع حتى مصر ^(٧) ، والتفت حول البرك الواقعة فيها ^(٨) ، التي بدأت البساتين والمتنزهات بتطويقها ، كما حدث لبركة الفيل ^(٩) . ان هذا التحول ترتب

-
- (١) ص : ٣٠٢ .
 (٢) خريطة رقم (<) .
 (٣) ص : ٣٨٩ - ٣٩٠ .
 (٤) ص : ٣٨٩ .
 (٥) عن هذا الشارع انظر ص : ٤١٩-٤٢١ وخريطة رقم (<) .
 (٦) انظر خريطة رقم (١٥) .
 (٧) ص : ٤٤٥ .
 (٨) عن هذه البرك انظر ص : ١١٨-١١٩ .
 (٩) ص : ٤٤٩ - ٤٥٠ .

عنه أحداث تغير في التكوين العمراني للمنطقة . فبعض البساتين
والمتنزهات نشأت على أنقاض حارات الجند الفاطمي التي كانت تقع
فيها ^(١) ، أما القسم الثاني فيقع بمحاذاة الأول من الناحية الشرقية للشارع
الاعظم ، على يسار الخارج من باب زويلة . ولقد استحوذت مواضعه
على النشاط السكاني الذي قام في هذه المنطقة في عهد الناصر صلاح الدين
الأيوبي ، فقربها من قلعة الجبل جعلها مرغوبة للسكنى ، فأخذت
المنشآت والدور القادمة من الفسطاط والقاهرة بالاتجاه نحوها ^(٢) ، ومن
المؤكد أن النشاط الكسني في الشارع الاعظم ، قد كان يميل نحو هذه
المنطقة ^(٣) ، حيث أن الجانب الأيمن من هذا الشارع كانت تقع عليه
البساتين كما سبق أن ذكرنا . ولقد ترتب عن هذه التطورات اجراء بعض
التعديلات العمرانية في بعض أجزاء هذا القسم ، فالمقابر الفاطمية الواقعة
فيها ، توقف عن استخدامها للدفن منذ ذلك الحين ، وهدى في تحويلها
الى مناطق سكنية ^(٤) . وهذا فيما يتعلق ببنية المنطقة بشكل عام .

(١) ص : ٤١١ .

(٢) انظر خريطة رقم (٩) .

(٣) ص : ٣٩٦ .

(٤) ص : ٤٦٠ - ٤٦١ .

ثالثا - القاهرة الفاطمية :

كان التكوين العمراني لهذه المنطقة في العصر الفاطمي يتميز بالبساطة ويخلو من التعقيد^(١)، فلقد كان تخطيطها يتكون من شارع رئيسي يخترقها من الشمال الى الجنوب^(٢)، وفي وسطها كان يوجد أهم منشآت المدينة . وهما القصران الشرقي الكبير^(٣)، والغربي الصغير^(٤)، ويحيط بهما بعض منشآت المرافق والخدمات^(٥)، ثم تتوزع أحياء المدينة التي يسكنها الجند في بقية أجزاء المدينة^(٦). وكان يتخلل هذه المنشآت والمباني مساحات خالية من البناء^(٧)، من الواضح

(١) انظر خريطة رقم (١٨) التي توضح بساطة تخطيط المدينة في تلك الأثناء ، نقلا عن

P. Ravisse Essai Sur Chistoire et sut la topographie du Caire d' apres Makrizi (polois des khaliges Fatimites). Meinobres . pubries par les membres de la mission archesloglque Franceise alse au Caire Paris 1887 plan 2. ص : ٤٢٠ (٢)

(٣) بني هذا القصر عشية تأسيس القاهرة ليكون مقرا للخلفاء الفاطميين وكان يحتل مساحة واسعة من المدينة ، ويقع في وسطها مع ميل الى الناحية الشرقية منها ، للمزيد انظر : المقریزی ، الخطط ، ج١ / ٣٨٤ . حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، ص ٣٣-٣٥ . R avisse op. cit. p. 479- 480 plan 2.

(٤) بنى هذا القصر في عهد العزيز بالله العبيدي (ت٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) ليكون مقرا لابنته ست الملك . وكان يقع قبالة القصر الشرقي من الناحية الغربية . المقریزی : م.س ، ج١ / ٤٥٧ . عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٢٠٧ .

(٥) انظر خريطة رقم (١١) . وعن هذه المنشآت انظر ص : ٣٤٦-٣٦٣

(٦) المقریزی ، م.س ، ج١ / ٣٦١ .

(٧) عن هذه المساحات وانواعها انظر ص : ٣٦٥ - ٣٧٦ .

أنها كانت تحتل مساحات كبيرة من المدينة ، إذ أن الفاطميين كانوا حريصين على أن يكون جزء كبير من مدينتهم عبارة عن ساحات خالية من البناء ^(١) . وعلى الرغم من أن هذه الساحات قد جرى البناء على بعضها في أواخر العصر الفاطمي ^(٢) ، بيد أن هذه الظاهرة لا يمكن احتسابها كمرحلة تطور عمراني شهدت المدينة في تلك الفترة ، حيث أن عملية البناء هذه كانت شاذة ومحدودة ، نظرا لأن استغلال هذه المساحات بالبناء عليها ، لم يظهر بشكل ملموس إلا بعد العصر الفاطمي ^(٣) .

لقد تعرضت القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لتعديلات تكاد تكون جذرية أثرت على بنيتها ، وجعلت خططها تتخذ شكلا جديدا يختلف عما كانت عليه في السابق ^(٤) . ففي تلك الأثناء أخذت قوى التطور والنمو العمراني والمتمثلة أساسا في النشاط السكاني والاقتصادي . بالارتكاز في القاهرة ، كما يشير إلى ذلك التوسع الوظيفي الذي طرأ على المدينة حينئذ ^(٥) . فهذا التوسع سبب عنه نشوء احتياجات عمرانية جديدة أخذت تتمثل بشكل أساسي في ظهور أحياء وأسواق جديدة ^(٦) وقد تزامن مع ذلك ظهور حركة لإعادة توزيع مراكز الثقل في المدينة حيث شهدت منشآت

(١) ص : ٣٦٥ .

(٢) ص : ٣٨٢ .

(٣) ص : ٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٤) انظر خريطة رقم (١١) ورقم (١٠) .

(٥) ص : ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٦) ص ٠ ص : ٣٣٢ - ٣٩٤ ، ٤٢٦ - ٤٣١ .

الحكم والادارة والخدمات والمرافق ، حركة تبديل لمواقعها . فمركز الحكم والادارة انتقل من موضع الى آخر . فبعد ما قضى الناصر صلاح الدين على الخلافة الفاطمية عام (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) ، لم يتخذ قصر الخلافة الفاطمي مقراله ^(١) ، وانما جعل مقره في " دار الوزارة الكبرى " ^(٢) التي عرفت منذ ذلك الحين بـ " دار السلطنة " ^(٣) . وهذا يعنى بدوره أن مقر الحكم انتقل من وسط المدينة حيث يقع قصر الخليفة . الى الشمال الشرقي من المدينة حيث تقع " دار الوزارة الكبرى " ^(٤) كذلك كان الحال بالنسبة لمنشآت الخدمات والمرافق فالمارستان انتقل موقعه الى الشمال من موقعه السابق ، حيث أسس الناصر صلاح الدين مارستانا جديدا على أجزاء من القصر الشرقي الكبير ^(٥) ، بدلا من الفاطمي القديم الذى كان يقع جنوبي القصر الكبير ^(٦) . كذلك كان الحال بالنسبة لمؤسسات التعليم والثقافة ، التي شهدت عملية تغير لبعض مواقعها ، رغم محافظة بعضها لدوره التعليمي ^(٧) . فـ دار العلم ^(٨) ،

- (١) المقرئى ، الخط ، ج ١ / ٣٨٤ .
- (٢) سبق الإشارة اليها انظر ص : ٢٥٨ هامش (١) .
- (٣) المقرئى ، م . س ، ج ١ / ٤٣٨ .
- (٤) انظر خريطة رقم (٩٩) ويدل على موقع هذه الدار الآن حارة المبيضة : على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ٢٠٧ .
- (٥) ص : ٤٩٩ - ٥٠٠ .
- (٦) خريطة رقم (١٤) وعن موقع هذا المارستان انظر ص : ٣٤٧ هامش (٣)
- (٧) يدل احتفاظ الازهر بدوره التعليمي على بقاء الجوامع كمؤسسات تعليم وان كان التعليم قد تغير من شيعي الى سني بطبيعة الحال ، انظر ص : ١٣٣ - ١٤٠
- (٨) وهذه الدار هي الجديدة أنشأها المأمون البطائحي وزير الامر بأحكام الله العبيدى في حين أن القديمة أسست منذ عهد

ومكتبة القصر^(١) جرى الفاء دورهما الوظيفي ، حيث تحولت الدار الى
 حى سكني^(٢) ، بينما جرى بيع مقتنيات المكتبة من الكتب^(٣) لتضاف
 قاعاتها للمارستان الصلاحي^(٤) . ولتظهر المدارس كبديلة لهما ، فأنشأت
 الدولة الصلاحية في القاهرة العديد منها^(٥) ، والتي انتشرت في سائر
 أرجاء المدينة ، وكافة نواحيها ، كما يشير بذلك التوقيع على الخرائط لمواقع
 هذه المدارس^(٦) . ومن منشآت المرافق التي تشير المصادر الى تبديل
 مواقعها الاصطبلات ، حيث يدل اختفاء الاصطبلات الفاطمية الرئيسية ،
 وظهور اصطبلات جديدة بدلا منها^(٧) ، على حدوث تغير في مواقع
 هذه المنشآت ، ففي العصر الفاطمي كانت هذه الاصطبلات تقترب من

====
 الحاكم بأمر الله ، وأغلقت في وزارة الافضل بن سدر امير الجيوش .
 وكانت هذه الدار تعنى بالمسائل الفلسفية ظاهرا بينما كان
 غرضها الحقيقي نشر التشيع والدعوة له . للمزيد انظر المقرئى
 ، الخطط ج ١ / ٤٤٥ ، الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ،

(١) كان يوجد بالقصر مكتبة كبيرة تحتوى على الكتب بمختلف انواعها

يقال بشأن عددها يتجاوز مليون كتاب . المقرئى : ص ٠ م ،

ج ١ / ٤٠٨ - ٤٠٩ ، زكي حسن ، الاعمال الكاملة ، ج ٤ / ٢٧ - ٣٢٠

(٢) ص : ٣٥٧ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ / ١١٢ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ / ٢٧٠

(٤) ص : ٤٩٩ .

(٥) ص : ٤٧٧ - ٤٨١ .

(٦) خريطة رقم (١٠) .

(٧) ص : ٣٣٨ .

وسط القاهرة . كما يدل على ذلك مواقعها ^(١) ، في حين أن الاصطبلات الجديدة اخذ موقعها يتجه نحو أطراف القاهرة ، إذ أن بعضها أنشئ في مواضع مخازن الغلال الفاطمية ^(٢) ، التي كانت تقع بالقرب من أسوار القاهرة ، كما يشير إلى ذلك المقریزی أثناء وصفه لآجزاء المدينة في تلك الفترة إذ أشار إلى وجودها بالقرب من سور القاهرة الجنوبي ، في المنطقة الواقعة فيما بين باب زويلة باب سعادته ^(٣) .

ولقد ترتب عن المتغيرات السابقة أن أخذت بنية القاهرة بالتغير والتطور لتتخذ بنية جديدة تختلف عما كانت عليه في السابق . فأخذت معالمها القديمة بالاختفاء التدريجي ، نتيجة تحول ساحاتها الواسعة ومنشآتها الرحيبة إلى أسواق وأحياء سكنية ^(٤) ، والذي يدل في نفس الوقت على أن المدينة بدأت تتجه نحو التكديس بالمباني وتراجع قيمة الفراغ فيها ، فترتب عن ذلك كله أن اضطربت خططها القديمة وبدأت بالتغير ، حيث تغير النطاق العمراني لأحيائها القديمة وأخذ بعضها بالتوسع في المناطق السكنية الجديدة ^(٥) ، في حين أن البعض الآخر تراجع نطاقه العمراني ^(٦) ، كذلك فإن إعادة توزيع مراكز الثقل فيها

(١) خريطة رقم (١١) وعن مواقع هذه الاصطبلات انظر

ص ٣٥٢ ، هامش (٣ ، ٥) ، ٣٦٢ .

(٢) ص : ٣٣٨ .

(٣) المقریزی : الخطط ، ج ١ / ٣٦٣ .

(٤) ص : ٣٤٢ - ٣٨٥ .

(٥) ص : ٤٠٣ - ٤٠٧ .

(٦) ص : ٤٠٧ - ٤٠٨ .

وظهور الاحياء الجديدة ، أثر على خطة شوارعها ، فتغير مواقع المنشآت
تطلب ظهور شوارع جديدة تؤدى اليها ^(١) اضافة الى أن ظهور
الاحياء الجديدة قد تطلب وجود شوارع جديدة أيضا ^(٢) ، فإذا أضيف
مجموع ذلك الى الشوارع القديمة . دل على أن شوارع القاهرة أخذت
تتجه نحو مزيد من الشعب والتعقيد ، وهذا فيما يتعلق بالتغيرات
الاساسية في بنية القاهرة .

رابعاً : المنطقة الواقعة غربى الخليج :

في الحقيقة لم تشهد هذه المنطقة تطورا عمرانيا حقيقيا
الا ابتداءً من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث لم تكن امكانياتها
في العصر الفاطمي متاحة للاستغلال العمراني الكامل نظرا لوجود الخطر
النهرى المتمثل في الفيضان الذى كان يشمل المنطقة في تلك الاثناء ^(٣) ،
لذلك فان جهودهم قد انصبت في بادىء الامر على قرية المقسى ^(٤) ،
فأنشأوا بها دارا لصناعة السفن ^(٥) ، وجامعا ^(٦) ، وبستانا يعرف

- (١) ص : ٤١١ .
- (٢) ص : ٤١١-٤١٦ .
- (٣) ص : ١٠٤-١٠٥ .
- (٤) سبق الاشارة الى تعريف المقسى انظر ص : ٨٤ هامش (٢) .
- (٥) أسس هذه الدار في اوائل العصر الفاطمي وان كان قد اختلفت
الروايات التاريخية فيما اذا كان تأسيسها في عهد المعز لدين
الله او ابنه العزيز بالله . الا انه يبدو ان هذه الدار لم يستمر
وضعها طويلا ، حيث تختفي أخبارها منذ عهد الحاكم بأمر الله
، المقرئ الخطط ، ج ٢ / ١٩٥ - ١٩٦ .
- (٦) عن هذا الجامع أنظر ص : ٩٤ هامش (٣) .

بالدكة^(١) ، فهذه القرية^(٢) كانت بمنأى عن خطر الفيضان ، حيث جرت العادة أن تبنى القرى المصرية على تلال مرتفعة تقيها هذا الخطر.^(٣) وفي اواخر العصر الفاطمي ، أصبحت الامكانيات في استغلال أجزاء من هذه المنطقة أكثر توفراً ، فبدى منذ عهد الأمر بأحكام الله بالبناء على الأجزاء الشرقية منها ، والمطلّة على ساحل الخليج الشرقي ، فبنى على المنطقة التي عرفت ببرابن التبان^(٤) ، منشآت النزهة والبساتين والدكاكين وظهرت فيها الشوارع^(٥) . ومن الواضح أن توفّر الامكانيات هذه إنما ينعكس تباعد خطر الفيضان عنها ، نتيجة تباعد الشقة بين شاطئ الخليج وساحل النهر ، الذي كان ينحرف باتجاه الغرب نتيجة الطرح النهري المتوالي سنة بعد أخرى^(٦) مما أدى الى تخفيف تأثير الفيضان وخطره عن الأجزاء الشرقية منها . أما في عصر صلاح الدين فان تأثير الفيضان على المنطقة أضحى معدوماً^(٧) ، ولذلك أصبحت

-
- (١) لم تشر المصادر الى تاريخ تأسيس هذا البستان وبه منظره وكان الخلفاء يدخلون اليه بعض الأحيان اذا انتهت من مراسيم فتح الخليج . المقرئى : م.س. ج ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠ .
- (٢) ظل المقسى طوال العصر الفاطمي قرية ، ولم يتحول الى جزء من القاهرة الا بعد هذا العصر . انظر: محمد رمزي : التعليقات في النجوم ، ج ٤ / ص ٥٣ هامش (١) .
- (٣) ص : ٢٣٦ .
- (٤) ينسب هذا المكان الى رئيس المراكب المصرية في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) كان أول من عمر في هذا المكان . المقرئى ، السخط ، ج ٢ / ١١٤ ويدل على موقعه في الوقت الحاضر المباني التي على بر الخليج الغربي قبالة ميدان باب الخرق . على باشا ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ١٠٦ ، وانظر خريطة رقم (٣) .
- (٥) المقرئى ، الخطط ، م.س. ج ٢ / ١١٤ - ١١٥ .
- (٦) ص : ٨٣ - ٨٤ .
- (٧) ص : ٩٦ - ٩٧ .

امكانيات الاستغلال للمنطقة متوفرة ، إضافة الى أن تباعد الساحل كان له أكبر الأثر على قيمة موقع القاهرة ، ولذلك كان عليها أن تتكيف مع هذه التغيرات الموضوعية ، فلجأت المدينة نحو إقامة روابط بينها وبين هذه المنطقة ، تمثلت بشكل أساسي في مد سور يربط بينها وبين الساحل ^(١) إضافة الى شوارع تصل فيما بينها ^(٢) . مما هيا بشكل فعال في توسيع النشاط العمراني في هذه المنطقة ^(٣) ، فاتصل العمران فيما بين المقسى والقاهرة ، وأخذت منشآت النزهة والبساتين والدور والأسواق والشوارع تتوزع فيها ، بشكل يغطى جميع أجزائها تقريبا حتى امتدت المباني في المنشآت لتشمل أراضي ساحل النيل ^(٤) . وهذا فيما يتعلق ببنية المدينة بشكل عام حيث يتضح من خلال العرض السابق بأن تخطيط المدينة قد مر بتعديلات أساسية جعلته يتخذ خطوطا جديدة ، تقترب في مضمونها بما عليه المنطقة في الوقت الحاضر كما يعتقد بعض الباحثين ^(٥) .

(١) ص : ٢٩٩ .

(٢) ص : ٤١٥ - ٤١٦ .

(٣) خريطة رقم (٨)

(٤) سيرد تفصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٥) حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، ص ٥٧ .

الفصل الثاني

لِقَامِ الْعِلْمِ

تتكون المدينة من مجموعة من الوحدات العمرانية ، التي تقسم المدينة الى أقسام عدة ، وأهم هذه الأقسام هي الخطط والأحياء ، والشوارع ، والأسواق ، والمتنزهات ، والبساتين ، وأخيرا المقابر .

ولقد أخذت المتغيرات الحضرية العميقة ، التي شهدتها القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، تعمل أثرها على هذه الأقسام ، التي بدأت أوضاعها بالتطور والتغير عما كانت عليه في العهد البائد . وسوف نقوم بمتابعة هذه التطورات من خلال تناولها كل قسم على حده .

أ - الخطط والأحياء :

الأحياء السكنية هي جزء مهم من مظاهر التخطيط العام للمدينة . بل هي القسم الأهم من أقسام المدينة على الإطلاق . لأنها تعبر عن خلال دورها ومنشأتها عن النشاط السكني للبشر القاطنين بها ^(١) ، وكان انعكاس لمجمل مظاهر التطور الحضاري العمراني للقاهرة الصلاحية ، فلقد شهد النشاط السكني في هذه المدينة العديد من المتغيرات الهامة ، كان لها آثارها العميقة على خططها وأحيائها . بيد أنه وقبل الخوض في تفاصيل أبرز هذه التطورات وأهمها ، ينبغي التعرف على أنواع الأحياء السكنية ، كوحدة تقسيم اصطلاحية ، استخدمت في توزيع النشاط السكني في داخل المدينة في تلك الأثناء . فبالنظر لما تورده المصادر عن الأحياء السكنية يلاحظ بأنها تتحدث عن عدد من الأنواع يمكن تصنيفها الى أربعة أنواع

(١) عبد المنعم شوقي ، مجتمع المدينة ، ص ١٣٣ .

رئيسه ، هي : الحارات ، والاطاط ، والدروب ، والارزة (١).

وعند تدقيق الاصول اللغوية لهذه الكلمات ، يلاحظ أن هناك قاسما لغويا مشتركا فيما بينها ، وهي كلمة الخط (مفرد خطط) التي تدل على اتخاذ موضع من الارض للبناء عليه (٢) . ومنها جاءت خطة البصرة والكوفة (٣) للدلالة على بناء أحيائهما (٤) . فالخط (بالكسر) هو موضع كل حي من الأحياء السكنية كما يذكر ابو عمر (٥) وقد أشار الى ذلك المقرئى عند حديثه عن اخطاط القاهرة بعد أن ذكر حاراتها وقال (قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد أن نذكر من الخطط ما لا يطلق عليه اسم حارة ولا درب ..) (٦) . الا أن وجود هذا القاسم اللغوى المشترك ، لا يعنى بأن المدينة الاسلامية لم تعرف التنوع فى تكوين أحيائها السكنية . فوجود اللفاظ المختلفة - حارة ، خط ، درب ، زقاق - إنما يعكس وجود هذا التنوع والتشعب اضافة الى ما يدل عليه من وجود فروق بعيدة المدى فيما بينها على ما يبدو .

(١) انظر : المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ٢٠ - ٤٤ ، الخاصكى ، التحفة الفاخرة ، لوحة : ٢١ - ٥٩ ، البكرى ، قطف الازهار ، لوحة ١٠٧ - ١١٨ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقم ٢٠ - ٥٢ .

(٢) الزبىدى ، تاج المروس ، ج٥ / ١٣٠ .

(٣) عن هاتين المدينتين ، انظر ص ٥٥ هامش (٤) .

(٤) الزبىدى ، ن.م.س .

(٥) نقلا عن ن.م.س .

(٦) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ٢٣ . وانظر أيضا : البكرى ، خطط

الازهار ، ١١٠ - ١١١ .

وعند تدقيق المعاني اللغوية والرجوع الى أصول ألفاظ المسميات المذكورة ، وما تقدمه المصادر التاريخية من معلومات ونصوص من أحياء القاهرة الكبرى ، يمكن القول بأن هناك بشكل عام نوعان من الأحياء ، أولهما وهو ما يميل الى الخصوصية في تكوينه ، ويتخذ شكلا أكثر تماسكا وتقاربا فيما بين أجزائه المختلفة . ويندرج في إطار هذا النوع ، الأحياء التي تعرف بالحارات ، فالحارة في تكوينها العمراني حي سكني تميل عناصره الى التقارب فيما بين بعضها البعض ، حيث اشتق اسمها من لفظ المحلة ، وهي المكان الذي يتخذه قوم من الأقوام يحلون به بمعنى انه أصبح موطعا لسكناهم^(١) . غير أن شكل السكنى الذي لا بد من توفره في الحارة ، هو تقارب الدور من بعضها البعض ، وهكذا فالحارة هي (. . كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حاره . .)^(٢) ومن الواضح أن التماسك الواقع في الشكل قد أدى الى ان تميل الحارات الى الخصوصية في تكوينها البشرى في تلك العهود ، فجعل توزيع السكنى في القاهرة المعززية يقوم على أساس الانتماء القبلي ، ذلك أن حاراتها قد اخططت لكي يكون كل منها خاص بقبيلة معينة^(٣) . ولقد أدى وجود التقارب في بناء الدور والخصوصية في التكوين البشرى ، الى جعل العناصر العمرانية للحارة تميل الى الخصوصية في أغراضها ، فالشوارع الموزعة في الحارات كانت مخصصة بها ، لذلك فان مصطلح " الحاره " في ذلك العصر لا يطلق على الطرقات

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧/٢٨٣ .

(٢) الزبيدي ، م.س. ج٣/١٦٦ .

(٣) المقرئى ، الخطط ، ج١/٣٦١ .

التي يجتازها الناس من منطقة الى أخرى (١). وقد انعكس تلك الخصوصية على شكل الحارة ، التي اتخذت شكلا يميل الى الالتفاف حول مركز معين أو نقطة معلومة فهي أشبه بالاطار الذى يلتف حول نقطة مركزية اذ يقرر الزبيدي بأن لفظ الحارة يطلق على المستدار من الفضاء (٢) بل ان هذا الانطباع هو الذى توحى به اوصاف بعض حارات القاهرة في أواخر العصر العثماني ، التي يبدو أنها حافظت على الكثير من مظاهر تكوينها الأولى ، كحارة الجودرية (٣) ، التي كانت حارة واسعة تتكون من اربعة فروع غير نافذة وزقاق رئيسي ، وبابان يربطانها بالمناطق المحيطة بها (٤) وهكذا فقد كان تخطيطها يميل الى التماسك في تكوينه ، والالتفاف حول نفسها من حيث الشكل (٥) . بالإضافة الى أن الحارة كنوع من الأحياء يميل الى التماسك في الشكل والخصوصية في التكوين . نجد أن الخطط ، والتي كان مفردا يعرف بخطة ، لم تكن تختلف في تكوينها العمراني عن الحارة ، كما يشير الى ذلك المقرئ الذي يذكر بأن " . . الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة قليل لتلك في مصر خطة

(١) محمد رمزي ، التعليقات في النجوم الزاهرة ، ج٤ / ٤٢ ، هـ ١٠٢٠ عبد الرحمن

زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٨٢ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣ / ١٦٦ .

(٣) تنسب هذه الحارة الى طائفة من طوائف العسكر الفاطمي تعرف

بالجودرية ، انظر المقرئ ، الخطط ، ج٢ / ٥٠ الخاصكي ،

التحفة القاهرة ، لوحة ٥ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة

ورقة ٥ .

(٤) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٣ / ١٢٨ .

(٥) انظر خريطة رقم (٣٥) التي توضح تخطيط الحارة كما رسمت

في عهد الحملة الفرنسية ، نقلا عن :

A. Raymond E.T.G . Wiet , Les Marcecs de Caire

Plan 3.

قيل لها في القاهرة حارة". (١) لذلك كان تكوينها البشرى هي الأخرى يقوم على أساس الانتماء القبلي ، فخطط الفسطاط (٢) تميل الى هذا التكوين ، حيث كانت (. . خطة كل قبيلة قائم على افرادها منعزلة عن غيرها . .) (٣)

أما النوع الثاني من الأحياء ، فهو الذى لا يميل الى الخصوصية في تكوينه او التماسك في شكله ، ويشمل هذا النوع عددا من الأحياء ، تتمثل في الخطط (جمعها خطوط أو أخطاط) ، والدرب ، والأزقة ، وتتميز هذه الأحياء بأنها تتكون من شارع رئيسي يخترقها ، ففي الأصول اللغوية لهذه المسميات يلاحظ ان لها علاقة بالشارع ، اذ ان الخط (بالفتح) هو الطريق الشارع. (٤) في حين أن الدرب تدل على مداخل الأشياء والطرق المؤدية الى المواضع ، حيث يطلق الدرب على باب السكة الواسعة . كما ان مداخل الأصقاع المختلفة مثل مداخل بلاد الروم هي درب تؤدى اليها (٥) . أما الزقاق فيعرف بوضوح بأنه طريق. (٦) وهي التي تستخدم للانتقال من منطقة الى أخرى ، فدرب كوكب (٧) كان

-
- (١) المقريزى : الخطط ، ج١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .
 (٢) عن هذه الخطط انظر ، المقريزى ، م.س ، ج١ / ٢٩٧ - ٢٩٩ ،
 فؤاد فرج ، المدن المصرية ، ج٤ / ٣١٩ - ٣٢١ .
 (٣) فؤاد فرج ، م.س . ، ج٤ / ٣٢١ .
 (٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ / ١٢٩ .
 (٥) الزبيدي ، م.س ، ج١ / ٢٤٥ .
 (٦) الزبيدي ، م.س ، ج٦ / ٣٧١ .
 (٧) يعرف بكوكب الدولة بن الحناكسى ، وكان يعرف قبل ذلك
 بالقائد الاعزم مسعود المستنصر . المقريزى ، الخطط ، ج٢ / ٤٢ .

الطريق الذى يسلك فيه من حارة زويلة^(١) الى درب الصقالبة^(٢)(٣)
كذلك فان درب شعله^(٤) كان (. . .) الشارع المسلوك فيه من باب درب
ملوخيا^(٥) الى خط الفهادين^(٦) والمطوفيه^(٧) . . . (٨) ، بل
ان بعضها كان في وقت من الاوقات يعد شارعا رئيسا أو جزءا من شبكة
الشوارع الرئيسة في المدينة ، فخط سويقة امير الجيوش^(٩) كان طريقا
يسلك فيه من شارع القصبة الى باب القنطرة^(١٠) . في حين أن الشارع

- (١) نسبت هذه الحارة الى طائفة من طوائف الجند الفاطمي الذين ينتمون الى احدى القبائل البربرية ، المقریزی ، م. س. ج ٢ / ٤ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٤ - ٥ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤ - ٥ .
- (٢) عرف هذا الدرب بطائفة من الجيش الفاطمي عرفوا بالصقالبة ، المقریزی ، م. س. ج ٢ / ٤٢ .
- (٣) ن. م. س .
- (٤) لا تقدم المصادر تحديدا لأصل مسماه ، المقریزی ، م. س. ج ٢ / ٤٣ ، الخاصكي ، م. س. ، لوحة ٥٥ .
- (٥) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد ثم عرف بعد ذلك بدرب ملوخيا الفراش صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) ، المقریزی ، م. س. ج ٢ / ٣٨ ، مؤلف مجهول ، م. س. ، ورقة ٤٤ .
- (٦) لا تقدم المصادر تحديدا لأصل مسماه ، المقریزی ، م. س. ج ٢ / ٣٦ ، مؤلف مجهول ، م. س. ، ورقة ٤٢ .
- (٧) العطوفية حارة تنسب الى طائفة من طوائف الجيش الفاطمي ، يبدوا أنها تنسب الى عطوف أحد خدام الفاطميين ، المقریزی ، الخطط ج ٢ / ١٣ ، الخاصكي ، م. س. ، لوحة ١٥ - ١٦ ، مؤلف مجهول ، م. س. ، ورقة ١٥ - ١٦ .
- (٨) المقریزی ، م. س. ج ٢ / ٤٣ .
- (٩) ظهر هذا الخط على احد القصور الفاطمية التي ينسب الى الوزير أمير الجيوش بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م) انظر ص: ٣٥٨
- (١٠) المقریزی ، م. س. ج ١ / ٣٧٥ ، ج ٢ / ١٠١ .

الذى يمتد من المطابخ (١) الى العداسين (٢) في الفسطاط ، كان يخترق عددا من هذه الأحياء الواقعة على امتداداته فهو يتكون من دروب وأزقة علاوة على الأخطاء (٣) ولقد أدت هذه الوظيفة الى جعل هذا النوع من الأحياء يتكون من شارع رئيسي تحيط به مجموعة من الشوارع الجانبية المتفرعة عنه والنافذة اليه ، ففي خط سويقة أمير الجيوش يوجد عدد من الطرقات الجانبية تتفرع من الشارع الذى تطل عليه السويقة وهو الشارع الرئيسي فيها بطبيعة الحال (٤).

ومن الواضح أن هذه الخصيصة في التكوين العمراني قد آثرت على الشكل العام الذى تتخذه لها فمن المؤكد أنها كانت تميل في ذلك الى الاستطالة نظرا لوجود الشارع ، ولذلك فإن من التعريفات اللغوية للخط " هو المستطيل في الشيء " (٥) أما عن الفروق بين هذه الأحياء المتنوعة ، أى الفرق فيما بين الخط والدرب والزقاق فإنه يكمن في مواصفات الوحدة الأساسية المتمثلة في الشارع . فبمقدار عرض الشارع تتحدد هوية

(١) هذا الخط يعرف بالمطابخ السلطانية يبدو أنه قد كان به مطابخ

المسكرة السلطانية ، وهو يمتد من حمام السلطان الى سوق

الصيادين ، ابن دقماق ، الانتصار ، ق ٣٨ / ٢ .

(٢) لم أعر على اشارة واضحة تحدد ماهية هذا الموضع فيما اطلعت

عليه من مصا در ومراجع .

(٣) ابن دقماق ، م . س ، ق ١ / ص ٨٥ .

(٤) المقریزی ، م . س ، ج ١ / ٣٧٥ .

(٥) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٥ / ١٢٩ .

كل قسم من أقسام هذا النوع من الأحياء ، فمن الواضح أن شارع الخط كان عرضها ، حيث يرد في اللغة أن الخط هو (. . الطريق الخفيف في السهل) (٢) ، في حين أن الدرب يكون عرض شأ رعه أقل من الخط ، إذ أن الدرب يطلق على باب السكة الواسعة (٢) ، والسكة هي الطريق الضيق (٣) . بل أن أصل لفظ الدرب مرتبط بإطلاقه على المضائق في الجبال (٤) . أما الرقاق فإنه أقلها عرضا ، لأنه يطلق على الطريق الضيق ، كما أنه قد يطلق على السكة في بعض الأحيان (٥) ، وتقدم المصادر نصوصا يمكن من خلالها تقديم مقترح عام لسعة تلك الشوارع في المدينة الإسلامية ، فمن المؤكد أن معدلات عرضها بشكل عام لم تكن تزيد على العشرين ذراعا (٦) ، فحسبما يرد عن التخطيط العمرى (٧) ، يلاحظ أن الطرقات التي يطلق عليها لفظ " شارع " كانت تقف عند العشرين ذراعا كحد أدنى في عرضها (٨) ، حيث أن الطرقات التي يكون عرضها دون ذلك

-
- (١) الزيدى ، تاج العروس ، ج٥ / ١٢٩ .
 (٢) الزيدى ، م . س ، ج١ / ٢٤٥ .
 (٣) الزيدى ، م . س ، ج٧ / ١٤٣ .
 (٤) الزيدى ، م . س ، ج١ / ٢٤٥ .
 (٥) الزيدى ، م . س ، ج٦ / ٣٧١ ، إلا أن السكة تتميز بأن لها نهاية مدورة في كثير من الأحيان ، الزيدى ، م . س ، ج٧ / ١٤٣ .
 (٦) عن الذراع انظر ص : ١٠٦ هامش (١) والمقصود هنا الذراع الهاشمي وهو قسمان كبرى بلغ طولها ٦٦ سم ، والصغرى وطولها ٦٠ سم ، طلال رفاعي البريد ، ج١ / ٨٠ .
 (٧) نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وضع نظاما يتم بموجبه تخطيط مدن الفتح الإسلامي مثل الكوفة والبصرة . انظر : الكتاني ، التراتيب الإدارية ، ج١ / ٢٨٢ .
 (٨) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، الكتاني ، م . س .

يطلق عليها لفظ غير الشارع . فكانت هناك الأزقة التي كان عرضها يتراوح فيما بين السبعة ^(١) والتسعة أذرع ^(٢) وهو أقل شوارع الأحياء عرضاً ، أما الدرب فقد كان عرضه في حدود الستة عشر ذراعاً ، كما يشير إلى ذلك اليعقوبي أثناء حديثه عن بعض دروب بغداد ^(٣) وهكذا يمكن الاستدلال على أن عرض الخط هو في حدود ما بين الستة عشر والعشرين ذراعاً .

يتضح مما سبق بأن الفروق النوعية بين الأحياء بأنواعها المختلفة في القاهرة الكبرى ترتبط بالوظيفة التي يقوم بها كل منها ، فالنوع الأول كانت مهمته أن يكون وعاءاً بشرياً مخصوصاً في وظيفته ، أى خاص بالسكان ، بينما يكون الثاني ذو خدمات عمرانية تتصل بالمدينة وهو الشارع ، وبالأماكن استخدام بعض عناصره العمرانية للانتقال من منطقة إلى أخرى ، مما أدى إلى عدم ارتباط الفروق بينهما بالنواحي الكمية ، فالحسي من هذه الأحياء يمكن أن يحتوى على العدد الكبير من المنشآت وبالتالي من العناصر العمرانية ، مثل حارة العطوف ^(٤) التي كانت تحتوى على (. . الدور العظيمة والحمامات والأسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر . .) ^(٥) . ومثل خط اصطبل الطارمه ^(٦) الذى يحتوى على العديد من المساكن والمساجد علاوة على سوق وحمام ^(٧) . ومن الممكن أيضاً أن

-
- (١) الماوردى ، م . س ، ص ١٨٠ .
 (٢) الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج ١ / ٢٨٢ .
 (٣) نقلاً عن صالح العلمي ، بغداد ، ص ١٥٨ .
 (٤) عن هذه الحارة انظر ص : ٣٣٧ هامش (٧) .
 (٥) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ / ١٣ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ورقة : ١٦ .
 (٦) ظهر هذا الخط على موضع اصطبل فاطمي حمل ذات الاسم عن ذلك انظر ص : ٣٦٢ .
 (٧) المقريزى ، م . س ، ج ٢ / ٣٥ ، مؤلف مجهول ، م . س ، ورقة : ١٤ .

يحتوى الحمى على عدد قليل من المنشآت وبالتالي العناصر العمرانية ،
 كحارة برجوان^(١) التي لم تكن تتكون في العصر الفاطمي سوى من دارين
 ورحبه^(٢) . لذلك امكن أن تستوعب هذه الأحياء بعضها بعضا . فالحارات
 كانت تتداخل مع بعضها البعض ، كحارتي الدميرى والشاميين^(٣) اللتان
 تعتبران من جملة العطفية^(٤) ، كذلك كانت الحارات تحوى على
 الخطوط ، كخط قصر بني عمار^(٥) الذى يقع في حارة كتامة^(٦)(٧)
 علاوة على أن المصادر تذكر العديد من الدروب والأزقة التي كانت
 في داخل الحارات^(٨) . ولم يكن وجود الأحياء داخل بعضها البعض

-
- (١) تنسب هذه الحارة الى الاستاذ ابي الفتوح برجوان احد الوزراء
 الفاطميين (٣٨٧ - ٣٩٠ هـ / ٩٩٧ - ٩٩٩ م) وليها للخليفة الحاكم
 بأمر الله ، انظر عنها : المقرئى ، الخطط ج ٢ / ٣-٤ ، الخاصكى
 التحفة الفاخرة ، لوحة ٣-٤ .
- (٢) المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٣٦٣ .
- (٣) لم تذكر المصادر اصل تسميتهما ، انظر : المقرئى ، م.س ، ج ٢ / ١٦ ،
 مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ١٨ .
- (٤) ن.م.س .
- (٥) هذا الخط ظهر على احد القصور الفاطمية في عصر صلاح الدين
 الأيوبي ، للمزيد انظر ص : ٣٥٢ .
- (٦) كتامة هي طائفة من طوائف الجيش الفاطمي المفاربة اختطوا
 هذه الحارة فعرفت بهم ، المقرئى ، م.س ، ج ٢ / ١٠ ، الخاصكى
 م.س ، لوحة ١٢ .
- (٧) ن.م.س .
- (٨) انظر : المقرئى ، م.س ، ج ٢ / ٣٨ - ٤٠ ، الخاصكى ، م.س ،
 لوحة ٤٧ - ٥٩ ، مؤلف مجهول ، م.س ، ورقة : ٤٣ - ٥٢ .

قاصرا على ان يكون النوع الثاني منها - خط ، درب ، زقاق - في داخل الأول - حارة ، خطه - ، بل قد يحدث العكس أيضا ، فقد ذكر المقرئ خلال حديثه عن حارة فرج ^(١) بأنها تقع في عصره في أحد الدروب ، حيث يقول (. . .) وهي الآن داخلية في درب الطفل ^(٢) . . . (٣) ، مما يشير الى أن الأحياء بشكل عام تقع في داخل بعضها البعض ، وهذا فيما يتعلق بأنواع الأحياء في القاهرة ، في تلك العصور . أما بالنسبة لما ظهر عليها من تطورات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . فلقد كانت هذه التطورات متعددة الجوانب من أهمها :

أ - الخطط والأحياء الجديدة : ظهر في عهد الناصر صلاح الدين العديد من الأحياء الجديدة في المدينة الكبرى . ومن أبرز المواضع التي ظهرت عليها هذه الأحياء ، المباني السكنية والمنشآت بأنواعها المختلفة ، والتي كان يوجد العديد منها وبأحجام كبيرة في تلك الأثناء ابرزها القصور والدور الفاطمية . فبعدما قضى الناصر صلاح الدين على الحكم الفاطمي (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) واجه تركه ضخمة من الدور السكنية التي تعود ملكيتها للفاطميين وأتباعهم ، ان قام باخلاؤها من ساكنيها وأغلق أبوابها حيث انه (ضرب الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور

(١) عرفت هذه الحارة بالأمر جمال الدين فرج من أمراء بني أيوب .

وكانت قبل ذلك تعرف بدرب النميرى ، المقرئى ، م . س ،

ج ١٤ / ٢ . الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة : ١٦ .

(٢) لم أعثر فيما اطلعت عليه من مصادر على معلومات واضحة عن

هذا الدرب .

(٣) ن ٥٠ م ٥٠ س .

والرباع . . . (١) ، وقام بتخليتها لأقربائه ورجال دولته (٢) بطريق وأساليب شتى على سبيل الهبات والاقطاعات أو عن طريق البيع (٣) بل ان الأمر تجاوز ذلك إذ أقدم بعض أتباع الناصر صلاح الدين بوضع أيديهم على العديد من الدور الخاصة بأتباع الفاطميين ، فكان كل من استحسن منهم دارا ، يادر باخلاء ساكنيها منها ووضع يده عليها (٤) .

وقد يظهر لأول وهلة ان هذه الاجراءات ليست سوى عملية استبدال العناصر السكانية بغيرها ، بينما الواقع لم يكن كذلك في جميع الحالات . فهناك الكثير من الشواهد التي تشير الى أن عملية التغيير السكاني المذكورة كانت في حقيقتها عملية تغيير عمراني كبيرة ، طرأت على مواضع تلك الدور ، فتحولت الى أحياء سكنية كما سيتضح لاحقا . فمن المؤكد أن كثيرا من الدور المشار اليها آنفا كانت ذات مساحة كبيرة جدا ، فالقصر الشرقي الكبير (٥) كان يشغل خمس مساحة القاهرة المعزية (٦) ، وتدل التوقعات التي أجريت لتحديد موقع القصر الغربي الصغير (٧) على أنه يشغل مساحة كبيرة أيضا (٨) . ولا بد وأن الأمر كان كذلك بالنسبة للدور والقصور

-
- (١) المقرئى : الخطط ، ج١/ ٤٩٦ .
- (٢) ن.م.س ، عبد الرحمن زكي ، القاهرة ، ص ٢٩ .
- (٣) ابوشامة ، الروضتين ، ج١/ ٢ق/ ٥٠٧ - ٥٠٨ ، البندارى : سنا البرق الشامي ، ص ٦٠ ، عبد الرحمن زكي ، ن.م.س .
- (٤) ابوشامة ، ن.م.س ، ج١/ ١ق/ ٥٠٧ ، المقرئى ، ن.م.س .
- (٥) عن هذا القصر انظر ص : ٣٢٣ هامش (٣) .
- (٦) عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٢١ .
- (٧) عن هذا القصر ، انظر ص : ٣٢٣ هامش (٤) .
- (٨) Ravaisse, Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.

الأخرى التي كانت مخصصة للوزراء والأمراء والقادة وغيرهم من كبار رجال الدولة ، فدار الوزير الفاطمي يعقوب بنى كلس^(١) ، كانت كبيرة جدا ، كما ينعكس ذلك من أوصافها^(٢) . فقد كان بها مسجدا ، ومجموعة من البيوت كانت "... تختص بمن يدخل داره من الغرباء..."^(٣) ، وكان يجلس بها عدد من المشتغلين بأمور العلم ، فكان فيها قوم ينسخون القرآن ، وآخرون لتدوين الحديث والفقه والأدب والطب^(٤) ، وهؤلاء لا بد وأن يكون لهم في دار الوزير أماكن مخصصة لهم ولا تشغلتهم ، وبالإضافة لكبر مساحة هذه الدور ، فلقد احتوت على العديد من العناصر المعمارية ، فمن الواضح أنها كانت تتكون من أكثر من وحدة من وحدات عمارة المنزل الاسلامي ، والتي كانت عبارة عن فناء مكشوف تحيط به

- (١) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم (٣٦٧-٣٧٣هـ / ٩٧٧-٩٨٣ م) أول وزراء الفاطميين في الديار المصرية كان يهوديا ثم اعتنق الاسلام على المذهب الاسماعيلي ، للمزيد أنظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٧ / ٢١-٣٤ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ورقة : ٥ - ٦ .
- (٢) هذه الدار عرفت بعد ذلك بدار الديباج وكانت تحتل مساحة كبيرة كما يذكر علي باشا مبارك ويبدل على ذلك تحديد موقعها في العصر الحديث حيث كانت تحتل المنطقة الواقعة فيما بين أول درب سعادة من جهة جامع جقمق الى عطفة الصابونجية ، ومن شارع المنجلة من أول هذه العطفة ، الى شارع العطاب بطوله وجميع شارع اللبودية ، انظر على باشا مبارك ، الخطط - التوفيقية ، ج٣ / ١٩٩ ، وخريطة رقم (١١) .
- (٣) ابن خلكان ، م.س ، ج٧ / ٢٩ .
- (٤) ن.م.س .

الأواوين (١) من جهاته الأربع في غالب الأحوال ، كما تشير بذلك التقارير المنشورة عن الحفائر التي أجريت في مدينة الفسطاط (٢) ، ولذلك فإن هناك من يعتبر بأن القصور الاثنا عشر التي أشارت المصادر الى أن القصر الشرقي يتكون منها ، لم تكن سوى اثنا عشر وحده من الوحدات سابقة الذكر (٣) ، ويذكر المقرئ أن دار الوزارة الكبرى كان يوجد بها العديد من المقاعات (٤) ، والراجح أن المراد بها تلك الوحدات سالفة الذكر . وكان يوجد بهذه الدور أيضا المناظر (٥) ، حيث احتوى القصر الشرقي الكبير على عدد منها (٦) ، إضافة إلى

-
- (١) الايوان لفظ فارسي الاصل يطلق على قاعة الاستقبال ، صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الاسلامي في مصر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٨ .
- (٢) حسن محمد الهوارى ، الرحلات العلمية (الفسطاط) ، القاهرة ١٩٢٧م . ص ٠ ص ٩ ، ١٦ ، توفيق عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ج ٣ / ١٨٧ .
- (٣) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٦٤ .
- (٤) المقرئ ، الخطط ج ١ / ٤٣٩ .
- (٥) مفرداها منظر ويدل اصلها اللغوي على المبنى المرتفع ، انظر الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣ / ٥٧٥ ، ويذكر صالح لمعي بأن المنظر عبارة عن قاعة استقبال تقع بالطابق الأرضي من المنزل ، صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الاسلامي في مصر ، ص ٩٨ .
- ويبدو أن ذلك حالها في العصر المملوكي ، في حين انها في العصر الفاطمي تدل على البناء المرتفع كما يشير بذلك اوصاف مناظر الفاطميين ، انظر المقرئ ، ص ٠ م ، ج ١ / ٤٦٥ - ٤٨٦ ، البكري ، قطف الزهار ، لوحة ١٠٤ - ١٠٧ .
- (٦) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ٩٨ .

البساتين ، التي احتواها القصر المذكور كما يشير بذلك ناصر خسرو ^(١) ، وكذلك كان الحال في دارالوزارة الكبرى ^(٢) . وبالإضافة الى كل ذلك ، فإنها قد احتوت على عدد من المخازن ، كما هو الحال في القصر والدار المذكورتين ^(٣) . ومن الواضح أن كبر احجام هذه المنشآت ، وتعدد عناصرها المعمارية هي التي أدت الى أن يقوم الناصر صلاح الدين بتقسيمها بين أتباعه ورجال دولته ، الأمر الذي ترتب عنه أن تتحول الى خطط وأحياء سكنية كما سيتضح لاحقا .

لم يكن تحول المنشآت والباني الى أحياء سكنية قاصرا على الدور والقصور ، وإنما تجاوز ذلك الى منشآت الخدمات والمرافق ، التي بدأ غالبيتها يفقد وظيفته في تلك الأثناء . فدور الضيافة الفاطمية أضحت دار واحدة كما يشير بذلك ابن الطوير ^(٤) ، كذلك الحال بالنسبة لدار الديباج التي كانت مخصصة لصناعة الحرير الديباج ^(٥) ، فمن الواضح أن هذه الدار فقدت وظيفتها في عهد الناصر صلاح الدين ، حيث لجأت دولته الى توفير احتياجاتها من المنسوجات وغير ذلك من السوق ^(٦) .

(١) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٩١ .

(٢) المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٣٩ .

(٣) ن.م.س ، علي باشا مبارك ، م.س ، ج ٢ / ١٠٠ - ١٠٢ .

(٤) المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٦١ .

(٥) هذه الدار كانت دارا للوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ، وبقيت من بعده سكنا للوزراء الفاطميين حتى عهد الوزير الفاطمي أمير

الجيش بدر الجمالي ، الذي بنى دارا أخرى للوزارة في حارة برجوان ، فجعلت هذه الدار مصنعا لصناعة الحرير والديباج ،

المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٦٤ .

(٦) ص : ٢٦٣ - ٢٦٤ .

ومن المنشآت الفاطمية التي فقدت وظيفتها أيضا ، دار العلم ^(١) التي حل محلها بطبيعة الحال المدارس التي أسست في تلك الأثناء ^(٢) ، والمارستان الفاطمي ^(٣) الذي أسس بدلا منه مارستانا جديدا بني على أجزاء من القصر الشرقي الكبير ^(٤) ، ودار الضرب ^(٥) التي حل محلها دار جديدة أسست على أجزاء من القصر الشرقي أيضا ^(٦) . وكذلك كان الحال بالنسبة لمنشآت النزهة العديدة التي كانت للخلفاء الفاطميين ، التي فقدت وظيفتها نتيجة لعدم استخدام صلاح الدين لها في تلك الأثناء ^(٧) .

-
- (١) سبق الحديث عنها ، ص ٣٢٥ هامش (٨) ، ويدل على موقعها في العصر الحديث المباني الواقعة خلف وكالة رخنا من الناحية الشرقية وما بجوارها من دور وحوانيت تقع ضمن خان الخليلي ، وأزيلت بتأسيس شارع السكة الجديدة (جوهري)
- (٢) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢/٨٧ .
 عن هذه المدارس انظر ص ٤٧٥ - ٤٨٠ .
- (٣) لا تقدم المصادر معلومات عن تاريخ نشأة هذا المارستان وكان يقع جنوبي القصر الكبير أيضا الى الجنوب من خزانة الدرق ، على يسار الداخل في سوق الخراطين (شارع الصنادقة حاليا)
- المقريزي ، م.س ، ج١/٤٤٥ ، على باشا مبارك ، م.س ، ج٢/٢٤٤ .
- (٤) ص : ٤٩٩ - ٥٠٠ .
- (٥) أسست هذه الدار عام (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) بأمر من الوزير الفاطمي المأمون بن البطائح (٥١٥ - ٥١٩ هـ / ١١٢١ - ١١٢٥ م) وهي تقع قبالة المارستان الى الجنوب منه على يمين الداخل من الخراطين (الصنادقية) ، المقريزي ، م.س ، على باشا مبارك ، م.س .
- (٦) ص : ٥٠٠ - ٥٠١ .
- (٧) ص : ١٦١ - ١٦٢ .

وبالإضافة الى كل ذلك ، فلقد فقدت خزائن الفاطميين ^(١) وظيفتها أيضا ، بعد أن عمل الناصر صلاح الدين على تفريغ محتوياتها عن طريق الهبة ، والبيع ، الذى استمر عشر سنين ^(٢) . وعلى نفس الوتيرة سار الأمر بالنسبة للاصطبلات الفاطمية ^(٣) ، التى أنشئ بدلا منها اصطبلات أخرى في مواضع مخازن الغلال كما يذكر ابن الطوير ^(٤) ، علاوة على تلك التى انشئت على ميدان القصر الغربى ^(٥) .

لقد ترتب عن هذه التحولات ، أن جرى استغلال هذه المنشآت بطريقة أخرى حيث جرى استغلال أجزاء من بعضها لتقوم عليها منشآت الخدمات اضافة الى احياء جديدة ، فأنشئ على بعضها المدارس . فالمدرسة السيوفية ^(٦) مثلا أقيمت على أجزاء من الدار المأمونية ^(٧) .

- (١) عن هذه الخزائن أنظر ص : ٢٥٠ هامش (ه) ، ويشير المقرئى الى أن غالبيتها كانت تقع جنوبى القصر الشرقى فيما بينه وبين حارة الباطنية ، وحارة الروم ، وحارة الديلم والأتراك ، المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٣٦٣ .
- (٢) ص : ٢٧١ .
- (٣) كان للفاطميين عدد من الاصطبلات الرئيسة أهمها : اصطبل الجميزة ، والطارمة ، واصطبل العبيدات الحجرية ، المقرئى ، م.م.س ج ١ / ٤٤٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ .
- (٤) المقرئى ، م.م.س ، ج ١ / ٤٦٤ - ٤٦٥ .
- (٥) ص : ٣٨٠ .
- (٦) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٧٧ - ٤٧٨ .
- (٧) المقرئى ، م.م.س ، ج ٢ / ٣٦٥ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ٤٤٥ . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٢ / ١٠٩ وهذه الدار تنسب للوزير المأمون ابن البطائحى

أما المدرسة السيفية^(١) والمدرسة القطبية^(٢) ، فقد اقيمتا على مواضع من
(٣)
دار الديباج ، كذلك فلقد استغلت أجزاء من القصر الشرقي الكبير لقيام
عليها المارستان ودار الضرب الجديدين كما سبق أن ذكرنا . هذا علاوة
على استغلال هذه المنشآت كمواضع للسكنى ، وذلك لقيام الناصر صلاح
الدين بتقسيمها بين أقربائه ورجال دولته ، حيث قسمت القصور والدور
السكنية بينهم^(٤) ، فالقصر الشرقي الكبير ، قسم الى أجزاء عديدة بين أمراء
الدولة الصلاحية^(٥) ، كما يشير العماد الاصفهاني الى ذلك يقول (. . . وتقاسم
الخواص بدور القصر وقصوره . . .)^(٦) ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للقصر
الغربي الذي نزل به بعض الأمراء الأتراك^(٧) ، هذا علاوة على منشآت
المنزهة تعرض غالبها للتقسيم أيضا ، فمنظره اللؤلؤ^(٨) ، سكنها

لأنه سكنها وكانت قديما تعرف بقوام الدولة حبوب ، المقریزی
م.س ، ج ١ / ٤٦٢ ، ويدل عليها الآن موقع المدرسة التي بنيت
عليها ، انظر ص : ٤٨٧ هامش (٣) .

- (١) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٨٠ .
- (٢) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٨٠ .
- (٣) المقریزی ، م.س ، ج ٢ / ٣٦٥ ، مؤلف مجهول ، م.س ، ورقة ٤٤٥ .
- (٤) المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٩٦ .
- (٥) المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٣٨٤ ، الخاصكي ، التحفة
الفاخرة ، لوحة ٢٤ .
- (٦) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ / ق ٢ / ٥٠٨ .
- (٧) المقریزی ، م.س ، ج ٢ / ٢٣٣ .
- (٨) منظره اللؤلؤ أحد قصور المنزهة الفاطمية ، كان كبيرا جدا ، وعلى
مدى رفيع من الفخامة كما تشير بذلك أوصافه ، أمر ببنائه العزيز
بالله العبيدي ، (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٦ م) ، انظر :

المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٦٧ - ٤٦٩ ، البكري ، قطف الأزهار ،

والد صلاح الدين نجم الدين الأيوبي^(١) ، وأخوه الملك العادل^(٢) ونفس الأمر حدث لدار الملك^(٣) ، التي قسمت إلى أجزاء عدة ، فالقاضي ضياء الدين الشهرزوري^(٤) كان له بالفسطاط منزلا أصله

لوحة : ١٠٤ - ١٠٥ ، يذكر عبد الرحمن زكي بأنها كانت تحتل مساحة تبلغ مائة متر في مثلتها ، في المنطقة الممتدة بموازية شارعي الشعراني البراني ، والخرنقش ، بيد أن من الواضح أن هذا التقدير مبالغ فيه ، إذ لا تقدم المصادر بما يفيد بذلك ، علاوة على أن عبد الرحمن زكي لا يقدم أيضا ما يثبت هذا التقدير . انظر عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ص : ٣٧١ .

(١) عنه أنظر ص : ٢٤ هامش (١) .

(٢) ابوشامة : الروضتين ، ج١/٢ ق / ٥٠٧ وعن الملك العادل

أنظر ص : ٢٣٣ هامش (٧) .

(٣) كان هذا القصر بالفسطاط ويقع ناحية ساحلها بناها الوزير الفاطمي الأفضل بن أمير الجيوش (٤٨٧ - ٥١٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٢١ م) بدءًا بإنشائها عام (٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) واتخذها مقرا له ونقل إليها الدواوين ، فلما قتل اتخذها بنو عبید منزها لهم . المقریزی ، ص ٠ م ، ج١ / ٤٨٧ - ٤٨٤ . البكري ، قطف الأزهار ، لوحة ١٠٦ وموضعها اليوم مجموعة المباني المجاورة لجامع عابدى بك الشهير بمسجد الشيخ درويس في آخر شارع مصر القديمة من الجهة الجنوبية المطلة على النيل ، عبد الرحمن زكي موسوعة مدينة القاهرة ص ١٠٩ .

(٤) هو أبو الفضائل ضياء الدين القاسم بن القاضي تاج الدين أبي طاهر^{سمع} عن الحافظ الساقى بالاسكندرية ، هاجر إلى مصر في أوائل عهد الناصر صلاح الدين ، وولي قضاء دمشق مدة يسيرة وتقلب في المناصب خصوصا بعد وفاة صلاح الدين ، توفي في حماده سنة ٩٩٥ هـ / ١٢٠٢ م) ودفن بدمشق . عنه انظر : ابن خلكان ،

وفيات الأعيان ، ج٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥ ، البندارى ، سنا البرق ، ص ١٠٨ .

(... قطع من دارالذهب بدارالملك ..) (١) ، كان صلاح الدين قد وهبه اياها (٢) . ويبدو ان ابن اخى صلاح الدين تقي الدين عمر ، لم يقطن منازل العز (٤) بمفرده . كما تشير بذلك المصادر (٥) ، ان لا بد وأن يكون قد شاركه فيها عدد من الافراد ، من امراء ، ورجال دولة وغيرهم كما حدث لبقية القصور كما سبق وان أشرنا ، وعلى نفس الوتيرة سار الأمر بالنسبة لإنشآت الخدمات والمرافق ، فدارالعلم أضحت منطقة سكنية (٦) وكذلك الحال بالنسبة لدارالديباج التي بنى بها الناس عددا من الدور (٧) وكذلك كان الأمر بالنسبة للمخازن

-
- (١) البندارى ، سنا البرق ، ص ١١٧ .
(٢) البندارى ، م.س ، ص ١٠٨ .
(٣) عنه انظر ص : ٢٤٧ هامش (٢) .
(٤) يقع هذا القصر على ساحل النيل بالفسطاط ، بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله العبيدى (٣٦٥ هـ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٦ م) ، المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٤٨٤ - ٤٨٥ . ويدل على موضعها في الوقت الحاضر ، مجموعة المباني التي فيما بين شارع مصر المتيقة غربا ، ومدخل شارع المرحومى ، وحارة الشراقوه ، وعطفة زاهر جنوبا . وجنينة الجعجى ، وعطفة الاصرلي جنوبا ، وشارع القبو شمالا . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٣٧٠ .
(٥) ابن دقماق الانتصار ق ١ / ٩٣ . المقرئى ، م.س ، ج ٢ / ٣٦٤ . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤٤٤ .
(٦) الخاصكي ، التحفة الفاخرة لوحة : ٥١ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤٧ .
(٧) المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٤٦٤ .

فخزائن دارأفتكين^(١) ، أضحى عليها دور وزير صلاح الدين القاضي
الفاضل^(٢) ، هذا علاوة على تقسيم الاصطبلات الفاطمية ، كما يشير إلى
ذلك ابن عبد الظاهر أثناء حديثه عن اصطبل الطارمة^(٣) حيث يقول
بأنه (. . .) كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الأيام اختط وبني آدراس^(٤)
وكذلك كان الأمر بالنسبة لاصطبل الجميزة^(٥) ، الذي اختط وتحول

-
- (١) عن هذه الخزائن انظر ص : ٢٠٨ هامش (٣) ويدل على
موقعها مدرسة القاضي الفاضل بدرب القزازين ، انظر ص : ٣٨١هـ (٣)
(٢) المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٦٤ ، وعن القاضي الفاضل انظر ص : ٢٢٥
(٣) ينقل المقریزی عن ابن سيدة بأن الطارمة لمفظ يطلق على البيت
من الخشب وهو دخیل . ويقع هذا الاصطبل الى الجنوب الشرقي
من القصر الكبير تجاه باب الديلم شرقي الجامع الأزهر فيما بين
رحبتي قصر الشوك والجامع الأزهر . المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٤٤ ،
ج ٢ / ٤٧ . السخاوی ، تحفة الاحباب ، ص : ٩٠ ، ويذكر محمد
رمزی بأنه يدل على موقع هذا الاصطبل في وقته ، المنطقة التي
تحد من الشمال بشارع فريد وامتداده الى الشرق ومن الغرب
بالميدان القبلي لجامع الحسين ومن الجنوب بشارع الشنواني
ومن الشرق بشارع الكفر . محمد رمزی ، التعليقات في النجوم
ج ٤ / ٤٩ هامش (٤) .
(٤) المقریزی ، م.س ج ١ / ٤٤٥ .
(٥) سمى بالجميزة لأنه كان في وسطه شجرة جميزة كبيرة وكان يقع إلى
الجنوب الغربي من القصر الصغير ، كما تدل على ذلك التوقيعات
حيث انه كان يشغل المنطقة الممتدة الآن من عطفة المارستان
الى آخر شارع سوق السمك القديم ، شاملا شارع البندفانيني ،
على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ٣٩ - ١٤٠ ، ١٥٠ /

الى منطقة سكنية منذ تلك الفترة .^(١)

ان هذه التغيرات التي تعرضت لها المنشآت الفاطمية قد تطلبت احداث تعديلات عليها تتلاءم مع أوضاعها الجديدة ، ارتبطت بأعمال هدم وتغيير لأوضاع المنشآت وما شابه ذلك .^(٢) فالأمراء الذين توزعوا القصر الشرقي ، شرعوا في احداث التعديلات التي رأوها ضرورية وتنسجم مع أساليب سكناهم . وينعى العماد الاصفهاني ذلك عليهم بقوله (. . .) وشرع كل من سكن في تخريب معمره . . .)^(٣) ، فأخذت معالمه بالاختفاء منذ ذلك التاريخ^(٤) . بل ان هذه التعديلات تعنى تحويل هذه المنشآت الى أحياء سكنية ، فعندما سكن الأمير شمس الدولة توران شاه^(٥) في حارة الأمراء^(٦) فانه عمر بها دربا^(٧) على احدى هذه الدور الكبيرة ، عرف باسم منشئه^(٨) . ولا يعدو أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لغالبية المنشآت التي بدأت بالتحول الى حارات ودروب وأزقة^(٩) ، أشارت

-
- (١) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٣٩ : مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٣٦ .
- (٢) المقریزی ، الخطط ، ج١ / ٣٦٤ .
- (٣) أبوشامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢ / ٥٠٨ .
- (٤) احمد فسكى ، مساجد القاهرة ومدارسها ج٢ / ١٥ .
- (٥) عنه انظر ص : ١٨١ هامش (١)
- (٦) هذه الحارة سميت بحارة الأمراء الاشراف الاقارب ، من الواضح أنها كانت خاصة بأقارب الفاطميين ، وكبار رجال الدولة . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ١٨ .
- (٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ / ٣٥٢ - ٣٥٣ .
- (٨) ص : ٣٥٥ .
- (٩) المقریزی ، الخطط ، ج١ / ٣٦٤ .

المصادر الى بعضها . فظهرت في موضع القصر الشرقي الكبير عدة أحياء سكنية ، ورد ذكر أسمائها في وثيقة تنازل بقايا الاسرة الفاطمية عن املاكهم في القاهرة للسلطان الملك الظاهر بيبرس ^(١) عام (٦٦٠هـ / ١١٦٤م) ^(٢) حيث وردت الاشارة الى خط خزائن السلاح على اعتبار أنها منطقة سكنية فقد جاء في الوثيقة ما نصه : (. . . وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية ^(٣) وما هو بخطه . . .) ^(٤) ، كذلك وردت الاشارة الى خط المشهد الحسيني ^(٥) نسبة الى المشهد الذي يقع داخل القصر الكبير ^(٦) ، وكما سبق الاشارة بأن شمس الدولة عمر دربا وكان على احدى الدوره هي دار عباس ^(٧) . فالمقريزي عندما يتحدث عن حمام الكويك ^(٨) يذكر بأنها

- (١) عنه انظر ص : ٨٩ هامش (٤) .
- (٢) نشر المقريزي هذه الوثيقة في موضعين من كتابه الخطط ، ب فيها بعض الاختلافات . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٤٩٧ .
- (٣) عن هذه الخزائن انظر ص : ٥٠١ .
- (٤) المقريزي ، م . س ، ج ١ / ٣٨٤ ، ويصعب تحديد موضع هذا الحي في الوقت الحاضر على وجه الدقة وان كان من الواضح أنه يحتل الجزء الواقع في منتصف القصر الشرقي تقريبا حيث كانت تقع هذه الخزائن . انظر ص ٥٠١ . وانظر : خريطة رقم (١٠) .
- (٥) المقريزي ، م . س ، ج ١ / ٣٨٥ .
- (٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣٤٧ .
- (٧) عرفت هذه الدار بالوزير الفاطمي عباس بن يحيى بن باديس (٥٤٨ - ٥٤٩ هـ / ١١٥٣ - ١١٥٣ م) ، المقريزي ، الخطط ج ٢ / ٥٥ - ٥٦ ، القلقشندي ، م . س ، ج ٣ / ٣٥٢ .
- (٨) نسبت هذه الحمام الى تاجر في العصر المالكي يعرف بنور الدين على بن محمد الكويك كان قد جدها في عام (٧٤٩ هـ / ١٣٢٨ م) . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ١٠٠ .

انشئت لخدمة هذه الدار (. . التي موضعها الآن درب شمس الدولة . .) (١)
ويبدو أن خط قصر ابن عمر (٢) ، كانت موضعه في العصر الفاطمي
قصرًا للوزير الحسن بن عمار (٣) (٤) ، جرى تحويله الى حى سكني في عهد
الناصر صلاح الدين الايوبي كما حدث لغيره من القصور . لذلك فمن المؤكد
ان هناك الكثير من القصور والدور الكبيرة التي لم تتحول الى أحياء سكنية
الا في تلك الفترة أيضا . ومثلما تحولت القصور والدور السكنية الى

- (١) المقرئى، الخطط، ج٢/ ٨٤ ، ويدل على موضع هذا الدرب في الوقت
الحاضر حارة درب شمس الدولة، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية
ج٣ / ١٥٦ ، وانظر خريطة رقم (١٠) .
- (٢) من خلال تحديد على باشا لموقع درب القماحين وهو الاسم الذى
اطلق على الخط المذكور في العصر المماليكي يتضح أن هذا
الخط يقع في شمالي حارة كتامة في المنطقة الواقعة الآن فيما
بين حارة الدويدارى وبين شارع الدراسة ، على باشا مبارك ،
الخطط التوفيقية ، ج٢/ ٢٦٢ .
- (٣) عندما يتحدث علي باشا عن هذا القصر وموقعه يعتبره جزءا من
الخط نسب اليه دون ان يقدم مستندا يثبت ذلك ، على باشا
مبارك ، ن.م.س ، والأصح ان الخط بأكمله كانت الدار في موضعه
فالمصادر التي تحدثت عن هذا الخط لا تذكر بأن القصر كان
من جملته وانما تتحدث مباشرة عن الوزير الذى نسب اليه
وهو الحسن بن عمار . المقرئى ، ن.م.س ، ج٢/ ٣٦-٣٧ ، مؤلف
مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤٢-٤٣ .
- (٤) هو ابو محمد الحسن بن عماد بن علي (٣٨٦ - ٣٨٧ هـ / ٩٩٦ -
٩٨٧ م) ، احد أمراء صقليه ومن شيوخ كتامة ولي الوزارة للحاكم
العبيدى (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) وقرب المغاربة
الامر الذى أدى الى قتله على يد الاتراك . عنه انظر : ابن خلكان
، وفیات الأعيان ، ج٥ / ٣٧٤ ، المقرئى ، ن.م.س ، على باشا مبارك ،
ن.م.س ، ج٢ / ٢٦٢-٢٦٣ .

احياء وخطط ، فان منشآت للنزهة بدأت تشهد مثل هذه التغييرات العمرانية أيضا ، فدارالملك التي قسمت بين بعض الافراد في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ^(١) ، تحولت الى حي سكنى عرف بخط دار الملك ^(٢) ، اشار اليه ابن دقماق اثناء حديثه عن مطابخ السكر السلطانية التي تقع في الفسطاط ^(٣) . كما ان بعض بساتين النزهة الفاطمية تحولت الى مناطق سكنية في تلك الفترة ايضا ، فبستان الدكة ^(٤) ، الذى لا شك بأنه قد فقد وظيفته في تلك الاثناء كغيره من منشآت النزهة ^(٥) ، تحول الى خطه كبيرة تحمل اسم البستان ^(٦) تشغلها (. . أدوارات شهرتها تغني عن وصفها . .) ^(٧) ، ومن الواضح ان هذا التغير حدث في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث ازدهر العمران في المقس ^(٨) الذى يقع فيه هذا البستان ^(٩) ، ومثلما تعرضت القصور والدور السكنية والمتنزهات للتطور العمراني ، وأخذت بالتحول الى احياء سكنية ، فان منشآت الخدمات والمرافق تعرضت لهذا التطور أيضا ، فدار الديباج ،

-
- (١) ص : ٣٥٠ - ٣٥١ .
 (٢) ويدل على موضع هذا الحي موضع الدار الذى سبق الاشارة اليه .
 أنظر ص ٣٥٠ هامش (٣) .
 (٣) ابن دقماق ، الانتصار ، ق ١ / ٤١ .
 (٤) عنه أنظر ص : ٣٢٩ هامش (١) .
 (٥) ص : ٣٤٧ .
 (٦) المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٤٧٩ - ٤٨٠ ، البكرى ، قطف الأزهار
 لوحة ١٠٥ .
 (٧) المقرئى ، م . س ، ج ١ / ٤٨٠ ، يدل على موضعها في العصر
 الحديث شارع قنطرة الدكة ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية
 ج ٣ / ٣٦١ ، وانظر خريطة رقم (٩) .
 (٨) ص : ٣٨٦ .
 (٩) المقرئى ، م . س ، ج ١ / ٤٨٠ .

بدىء في تحويلها الى منطقة سكنية في تلك الاثناء^(١) ، الامر الذى تترتب عنه أن ظهر في موضعها احياء سكنية مثل درب ابن قطز^(٢) ودرب الحريرى^(٣) وكذلك كان الامر مع دار العلم ، ودار الضرب ، والمارستان الفاطمية ، حيث تحولت الى مناطق سكنية في تلك الاثناء^(٤) . مما نتج عنه ان ظهر في مواضعها احياء سكنية . فظهر في موضع دار العلم ، درب ابن عبد الظاهر^(٥) ، في حين أن موضع المارستان

- (١) ص : ٣٥١ .
- (٢) نسب هذا الدرب الى أحد أمراء المماليك وهوناصر الدين ابن بلقاف سيف الدين قطز المنصورى توفى بعد عام (٦٩٨هـ / ١٢٩٨م) . المقريزى ، م.س ، ج٢ / ٤٢-٤٣ ، ويبدو أن هذا الدرب يدل عليه في الوقت الحاضر عطفه الست بيروم حيث انها هي وعطفه الصاوى (درب الحريرى سابقا) كما يشير بذلك تحديد على باشا لموقع هذه الدار في عصره ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٣ / ١٦٦ ، ١٩٥ ، خريطة رقم (١٠) .
- (٣) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٥٤ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٤٩ وينسب هذا الدرب الى القاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريرى فلقد كان يقطن فيه . المقريزى ، م.س ، ج٢ / ٤٢ ، الخاصكي ، م.س ، مؤلف مجهول ، م.س ، ويدل على موضعه في الوقت الحاضر عطفه الصاوى المعروفة أيضا بعطفه القرن بشارع درب سعاده ، على باشا مبارك ، م.س ، ج٣ / ١٩٥ وانظر خريطة رقم (١٠) .
- (٤) ص : ٣٥١ .
- (٥) المقريزى ، م.س ، ج٢ / ٤٠ ، الخاصكي ، م.س ، لوحة ٥١ ، وينسب الى القاضي محي الدين بن عبد الظاهر الذى سكن فيه . المقريزى ، م.س ، مؤلف مجهول ، م.س ، ورقم : ٤٧ ويدل على موضع هذا

عرف بدرب خرابه صالح ^(١) ، بينما ظهر في محل دارالضرب درب الشمس ^(٢) . ومن الواضح أن دور الضيافة التي فقدت وظيفتها في تلك الاثناء ^(٣) ، قد أخذت بالتحول الى أحياء سكنية أيضا ، فمن المؤكد أن خط سوقة أمير الجيوش ^(٤) قد ظهر على أجزاء من دارالضيافة التي كانت تعرف أيضا بدارالمظفر ^(٥) ، فهذه الدار التي تقع

===
الدرب الان الزقاق الواقع خلف عطفة المدق على يسار السالك الى الجامع الحسيني من الصنادقية ، أو ما هو قريب منه . على باشا مبارك ، م.س ، ج ٢ / ٨٧ . وانظر خريطة رقم (١٠) .
(١) المقریزی ، م.س ، الخاصكي ، م.س ، مؤلف مجهول
م.س ، ورقة ٤١ ولا تذكر المصادر سبب تسميته . ويدل عليه في الوقت الحاضر عطفة المدق بشارع الصنادقية ، على باشا مبارك ، م.س ، ج ٢ / ٢٤٥ . وانظر خريطة رقم (١٠) .
(٢) المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٤٥ ، ج ٢ / ٣٨ ، ويذكر على باشا بأنه يدل على موضع هذا الدرب في عصره زقاق بشارع الفورية يقع بجوار خان الهجينى ، على باشا مبارك ، م.س . ، ج ٢ / ١١٦ - ، وانظر أيضا :

A. Raymond , E Wiet , Les Marcees, Plan 3.

وانظر خريطة رقم (١٠) .
(٣) ص : ٣٤٦ .
(٤) ويدل على موقع هذا الخط في الوقت الحاضر شارع مرجيوشي ، على باشا مبارك ، م.س ، ج ٣ / ١٢٦ - ١٢٨ . وانظر خريطة رقم (١٠) ، وسيوضح فيما يلى اصل تسمية هذا الحي .
(٥) هذه الدار بناها امير الجيوش بدر الجمالي لتكون دارا للوزارة فلما بنى ابنه الأفضل دار القباب سكن بها اخوه المظفر أبو محمد جعفر وصارت من بعده للضيافة . المقریزی ، م.س ، ج ١ / ٤٣٨ ، ٤٦١
ج ٢ / ٥٢ . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٦٢ .

===

في حارة برجوان^(١) كانت تمتد في العصر الفاطمي الى اصطبل الصبيان الحجرية^(٢) كما يشير الى ذلك المقرئى ابان حديثه عن موضع هذا

====
ويذكر على باشا مبارك أثناء تحديده لموقع هذه الدار بأن المنطقة الواقعة أمام جامع السلحدار والممتدة يمينا وشمالا الى داخل الحارة وصولا الى الجامع الذى فى داخلها (مدرسة أبوبكر مزهر) ، على باشا مبارك ، م.س ، ج ٣ / ١٣٣ ، بيد انه يلاحظ أن على باشا قد خلط أثناء حديثه عن هذه الدار فيما بينها وبين دار برجوان ، على باشا مبارك ، م.س ، ج ٣ / ١٣٢ وهو بذلك يناقض المقرئى الذى يذكر بأن أمير الجيوش بنى دارا فى هذه الحارة ، كانت هي ودار برجوان جزءا من الحارة اللتان تقعان فيها . المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٣٦٣ ، ٤٦١ . لذلك فمن المرجح أن تكون هذه الدار كانت تحتل المنطقة الواقعة على يمين الداخل الى الحارة كما يدل على ذلك موقع زاوية جعفر (المظفر) التى تدل على قبر جعفر المشار اليه آنفا والذي يعد جزءا من الدار . على باشا المبارك ، م.س ، وانظر أيضا فتحى الحيدى ، القاهرة ، ص ٢٠ ، ١١٢ الخريطة ، كما أن هذه الدار كانت تمتد الى اصطبل الصبيان الحجرية كما سيتضح فيما يلى . انظر خريطة رقم (١١) .

(١) مؤلف مجهول ، ن.م.س .

(٢) الصبيان الحجرية هي طائفة من الجيش الفاطمي كانوا يختارون من أولاد الاجناد ، ويتم تدريبهم وفق نظام تربوى خاص ، ويعيشون فى ثكنات خاصة بهم تعرف بالحجر . العبادى ، قيام دولة المماليك الأولى : ٧٠ - ٧١ . وكان هذا الاصطبل مخصصا لخيولهم ، المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٤٦١ ويدل على موضع هذا الاصطبل الخط الذى ظهر عليه انظر ص : ٣٦٢ هامش (٦) .

الاصطبل في العصر الفاطمي حيث يقول : (. .) وجوار دارالضيافة
اصطبل الصبيان الحجرية (. .) (١) ، في حين انه يلاحظ أنه بعد العصر
الفاطمي اصبح خط سويقة أمير الجيوش يفصل فيما بين الحارة والاصطبل
المذكورين ، حيث تشير المصادر أثناء وصفها لوضع هذا الخط في العصر
المماليكي الى أنه يقع فيما بينهما ، ان تذكر بأن هذا الخط يقع فيما بين
خط خان الوراق (٢) ، وحارة برجوان (٣) مما يشير بدون شك الى
أن هذا الخط قد اقتطع من هذه الدار (٤) ، خاصة اذا ما علمنا بأنه يقع
فيه مدرستان أيوبيتان (٥) ، حيث جرت العادة في تلك الأثناء على أن
تنشأ المدارس على مثل هذه المنشآت كما سبق أن شاهدنا (٦) . ولقد
كان ظهور هذا الخط في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، يدل على

-
- (١) المقريزي ، ن.م.س ، انظر أيضا فيما يذكره المقريزي من ان حارة
برجوان كانت تجاور الاصطبل المذكور وذلك أثناء وصفه للقاهرة
في العصر الفاطمي ، المقريزي ، ن.م.س ، ج١/٣٦٣ .
- (٢) وخط خان الوراق هو الاسم الذي اطلق على موضع الاصطبل المذكور
بعد ان اختط وتحول الى منطقة سكنية ، انظر ص : ٣٦٢ .
- (٣) المقريزي ، ن.م.س ، ج٢/٣٦ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة
ورقة : ٤٢ ، وانظر خريطة رقم (١٠) .
- (٤) انظر خريطة رقم (٣٤) .
- (٥) وهاتان المدرستان اللتان تقعان في رأس السويقة من جهة شارع
القصبة هما المدرسة البازكوجية ، التي بنيت في عام (٩٢ هـ /
١١٩٥ م) ، والمدرسة القطبية التي لا يبعد تاريخ تأسيسها
تاريخ الأولى على ما يبدو ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية
ج٣/١٢٩ .

ذلك المدرستان الايوبيتان اللتان بنيتا فيه كما سبق أن ذكرنا ، هذا
علاوة على أن المصادر تذكر بأن من أوقاف المدرسة السيوفية التي
بنيت في تلك الأثناء ^(١) ، دكاكين في خط سويقة أمير الجيوش ^(٢) ،
هذا بالإضافة إلى أن اسم الخط يدل على انشائه إلى الدار ، التي بناها
أمير الجيوش بدر الجمالي ^(٣) والذي عندما تحولت إلى حي سكني نسب
إلى مؤسس الدار على ما يبدو ^(٤) . وعلى الرغم من أن المقریزی يورد
أن هذه الدار قد جعلت سجناً لأبناء الأسرة الفاطمية من الذكور ، بعد
أن قضى الناصر صلاح الدين على دولتهم ^(٥) ، مما قد يشير إلى أن هذه
الدار لم يجر استغلالها عملياً في تلك الأثناء ، إلا أن ما ذهب إليه
المقریزی ليس بالأمر الثابت إذ ذكر أبو شامة بأن سجن الفاطميين كان

(١) ص : ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٢) المقریزی ، الخطط ، ج٢ / ٣٦٦ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر

القاهرة ، ورقة ٤٤١ .

(٣) المقریزی ، م.س ، ج١ / ٤٦١ ، ج٢ / ٥٢ ، مؤلف مجهول ، م.س ،

ورقة ٦٢ .

(٤) من الواضح أن هذا يفسر إلى حد بعيد أسباب اختفاء اسم

سوق أمير الجيوش من المنطقة التي يقع فيها سوق حارة برجوان

بعد العصر الفاطمي حيث كان يطلق عليه في تلك الأثناء

وانتقاله إلى موضع الخط واطلاق العامة عليه اسم سويقة أمير الجيوش

دون أن يكون لهم في ذلك مستنداً كما يذكر المقریزی . انظر :

المقریزی ، م.س ، ج٢ / ٩٥ ، ١٠١ ، وانظر أيضاً ، الخاصكي ، التحفة

الفاخرة ، لوحة ٦٩ - ٧٠ ، على باشا مبارك ، م.س ، ج٢ / ٨٣ .

(٥) المقریزی ، م.س ، ج١ / ٤٩٧ .

قد اقتصر على داربرجوان^(١) . الأمر الذى يدل بدوره على أن الدار الأولى لم تكن حبسا لآبناء الأسرة في تلك الاثناء . بالإضافة الى أن سجنهم فيها لا يتطلب بالضرورة استغلال الدار بأكملها ، خاصة وأنها كانت كبيرة جدا .^(٢)

كذلك فقد ترتب عن اختطاط الاصطبلات الفاطمية ، أن ظهر في مواضعها أحياء سكنية ، فاصطبل الطارمه ، ظهر في موضعه حتى سكنى عرف باسم خط اصطبل الطارمة^(٣) ، يصفه المقرئى بأنه : (حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد...)^(٤) ، وعلى نفس الوتيرة سار الأمر مع اصطبل الصبيان الحجرية الذى اختط في تلك الاثناء كما تشير بذلك المصادر ، ان جاء في طي ذكر الموضع انه لما (.. زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى ..)^(٥) ليحل في موضعه حتى سكنى عرف بخط خان الوراق^(٦) . أما بالنسبة لاصطبل

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢ / ٤٩٤ - ٤٩٥ ، وهذه الدار كانت للوزير الفاطمي ابو الفتوح برجوان (٣٨٢ - ٣٩٠ هـ / ٩٩١ - ١٠٩٣ م) وكانت كبيرة وتقع في هذه الحارة ، فتحي الحديدى ، القاهرة ، ص : ٢٠ .

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج١ / ٤٦١ .

(٣) الخاصكى ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٤٥ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ورقة ٤١ ، ويدل على موضع الحي الان موضع الاصطبل الذى سبقت الإشارة اليه ، انظر ص : ٣٥٢ هامش (٣) ، وخريطة رقم (١٠) .

(٤) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ٣٥ .

(٥) المقرئى ، م.س ، ج٢ / ٢٣ .

(٦) الخاصكى ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢٩ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٢٧ ، ومن الواضح أن سبب تسميته هو وجود خان

الجميزة ، فانه بعدما جرى اختطاطه في تلك الاثناء^(١) ، ضمت معظم أراضي الى حارة زويلة^(٢) . ولم يكن التطور العمراني الذي طرأ على المنشآت المذكورة آنفا قاصرا على تحويل مواضعها الى أحياء سكنية بعد ازالتها ، بل ان بعضها قد أضحي بذاته جزءا من أحياء سكنية ، ومن أبرز الشواهد على ذلك ما حدث في خط بين السورين^(٣) ، فهذا الخط أضحي في العصر المالكي يتألف من صفين من الأماك ، أحدها يقع

للمراقبة يقع في المنطقة نفسها وان كانت المصادر لا تقدم معلومات عن تاريخ ظهوره . انظر: المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٤٦١ ، ويدل على موقعه في الوقت الحاضر درب يعرف بدرب الوراق . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ٨٤ . وانظر خريطة رقم (١٠) . وانظر أيضا :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3 .

(١) ص : ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٢) ص : ٤٠٣ ، وحارة زويلة نسبة الى احدى القبائل البربرية التي دخلت الى مصر ضمن الجيش الفاطمي عندما استولى عليها اختطت هذه الحارة فعرفت بها ، المقرئى ، م.س ، ج ٢ / ٤ ، فتحي الحديدي ، القاهرة ، ص ٢٠ .

(٣) اختلف في سبب تسمية هذا الخط من كونه جاء نتيجة سور بناء بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م) ، في هذه الناحية عندما قام بتوسعة أسوار القاهرة ، الأمر الذي ترتب عنه وقوع المنطقة فيما بين سور المدينة القديم والسور الجديد أم ان الأمر كان نتيجة سور صلاح الدين الذى بناه في هذه المنطقة ، وهو الأرجح ، أنظر :

K.A.C. Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Ikhshids and Fatmids, A.D 939-1171 , New York 1978 , Volume I , p. 24.

Ravisse Essai sur chistoire sur la topographie du Caire , p. 421 , plan 2.

===

ناحية القاهرة ، والآ خر مظل على الخليج .^(١) ولقد قام في العصر الفاطمي في موضع الصف الذى يقع ناحية القاهرة مجموعة من قصور للنزهة الفاطمية مثل منظره اللؤلؤ لولة^(٢) ، والفزالة^(٣) ، وغير ذلك من القصور^(٤) . فسي حين أن الجهة المطلة على الخليج لم يكن عليها عمائر على الاطلاق .^(٥) ومن الواضح ان صف المباني الذى يقع ناحية القاهرة ، قد بدأ بالظهور وفي عهد الناصر صلاح الدين ، حيث أن هذه القصور جرى تقسيمها فسي تلك الاثناء ، كما يدل على ذلك تقسيم منظره اللؤلؤ لولة كما سبق ان ذكرنا^(٦) ، مما يشير الى ان الصف الذى يقع ناحية القاهرة قد بدأ بالظهور في تلك الاثناء . وهذا فيما يتعلق بالنشاط العمراني الذى ظهر على المنشآت في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي ، بيد أن ظهور الاحياء الجديدة لم يكن حينئذ قاصرا على هذا الجانب فحسب ، بل امتد ليشمل أيضا المواضع الخالية من البناء في القاهرة الكبرى . وكان أول ما أصابه

- ==== ولا يزال حتى الوقت الحاضر يوجد في المنطقة نفسها شارع يعترف
بشارع بين السورين يدل على الخط ، على باشا مبارك ، م.س ،
ج ٦٥ / ٣ ، وانظر خريطة رقم (٩) .
- (١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢٤ / ٢ . الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة
٢٩ - ٣٠ .
- (٢) عنها انظر ص : ٣٤٩ هامش (٨) .
- (٣) هذه المنظره تقع بجوار منظره اللؤلؤ لولة الى الجنوب منها ، ولا
تذكر المصادر تاريخ انشائها . المقريزى ، م.س ، ج ١ / ٤٦٩ - ٤٧٠
البكرى ، قطف الازهار ، لوحة ١٠٥ ، ويدل على موضعها فسي
العصر الحديث الابنية الواقعة تجاه جامع ابن المغربي بشارع
بين السورين ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ٧٢ .
- (٤) المقريزى ، م.س ، ج ٢٤ / ٢ . الخاصكي ، م.س ، لوحة ٢٩ ، مؤلف مجهول
تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٢٨ . على باشا مبارك ، م.س ، ج ٣ / ٦٩
(٥) ن . م . س .
- (٦) ص : ٣٤٩ - ٣٥٠ .

التغيير في هذا المجال الساحات الخالية من البناء الستي كانت منتشرة في القاهرة الفاطمية ، فالفاطميون كانوا حريصين ان تكون عاصمتهم ذات مساحات واسعة خالية من البناء . فيذكر ابن حوقل بأن هذه المدينة (. .) قد أحرق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة اضعاف ما بنى بها ، وهي خالية كأنها تركت مجالا للسائمة عند حصول خوف (١) . وقد تعددت مجالات الساحات وانواعها في القاهرة ، فمنها ما يفصل بين أسوار المنازل ، بحيث لا تتصل الأشجار التي تقع في داخل أسوارها ، أو بأشجار المنازل المجاورة لها (٢) . كما احتوت القاهرة على رحاب وميادين (٣) شملت مواضع مختلفة منها ، فلقد كان يحيط بالقصور الرئيسية مواضع خالية من البناء ، بحيث لا تتصل بالمباني المجاورة لها فحينما يتحدث ناصر خسرو عن قصر الخليفة - ويقصد بذلك القصر الشرقي الكبير - فانه يذكر بأنه طلق من جميع الجهات (٤) . اذ كان يحيط به الشوارع الفسيحة بالإضافة الى الرحاب والميادين كما تشير الى ذلك المصادر ، وكذلك التوقعات على الخرائط التي تم رسمها عن المدينة في ذلك العصر (٥) . فالى الغرب من

(١) ابن حوقل ، ابن القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة

الأرض ، ط بيروت ، ٩٧٩م ، ص : ١٣٧ وانظر أيضا جاستون فيت ، القاهرة ، ص ١٣٧ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٩١ .

(٣) عن تعريف الرحبة والميدان انظر ص : ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٤) ناصر خسرو ، م . س ، ص ٨٩ .

(٥) Ravaisse Essai sur chistoire et sur la topographie - (٥) ie , du Caire, plan 3.

قصر الخليفة كان يقع ميدان بين القصرين ^(١) ، والذي عرف بذلك لأنه يقع فيما بين القصر الشرقي الكبير والقصر الغربي الصغير ^(٢) ، وكان ميدانيا كبيرا يستوعب اكثر من عشرة الاف من رجال الجيش للخدمة يكون فيه عرضهم ^(٣) . ويذكر علي باشا مبارك بأن عرض الميدان المذكور كان يصل الى مائة متر على أقل تقدير ^(٤) . وإلى الشمال من القصر الشرقي الكبير كانت تقع ساحة عرفت بالمنحر ^(٥) ، اتخذها الخلفاء الفاطميون لنحرا لأضاحي في الأعياد والمناسبات كعيد الأضحى ، واحتفالهم

Ravaissse Essai sur chistoire et sur la topogra- (١)
phie du Caire, plan 2.

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج٢/ ٢٨ ، الخاصكى ، التحفة الفاخرة ،
لوحة : ٢٤ . البكرى ، قطف الأزهار ، لوحة : ١١١ ، مؤلف
مجهول : تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٣٢ . ويدل على موضعه
في الوقت الحاضر المنطقة التي يشغلها شارع النحاسيين
وما يحيط به من منشآت ومباني ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية
ج٢/ ٨٩ ، ٩٣ .

(٣) ن . م . س .

(٤) على باشا مبارك ، م . س ، ج٢/ ٩٣ .

(٥) يدل على موضع هذه الساحة في الوقت الحاضر الباني الواقعة
غربي جامع سعيد السعداء في شارع الدرب الاصفر
التمبكشية بقسم الجمالية ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٣/ ٥١١ .
هامش (١) .

وعن موقعه بالنسبة للقصر الشرقي الكبير انظر :

Ravaissse , op. cit.

بفديرخم (١) . وبالقرب من المنحر كانت تقع رحبة باب العيد (٢) وهي رحبة عظيمة في غاية الاتساع ، كان يتنظم في الوقوف بها عدد كبير من الجند ما بين فارس وراجل في انتظار خروج الخليفة الفاطمي لأداء صلاة العيد في مصلى العيد خارج القاهرة (٣) ، وكان يقع الى الجنوب الشرقي من قصر الخليفة كذلك رحبة واسعة كبيرة هي رحبة قصر الشوك (٤) .

(١) المقرئى ، م.س ، ج١/٤٣٦ ، ج٢/٤٤ ، وهذا العيد من أعياد الشيعة ، للمزيد عنه انظر ص : ١٦٤ هامش (٤) .

(٢) باب العيد هو أحد أبواب القصر الشرقي الكبير كان يطل على هذه الرحبة وكان الخليفة يخرج منه لأداء صلاة العيد .

أنظر : المقرئى ، م.س ، ج١/٤٣٥ . ويدل على موقع هذه الرحبة في الوقت الحاضر المنطقة التي تحد غربا بشارعي حبس الرحبة وبيت المال وجنوبا يحد ها شارع قصر الشوك وشرقا حارة قصر الشوك ومن الشمال حارتي الزاوية والبيضة . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ١١٦ ، وعن موقعها بالنسبة للقصر الشرقي الكبير انظر :

Ravaissse Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.

(٣) المقرئى ، م.س ، ج١/٣٦٢ ، ج٢/٤٧ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٣ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٥٥ .

(٤) سميت بذلك لأن قصر الشوك كان يطل عليها ، المقرئى ، م.س ، ج١/٣٦٢ ، ولقد سماها السخاوى برحبة خزانة البنود لأنها كانت تجاه خزانة البنود التي تحدها شمالا ، السخاوى ، تحفة الأحياب ، ص ٩٠ ، وقصر الشوك هو أحد قصور القصر الشرقي الكبير . للمزيد انظر : المقرئى ، م.س ، ج١/٤٠٤ .

وكان يفصل فيما بين هذه الرحبة ورحبة باب العيد خزانة البنود^(١). فإى
 أن هذه الخزانة كانت تحدها من الجهة الشمالية^(٢) ، في حين أن اصطبل
 الطمارمه^(٣) كان يحدها من الجهة الجنوبية ، لأنه كان يفصل فيما
 بينها وبين رحبة الجامع الأزهر^(٤) . بينما كان يحدها شرقا المناخ^(٥) ،
 وخزائن دار افتكين^(٦) ، فالذى يخترق هذه الرحبة من جنوبها

(١) خزانة البنود هي الخزانة التي كان يصنع فيها الاعلام والرايات ولقد
 اتخذت في أواخر العصر الفاطمي سجنا واستمرت كذلك الى عهد
 بني أيوب ، المقریزی ، م.س. ، ج١/٢٣٣-٢٥٠ و يذكر على باشا
 بأن موقعها يدل عليه في عصره احدى الدور السكنية في شارع
 درب المقدم ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢/٢٢٤ .
 وعن موقعها انظر أيضا :
 A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire, plan 2.

(٢) انظر الهامش السابق . وخريطة رقم (١١) .
 (٣) عن هذا الاصطبل انظر ص : ٣٥٢ وخريطة رقم (١١) .
 (٤) المقریزی ، م.س. ، ج٢/٤٧ ، الخاصكي ، م.س. ، مؤلف مجهول ،
 م.س. ، على باشا مبارك ، م.س. ، ج٢/٢٥٥ ، وعن رحبة الجامع
 الأزهر انظر مايلي .

(٥) المناخ هو الموضع المخصص للجمال ، وكان به خزائن للمسود
 الخام علاوة على مصانع للصناعات الثقيلة ، انظر ص : ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 وكان هذا المناخ يستدالى المنطقة الواقعة خلف دار الوزارة الكبرى
 انظر على باشا مبارك ، م.س. ، ج٢/ ص ٢٠٨ وخريطة رقم (١١)
 (٦) كانت هذه الخزائن تحوى على اصناف عدة من المواد الغذائية
 بالاضافة الى احتوائها على بعض الصناعات. للمزيد انظر عنها ،
 ص : ٢٥٨ هاشم (٣) .

الى شمالها يكون (. . سور القصر على يساره والمناخ ودارافتكين على
يمينه . .) (١) وكان بالقرب من رحبة قصر الشوك والى الجنوب منها
"رحبة المشهد" (٢) التي كانت تقع فيما بين باب الديلم (٣) وبين
اصطبل الطارمه (٤) ومن الموء كد أن رحبة الجامع الا زهر كانت تقع
جنوبى سور القصر الشرقى الكبير (٥) ، فهذه الرحبة كان يخرج اليها
الخليفة من خلال الخوج السبع (٦) التي كانت تقع فـي

- (١) المقرئى ، الخطط ، ج٢/٤٧ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر
القاهرة ، ورقة ٥٦ . ولا تقدم الخرائط التي عملت للقاهرة تحديدا
واضحا لهذه الرحبة بيد انه بالنظر الى المواقع التي كانت
تحد هذه الرحبة والتي سبق الاشارة اليها وتحديدها فانه
بالامكان تقديم صورة واضحة عن هذه الرحبة ، انظر خريطة
رقم (١١) .
- (٢) سميت بذلك لانها تقع امام المشهد الحسيني ، المقرئى ،
م.س ، ج٢/٤٨ .
- (٣) هذا الباب هو أحد أبواب القصر الشرقى الكبير ويقع في محلة
باب الجامع الحسيني المعروف بالباب الأخضر ، على باشا مبارك ،
الخطط التوفيقية ، ج٢/٩٤ .
- (٤) المقرئى ، ن.م.س ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٤ .
مؤلف مجهول ، ن.م.س ، وانظر خريطة رقم (١١) .

(٥) Ravaisse Essai sur chistoire et sur la topographie
du Caire , plan 2.

- (٦) الخوخة هي باب صغير ضمن بوابه كبيرة ، تستخدم للاستعمال
اليومي في حال عدم الحاجة الى فتح الابواب الكبيرة . ويطلق
لفظ الخوخة أيضا على الابواب الصغيرة ، عبدالرحمن زكي ،
موسوعة مدينة القاهرة ، ص ١٠٢ ، أما هذه الخوخ التي تذكرها

مواجهة باب الديلم^(١) . وهي رحبة كبيرة جدا . كانت العساكر تصطف بها انتظارا لخروج الخليفة للصلاة بالناس في الجامع الأزهر^(٢) ويذكر المقرئ بأنها كانت تحتل المنطقة الواقعة فيها بين خط اسطبل الطارمه ، والموضع الذي فيه الاكفانيين^(٣) ، من باب الجامع الأزهر الشمالي الى الخراطين^(٤) . وهناك ميدان آخر عرفته المصادر باسم "ميدان القصر" ،

- == المصادرفانها لا تذكر تعريفا محددا لها وان كانت تذكر بأنها تستخدم مجازايعبره الخليفة الى الجامع الأزهر ، المقرئ ، م.س ، ج ٢ / ٤٥ ، الخاصكي ، م.س ، لوحة ٥٩ . مؤلف مجهول ، م.س ، ٥٢ - ٥٣ ، ويبدوانها كانت عبارة عن سبع عقود صغيرة مغطاة بنوع ما من التغطية تسد ببابين صغيرين من طرفيهما ،
- (١) المقرئ ، م.س ، الخاصكي ، م.س ، مؤلف مجهول ، م.س .
- (٢) المقرئ ، م.س ، ج ١ / ٣٦٢ ، ج ٢ / ٤٧ ، الخاصكي ، م.س ، لوحة ٦٣ ، على باشا مبارك ، ج ٢ / ٢٥٥ .
- (٣) الاكفانيين ، احد اسواق القاهرة المملوكية ، وكانت به سحوق الفراء في ذلك العصر ، ويدل على موضعه في العصر الحديث ، شارع التبليطة . انظر : على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٢ / ٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، وانظر أيضا عن موقع هذا السوق : A. Raymond E Wiet , Les Marcees de Caire, plan 3.
- وبذلك يتضح بأن رحبة هذا الجامع كانت تمتد بمحاذاة الجانب الغربي للجامع الأزهر ، خريطة رقم (١١) .
- (٤) المقرئ ، الخطط ، ج ٢ / ٤٧ ، والخراطين هو سوق من أسواق القاهرة المملوكية ويباع فيه اسرة المهد للأطفال علاوة على احتوائه على الحوانيت التي كان بها صناع الدوى والسكاكيني وكان يعرف قبل ذلك بعقبه الصباغين ثم عرف بالقشاشين ،
- المقرئ ، م.س ، ج ٢ / ١٠٣ ، موضعه الآن ضمن شارع الصنادقية .
- على باشا مبارك ، م.س ، ج ٢ / ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، وانظر أيضا في موقع هذا السوق :
- Raymond, op. cit.

كان يقع بجوار القصر الغربي الصغير ^(١) ، رجع عبد الرحمن زكي بأنه كان يقع الى الشمال منه ^(٢) بيد أن من الواضح بأنه كان يمتد الى الغرب منه كذلك ^(٣) ، اذ أن المصادر حينما تتحدث عن بعض أدر القاهرة المملوكية مثل دار نائب الترك ^(٤) ودار ابن صغير ^(٥) فانها تذكر بأن تلك الدور قد أقيمت على مواضع من ارض الميدان المذكور ، رغم انها تقع ضمن خط باب المارستان ^(٦) الذى يقع غربي القصر الغربي كما تشير بذلك التوقعات على الخرائط ^(٧) ، لذلك فان من المؤكد أن

-
- (١) المقرئى ، م.س ، ج١/٤٥٧ ، ج٢/ ١٩٧ ومن الواضح أن هذا الميدان كان جزءاً من ميدان الاخشيد الذى كان موضعه في المنطقة قبل تأسيس القاهرة ، انظر : المقرئى ، م.س .
- (٢) عبد الرحمن ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٢٠٧ .
- (٣) انظر خريطة رقم (١١) .
- (٤) هذه الدار تنسب لاحد الأمراء المماليك يدعى ياقوش الاشرفي . انظر : المقرئى ، م.س ، ج٢/ ٥٥ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ٦٥ .
- (٥) تنسب هذه الدار الى رئيس الاطباء علاء الدين بن نجم الدين عبد الواحد توفى سنة (٧٩٦ هـ / ٣٦٧ م) ن . م . س .
- (٦) ينسب هذا الخط الى باب سر المارستان المنصوري الذى كان يقع في مواجهته ، وهذا الباب هو أحد أبواب القصر الغربي الصغير ، كان يعرف بباب السباط ، جعل باباً للمارستان المنصوري ، المقرئى ، الخط ج٢/ ٢٨ .
- (٧) يدل على خط باب سر المارستان في الوقت الحاضر عطفة المارستان ، على باشا مبارك ، الخط التوفيقي ، ج٣/ ١٣٩ ، وانظر خريطة رقم (٤٠) .

أراضي هذا الميدان كانت تختلط بأراضي اصطبل الجميزة^(١) ، حيث أن خط باب سرالمارستان كانت جل أراضيها من ضمن مساحة الاصطبل المذكور^(٢) . كذلك لا شك بأن هذا الميدان كان يمتد الى غربي حارة برجوان^(٣) يفصل فيما بينها وبين البستان الكافوري^(٤) ، فعندما تتحدث المصادر عن موقع الخط الذي ظهر على أراضيها - خط الخرنشق -^(٥)

-
- (١) عن اصطبل الجميزة انظر ص : ٣٥٣ ، هامش (٥) .
- (٢) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٣٤ ، البكري ، قطف الازهار ، لوحة ١١١ وانظر خريطة رقم (١١) .
- (٣) عن حارة برجوان انظر ص : ٣٤١ هامش (١) .
- (٤) هذا البستان من حقوق القصر الغربي الصغير ، أنشأه الأمير أبو بكر محمد الاخشيدى (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٦ م) ، أمير مصر ، وكان متنزها له ولأبنائه من بعده فلما ولي أمر مصر الأمير أبو الملك كافور (٣٤٩ - ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ - ٩٦٨ م) اعتنى به وجعله متنزها له فلما أسست القاهرة على يد جوهر القائد ضم هذا البستان اليها ، وجعله بني عبيد متنزها لهم ، المقريزى ، ص ٤٥٧/١ ، ويدل على موقع البستان في الوقت الحاضر المنطقة التي تعد من الشرق بحارة برجوان ، ومن الشمال بشارع أمير الجيوش الجولقي ، ومن الغرب بشارع الشعراى البرانى ، ومن الجنوب بشارع الخرنشق ، فتحي الحديدى ، القاهرة ، ٢٢ .
- (٥) كانت بداية ظهور هذا الحي في عهد الناصر صلاح الدين كما سيتضح لاحقا ، والخرنشق هي تحريف عامي لكلمة الخرنشق وهي مادة الاصروميل المتخلفة من حرق القمامة التي تسخن بها مياه الحمامات العامة . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ١٠٠ ، فتحي الحديدى ، القاهرة ، ص ١١٢ . ولا يزال يوجد في الوقت الحاضر شارع يحمل نفس الاسم يدل على منطقة الحي تقريبا ، انظر : على باشا مبارك ، ص ٣١ / ٣ ، تعليقات محمود رمزى في النجوم الزاهرة ، ج ٤ / ٤٧ ، هامش (٥) ، عبد الرحمن زكي ، ن . م . س .

تشير الى أنه يقع فيما بين الحارة والبستان المذكورين آنفاً (١) . ولم يكن وجود الساحات في القاهرة الفاطمية قاصراً على المناطق المحيطة بالقصور ، بل ان المدينة تميزت باحتوائها على ساحات من أنواع أخرى حيث كان يوجد بجوار أبوابها الرئيسية ساحات أيضاً ، مثل رحبة الجامع الحاكمي التي كانت كبيرة جداً ، وتقع بجوار باب النصر (... فيما بين الحجر (٢) والجامع الحاكمي وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن (٣) ... (٤) ، ومثل ذلك يقال عن الساحة الواسعة

-
- (١) المقرئى ، م.س ، ج٢ / ٢٧ ، الخاصكى ، م.س ، لوحة ٣٣ . البكرى ، قطف الأزهار ، لوحة ١١١ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٣٢ . وانظر خريطة رقم (١١) .
- (٢) وهذه الحجر كانت مخصصة للصبيان الحجرية الذين سبق الإشارة اليهم ص : ٣٥٩ هامش (٢) . وهي تقع بجوار دار الوزارة الكبرى وحارة الجوانية ، المقرئى ، الخطط ، ج١ / ٤٤٣ . ويدل على موقعها في الوقت الحاضر المنطقة الممتدة فيما بين بوابة الجوانية الى باب النصر ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢ / ٨٤ . ويذكر محمد رمزى ، بأنها تقع في مكان الخانكاه الركنية ببيرس الجاشنكير ، محمد رمزى ، التعليقات في النجوم ، ج٤ / ٥١ هامش (١) في حين أن هذه الخنكاه بنيت على اجزاء من دار الوزارة الكبرى كما يذكر المقرئى ، المقرئى ، م.س ، ج١ / ٤٣٨ - ٤٣٩ . ولذلك فان تحديد علي باشا هو الاثبت والا رجح .
- (٣) بنى للقاهرة بابان عرفا بالنصر احدهما كان بناؤه عشية تأسيس المدينة عام (٣٥٨هـ / ٩٦٨م) بينما بنى الآخر في توسعة بمصدر الجمالي لسور القاهرة ، المقرئى ، م.س ، ج١ / ٣٨١ ، ولا يزال الأخير موجوداً حتى الآن ، وعليه كتابة تذكارية تحدد تاريخ البدء في بنائه عام (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ، انظر : أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج١ / ٢٥ ، وانظر أيضاً ص ٢٣ ، شكل (٣) لتحديد موضعي هذين البابين .
- (٤) المقرئى ، م.س ، ج٢ / ٥٠ ، الخاصكى ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٧ .

المتدة فيما بين باب سعاد (١) وحارة الوزيرية (٢)، والتي ذكرها
المقريزي اثناء وصفه للقاهرة في العصر الفاطمي (٣). ومن المؤكد أن
المساجد الجامعة الرئيسة في المدينة مثل جامع الأزهر وجامع الحاكم
بأمر الله، كانت تجاورها الساحات أيضا، يدل على ذلك رحبتي
هذين الجامعين اللتان سبقت الإشارة إليهما، ومن الواضح أنه قد كان
في كل حي من أحياء القاهرة في ذلك الوقت مساحات واسعة من الأرض
خالية من البناء، وهي قد تستخدم كمرايض للخيل أو مقابر للموتى. فمثل
هذا النظام، على أى حال، كان متبعاً في تخطيط الأماص الإسلامية
الأولى، فعندما خططت (٤) على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه،
جعلوا في وسط كل خطة من خططها رحبة فسيحة لمرايط الخيل وقبر الموتى.
(٥)

-
- (١) عرف هذا الباب بسعاده بن حيان غلام المعز لدين الله العبيدي
(٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) كان عندما قدم من
المغرب عام (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) نزل بالجيزة فدخل من هذا
الباب فعرف به، المقريزي، م.س، ج١/٣٨٣، ويدل على موقعه
في العصر الحديث المدخل المؤدى الى شارع درب سعادة من
ناحية شارع الخليج والواقع بالقرب من القبر المشهور بقبر
الست سعاد بجوار قصر الأمير منصور باشا. انظر على باشا
مبارك، الخطط التوفيقية، ج١/٩٩.
- (٢) تنسب هذه الحارة للوزير الفاطمي يعقوب بن كلس (٣٦٢ - ٣٧٣ هـ /
٩٧٢ - ٩٨٣ م)، فلقد كانت داره فيها، علاوة على سكنها من
قبل طائفة من الجند كانت تنسب اليه، المقريزي، م.س، ج٢/٥٥.
- (٣) المقريزي، م.س، ج١/٣٦٣.
- (٤) عن هذه المدينة أنظر، ص: ٥٥ هامش (٤).
- (٥) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٧٩ - ١٨٠.

ويبدو أن الفاطميين جعلوا هذه الساحات على قسمين : يشكل أولهما الفواصل بين الحارات ، فحارة الريحانية والوزيرية^(١) ، كان موضعها يعرف قبل الباشرة بتخطيطها "ببين الحارتين"^(٢) ولعل هذه الساحات قد جعلت في تلك الأثناء كمرايض واصطبلات لبهائم الركوب . أما القسم الثاني من هذه الساحات ، فهي التي تقع داخل الحارات نفسها لأغراض الترويح والتجميل وضمان التهوية الصحية المناسبة ، وخير مثال لذلك رحبة البانياسي^(٣) التي كانت تقع في درب الأتراك^(٤) ، ورحبة خوند^(٥) التي تقع في حارة زويلة^(٦) ، والتي عرفت في العصر الفاطمي بـرحبة ياقوت^(٧) . وبالإضافة إلى الساحات الواسعة التي تقع

-
- (١) تنسب هذه الحارة إلى طائفتين من طوائف الجيش الفاطمي ، عرفتا بالريحانية والوزيرية ، وقيل العزيزية بدلا من الوزيرية كما يذكر القلقشندي . انظر : المقرئ ، الخطط ، ج ٢ / ٢ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ / ٣٥٢ .
- (٢) القلقشندي ، ن . م . س ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢ ، البكري ، قطف الأزهار ، لوحة ١٠٧ .
- (٣) تنسب هذه الرحبة إلى الأمير نجم الدين محمود بن موسى البانياسي (ت بعد ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) لأن مسجده المغلق ومنزله كانا يطلان عليها . المقرئ ، ن . م . س ، ج ٢ / ٤٧ .
- (٤) هذه الحارة تنسب إلى طائفة من الأتراك قد موأ مع طغتكين الشرابي أحد قواد بني بويه ، وذلك عام (٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م) وكانت حارتهم وحارة الديالة تعتبران حارة واحدة ، المقرئ ، ن . م . س ، ج ٢ / ٨ - ١٠ .
- (٥) نسبة إلى الست خوند زوج الملك الأشرف خليل بن قلاوون - (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) ومن بعده الملك الناصر محمد (٦٩٣ - ٧٤٦ هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤١ م) ماتت عام (٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م) ، المقرئ ، ن . م . س ، ج ٢ / ٥١ .
- (٦) عن هذه الحارة انظر ص ٣٧٧ هامش (١) .
- (٧) نسبة للأمير ناصر الدولة ياقوت ، توفي معتقلا عام (٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م) المقرئ ، ن . م . س ، ج ٢ / ٥٠ .

داخل المدينة الفاطمية ، ولقد كان يوجد في خارجها ويجوار أسوارها
ساحات أيضا ، من أبرزها الميدان الواقع امام باب الفتوح ^(١) والذي
كان يمتد حتى يصل الى البساتين الجيوشية ^(٢) وكان مخصصا في تلك
الآثناء لعرض الاجناد امام الخليفة قبل خروجها للحروب. ^(٣)

ولم يكن اتساع القاهرة في العصر الفاطمي مقتصرا على اتساع
الساحات العديدة الواسعة فحسب . بل تجاوز ذلك الى أن شوارعها
قد تميزت بالاتساع ^(٤) أيضا ، وخاصة الرئيسية منها ، إذ ان مظاهر
الفخامة التي ميزت مواكب العصر الفاطمي ، تتطلب شوارع فسيحة للسير
فيها ^(٥) . بل ان من المؤكد ان الشوارع التي كانت تتوزع عليها
حارات القاهرة حينئذ كانت تتميز بالاتساع أيضا ، حيث يلاحظ بأن توزيع
السكنى فيها كان يقوم على أساس السكنى في الحارات ^(٦) ، فعلى ذلك

-
- (١) هذا الباب بناه الوزير الفاطمي يدر الجمالي (٤٤٦ - ٤٨٧ هـ /
١٠٥٤ - ١٠٩٤ م) بدلا من القديم وذلك في مشروع توسعة
أسوار المدينة ، والمقريوى : الخطط ، ج ١ / ٣٨١ ، وكان
بناؤه في عام (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) عنه وعن موقعه انظر :
أحمد فسكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ٢٣ ، ٢٦-٢٧ ،
عن هذه البساتين انظر ص ١٥٥ هامش (٢) .
- (٢) المقريزى م.س ، ج ١ / ٤٨٦ ، ويدل على هذا الميدان في الوقت
الحالي ميدان امام باب الفتوح يمكن اعتباره جزءا من ذلك
القديم ، فتحي الحديدي ، القاهرة ، ص ٨٠ .
- (٣) فتحي الحديدي ، م.س ، ص ١٣ .
- (٤) ص : ١٦٢
- (٥) عن الحارة وتعريفها انظر ص : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

توزيع السكنى بها عشية تأسيسها كما تشير بذلك المصادر^(١) ، وهو تخطيط حافظ عليه الفاطميون طوال عهودهم ، فقد أشار ناصر خسرو أثناء زيارته للمدينة في عهد الحاكم بأمر الله^(٢) ، الى أن السكنى فيها كان يعتمد هذا النظام ، وأن أحيائها في ذلك الوقت تعرف "بالحارات". كذلك فإن المقرئى عندما يصف تخطيط هذه المدينة في تلك الأثناء يشير الى أن غالبية أحيائها كانت "حارات"^(٤) . مما يدل بدوره على أن القاهرة لم تكن قد عرفت نظام السكنى الذى يقوم على اساس الاحياء السكنية المعروفة بالخط والدرب والزقاق^(٥) . كأحياء مستقلة بذاتها ، وأن نظام السكنى السائد فيها في تلك الأثناء كان عبارة عن حارات وشوارع تصل فيما بينها وبين أجزاء المدينة يوء كد ذلك ما يذكره ابن ميسر من أنه لما صدرت الأوامر عام (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) لتدوين اسماء سكان القاهرة ، فانها كانت تنص على تدوين جميع القاطنين بها (. . شارعاً شارعاً وحارة حارة . .)^(٧) . وفي ضوء هذا الاعتبار فمن الواضح أن هذه الشوارع كانت تتميز بالاتساع ، وان عرضها لم يكن يقل عن العشرين ذراعاً ، اذ أن لفظ "الشارع" لا يطلق في المدينة الاسلامية الا على الطرقات التي يبلغ أدنى عرض لها في حدود الأذرع سابقة الذكر . "أما ما دون ذلك فانه يطلق عليها خط ، أو درب ، أو زقاق ، بحسب اتساعها ، بحيث يكون الخط اكبرها عرضاً ، وفي حين ان الزقاق أقلها سعة".^(٨)

-
- (١) ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص ٢٠٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ / ٤٢٠ .
 (٢) عنه انظر ص : ١٢٠ هامش (٣) .
 (٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
 (٤) المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٣٦٠ - ٣٦٤ .
 (٥) عن هذه الأحياء انظر ص : ٣٣٦ - ٣٤٠ .
 (٦) ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص ٩٨ .
 (٧) ص : ٣٣٩ - ٣٤٠ .

وحلول عصر الأيوبيين فان القاهرة قد تحولت صورتها العامة تدريجيا ، فلم تعد تتميز بتلك الساحات الكبيرة والشوارع الفسيحة كما كان عليه الحال ابان الحكم العبيدى ، فيشير ابن سعيد الأندلسي الذى زار هذه المدينة في اواخر عهد الأيوبيين ، الى ضيق المدينة ، ولا يستثنى من ذلك سوى ميدان بين القصرين ، حيث يقول بأن (أكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة لم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها في تلك . ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركنسى وحشة عظيمة حتى أخرج الى بين القصرين) . (١)

ومن الواضح أن هذا الضيق في المباني يعكس مدى تحول تلك الساحات والشوارع التي جرى تحويل الكثير منها الى مواضع تفص بالمباني والمنشآت المختلفة الانواع ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبي ، حيث أخذت المباني من أدر ومنشآت بأنواعها المختلفة تظهر على حساب الساحات وأطراف الشوارع الفسيحة ، لتأخذ المدينة بالضيق وتتصف بالازدحام ، فقد أخذت المباني تحيط بأسوار القصر الشرقي الكبير (٢) حيث أقيمت المنشآت على الشوارع والساحات المحيطة به . فالمصادر عندما تتحدث عن هذه الساحات تذكر أن البناء عليها قد حدث بعد القضاء على الدولة الفاطمية . فميدان بين القصرين لم يتحول الى سوق وخط ، الا بعد القضاء على الدولة الفاطمية (٣) فأخذت

(١) ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة ، ص ٢٤ .

(٢) Suzan Jane Staffa , Conquest and Fasion, p.101 .

(٣) المقرئى ، الخطط ج ٢ / ٢٨ . الخاصكى ، التحفة الفاخرة لوحة ٣٤ . البكرى ، قطف الازهار ، لوحة ١١١ ، مؤلف مجهول تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٣٢ .

المباني تظهر على اراضيها كما يشير الى ذلك الطوير أثناء حديثه عن موسم أول العام ^(١) ، الذي كانت بعض مراسيم استقباله تجري في هذا الميدان في العصر الفاطمي ، فهو يذكر بأن هذا الميدان (.. كان براحا واسعا خاليا من البناء الذي فيه اليوم ..) ^(٢) كما أنه يورد الشيء نفسه أثناء حديثه عن بعض المراسيم التي كانت تتم في " المنحر " . ما يدل على أن البناء عليه قد ظهر منذ تلك الفترة ^(٣) . وكذلك كان الحال بالنسبة لرحبه قصر الشوك التي ظلت : (.. باقية الى ان خرب القصر بفناء اهله فاخبط الناس فيها شيئا بعد شيء ..) ^(٤) . أما رحبة الجامع الأزهر فانها ظلت باقية الى عصر الدولة الأيوبية فأخذ الناس في العمارة بها ^(٥) ، فبنوا/العديد من المنشآت والمباني ^(٦) . الا أن الساحات المحيطة بالقصر الشرقي الكبير لم يشملها البناء جميعا . فلقد قدر لرحبة باب العيد ان تنجو من ذلك وتظل خالية من البناء الى ما بعد نهاية القرن السادس (١١٢ هـ / ١١٢ م) حيث جرى البناء عليها بعد ذلك ^(٧) ومن الواضح أن السبب في ذلك يعود الى مجاورتها لدار

(١) عن موسم أول العام ، انظر ص : ١٦٣ ، هامش (١)

(٢) نقلا عن المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ٤٤٨ .

(٣) المقرئ ، م . س ، ج ١ / ٤٣٧ ، وعن المراسيم التي تتم في المنحر

انظر ص : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٤) المقرئ ، م . س ، ج ٢ / ٤٧ .

(٥) المقرئ ، م . س ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ٢٥٥

عبد الرحمن زكي ، الأزهر ، ص ٩٩ .

(٦) عبد الرحمن زكي ، م . س .

(٧) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٣ .

الوزارة الكبرى^(١) ، التي تحولت الى دار للسلطنة في عصر صلاح الدين الايوبي^(٢) ، وذلك أدى الى منع الاعتداء عليها . وكما احاطت المباني بالقصر الكبير وتقدمت نحوه فانها اخذت تحيط بالقصر الغربي الصغير ، حيث جرى استغلال ميدانه في تلك الفترة ، حيث بنى عليه في عام (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) اصطبلات^(٣) ودويرات بالخرشفت^(٤) . وعلى الرغم من ان القلقشندى يذكر بأن البناء على هذا الميدان قد تم بعد سنة (٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م)^(٥) ، فان من المؤكد ان ما حدث بعد تلك السنة هو بناء الأدر والطواحين في موضع الاصطبلات ، كما يشير الى ذلك ابن عبد الظاهر^(٦) . في حين كانت بداية البناء على هذا الميدان منذ عهد صلاح الدين الايوبي . فلا شك في أن الأتراك الذين اسكنهم صلاح الدين في القصر الغربي^(٧) ، قد استفادوا من هذا الميدان ببناء الاصطبلات ، والأدر الصغيرة عليه . كما تذكر بعض المصادر أنه لما زالت الدولة الفاطمية تعطل هذا الميدان وبقي الى (. . أن بنى به الفزاصطبلات بالخرشفت ثم حكر وبنى فيه فصار من اخطاط القاهرة)^(٨) . خاصة اذا ما علمنا بأن هذا الميدان كان يعتبر من جملة القصر الغربي^(٩) .

(١) المقرئى ، الخطط ، ج١ / ٣٦٣ .

(٢) ص : ٢٨٣ .

(٣) احمد فكرى ، مساجد القاهرة ، ج٢ / ص ١٥٠ .

(٤) المقرئى ، م . س ، ج٢ / ٢٨٠ . وعن الخرشف انظر ص : ٣٧٢ هامش (٥) +

(٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٣ / ٣٥٢ .

(٦) نقلا عن المقرئى ، م . س ، ج٢ / ٢٧٢ - ٢٨٠ .

(٧) المقرئى ، م . س ، ج٢ / ٢٣٣ . احمد فكرى ، م . س ، ج٢ / ١٥٠ .

(٨) المقرئى ، م . س ، ج٢ / ١٩٧ .

(٩) المقرئى ، م . س ، ج١ / ٤٥٧ ، ج٢ / ٧٠ .

ولا شك في أن بقية الساحات التي كانت في المدينة قد تعرضت بشكل أو بآخر للاستغلال الانشائي في تلك الفترة ، فأخذت الباني تعلو الساحات الواقعة بالقرب من الأبواب ، فمن الواضح ان سوق بهاء الدين ^(١) الذى ظهر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ^(٢) قد بني على ساحة واقعة بالقرب من باب الفتوح ^(٣) . حيث يقع هذا السوق ^(٤) . كما أن قيسارية القاضي الفاضل ^(٥) . قد بنيت على ساحة تقع بالقرب من باب زويلة ^(٦) ، حيث كانت هذه القيسارية تقع على يمين الداخل من هذا الباب ^(٧) . ولا شك في أن مثل هذه التغيرات العمرانية قد شملت بقية الساحات الواقعة بالقرب من الأبواب ، باستثناء رحبة

-
- (١) نسبة لبهاء الدين قراقوش الذى سكن بالقرب من هذا السوق في الحارة التي تعرف باسمه ، انظر ص : ٤٢٦ .
- (٢) ص : ٤٢٦ .
- (٣) هذا الباب هو الذى بناه بدر الجمالي (٤٤٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٩٤ م) عام (٤٨٠ هـ / ١٠٩٢ م) بدلا من القديم في مشروع توسعة القاهرة . ولا يزال موجودا حتى الآن . للمزيد انظر : المقرئى : الخطط ، ج ١ / ٣٨٠ ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ١٣٠ ، احمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج ١ / ٢٣ ، ٢٧٠ .
- (٤) انظر خريطة رقم (١٠) .
- (٥) هذه القيسارية تنسب للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وزير صلاح الدين عنها انظر ص : ٤٩٦ .
- (٦) وهذا الباب من بناء بدر الجمالي (٤٤٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م) بدلا من القديم في مشروع توسعة القاهرة بناء في عام (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) ولا يزال موجودا حتى الآن . للمزيد انظر المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٣٨١ ، على باشا مبارك ، م.س ج ٢ / ١٩٥ ، احمد فكري ، م.س ، ج ١ / ٢٣ ، ٢٥٠ .
- (٧) المقرئى ، م.س ، ج ١ / ٨٩ ، على باشا مبارك ، م.س ، ج ٢ / ١٣١ .

الجامع الجامكى التي تقع بالقرب من باب القصر^(١) ، والتي يبدو أن
البناء عليها قد تأخر الى ما بعد القرن السادس (٦ هـ / ١٢ م) وذلك^(٢)
بسبب قربها من دار السلطنة اذفالى ذلك فان الساحات التي كانت
تقع بين الحارات أوفي داخلها . قد شملتها أوجه التغيير العمراني
وذلك باقامة الجاني عليها ، اوعلى اجزاء منها . اذ لا شك فسي أن
الاصطبلات التي اقيم في مواضعها منشآت قيساريته الشرب^(٤) وابن
قريش^(٥) ، كانتا جزءا من ساحة من هذه الساحات^(٦) . وعلى الرغم
من استغلال مواضع هذه الساحات لغرض بناء المنشآت يمكن ملاحظته
ابتداء من أواخر العصر الفاطمي كما هو الحال بالنسبة لحارة الريحانية
والوزيرية^(٧) ، والتي اختطت على احدى هذه الساحات^(٨) . غير أن
من الواضح ان ذلك لم يكن سوى وضعاً شاذاً ، حدث في اواخر العصر
الفاطمي حيث تردت أوضاع السلطة المركزية^(٩) . في حين أن استغلال

-
- (١) ص : ٣٧٣ .
(٢) المقرئى ، الخطط ، ج ٢ / ٥٠ .
(٣) خريطة رقم (١٠) .
(٤) بنى هذه القيسارية صلاح الدين الأيوبي ، وجعلها وقفا على صوفيه
فنفاه سعيد السعداء . انظر ص : ٩٥
(٥) بنى هذه القيسارية القاضي المرتضى بن قرئش في عهد الناصر
صلاح الدين ، انظر ص : ٩٥
(٦) المقرئى ، م ٠ س ، ج ٢ / ٨٦ .
(٧) عن هذه الحارة انظر ص : ٣٧٥ ، هامش (١) .
(٨) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٣ / ٣٥٢ .
(٩) يلاحظ بأن هذه الحارة تقع ضمن المنطقة التي جرت فيها توسعة
بدر الجمالي ما يدل على أن الساحة كانت موجودة في عهد هذا

هذه الساحات لغرض البناء عليها ، كان امرا مقصودا ومخططا له في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . يدل عليه استغلال اغلبيتها في ذلك الشأن كما سبق ان شاهدنا . ولم يكن البناء على تلك الساحات قاصرا على تلك التي تقع داخل السور بمل شمل أيضا تلك التي تقع خارج أسوار القاهرة أيضا . مثل ميدان باب الفتوح . فمن ذلك ان خط خان السبيل ^(١) الذي ظهر في تلك الفترة ^(٢) . فلقد اقيم على اراضي الميدان المذكور . نظرا لقرب موضع هذا الخط من الباب الذي يقع الميدان امامه . ^(٣) حيث يشير السخاوي الى قرب هذا الخط من خط بستان ابن صيرم ^(٤) ^(٥) الذي يقع الى جوار باب الفتوح

- ====
- الوزير ، ولعلها ظلت الى ما بعد ذلك لفترة طويلة الى قبيل نهاية حكم الفاطميين . انظر المقرئ : الخطط ج ٢ / ص ٢ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٢ . وعن توسعة بدر الجمالي انظر عبد الرحمن زكي ، القاهرة ، ص ١٤ - ١٥ . فتحي الحديدي ، القاهرة ، ص ٢٣ - ٤٤ .
- (١) نسبة لخان السبيل بناء الأمير بهاء الدين قراقوش للمسافرين بغير أجره ، مؤلف مجهول ، م. س ورقة ٤٢ .
- (٢) ص : ٤٩٣ - ٤٩٤ .
- (٣) عن موقع هذا الميدان انظر ص : ٣٧٦ .
- (٤) السخاوي ، تحفة الأحاب ص ٢٢ ، وهذا مخالف لما يذكره على باشا الذي يجعل موقع هذا الخط هو المباني والبساتين الواقعة على الطريق المؤدية للمرداش . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٢ / ٦٥ . وما ذكره السخاوي هو الاثبت لأنه أقدم تاريخيا .
- (٥) كان موقع هذا الخط بستانا لأحد قادة الفاطميين ثم استولى عليه أحد أمراء الملك الكامل الأيوبي يدعى جمال الدين بن صيرم فعرف به بعد ان ذكر واختط بالمباني ، انظر المقرئ ، م. س ، ج ٢ / ٣٦ .

على يمين الخارج منه ^(١) . أما بالنسبة لما تذكره بعض المصادر المتأخرة من أن هذا الخط يقع ضمن حارة الحسينية ^(٢) ، فإن من الواضح أنها بذلك تعكس تطورات في أوضاع الحارة نفسها حيث توسعت العمارة فيها في العصر المماليكي . فامتدت من الريدانية ^(٣) الى باب الفتوح ^(٤) . فأصبح هذا الخط من جملتها . في حين انه من المؤكد أن ميدان باب الفتوح كان في العصر الفاطمي يفصل فيما بين باب الفتوح والحارة ، المذكورة ، وعليه فإن ما تذكره المصادر أثناء حديثها عن نشأة هذه الحارة في العصر الفاطمي بأنها قد بنيت (. . خارج باب الفتوح . .) ^(٥) ، لا يعني بالضرورة مجاورتها لهذا الباب .

وكما كان لاستغلال الساحات واقامة المباني والمنشآت عليها دورا في ضيق القاهرة الفاطمية فإن من الواضح ان المباني قد أخذت تتقدم على حساب الشوارع أيضا ، فأدى ذلك الى أن تصبح الشوارع في

(١) يدل على ذلك موقع الخط في الوقت الحاضر الذي يدل عليه شارع البنهاوى الذى يقع على يمين الخارج من هذا الباب انظر على باشا مبارك ، م.س ، ج٣ / ١١٩ وانظر أيضا خريطة رقم (٣٦)

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ٣٦ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ / ٣٥٦ .
 (٣) موضع شمالي القاهرة كان بستانا لريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله العبيدي (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٦ هـ) .
 قتله في سنة (٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) ولقد عرفت في العصر الحديث بالعباسية للمزيد انظر المقرئى : م.س ، ج٢ / ١٣٩ ، على باشا مبارك ، م.س ، ج٢ / ٦٤ .

(٤) المقرئى ، م.س ، ج١ / ٣٦٥ .

(٥) المقرئى ، م.س ، ج٣ / ١١١ .

العصر الأيوبي شديدة الضيق كما سبق ان أشرنا ^(١) . بل ان هذه الظاهرة لم يسلم منها شارع القصبة رغم أهميته ^(٢) . حيث أخذت الحوانيت والأسواق تتقدم على أراضيها ، ففي اوائل عام (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) ركـب السلطان العزيز عثمان ^(٣) بن صلاح الدين ، للصيـد بالجيزة (٥٠٠ مـر بباب زويلة . فأنكر بروز مصاطب الحوانيت في الأسواق ورسم بهـمها) ^(٤) .

لم يكن النشاط العمراني في عهد صلاح الدين الأيوبي في المناطق الخالية من البناء ، عند ساحات القاهرة الفاطمية وأطراف شوارعها . بل تجاوز ذلك الى الكثير من المناطق التي لم يكن قد وصل اليها البناء سابقا او كان فيها قليلا ، حيث أخذت الحركة العمرانية بالاندفاع نحو هذه الأماكن لتشغل مساحات واسعة منها . ولقد أسهمت مشروعات صلاح الدين العمرانية سواء ما كان منها بغرض الدفاع عن المدينة كانشاء السور والقلعة ، أو إقامة المنشآت الأخرى كالمدارس . كلها قد أسهمت في إتاحة مزيد من الفرص لأن يلج النشاط العمراني الى مواضع لم تكن

(١) ص : ٣٧٨ .

(٢) هذا الشارع كان يمتد فيما بين باب الفتوح وباب زويلة انظر

ص : ٤٢٠ .

(٣) هو الملك العزيز عثمان بن الناصر صلاح الدين (٥٨٩ - ٥٩٦ هـ / ١١٩٣ - ١١٩٩ م) ملك مصر بعد أبيه وهو ثاني سلاطين بني أيوب في مصر توفي وهو يتصيد بالقيوم . عنه انظر : أبوشامة الذيل على الروضتين ، ص ١٦ . ابن دقماق ، الجواهر الثمين ،

ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) المقرئى ، السلوك ج ١ / ق ١ / ص ١٢٠ .

تعرف هذا النشاط من قبل . فالى الغرب من القاهرة وتحديدًا غربي خليجها، امتدت المباني فيما بين الساحل والمدينة . وينقل المقرئ عن العماد الاصفهاني اثناء حديثه عن حوادث سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) ما يفيد بأن امتداد سور صلاح الدين الى الساحل من هذه الناحية ،^(١) قد أدى الى اتصال العمران فيما بين المقس^(٢) والقاهرة ، حيث يقول :
(وجلس الملك الكامل^(٣) محمد بن السلطان العادل^(٤) ابي بكر ابن أيوب في البرج الذي بجوار جامع المقس في السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسائة . . . وهو المكان الذي قسمت فيه الفنائم عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بإدارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الأُمير بهاء الدين قراقوش^(٥) وجعل نهايته التي تلي القاهرة . عند المقسم ، وبنى فيه برجًا مشرفًا على النيل وبنى مسجدًا جامعًا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمع والجماعات . . .)^(٦) ومن الواضح ان اتصال العمارة هذا قد تم عن طريق البناء على اجزاء من بركة بطن المقبرة^(٧) . التي كانت تفصل فيما بين المقس والقاهرة

-
- مد
- (١) عن/السور الى هذه المنطقة انظر ص : ٤٨٧-٤٨٨ .
- (٢) عن المقس انظر ص : ٨٤ هامش (٢) .
- (٣) عنه انظر ص : ٨٨ هامش (٣) .
- (٤) عنه انظر ص : ٢٣٠ هامش (٧) .
- (٥) هوبهاء الدين قراقوش الاسدي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أحد كبار رجال الدولة الايوبية ، كان متوليًا لمشروع بناء سور القاهرة الصلاحي ، عنه انظر ابوشامة ، الذيل على لروستين ، ص ١٩ .
- المقرئ ، الخطط ، ج ٢ / ٩٣ .
- (٦) المقرئ ، م . س ، ج ٢ / ١٢٣ .
- (٧) عن هذه البركة أنظر ص : ١١٩-١٢٠ .

في العصر الفاطمي^(١) . كذلك أخذت العمارة تنتشر على ساحل النيل
المحاذي للمدينة الكبرى . ففي عهد صلاح الدين أصبح بالامكان البناء
على ساحل المدينة دون الخوف من الفيض النهري الذي أصبح تأثيره
محصورا بالشاطيء الغربي للنيل^(٢) . مما أتاح الفرصة لأن تتقدم
المباني باتجاه شاطيء النيل الشرقي . الذي أخذت تظهر عليه
العديد من المنشآت والمباني المختلفة . فقد بنى صلاح الدين للفسطاط
بابا جديدا - باب مصر - على بعض الأراضي التي تكونت من الطرح
النهرى^(٣) . كذلك فإن ربع القاضي الفاضل المشهور بدار التمر^(٤) قد
جرى بنائه على اراض متكونة من هذا الطرح^(٥) . ومن الواضح أن العديد
من الدور قد بنيت على هذا الساحل من جهة الفسطاط في تلك الفترة ،
ففي أوائل عام (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) ، مر الملك العزيز بالله عثمان
ابن صلاح الدين ، بصناعة العمار^(٦) ، فأمر بسد طاقات الدور
المجاورة للنيل فسدت^(٧) . وكذلك كان الحال بالنسبة لشاطيء المدينة .

-
- (١) ص : ١١٩-١٢٣ وانظر أيضا خريطة رقم (٣) .
(٢) انظر في ذلك ص : ٩٦
(٣) المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ٣٤٧ ، وعن هذه الاراضي التي تكونت من
الطرح انظر ص : ٨٧ - ٩٣ .
(٤) عنه انظر ص : ٤٩٨
(٥) المقرئى ، م . س ، ج ٢ / ٧٨ - ٧٩ .
(٦) صناعة العمار هي الدار المخصصة لصناعة السفن وكانت تقع في
الفسطاط ناحية الساحل ، عنها انظر المقرئى ، م . س ج ٢ / ٩٧ .
(٧) المقرئى ، السلوك ، ج ١ / ١ / ق ١ / ص : ١٢٠ .

(١) الواقع غربي الخليج ، حيث استغلت الأراضى المتكونة من الطرح النهري
فجرى البناء عليها فقد عمر القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي
الى جانب بستانه (٢) ، جامعا وميان عرفت بمنشأة الفاضل (٣) عمرت
على أراضى تكونت من الطرح النهري (٤) . ويبدوأن الدور المشرفة
على النيل ، التي ذكرها العماد الاصفهاني ، قد بنيت على أراضى هذا
الساحل ، حيث أنه اشار الى دور مشرفه على النيل كانت لبعض الافراد
جعلوها برسم من نزل بضيافتهم ، ولتذرياتهم (٥) . بل ان العمران
تقدم في الساحل حتى شمل الجزائر التي تكونت من الطرح النهري ،
خاصة تلك التي تقع على ساحل الفسطاط . فالمصادر عندما تتحدث عن
حمام أبي الحوافر (٦) تذكر بأن موقعها كان في الاصل جزيرة انحسر
عنها ماء النيل بنى الناس عليها بعد سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) (٧) . ومن
الواضح انها تقصد بذلك عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث أصبحت

-
- (١) عن هذه الأراضى انظر ص : ٩١ .
(٢) عن بستان القاضي الفاضل انظر ص : ٤٥١ .
(٣) ابن دقماق ، الانتصار ، ق ١ / ص ١١٩ ، المقرئى ج ١ / ٣٤٥ ،
- ٣٢٦ ، ج ٢ / ٢٩٨ .
(٤) المقرئى : م . س ، ج ١ / ٣٤٥ ، ج ٢ / ١٠٩ .
(٥) ابوشامة : الروضتين ، ج ١ / ق ٢ / ٦٨٦ . البندارى ، سنا
البرق ، ص ١٢١ .
(٦) تنسب هذه الحمام الى القاضي فتح الدين ابى العباس أحمد بن
جمال الدين ابى الحوافر رئيس الأطباء بالديار المصرية توفى في
عام (٦٥٧هـ / ١٢٥٨م) ، المقرئى ، م . س ، ج ٢ / ٨٥ . مؤلف
مجهول ، م . س ، ورقة ١٠٢ .
(٧) ن . م . س .

الفرصة مواتية في عصره للبناء على مثل هذه الأراضي كما سبق أن اشرنا^(١). ولقد أدت رغبة صلاح الدين في تعمير الأراضي الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة^(٢) الى تعمير العديد من المواضع الواقعة في هذه المنطقة ، فأخذت العمائر تظهر في المنطقة الواقعة فيما بين القاهرة وقلعة الجبل على يسار الخارج من باب زويلة^(٣) . ذلك أنه منذ ان عمرت القلعة فقد أخذ الناس بالبناء شيئاً فشيئاً في هذه المنطقة^(٤) . كذلك بنيت آلاف المنازل من جهة الفسطاط ، ففي عام (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ما ان شرع في بناء سور القاهرة حتى اندفع الناس ، خاصة الفقراء منهم الى البناء في هذه المنطقة ان (. . لم يبق لفقير ولا ضعيف الا خط فيه ساحة من درب الصفا^(٥) الى المشهد النفيس^(٦) . واتصلت العمارة ————— بخط

-
- (١) ص : ٩٣ - ٩٧ .
 (٢) ص : ٣٠٢ .
 (٣) انظر خريطة رقم (٩) .
 (٤) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ١٣٦ ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة : ١٦٥ .
 (٥) درب الصفا ، او خط الصفا يذكر المقرئى بأنه قد دثر في عهده وكان باب الفسطاط الرئيسي يقع على هذا الدرب ، المقرئى ، م . س ج١ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، وعن موقع هذا الدرب انظر ، خريطة رقم (١٢) نقل عن : Casanova , Paul , de Constitution, plan 1.
 (٦) هذا المشهد مشهور في مكانه في شارع السيدة نفيسة ، ينسب الى نفيسة بنت الحسين رضي الله عنه . انظر على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢ / ١٩٠ - ١٩١ .

- الخليج (١) الى درب ملوخيا (٢) بمصر حتى بين الكومين (٣) .
 وجوار جامع ابن طولون والكبش (٤) . فعمراً أكثر من خمسة آلاف موضع
 بشفاف الغنز (٥) والخرشف (٦) وتراب الأرض . وتحول الناس
 لجهة جامع ابن طولون والبركة (٧) وجانب القلعة (٨) .

-
- (١) هذا الخط من جملة اخطاط الحمراء القصوى ، ويقع على خليج
 القاهرة ، ابن دقماق ، الانتصار ، ق ٢ / ص ٤١ ، ويبدو أن شارع
 السيدة زينب الذى ذكره على باشا في خطه من جملة هذا
 الخط . انظر على باشا مبارك ، م.س ، ج ٣ / ١٠٥ - ١٠٦ .
- (٢) لم تورد المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها ذكرها أو تحديدا
 لهذا الدرب .
- (٣) لم يحدد أى الكومين يقصد والاكوام في الفسطاط كثير ، انظر
 ابن دقماق ، م.س ، ق ١ / ص ٥٢ - ٥٣ .
- (٤) الكبش هو جبل بجوار يشكر فيما بين القاهرة والفسطاط . وكان من
 جملة الحمراء القصوى . المقرئى ، الخط ج ١ / ١٢٥ .
- (٥) القفز : هو الخزف ، المقرئى ، السلوك ج ١ / ق ١ / ص ٩١ هامش (١)
- (٦) هو مادة الا صروميل المتخلفة من حرق الازبال في مواقد الحمامات
 انظر ص ٣٧٢ هامش (٥) .
- (٧) لم يحدد أى بركة وان كان يوجد بين الفسطاط والقاهرة بركتان
 هما بركة قارون والفيل . لعله يقصد بركة قارون لأنها أقرب
 للفسطاط انظر ص ١١٨ - ١١٩ خريطة رقم (<) .
- (٨) المقرئى م.س ، ج ١ / ١٨٥ / ٩٠ - ٩١ ، انظر خريطة رقم (٩) .

كذلك أخذت جزيرة الروضة بالتحول الى منطقة سكنية بعدما كانت موضع
 نزهة مخصص للخلفاء الفاطميين ووزرائهم ^(١) . فقد خصصت في عهد
 الناصر صلاح الدين الأيوبي لتكون مقرا لحدى أكبر فرقة بالجيش الأيوبي،
 علاوة على سكنى عامة الناس فيها كما يشير بذلك ابن جبير ^(٢) . وبالإضافة
 الى المواضع سابقة الذكر ، فلقد أخذ العمران بالتزايد في مواضع أخرى
 من القاهرة الكبرى . فقد تزايد العمران بالقرافة ، حيث تذكر المصادر
 بأنه عندما عمر الناصر صلاح الدين مدرسته ^(٣) المجاورة لقبر الامام
 الشافعي رضي الله عنه ، تزايدت سكنى الناس بالقرافة في هذه الناحية،
 فأضحت مأوى للغرباء والعلماء والمتصوفة . الذين يحرصون برعاية الناصر
 صلاح الدين واهتمامه، ^(٤) علاوة على تحولها الى موضع نزهة ، يحوى
 العديد من القصور والمناظر التي ابتناها أعيان الفسطاط والقاهرة. ^(٥)

ولقد أدى هذا النشاط العمراني الى ظهور العديد من الأحياء
 الجديدة التي أشارت المصادر الى بعضها وأفاضت بالحديث عنها ، وعلى
 الأخص تلك التي تقع في القاهرة . فعلى ميدان بين القصرين ظهر

(١) ص : ٣١٣ هامش (١) .

(٢) Janet Abu Loghd , Cairo , p. 30.

(٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩ .

(٤) عن هذه المدرسة انظر ص : ٧٨ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ٢ / ٢٩٦ .

(٦) ابن جبير ، م . س ، ص ٢٤ .

(٧) ص : ٤٤٦ .

خط يحمل نفس الاسم ذلك أنه قد عرف بخط بين القصرين ^(١) ، وقد
تركز فيه أهم أسواق القاهرة ومنتزهاتها ^(٢) . أما المنحر ، فلقد قام
على أرضه الحي السكنى الذى عرف بالدرب الأصفر ^(٣) . في حين
أن أراضي ميدان باب الفتوح قد اقيم عليه خط خان السبيل ^(٤) الذى
ظهر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فالصادر تربط بين هذا
الخط وخان السبيل ^(٥) الذى بني في تلك الأثناء ^(٦) . ومن

-
- (١) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ٢٨ ، الخاصكى ، التحفة الفاخرة ،
لوحة : ٣٤ . البكرى ، قطف الأزهار ، لوحة : ١١١ ، ويعرف
موقع هذا الحي الآن بالنحاسيين . على باشا مبارك ، الخطط
التوفيقية ج٢ / ٩١ . فتحي الحيدى ، القاهرة ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
- (٢) ص ، ص : ٤٢٨ - ٤٢٩ ، ٤٤٤ .
- (٣) المقرئى ، م.س ، ج١ / ٤٣٦ ، ج٢ / ٤٤ ، الخاصكى ، م.س ،
لوحة ٥٣ . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٥١ .
ولا يزال يعرف بهذا الاسم حتى الوقت الحاضر . على باشا مبارك
م.س ، ج٢ / ٢١٥ .
- (٤) ص : ٣٨٣ - ٣٨٤ .
- (٥) المقرئى ، م.س ، ج٢ / ٣٦ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٣ / ٣٥٦
مؤلف مجهول ، م.س ، ورقة ٤٢ ، وما أن خان السبيل يبدل
عليه جامع البيومي ، انظر ص : ٤٩٤ هامش (<) ،
فمن الواضح ان هذا الخط كان يشمل في تلك الفترة مجموعة
الشوارع الممتدة من هذا الجامع الى باب الفتوح . وهي تشمل :
شارع البيومي ، شارع الخواص ، شارع أبي قشة .
انظر : على باشا مبارك ، م.س . ج٢ / ٧٠ - ٧٥ .
- (٦) ص : ٤٩٣ - ٤٩٤ .

المؤء كد ان البناء على اطراف الشوارع الفسيحة ، قد أدى الى ظهور العديد من الأحياء - كالخطط - نوع خط - والدروب ، والأزقة^(١) فمن المؤء كد أن البناء بجانب أسوار القصر الشرقي الكبير ، قد ترتب عنه ظهور عدد من الأحياء في الشوارع التي تحيط بهذا القصر . فمن الواضح ان ظهور خط باب الزهومة^(٢) كان في تلك الفترة ، وهو خط ظهر في الشارع الذي يفصل سور القصر والمخازن الواقعة الى الجنوب منه ،^(٣) كما تشير الى ذلك التوقيعات على الخرائط .^(٤) كما أن هذا الفتوجه في البناء قد أدى الى ظهور درب المقدم ، الذي يقع في الطريق الفاصل بين خزانة البنور^(٥) وسور القصر^(٦) . أما بالنسبة للمناطق الأخرى فلا شك في أن اتصال المقس بالقاهرة ، في تلك الفترة

- (١) لاحظ ما سبق أن ذكرناه من ان الخط والدرب والزقاق تدل على طرق عرضها أقل من الشارع .
- (٢) المقریزی ، المخطط ، ج٢ / ٣٥ ، وباب الزهومة هو أحد ابواب القصر الشرقي الكبير كانت تدخل منه موائد الطعام من مطبخ القصرين فسمى بالزهومة نسبة للزفر . المقریزی ، م.س ، ج١ / ٤٣٥ . ويدل على موقع هذا الباب الآن الحوانيت الواقعة في أول شارع خان الخليلي على يسار الداخل الى هذا الشارع من جهة شارع الغمصانجية من شارع بين القصرين . ان مدخل شارع خان الخليلي من هذه الجهة يدل على هذا الخط . انظر : محمد رمزي ، التعليقات في النجوم الزاهرة ، ج٤ / ص ٣٦ ، هامش (٢) ، عبد الرحمن زكي ، القاهرة ، ص ١٨ . هامش (١) .
- (٣) عن موضع هذه الخزائن انظر ص ٣٥٨ هامش (١)
- (٤) انظر خريطة رقم (٣٧) .
- (٥) عن هذه الخزانة انظر ص ٣٦٨ و هامش (١)
- (٦) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج٢ / ٢٢٤ .
- (٧) ص : ٣٨٦ .

قد أدى الى تحوله الى خطه تتبع القاهرة الكبرى. (١) وتشير المصادر الى عدد من الاحياء التي ظهرت على اراضي شاطيء النيل الشرقي فهناك خط الساحل القديم (٢) الذى يقع على مدخله الشمالي باب مصر (٣) ، الذى بناه صلاح الدين الايوبي (٤) . كما أن البناء فيما بين مصر والقاهرة ، قد أدى الى ظهور العديد من الأحياء الجديدة مثل خط الكباش (٥) وخط الجامع الطولوني (٦) ، وخط المشهد النفيس، (٧) وغيرها من الخطط والاحياء. (٨)

-
- (١) المقرئى ، الخطط ، ج٢ / ١٢٤ . مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ١٤١ . ومن الواضح ان المقس لم يكن في عهد الناصر صلاح الدين ويختلف كثيرا عن وضعه في العصر المماليكي اى انه يشغل المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع الطلبة والتمكى والطواشى وبين الحارات ، ومن الشرق شارع الخليج المصرى ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ودرب القطه وشارع الفوطيه وشارع سوق الزلط وشارع الخراطين ومن الغرب شارع الملكة نازلي وميدان باب الحديد وشارع عماد الدين . انظر : محمد رمزي ، التعليقات في النجوم الزاهرة ، ج٤ / ٥٣ - ٥٤ ، هامش (٧) .
- (٢) عن موقع الساحل القديم انظر خريطة رقم (١٢) نقلا عن : Casanova, Paul, de Constitution , plan 1.
- (٣) ابن دقاق ، الانتصار ، ق٢ / ص : ٤٠ .
- (٤) عن هذا الباب انظر ص : ٣٨٧ .
- (٥) سبق الاشارة الى جبل الكباش . ويدل عليه شارع قلعة الكباش . انظر على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج٢ / ٣١٦ .
- (٦) يدل على هذا الخط شارع طولون الذى يقع فيه جامع ابن طولون المشهور ، انظر : على باشا مبارك ، م.س ، ج٢ / ٣٠٨ . ٣٠٩ .
- (٧) يدل عليه شارع السيدة نفيسة وحارتها ، انظر ، على باشا مبارك ، م.س ، ج٢ / ١٨٩ - ١٩٢ .
- (٨) المقرئى ، م.س ، ج٢ / ١١١ .

ثانيا : اعادة عمارة الأحياء المنتشرة :

لم يقتصر أثر النشاط العمراني في القاهرة الكبرى في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي على ظهور أحياء جديدة فحسب بل تجاوز ذلك فأخذ أثره يظهر في اعادة عمادة بعض الأحياء التي كادت أن تندثر في أواخر العصر الفاطمي . ففي الفسطاط التي خربت غالب مبانيها وتعرض للتلف والخراب^(١) ، اخذت العمارة تظهر بها من جديد حيث أخذ أهلها في اصلاح بعض اجزائها القديمة^(٢) . فأعيدت عمارة المناطق المحيطة بالجامع^(٣) ، حيث يذكر ابن جبير بأنه عندما قدم الى الفسطاط نزل بفندق في زقاق القناديل^(٤) ، وهو حي من أحياء الفسطاط القديمة أشاد به المقدسي^(٥) ، وذكره المسبحي^(٦) . ومن المرجح ان تكون قد اعيدت عمارة المحلات التي تعرضت للتلف أثناء ثورة العبيد (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م)^(٧) . التي دارت رحاها في داخل القاهرة فيما بين قوات صلاح الدين الأيوبي وطوائف العبيد السوداني في المنطقة الواقعة فيما بين القصرين وصولا الى باب زويلة^(٨) ذلك

(١) ص : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج١ / ٢ ق / ٤٣٥ .

(٣) المقرئى ، الخطط ، ج١ / ص ٣٣٩ .

(٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٩٠ . وهذا الزقاق يقع الى مواجهة الضلع

الشمالي الشرقي لجامع عمر بن العاص :

Casanova, Paul , de Reconstitution, p.2

(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٩ .

(٦) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٩ .

(٧) عن هذه الثورة انظر ص : ٢١٤ - ٢١٥ .

(٨) المقرئى ، م . س ، ج٢ / ٢ - ٣ .

انه كلما تراجع العبيد الى محله من المحلات كان يجرى احراقها عليهم. (١)
 مما يشير الى تعرض العديد من المحلات الى التلف والتخريب . ولا شك
 في أنه اعيدت عمارتها واصلاحها بعد ان استقرت الامور، كذلك أعيدت
 عمارة بعض الأحياء الواقعة جنوبي باب زويلة ، التي كانت تقع على
 جانبي الطريق المؤدى الى الفسطاط. (٢) يدل على ذلك ما يذكر المنذرى
 أثناء حديثه عن تراجع بعض المحدثين الذين كانوا يقطنون في هذه
 المنطقة . فهو أثناء حديثه عن أبي محمد عبد الملك بن سعيد النابلسي
 المتوفى عام (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) وعن أبي المرجى سالم بن مسمار
 البلبيسي والمتوفى في نفس العام وعن أبي القاسم خلف بن رافع
 المسكى المتوفى عام (٥٨٦ هـ / ١١٩٨ م) يذكر بأن المذكورين ينسبون
 الى الشارع الواقع في ظاهر القاهرة الجنوبي ، فهم قد عرفوا "بالشارعي"
 نظرا لسكنائهم فيه ، وهو أمر يدل على عودة النشاط السكني الى هذه
 المنطقة وعلى إعادة عمارة أحيائها القديمة . وهو ما يتأكد ايضا مما أورده ياقوت
 أثناء حديثه عن حارة حلب التي يذكر بأنها محلة تقع فيما بين الفسطاط
 والقاهرة شا هدها أكثر من مرة. (٤) ومن المعروف أن هذه الحارة هي من

-
- (١) ابوشامة ، الروضتين ، ج١/ق٢ / ص ٤٥١ ، ابن واصل ، مفرج
 الكروب ، ج١/ص ١٧٦ . البندارى ، سنا البرق ، ص ٤٤ .
 (٢) ص : ٣١٩ .
 (٣) عن ذلك وعن تراجع هؤلاء انظر المنذرى ، التكملة ج١/٧٣ ،
 ٧٧ ، ١٣٠٠ .
 (٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١/ ٢٩٠ . وانظر أيضا : عبد العال
 الشامي ، مدن مصر وقراها ، ص ٣٦ . ويذكر على باشا : أن موضع
 هذه الحارة يدل عليه في عصره عطفة مراد بك . انظر على
 باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢/ ١٤٧ . وانظر أيضا خريطة
 رقم (٩) .

(١) حارات الاجناد الفاطميين التي كانت موجودة في ظاهر القاهرة الجنوبي لذلك فمن المؤكد أن بعض أحياء الاجناد التي كانت تقع في هذه المنطقة (٢) قد أعيدت عمارتها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . بعدما تعرضت للحرق والتلف في ثورة العبيد (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) . ان من المؤكد أن محلة المنصورية التي تذكر المصادر المعاصرة بأنه قد جرى احراقها من قبل قوات صلاح الدين الأيوبي (٣) . انما يقصد به جميع المنطقة السكنية (٤) وليس مجرد تلك المنشآت التي تقع على يمين الخارج من باب زويلة كما يذكر المقرئ (٥) . فعلى الرغم من أن هناك

-
- (١) المقرئ ، الخطة ج٢/٢٣ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٣/ ٣٥٩ . على باشا مبارك ، ن.م.س.
- (٢) حسبما تذكر المصادر فإنه كان يوجد في العصر الفاطمي عدد من حارات الاجناد جنوبي باب زويلة منها البانسية والمصامدة ، والحبانية وغيرها من الحارات. انظر : المقرئ ، ن.م.س ، ج٢/ ٢١ ، ٢٤ - ٢٥ ، القلقشندى ، ن.م.س ، مؤلف ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٢٣ .
- (٣) لقد تم هذا الاجراء من قبل قوات صلاح الدين لتثبيط عزائم الثوار ، حيث كانت المنصورية مساكنهم وفيها الحرم والولد . انظر في ذلك ما يرد عن العماد الاصفهاني وابن الاثير وابن واصل في هذا الصدد ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ / ١٠٣ . أبو شامة ، الروضتين ، ج١/ ١ق/٢ / ٤٥٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج١/ ١٧٦ .
- (٤) انظر هامش (٢) .
- (٥) المقرئ ، الخطط ، ج٢/ ١٩ ، ونا على هذا التحديد فان على باشا يضع موضع هذه الحارة ، في موضع حارة القربية في شارع القربية . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤ .

حارة تعرف بالمنصورية كانت تقع في هذه المنطقة ، الا أنها من الواضح ان المنصورية ، لفظ كان يطلق على جميع الحارات الواقعة في ظاهر القاهرة الجنوبي في تلك الاثناء حيث جرت العادة في العصر الفاطمي على ان يطلق على جميع الاحياء الواقعة في ظاهر القاهرة اسم علم واحد . فالحسينية الواقعة في الظاهر الشمالي للقاهرة ، كانت عبارة عن مجموعة من الحارات كما يذكر ابن عبد الظاهر .^(١) لذلك فمن المرجح أن يكون السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي سمح بتحويل بعض المواضع السكنية التي جرى احراقها في هذه المنطقة الى بساتين^(٢) قد سمح أيضا باعادة عمارة مواضع اخرى منها ليعود اليها النشاط السكني .

ثالثا : اختفاء بعض الأحياء :

ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها احياء القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي اختفاء بعض الأحياء السكنية حيث اختفت في عهده بعض المناطق السكنية بشكل كامل ، لتأخذ وجهها عمرانيا آخر يختلف عما كانت عليه في السابق . فرغبة السلطان الناصر صلاح الدين في تحويل المناطق الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة والواقعة على يمين الخارج من باب زويلة (الناحية الغربية للشارع الأعظم) الى بساتين .^(٣)

(١) نقلا عن القلقشندي ، صبح الاعشى ج٣ / ٣٥٥ . ولا تزال هذه

الحارة معروفة حتى الان بشارع الحسينية . عنها انظر : على

باشا مبارك ، م.س ، ج٢ / ٦١ - ٦٢ .

(٢) انظر مايلي .

(٣) انظر خريطة رقم (١٥) .

قد أدى الى تحويل حارات الاجناد الفاطميين الموجودة في هذه المنطقة الى بساتين ، كما تشير الى ذلك المصادر أثناء حديثها عن حارة المنصورية الواقعة في هذه المنطقة ^(١) . حيث هدمت أنقاضها وحرثت أراضيها ، واتخذ فيها بعض امراء الدولة الصلاحية بساتين لهم. ^(٢) ومن المؤكد أن ما حدث لحارة المنصورية ، قد حدث لحارة الحبانية أيضا التي كانت من حارات الاجناد الفاطميين. ^(٣) والتي تقع في هذه المنطقة على شاطئ بركة الفيل. ^(٤) الى الغرب من المنصورية. ^(٥) فما لا شك فيه ان بستان الحبانية ^(٦) الذى أوقفه صلاح الدين على خنكاه سعيد السعداء ، ^(٧)

-
- (١) انظر الصفحة السابقة والتي قبلها .
- (٢) أبوشامة ، الروضتين ، ج١/٢ ق ٤٥٢ . ابن واصل ، مفرج الكروب ج١/١٦٨ . وينقل المقرئ عن ابن عبد الظاهر ان الذى حولها الى بستان هو الأمير صارم الدين فطلبا . المقرئ ، الخطط ج٢/١٩ ، والراجع ان ابن عبد الظاهر يقصد بذلك موضع الحارة المنصورية ، بينما ما يرد عند أبوشامة وابن واصل هو اشارة الى مجموعة الحارات التي تقع في هذه المنطقة وتحمل نفس الاسم كما سبق أن ذكرنا .
- (٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ج٣/٣٥٩ .
- (٤) عن هذه البركة وموضعها انظر ص ١١٨-١١٩ .
- (٥) يدل على ذلك موقع الحارة حديثا الذى يدل عليه شارع الحمزية وشارع الحبانية على ما يظهر . انظر : على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٣/٢٣٧ ، ٢٤٥ ، وانظر خريطة رقم (٣) .
- (٦) عن هذا البستان انظر ص : ٤٤٩ .
- (٧) عن هذا الوقف وهذه الخنكاه انظر ص : ٤٨٢-٤٨٣ .

قد انشئ على انقاض هذه الحارة أو على أجزاء منها على أقل تقدير. (١)

ولم يكن اختفاء الحارات يجرى بشكل كامل على الدوام في عهد
الناصر صلاح الدين الأيوبي . فقد اختفت بعض الأحياء في تلك
الفترة اختفاء رمزيا نتيجة اختفاء مسمياتها ، فحارة الريحانية والوزيرية،
اصبحت منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي تعرف بحارة بهاء
الدين نسبة اليه (٣) الذي سكنها فنسبت اليه. (٤)
كذلك اختفت في تلك الفترة أيضا حارة الامراء الاشراف الاقارب (٥) ،

(١) يبدو أن حارة الحمزيين التي انشئت بعد سنة (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م)

قد أخذت أجزاء من هذه الحارة . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ /
١٦٠ . في حين ان البستان اسس على أجزاء أخرى حيث ظلت
بقايا موضعه اراضي حتى عهد علي باشا . انظر علي باشا مبارك
٢٤٥ / ٣ م س ج

(٢) وهذه الحارة من حارات الاجناد الفاطميين عنها انظر ص ٣٧٥
هامش (١) .

(٣) هو احد قواد صلاح الدين الأيوبي ، عنه انظر ص : ٣٨٦
هامش (٥) .

(٤) المقريزي ، الخطط ج ٢ / ٢ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢
البكرى ، قطف الازهار ، لوحة ١٠٧ ، مؤلف مجهول ، تاريخ
المصر القاهرة ، ورقة : ٢ ، وهذه الحارة تقع الان في المنطقة
الممتدة فيما بين شارع بين السيارج وسور القاهرة الشمالي
فتشمل بذلك حارة المغاربة . انظر علي باشا مبارك ،
الخطط التوفيقية ج ٣ / ١٢١ - ١٢٢ .

(٥) لم تقدم المصادر معلومات واضحة عنها وانما يدل اسمها على
انها كانت سكنا لاقارب الفاطميين ، المقريزي ، م س ج ٢ / ١٦٠ .

الذى أصبحت ضمن النطاق العمراني لدرب شمس الدولة (١) ، ومن
المؤكد أن هذا الاختفاء الرمزي يعكس التغير السكاني الذي أحدثه
الناصر صلاح الدين في القاهرة. (٢) إذ إن الحارات المذكورة قد أُجلى عنها
سكانها في تلك الأثناء ، فقد كان سكان محلة الريحانية والوزيرية من
جملة طوائف عبيد الشراء (٣) . وهذه الطوائف من الجند قد جرى إخراجهم
من القاهرة بعد انكسارهم في ثورتهم المشهورة في عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) . (٤)
أما حارة الأمراء الأشراف الأقارب فمن المؤكد أن سكانها الذين كانوا
من أقارب الفاطميين (٥) ، قد جرى الاحتراز عليهم وسجنهم مع بقيّة
أفراد الأسرة الفاطمية. (٦) فأدى ذلك إلى خلو هذه الحارات من ساكنيها ،

====
الخاصكي ، التحفة القاهرة ، لوحة : ١٧ ، ويذكر المقرئ
أن موضعها في عصره يدل عليه سوق الزجاجيين والحريين
الشرايين . المقرئ ، الخطط ، م.س ، ج ١ / ٣٦٣ ، والذي
تشير التوقعات الخرائطية على أنه هو شارع الوراقين
إلى الجنوب من حارة درب شمس الدولة الحالية ، انظر :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire,
plan 3.

وهو ما لم يشر إليه على باشا أثناء حديثه عن هذا الشارع
حيث يجعل سوق الحريين في شارع الأشرية ، على باشا
مبارك ، م.س ، ج ٢ / ١٠٥ ، ج ٣ / ١٥٦ .

- (١) ص : ٤٠٦ .
(٢) عن هذا التغير السكاني انظر ص : ٥٠٦ - ٥٠١ .
(٣) المقرئ ، م.س ، ج ٢ / ٣ ، مؤلف مجهول ، م.س .
(٤) ص : ٥٠٧ .
(٥) انظر هامش (٥) الصفحة السابقة .
(٦) قام صلاح الدين بحبس كافة أفراد الأسرة الفاطمية وفرق بينهم

ليحل غيرهم محلهم كما يشير الى ذلك سكنى بهاء الدين قراقوش في الحارة التي نسبت اليه . وان كان ينبغي الاشارة هنا الى ان التغير السكاني الذي قام به صلاح الدين الأيوبي في القاهرة لم يكن شاملا اذ أبقى على بعض سكان القاهرة الفاطمية ولم يخرجهم من محلاتهم ، فحال ذلك دون اختفائها الرمزي ، فحارة الروم الجوانية ^(١) ظلت عناصرها السكانية تستوطن بها حتى العصور الحديثة ، فيذكر على باشا مبارك بأن أغلب سكانها في عصره (. . . من نصارى الشام والاروام) ^(٢) كذلك كان الحال بالنسبة لحارة زويلة ^(٣) التي سكنها اليهود منذ عهد الحاكم بأمر الله ^(٤) ، وظلوا يسكنون بها حتى العصور الحديثة كما يشير الى ذلك على باشا مبارك ^(٥) ، الأمر الذي جعلها تحتفظ باسمها الى ما بعد عصر المقرئ على أقل تقدير ^(٦).

- ====
- فجعل رجاله في موضع ونساء هم في موضع آخر لكي لا يتناسلوا ويكون ذلك مدعاة لانقراضهم . المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ٤٩٦ .
- (١) كانت هذه الحارة احدى حارتين اختطها الروم عشية تأسيس القاهرة احدهما عرفت بالبوانية لانها كانت خارج سور القاهرة في ذلك الوقت بينما عرفت الثانية بالجوانية وهي المقصود هنا ولا تزال تعرف بهذا الاسم حتى الوقت الحاضر . انظر المقرئ ج ٢ / ٨ ، ١٤ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٣ / ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ / ٤٢٠ . وهامش (٤) من نفس الصفحة ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٢ / ٢٠٣ فتحى الحيدى ، القاهرة ، ص ٢١ .
- (٢) على باشا مبارك ، ج ٢ / ٢٠٦ .
- (٣) اول من اختط هذه الحارة طائفة من البربر يعرفوا بزويلة قدموا مع جوهر القائد من بلاد المغرب ، للمزيد انظر ص ٣٣٧ هامش (١)
- (٤) القلقشندي ، ج ٣ / ٣٥٣ ، وعن الحاكم بأمر الله انظر ص ١٢٠ هامش (٣) .
- (٥) على باشا مبارك ، ج ٣ / ٧٣ .
- (٦) على باشا مبارك ، ج ٣ / ٧٢ .

رابعاً - تغير النطاق العمراني للأحياء :

ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها الأحياء في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي تغير النطاق العمراني للأحياء . ونظرا لما شهدته القاهرة في تلك الفترات من تعديلات عمرانية أساسية ، تمثلت في تحويل العديد من منشآتها وساحاتها الى أحياء سكنية . فان ذلك أدى الى اضطراب في خطة المدينة ، ظهر اثره على النطاق العمراني للأحياء ، حيث أخذ بعضها بالاتساع والنمو تبعاً للتعديلات الجديدة هذه . فأخذ بعضها بالتوسع على حساب المنشآت التي تحولت الى أحياء سكنية فقد كان تحول اصطبل الجيزة الى منطقة سكنية ^(١) سببا في أن تضم اجزاء كبيرة منه الى حارة زويلة ^(٢) . حيث يذكر ابن الطوير أثناء حديثه عن هذا الاصطبل انه يقع في عصره في حارة زويلة ^(٣) . وكذلك فان على باشا مبارك عندما يتحدث عن البئر التي كانت مرسومة لهذا الاصطبل في العصر الفاطمي ، فانه يرجع بأن تكون هي عين البئر الموجودة في حمام حارة اليهود القرايين ^(٤) ، وهي حارة تعتبر في الأصل جزءا من حارة زويلة ^(٥) ، مما يدل على أن النطاق العمراني لهذه الحارة قد توسع على حساب هذا الاصطبل ، بعدما كانت تقع الى الغرب منه ، حيث كان الاصطبل يفصل بينها وبين القصر الغربي الصغير في العصر الفاطمي ^(٦) . كذلك فان هناك من الأحياء السكنية التي

(١) عن ذلك وعن هذا الاصطبل انظر - ص: ٣٥٢-٣٥٣ .

(٢) عن هذه الحارة انظر ص ٣٣٧ هامش (١) .

(٣) نقلا عن المقرئ ، الخطط ج ١ / ٤٤٤ .

(٤) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٣ / ١٣٩ - ١٤٠ .

(٥) على باشا مبارك ، م . س ، ج ٣ / ٧٣ .

(٦) المقرئ ، م . س ، ج ١ / ٣٦٣ .

أخذت بالتوسع على حساب الساحات والمنشآت في آن واحد ، فمن الواضح أن حارة قائد القواد أو ما عرفت بدرب ملوخيا ^(١) في وقت لاحق قد أخذ نطاقها العمراني بالتوسع على حساب خزائن دار افتكين ^(٢) ورحبة قصر الشوك ^(٣) . فعندما نتحدث المصادر عن هذه الخزائن تذكر بأنه قد أصبح في موضعها مدرسة القاضي الفاضل ^(٤) وآدره بدرب

(١) هذه الحارة عرفت بقائد القواد حسين بن جوهر الصقلي (ت ٤٠١هـ / ١٠١٠ م) . ولي الوزارة للخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) لمدة ثمان سنوات تقريبا (٣٩٠ - ٣٩٨هـ / ٩٩٩ - ١٠٠٧ م) كان يسكن هذه الحارة فعرفت به ثم عرفت بحارة ملوخيا على ما يبدو قبل ان تعرف بدرب يحمل نفس الاسم ، وملوخيا هو ملوخيا الفراش صاحب ركاب الحاكم بأمر الله قتله الحاكم وياشر ذلك بنفسه . ولا تذكر المصادر تاريخ القتل هذا .

انظر عن ذلك : المقرئى ، م.س ج ٢ / ١٤ - ١٦ ، ٣٨٠ . ويذكر بعض الباحثين بأن موقع هذه الحارة يدل عليه في الوقت الحاضر حارة قصر الشوك . عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ١١٦ ، محمد رمزي ، التعليقات في النجوم الزاهرة ، ج ٤ / ٤٩ ، هامش (٦) . فتحى الحديدي ، القاهرة ، ص ٢٢٠ . والصحيح ان الذى يدل على هذه الحارة في الوقت الحاضر هو شارع درب القزازين كما يشير الى ذلك وثائق الملكية . انظر على باشا مبارك ، م.س ج ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ ، السخاوى تحفة الأحياب ، ص ٩٢ . كلمة هامش (٢) في ص ٩١ .

(٢) عن هذه الخزائن انظر ص : ٢٥٨ ، هامش (٣) .

(٣) عن هذه الرحبة انظر ص : ٣٨٧ - ٣٨٩

(٤) هذه المدرسة تنسب الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين

الأيوبى انظر ص : ٤٨٠ .

ملوخيا^(١) . مما يدل على ان هذه الخزائن قد ضمت الى هذا الحي ،
 بعد ان تمت اعادة تخطيطها في حين أنها لم تكن من جملته على الأرجح
 في العصر الفاطمي ، إذ أن كل ما يرد عنها في تلك الفترة هو أنها كانت
 تحد رحبة قصر الشوك من جهاتها الشرقية^(٢) . بل ان من الواضح
 أن هذا الحي قد اخذ نطاقه العمراني بالتوسع على حساب رحبة قصر
 الشوك ، التي تحولت الى منطقة سكنية في تلك الفترة.^(٣) إذ أن
 باب قصر الشوك^(٤) ، الذي كان يطل على هذه الرحبة ،^(٥) قد أصبح
 بابا لدرب ملوخيا . وقد اشار الى ذلك على باشا مبارك أثناء تحديده
 لموقع هذا الباب في عصره حيث يذكر بأن موضعه الآن (.. باب حارة
 درب القزازين الصغير ..).^(٦) ودرب القزازين هذا هو درب ملوخيا
 قديما .^(٧) وهناك أحياء توسع نطاقها العمراني على حساب أحياء
 أخرى ، ذلك ان بعض الأحياء قد تتداخل ، كما سبق ان ذكرنا وتضم
 بعضها بعضا ، فيستوعب أحدها الآخر ضمن نطاقه العمراني^(٨) . ومن

-
- (١) المقريزي ، الخطط ، ج١ / ٤٢٣ .
 (٢) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٣ .
 (٣) ص : ٣٧٩ .
 (٤) هذا الباب هو احد ابواب القصر الشرقي الكبير ، وكان يتوصل
 منه الى احد قصور هذا القصر وهو قصر الشوك فنسب اليه
 ، المقريزي ، م.س ، ج١ / ٤٣٥ .
 (٥) المقريزي ، م.س ج٢ / ٣٦٢ .
 (٦) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج٢ / ٩٤ .
 (٧) انظر هامش (١) الصفحة السابقة .
 (٨) ص : ٣٤١ - ٣٤٢ .

أبرز الأمثلة على ذلك ما تذكره النصوص التاريخية عن حارة الأمراء^(١) ، حيث تشير إلى أن هذه الحارة يدل عليها بعد العصر الفاطمي درب شمس الدولة^(٢) . رغم أن هذا الدرب كان أصله حياً نشأ على أنقاض أحد القصور كما تشير إلى ذلك نصوص تاريخية أخرى ، سبق الإشارة إليها^(٣) . مما قد يوحي بأن هناك تناقضاً في الروايات التاريخية . بيد أنه من المرجح أن السبب في ذلك يعود إلى أن هذا الدرب قد توسع نطاقه العمراني فأصبح يشتمل على كامل الحارة في تلك الأثناء^(٤) . ومثل ذلك يمكن أن يقال بالنسبة لخط سويقة أمير الجيوش^(٥) الذي كانت بداية نشأته على أنقاض أحد القصور الفاطمية كما سبق أن أشرنا^(٦) ، وهو ما يتناقض مع ما تذكره المصدر التاريخي عن هذا الخط ، حيث تذكر بأن موضعه كان يعرف في العصر الفاطمي بحارة الفرحية^(٧) .

- (١) سبق الإشارة إليها انظر ص : ٣٥٣ هامش (٦) .
- (٢) المقرئ ، الخط ، ج ٢ / ١٦ ، ٣٧ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة لوحة ٤٧ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ٤٣ ، وعن هذا الدرب انظر ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- (٣) ص : ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- (٤) من الواضح أن النطاق العمراني لهذا الدرب قد تراجع وتقلص في عصر المقرئ إذ يذكر أنه أصبح في موضع حارة الأمراء في عصره ، وفي سوقي الحريرين والشرابييين والزجاجيين اللذان كانا في تلك الفترة يقعان بجوار درب شمس الدولة حيث يسلك منهما إلى هذا الدرب ، انظر المقرئ ، ص ٣٦٣ / ١ ، ٣٦٤ .
- (٥) عن هذا الخط انظر ص : ٣٥٨ .
- (٦) ص : ٣٥٨ - ٣٦٢ .
- (٧) الفرحية : هي طائفة من طوائف عبید الشراء في الجيش

الا أنه بالنظر الى ما يذكره المقرئ عن هذا الخط في عصره يلاحظ بأنه ينقسم الى قسمين رئيسيين الاول هو السوق التي تعرف بسوق امير الجيوش ، والتي كانت تقع في رأس الخط من جهة شارع القصبة. (١)

أما الثاني فهو زقاق درب الفرحية والذي كان يمتد فيما بين السوق وباب القنطرة (٢) . وعليه فان المرجح ان يكون خط سوق امير الجيوش قد قام في بداية ظهوره على أنقاض القصر الفاطمي الذي كان يقع بعضه في موضع السوق كما يشير الى ذلك التوقعات على الخرائط (٣) ومن ثم توسع نطاقه العمراني ليشمل حارة الفرحية التي كانت تشغل المنطقة الممتدة فيما بين السوق وباب القنطرة .

ولم يقتصر تغير النطاق العمراني للأحياء على مجرد التوسع ، ان يلاحظ انه قد جرى في تلك الفترة تقلص النطاق العمراني لبعض الأحياء ، فحارة الوزيرية (٤) قد تقلص نطاقها العمراني في العهد الأيوبي عما كانت عليه في العصر الفاطمي . حيث انفصلت عنها بعض المواضع التي كانت تتبعها (٥) . ان أن المقرئ عند ما يتحدث

- ====
- الفاطمي وعن ذلك انظر : المقرئ ، الخط ج ٢ / ١٤ ، ٣٦٠ .
- (١) على باشا مبارك ، الخط التوفيقية ج ٣ / ١٢٨ .
- (٢) المقرئ ، م . س ، ج ٢ / ١٤ .
- (٣) انظر خريطة رقم (٣٤) وانظر أيضا عن موضع هذا القصر ص : ٣٥٨ - ٣٦٠ .
- (٤) عن هذه الحارة انظر ص هامش () .
- (٥) محمد رمزي التعليقات في النجوم الزاهرة ، ج ٤ / ٥١ هامش (٢) . وتنسب حارة الوزيرية الى الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ، فانه سكنها هو وطاقفة جنده ونسبت اليه ، مؤلف مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ورقة : ٥١ .

عن خط دار الديباج^(١) . يذكر بأنه كان في عصره يقع فيما بين خط
البندقانيين^(٢) والوزيرية^(٣) على الرغم من أن هذا الخط كان في
العصر الفاطمي من جملة هذه الحارة كما يذكر السخاوي^(٤) مما يشير
الى تراجع النطاق العمراني لهذه الحارة بحيث أصبحت تشمل المنطقة
الواقعة فيما بين الخط المذكور وسورة القاهرة الغربي^(٥) .

-
- (١) سمي بخط دار الديباج لأن دار الوزير يعقوب بين كلـس
(كانت تقع عليه فلـس) حولت في أواخر العصر الفاطمي
الى دار لصناعة الحرير الديباج عرف الخط بها . مؤلف
مجهول ، تاريخ مصر القاهرة ، ورقة ٣٨ ، ويدل على هذا
الخط في العصر الحديث شارع اللبودية ، على باشا مبارك ،
الخطط التوفيقية ج٣ / ١٦٥ - ١٦٢ .
- (٢) خط البندقانيين نسبة الى صناع تسمى البندق الذى نزلوا
في هذا الخط وكان له حوانيت في سوقه فنسب اليهم .
المقريزى ، الخطط ج٢ / ٣١ ، ويدل على هذا الخط في العصر
الحديث خط شارع البندقانيين ، الا أن نطاقه العمراني تراجع
عما كان عليه في السابق . حيث كان يشمل مواضع اخرى مثل
حارة السبع قاعات وما جاورها وشارع سوق السمك القديم وغير
ذلك . على باشا مبارك ، م.س ، ج٣ / ١٥٩ - ١٦١ .
- (٣) المقريزى ، م.س ، ج٢ / ٣٢ .
- (٤) السخاوى ، تحفة الاحباب ، ص ٨٤ .
- (٥) أصبحت حارة الوزيرية قاصره في العصر الأيوبي والمماليكي
على المنطقة الصغيرة التي تحد من الناحية الشمالية بعطفة
الصاوى ومن الغرب بشارع ادب سعاده وجنوبا بالجانب
الغربي لسكة النبوية وشرقا بالجانب الغربي لحارة الجودرية
، محمد رمزى ، م.س وانظر خريطة رقم (١٠) .

ومن الواضح أن هذه التغيرات في النطاق العمراني للأحياء
تعكس التغيرات العامة التي تعرضت لها هذه المدينة فأخذت
الأحياء تستجيب لهذه المتغيرات في شكل توسع أو تقلص
لنطاقها العمراني .

(ب) الشوارع الرئيسية :

يدل الأصل اللغوى للفظ "شارع" على معنيين عمرانيين ، فهو الطريق الذى يشرع فيه الناس عامة ، ويستخدم كأداة اتصال من منطقة الى أخرى (١) يبلغ به سالكه مقصده الذى أراد . وهو وسيلة لتوزيع المنشآت والمبانى داخل المدينة ، ويقال : " دور شارعہ اذا كانت أبوابها شارعة فـ الطريق " (٢) .

وتتميز المدينة الاسلامية بأنها تتكون من شبكة من الشوارع تتوغل فى النهاية الى شارع رئيسى عرف بالشارع الأعظم أو " القصبة " ، فعلى ذلك جرى تخطيط أمصار الفتح فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . (٣)

لقد شهدت شوارع القاهرة الكبرى فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي العديد من التطورات التى تجسد وجهها من أوجه التحولات العمرانية الكبرى التى شهدتها المدينة فى تلك الأثناء . فالدولة الأيوبية كـان لديها وضوح فى التصور تجاه أهمية الطرق وحركة النقل . يدل على ذلك الطريق والقناطر التى أمر الناصر صلاح الدين الأيوبي ببنائها فـ الجيزة ، فلقد عمر بهاء الدين قراقوش عام (١١٧٤/٥٦٩م) قناطر تجاوز عددها الأربعين كانت تقع على احدى الخلجان فى المنطقة ووصل هــ القناطر بطرق مرصوفة بالحجارة ابتداء من حيز النيل بازاء الفسطاط . (٤) ولذلك فان من المؤكد أن تكون الدولة الصلاحية قد عمدت الى انشاء العديد من الشوارع فى القاهرة الكبرى بما يتماشى مع التطورات العمرانية

-
- (١) الزبيدى : تاج العروس ٣٩٧/٥
(٢) الزبيدى : م . س ٣٩٦/٥ .
(٣) الزبيدى : م . س ٣٩٥/٥ .
(٤) نيكيتا اليسيف : التخطيط المادى ، ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ٩٨ .
(٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٧٩ - ١٨٠ الكتانى : التراتيب الادارية ٢٨٢/١ .
(٦) سبق الاشارة الى ترجمته ص ٤٨٦ ، هامش (٥) .
(٧) ابن جبير : الرحلة ص ٢٧ ، ابن دقماق : الانتصار ١٢٦/١ - ١٢٧ المقريزى : الخطط ١٥١/٢ . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٢١٨ . جرجى زيدان : تاريخ مصر ٣٢٢/١ .

فيها والاحتياجات الجديدة التى تتطلبها حركة النقل المرتبطة بتلك التطورات . وهكذا فقد ظهرت العديد من الشوارع فى القاهرة الكبرى فى تلك الفترة ، حيث ظهر العديد من الشوارع الجديدة فى مواضع المنشآت التى تحولت الى أحياء سكنية فى تلك الأثناء ، فتحول القصور وغيرها من المنشآت الأخرى الى أحياء سكنية ، وبناء منشآت للخدمات على مواضع منها يقتضى ظهور العديد من الشوارع فى هذه المواضع كمرافق لها ، فعندما نتحدث المصادر عن بعض تلك المنشآت تشير الى ظهور عدد من الشوارع فيها . فالقصر الشرقى الكبير ظهر فيه عدد من الشوارع ، كانت أبوابه (١) مداخل لها ، إذ أن باب العيد كان يسلك فيه الى المارستان الصلاحى (٢) (٣)

(١) تذكر المصادر التاريخية عددا من الأبواب للقصر الشرقى الكبير فناصر خسرو يذكر بأن للقصر عشرة أبواب شارعها على المناطق المحيطة به ، بالإضافة الى تلك المؤدية الى سرايب تحت الأرض . وللابواب العلوية هى : باب الذهب ، باب البحر ، باب الريح ، باب الزهومة ، باب السلام ، باب الزمرد ، باب العيد ، باب الفتوح باب الزلافة ، باب السرية . ناصر خسرو : سفرنامه ص ٨٩ - ٩٠ . أما الأبواب التى أوردتها بقية المصادر فهى تسعة أبواب هى : باب الذهب ، باب البحر ، باب الريح ، باب الزمرد ، باب العيد ، باب قصر الشوك ، باب الديلم ، باب تربة الزعفران ، باب الزهومة . انظر المقرئى : الخطط ٤٣٢/١ - ٤٣٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٤٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤/٣٥ - ٣٦ . وللتعرف على مواقع هذه الأبواب فى العصر الحديث انظر على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/٩٣ - ٩٥ ، وانظر أيضا محمد رمزى التعليقات فى النجوم الزاهرة ٤/٣٥ هامش ٤ ، ص ٣٦ ، هامش ٢٠١ ، ٣٧٥ ، ٤٤٣ .

(٢) سعى بذلك لأن الخليفة الفاطمى كان يخرج منه نحو مصلى العيد لأداء صلاة العيدين . المقرئى : م . س ٤٣٥/١ ، القلقشندى : ن . م . س ويذكر على باشا مبارك بأن موضع هذا الباب يدل عليه فى عصره مسجد الشيخ موسى بدرب الشيخ موسى . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/٩٤ ، فى حين أن محمد رمزى يحدده بحوش الوكالة وقف السيادة نفيسة الشهيرة بوكالة عبده الحاملة رقم (٢٠) بشارع قصر الشوك محمد رمزى : م . س ٣٥/٤ هامش ٤ .

(٣) المقرئى : م . س ٣٧٦/١ ، القلقشندى : ن . م . س ، المارستان الصلاحى نسبة لصلاح الدين الأيووبى الذى أنشأه . انظر ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

الذى أسس على أجزاء من هذا القصر . وكذلك كان الحال بالنسبة لباب
 قصر الشوك ، الذى كان من المداخل المؤدية الى هذا المارستان ، فى حين
 أن بابى البحر والريح كان يسلك منهما الى بعض المواضع السكنية
 التى توجد فى داخل هذا القصر ، والتى بدأت بالتحول الى أحياء سكنية
 فى تلك الفترة . كذلك كان الأمر بالنسبة لأبواب القصر الغربى المغير
 حيث أضحت تلك الأبواب مداخل للمناطق السكنية الجديدة . وهكذا فإن باب التبانين

- (١) ص ٤٩٩ .
- (٢) سمى بذلك لأنه يسلك منه الى قصر الشوك احدى قاعات القصر الشرقى الكبير . المقريزى : م . س ٤٣٥/١ ، ويدل عليه حديثا باب حارة درب القزازين المغير : على باشا مبارك : ن . م . س ، محمد رمزى م س ٣٦/٤ هامش (٣) .
- (٣) المقريزى : ن . م . س .
- (٤) سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه اذا ماتوجه الى شاطئ النيل ولعل تسميته أتت من كونه يتجه نحو الغرب حيث يوجد النيل وموضعه اليوم يدل مدخل حارة بيت القاضى تجاه المدرسة الكاملية بشارع بين القصرين . انظر محمد رمزى : م . س ٣٥/٤ هامش (٦) .
- (٥) لعله سمى بذلك لأنه يقع فى مواجهة الريح الشمالية جيدة الهوائ ويذكر على باشا بأن موضعه فى وقته يدل عليه الزقاق الذى بين جامع جمال الدين ، ووكالة الكتخدا المعروفة بوكالة ذى الفقار على باشا : ن . م . س أما محمد رمزى فيحدده باب وكالة سالم ومحمد بازراعة الحاملة لرقم ٢٥ بشارع التمكنشية . محمد رمزى م س ٣٦/٤ هامش (٧) .
- (٦) المقريزى : م . س ، ٣٧٥/١ ، ٤٣٤ .
- (٧) ص ٣٥٤ .
- (٨) كان للقصر الغربى ثلاثة أبواب حسبما ذكرت المصادر هى : باب السباط ، باب التبانين ، وباب الزمرد . المقريزى : م . س ٤٥٨/١ .
- (٩) من الواضح أن سبب تسميته وجود سوق التبانين بالقرب منه وذلك خلال العصر الفاطمى ، حيث يقع هذا السوق بالقرب من باب قبو الخرنشف الحالى . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٩٢/٢ ، وباب الخرنشف هو باب التبانين حسبما يذكر المقريزى . المقريزى : ن . م . س .

قد أضحى مدخلا للمباني والمنشآت التي ظهرت على ميدان القصر الغربى
 حيث يوجد خط الخرشف . ويشير ابن دقماق أثناء حديثه عن قبو دار الملك
 الى أن هذا القبو كان يسلك اليه عن طريق أحد أبواب هذه الدار
 مما يفيد بوجود شوارع فى داخلها ظهرت نتيجة تقسيمها فى عهد الناصر
 صلاح الدين الأيوبي . بل ان ظهور هذه الشوارع ترتب عليه اضافات جديدة
 لشبكة طرق المدينة بشكل عام ، حيث استغلت للاتصال من منطقة الس
 أخرى . فمن ذلك الطريق التى يقع عليها باب قصر الشوك كان بالامكان
 الاتصال برحبة باب العيد وماحولها حيث يذكر المقرئى متحدثا عن
 زمانه بأنه كان يسلك من جهة هذا الباب الى درب السلامى وغيره من
 المناطق . وهذا الدرب كان من جملة أراضى الرحبة . كذلك كان الأمر
 بالنسبة لباب الريح الذى يقع شمالى القصر الشرقى . والذى كان يسلك
 من خلاله الى مابين القصرين . أى الى المواضع الواقعة غربى القصر
 المذكور حيث توجد منطقة مابين القصرين فى حين أن درب شمس

- (١) المقرئى : ن . م . س وعن الخرشف انظر ص ٣٧٢ ، هامش (٥) .
- (٢) عن دار الملك انظر ص ٣٢٠ ، هامش (٢) .
- (٣) ابن دقماق : الانتصار ق ٥٣/١ - ٥٤ .
- (٤) ص ٣٥٠ - ٣٥١ .
- (٥) عرف هذا الدرب بخواجا مجد الدين السلامى (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) تاجر
 الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣ - ٧٤١هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤١م
 المقرئى : الخطط ٤٣/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة : ورقة
 ٥٠ - ٥١ ، وهذا الدرب يدل عليه درب الشيخ موسى وهو الآن غير نافذ
 على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٣/٢ - ٢٢٤ .
- (٦) المقرئى : م . س ٣٦٢/١ . ونظرا لانسداد درب الشيخ موسى فهذا
 يعنى بأن هذا الطريق قد تغيرت معالمه وانما يمكن رسم مخطط تخيلى
 له بوصل هذا الدرب بشارع درب القزازين من جهة بابه الصغير
 انظر خريطة رقم (٣٤) .
- (٧) المقرئى : الخطط ٤٣/٢ . مؤلف مجهول : ن . م . س .
- (٨) محمد رمزى : التعليقات فى النجوم ٣٦/٤ هامش ٧ .
- (٩) المقرئى : م . س ٤٣٤/١ . ويمكن القول بأن هذا الشارع يدل عليه
 الآن الزقاق الذى جعله على باشا مبارك يدل على موضع باب الريح
 المذكور ، ومدخل حارة بيت القاضى من جهة بين القصرين والذى يدل
 على موضع باب البحر . انظر هامش (٤ ، ٥) الصفحة السابقة .
- (١٠) ص ٣٦٥ - ٣٦٦ وانظر خريطة رقم (٣٤) .

(١) الدولة الذى ظهر على أنقاض قصر فاطمى ، كان يسلك اليه من خط الخشبية (٢)
 للوصول الى موضع سوق الحريين الشرايين، الذى كان يتصل به مــــــن (٤)
 الناحية الجنوبية . بينما أصبح بالامكان الوصول الى ساحل النيل (٥)
 من خلال بعض شوارع دار الملك . ولقد ترتب عن البناء على الساحات (٦)
 والمواضع الخالية من البناء الى ظهور شوارع جديدة أيضا . فســــــوق
 الجملون الكبير الذى ظهر على احدى الساحات ، كان شارعا مسلوكــــــا (٧)
 حتى فى أثناء الليل ، ويسلك منه الى البندقتانين وغير ذلك مــــــن (٨)
 المواضع الواقعة الى الغرب منه . ومن الواضح أن المنطقة الواقعة (٩)
 غربى الخليج قد شهدت عمليات تنظيم واسعة النطاق ، نظرا لازديــــــاد
 الروابط بينها وبين المدينة بعد ضمها الى سور القاهرة . كمــــــا (١٠)

(١) نسبة لشمس الدولة أحد اخوة صلاح الدين الذى أسس هذا الســــــوق
 للمزيد عنه انظر ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢) ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٣) سمى بالخشبية لأنه كان يقع على مدخله فى العصر الفاطمى خشبة تمنع
 الأفراد من المرور راكبين لوجود مسجد بجوارها كان فى وقت مــــــن
 الأوقات مدفنا للخليفة الفاطمى الظاهر (٥٤٤ - ٥٤٩هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤م) ،
 ولقد أزال صلاح الدين هذه الخشبة . المقرئى : م . س ٢٩/٢ - ٣٠ ،
 الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٦٣ - ٦٧ ، ويدل على هذا الخــــــط
 فى الوقت الحاضر شارع المقاصيص . على باشا مبارك : م . س ١٠٧/٢ -
 ١٠٨ .

(٤) عن هذا السوق انظر ص ٤٣٥

(٥) وحسبما ورد فى خريطة الحملة الفرنسية وكان هذا الطريق سد من جهة
 خط الخشبية وبقي متصلا من ناحية السوق . انظر

Reymond . E . wiet , Les Marcees de Caire , plan , 3

وانظر خريطة رقم (٣٣) لتحديد معالم هذا الطريق .

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق ٥٣/١ - ٥٤ .

(٧) عن هذا السوق وظهوره انظر ص ٤٢٧

(٨) البندقتانين نسبة لصناع قصى البندق وعن موضع هذا الحى انظر

ص ٣١ هامش (٣) .

(٩) المقرئى : الخطط ١٠٣/٢ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٠ .

(١٠) ص ٣٣٠ .

(١) أن بناء المنشآت والبساتين على ساحل النهر ، يقتضى ظهور الشوارع
كمرافق للتطورات العمرانية هذه ، مثلما حدث فى عهد الأمر بأحكام الله
العبيدى ، عندما خص برابن التبان كموضع نزهة أنشئت فيه البساتين
والدور والحوانيت ، فأدى ذلك الى ظهور الطرقات والشوارع كمرافق
لهذه المنشآت . بل ان من المؤكد أنه فى تلك الفترة كان يوجد شارع
رئيسى يمتد بطول الساحل ويفصل بينه وبين الدور والبساتين المطلة
عليه . كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن فم الخور . فهو
يذكر بأنه كان (...) يفصل بين البساتين والدور المطلة على النيل
شارع مسلوكة (...) . وكذلك فقد جرى الربط بين القاهرة وغربى الخليج
بشوارع جديدة ، فمن الواضح أن الشارع الذى يربط بين باب القنطرة
(الجديد) وباب البحر قد ظهر فى تلك الأثناء ، إذ أن على طرفه الشمالى
يقع باب القنطرة والقنطرة ، وكلاهما من المنشآت التى بناها صلاح الدين
الأيوبى بدلا من الباب والقنطرة القديمين . علاوة على وجود باب البحر
فى طرفه الجنوبى وهو من أبواب سور صلاح الدين الأيوبي ، ولقد جرى

-
- (١) هذا البناء انظر ص ٣٨٨ .
(٢) عنه انظر ص ١١٠ هامش (٢) .
(٣) عن برابن التبان وموقعه انظر ص ٣٢٩ ، هامش (٤) .
(٤) المقريزى : الخطط ١١٤/٢ - ١١٥ .
(٥) هو خليج فم الخور عنه انظر ص ١١٥ - ١١٦ .
(٦) المقريزى : م . س ١٣١/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ، ورقة
١٤٣ ، ويبدو أن هذا الشارع هو الذى سماه على باشا مبارك بشوارع
مصر العتيقة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٤/٣ ، فهذا
الشارع يقع فى منطقة حدود الساحل فى تلك الفترة . انظر خريطة
رقم (٨) .
(٧) وهذا الشارع يضم الآن مجموعة من الشوارع هى : شارع باب الشعريّة
الكبير الذى يبتدىء من شارع مرجوش حيث يوجد باب القنطرة ، وشارع
أبى بدير وشارع سوق الخشب الى شارع باب البحر الذى يدل على موقع
باب البحر . انظر : على باشا مبارك : م . س ١٢٨/٣ ، ٢٧٥ - ٢٨٠ .
(٨) ص ٤٩١ .
(٩) ص ٤٩٠ . وانظر خريطة رقم (٨) .

انشاء هذا الشارع على أجزاء من بركة بطن البقرة . (١) حيث كانت تمتد الى المنطقة التى يقع فيها هذا الشارع كما تشير التوقيعات بذلك (٢) بل ان من المؤكد أن يكون اتصال عمران المقسى بالقاهرة حينئذ (٣) طريق امتداد المبانى بمحاذاة هذا الشارع من جانبه وصولا الى باب القنطرة ، فقد ذكر ابن سعيد بأن من يريد الوصول الى الساحل بالمقسى فان عليه أن يسير مخترقا المبانى . (٤) والراجح أن شارع الموسكى قد ظهر فى تلك الفترة أيضا حيث تقع على طرفه الشمالى قنطرة الموسكى (٦) التى أنشئت فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . (٧)

ولقد تعرض ساحل الفسطاط لتطورات مشابهة لتلك التى حدثت غربى الخليج ، اذ أن البناء على هذا الساحل قد دفع المسئولين نحو الاهتمام بالمنطقة وتكوين مرافقها . (٨)

فعندما يتحدث ابن دقماق عن مساجد الفسطاط يشير الى شارع عرف "بالشارع الأعظم" كان يمتد من السيوريين الى باب مصر . (٩) وهو باب (١٠) أمر صلاح الدين بانشائه للفسطاط على أجزاء من أراضى الطرح النهري (١١)

- (١) عن هذه البركة وموقعها انظر ص ١١٩ - ١٢٠ .
- (٢) انظر خريطة رقم ٣ .
- (٣) عن اتصال المقسى بالقاهرة انظر ص ٣٨٦ .
- (٤) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ص ٢٥ .
- (٥) ينسب هذا الشارع الى القنطرة التى تقع عليه وتعرف بقنطرة الموسكى . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣/٣٠٩ .
- (٦) ن . م . س وانظر خريطة رقم ٣٨٧ .
- (٧) ص ٤٩٧ .
- (٨) عن البناء على ساحل الفسطاط انظر ص ٣٨٧ .
- (٩) لم تورد المصادر معلومات واضحة عن سبب تسمية هذا الخط وكما لا مايرد عنه هو تحديد موقعه . انظر ابن دقماق : الانتصار ٢/٣٨ . وهو يقع بالقرب من جامع عمرو بن العاص الى الغرب منه . انظر : Casanova , Paul , de Reconstitution, p. 43.

- (١٠) ابن دقماق : م . س ١/٨٨ .
- (١١) وكان هذا الباب يعرف بباب الساحل أيضا . المقرئى : الخطط ٣٤٤/١، ٣٤٧، ويبدو أن هذه البوابة هى التى ذكرها على باشا مبارك وقال بأنها تقع فى آخر شارع السيدة زينب من جهة مصر العتيقة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣/١٠٥، وانظر أيضا خريطة رقم ٨ نقلا عن : Casanova , op. cit.

مما يدل على ظهور هذا الشارع فى تلك الفترة ، ليكون بديلا عن " الشارع الأعظم " الذى كان يقع شرقى الفسطاط فى العصر الفاطمى . يدل عليه (١) درب الصفا ، كما يشير ابن الطوير الى ذلك أثناء حديثه عن أحد مواكب الخلفاء ، فهو يذكر بأن الموكب كان يلج الى (درب الصفا ويقال لـه الشارع الأعظم ٠٠٠) (٢) ان هذا التحول فى قصة المدينة انما يعبر عن انتقال النشاط العمرانى من شرقيها الى غربيها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كما أن إنشاء البساتين فى المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة على يمين الخارج من باب زويلة ، يقتضى بطبيعة الحال إعادة تنظيم المنطقة بطريقة تختلف عما كانت عليه فى السابق الأمر الذى ترتب عنه ظهور شوارع جديدة ، كمرافق وخدمات لهذه المتنزهات والبساتين ، لذلك فان المصادر تذكر بأن الناس أنشأوا طريقا يسلكه المارة يفصل فيما بين بستان الحبانة ، وبركة الفيل . (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

ولم يكن ظهور الشوارع الجديدة قاصرا على تلك الأسباب فقط بل لقد جرى شق بعض الشوارع من خلال بعض الحارات لتخترقها ، كما حدث

-
- (١) عن درب الصفا انظر ص ٣٠٥ هامش (٥) .
- (٢) نقلا عن المقرئى : م . س ٤٨٤/١ . وحسبما ورد فى وثيقة نقلها الكندى عن تجديد مسجد عبد الله فانه يتضح بأن هذا الشارع كان يقع فى الحد الجنوبى الشرقى من المسجد المذكور . الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف ، كتاب الولاة وكتاب القضاء ، تحقيق دفتن كست ، بيروت ١٩٠٨ م ص ٤٠٧ ، ثم يتجه الشارع بعد ذلك الى جامع عمرو بن العاص ثم الى دار الملك على ما يبدو حيث يتكون نهاية مواكب الخلفاء فى العصر الفاطمى . المقرئى : ن . م . س اتعاظ الحنفاء ٣٧/٣ هامش (٢) وكان فى هذا الشارع يقع أحد أسواق الفسطاط يعرف بسوق القصبة نسبة للشارع . ابن دقماق : الانتصار ق ٩١/١ .
- (٣) ص ٣١٣ .
- (٤) ص ٣٢١ .
- (٥) عن هذا البستان انظر ص ٤٢٩ .
- (٦) عن هذه البركة انظر ص ١١٨ - ١١٩ .
- (٧) المقرئى : الخطط ١٣٣/٢ ، ويصعب تحديد هذا الشارع فى الوقت الحاضر فالمنطقة تعرضت فى العصور اللاحقة لتغيرات عدة أثرت على تخطيطها .

(١)
بالنسبة لشارع خط سويقة أمير الجيوش ، الذى يسلك فيه من وسط القاهرة
حيث "بين القصرين" الى باب القنطرة وغربى الخليج . فنظرا لتعديل (٢)
موضع باب القنطرة الجديد بالنسبة للباب القديم ، حيث أضى الجديد يقع
الى الجنوب من الأول . فلقد اقتضى ذلك تعديل مسارات الطرق المؤدية اليه (٣)
من داخل المدينة ، وهو ما أشارت اليه المصادر ، فقد أورد أبو شامة أثناء (٤)
الحديث عما تم انجازه من سور القاهرة عام (١١٧٨هـ/١١٧٨م) بأنه قــــد
(ظهر العمل وطلع البناء وسلكت به الطرق المؤدية الى الساحــــل
بالمقسم ٠٠٠) . ومن الواضح أن السور هو المقصود بعبارة (سلكت به (٥)
الطرق ٠٠٠) حيث اخترقته منافذ جديدة تؤدي الى غربى الخليج حيــــث
المقس ، وهذه المنافذ هى باب القنطرة الجديد ، الأمر الذى يقتضى انشاء
طريق يسلك منه الى هذا الباب ، وهو شارع خط سويقة أمير الجيوش ، فتحولت
حارة القرحية الى زقاق يحمل نفس الاسم كما يذكر المقرئى فى ثنايا
حديثه عن الخط المذكور فى عصره . وتحول الحارة الى خط أو درب أو زقاق (٦)
يدل على أنها قد انتقلت من النوع الأول الى الثانى من أنواع الأحياء (٧)
وهو أمر لا يستقيم الا بوجود شارع رئيسى مسلوكة كما تقتضيه طبيعة التكوين
العمرانى والوظيفى للنوع الثانى من الأحياء . (٨)

لم تقتصر مظاهر التطور العمرانى للشوارع فى عهد الناصــــر
صلاح الدين الأيوبي على ظهور شوارع جديدة فقط ، بل كانت هناك مظاهــــر
تطور عمرانى أخرى تعرضت لها الشوارع فى تلك الفترة . فهناك شــــوارع

-
- (١) عن خط سويقة أمير الجيوش انظر ص ٣٥٨ .
 - (٢) المقرئى : الخطط ١٠١/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة
ورقة ١٢١ .
 - (٣) ص ٤٩١ .
 - (٤) خريطة رقم ٣٤ .
 - (٥) أبو شامة : الروضتين ٢/٢٠ ، ولقد ذكر المقرئى الخبر ذاته فى حوادث
(١١٧٦هـ/١١٧٦م) المقرئى : السلوك ١/١/٦٦ .
 - (٦) المقرئى : الخطط ١٤/٢ .
 - (٧) عن أنواع الأحياء انظر ص ٣٣٢ - ٣٤٠ .
 - (٨) ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(١) جرت توسعتها، مثلما حدث للشارع الواقع فى مواجهة باب زويلة، الذى أجريت عليه بعض التعديلات من المؤكد أنها كانت فى شكل توسعة . فبعدما أزيلت أنقاض حارة المنصورية وتحولت أراضيها الى بساتين (٢) أجرى تعديل لمسار الشارع حتى أنه (صار من يقف على باب الجامع الطولونى يـرى باب زويلة) . وبالإضافة الى التوسعة والتعديل، فهناك شوارع زيد فى أطوالها، فقصبة القاهرة زيد فى طولها لتشمل الشارع المواجه لـباب زويلة والذى عرف باسم "الشارع الأعظم" (٤) كما تشير الى ذلك وثيقة وقفية تعود لعام (١٢٦٠هـ/١٨٦٠م) والتي تضمنت تخصيص بعض الأراضى الواقعة غربى الخليج لغرض توفير ملابس فى الشتاء (تفرق على الأيتام الذكور والانثى الفقراء غير البالغين بالشارع الأعظم خارج باب زويلة ٠٠٠) . مـm

(١) حسيما ورد فى المصادر عن هذه المنطقة يلاحظ بأنها كانت فى العصر المماليكى تنقسم الى ثلاثة أقسام، الأولى وهى التى تقع فى مواجهة الخارج من باب زويلة بينما تقع الثانية على يمين الخارج منه أما الثالثة فهى الواقعة على يسار الخارج من باب زويلة، إلا أن هذه الصفة لم تكن موجودة فى العصر الفاطمى كما هى عليه الحال فى عصر المماليك . فالراجح أنه لم يكن يوجد فى بـمـm

بعضها فيما يلى . انظر :
المقريزى : الخطط ١٠٠، ١١٠، السخاوى : تحفة الأحياب ص ١٠٤ ،
الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٨٠ .
أما بالنسبة لموقع هذا الشارع حديثا فانه كان يؤدى الى **خط صليبة**
ابن طولون والمشهد النفيس وماورائه . المقريزى : ن . م . س .
أى أنه يشمل عددا كبيرا من الشوارع هى : شارع قصبة رضوان
والخيمية والمغربلين وشارع السروجية، وشارع الحلمية، وشارع
السيوفية، وشارع الركبية، وشارع الخليفة، وشارع السيدة نفيسة .
على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٣٢/٢ - ١٨٩ .

(٢) ص ٣٩٩ .

(٣) المقريزى : م . س ١١٠/٢ .

(٤) خريطة رقم ٣٠ .

(٥) المقريزى : م . س ١١٥/٢ .

يبدل على أن شارع القصبة لمدينة القاهرة قد زيد فى طوله ليشمــــل
هذا الشارع وصولا الى قلعة الجبل ، وذلك بعدما كان محصورا فى العــــصر
(١)
الفاطمى فيما بين بابى زويلة والفتوح .

ومن الواضح أن هذه الزيادة قد تمت فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي نظرا لما أحدثه من توسعة لهذا الشارع كما سبق أن أشرنا بالاضافة الى استخدامه كطريق يسلك منه الى قلعة الجبل . التـ (٢) بنيت لتكون مقرا للسلطنة مما سيكسبه أهمية مضافة . وعلى الرغم من

(١) عندما يتحدث المقریزی عن وصف القاهرة فی عصره یدکر بأن قصبة القاهرة تقع فیما بین باب زویلة وباب الخرنشف وهذا دفع عبـد الرحمن زکی الی القول بذلك عن القصبة، انما من الواضح أن المقریزی يتحدث عن جزء منها لأنه یعاود بعد ذلك الی القول بأنها تنتهی عند باب الفتوح . المقریزی : الخطط ١/٣٧٤، ٣٧٦، عبـد الرحمن زکی : موسوعة مدینة القاهرة ص ١٣٧ . ومن الواضح أن المقریزی یقصد بالقصبة هنا وضعها فی العصر الفاطمی، لأنها كانت فی عصره تمتد من أول الحسنة فی طرفها الشمالی الی المشهد النفیس . المقریزی : م. س ٩٥/٢ . أما علی باشا مبارک فانـه یدکر بأن قصبة القاهرة فی العصر الفاطمی تقع فیما بین باب الفتوح وباب زویلة وباب النصر . علی باشا مبارک : الخـطط التوفیقیة ٧٧/٢، والأصح هو ما ذکره المقریزی کما سبق أن أشرنا وانظر حسن الباشا وآخرون ص ٥٤، وهذا الشارع یضم حدیثا مجموعـة من الشوارع هی : شارع باب الفتوح، وشارع الکلیباتی ومرجوش، شارع الامشاطیة، شارع النحاسین، شارع الجوهرجیة، شارع الخـرجیة شارع العـوریة، شارع العقارین، شارع المناظلیة والسکریة . علی باشا مبارک : م. س ٧٦/٢ - ١٢٥ .

(٢) المقریزی : م س ١١٠/٢، الخاصی : التحفة الفاخرة ، لوحة ٨٨ .
ولاتقدم المصادر تحديدا واضحا للمنطقة التي ينعطف منها الشارع
تجاه القلعة لعله كان يتم عن طريق شارع المظفر الذي يؤدي إلى
المنشية من تحت القلعة ، أي من شارع المنشية من جهة تقاطعه
مع شارع صليبة ابن طولون وهذا يعنى أن المسافة أبعد .
انظر على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٥٧/٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٣ .

أن هناك من الباحثين المحدثين من يعتبر أن "الشارع الأعظم" هذا كان موجودا منذ العصر الفاطمي، حيث يذكر وليم ميلوود أثناء تعريفه لهذا الشارع بأنه كان امتدادا لقصة القاهرة وينتهي جنوبا عند خط صليبية جامع ابن طولون^(١) . لأنه من المؤكد أن الأمر لم يكن كذلك في العصر الفاطمي، فابن الطوير عند وصفه لأحد مواكب الخلفاء الفاطميين فإنه لا يشير إلى "الشارع الأعظم" أثناء مرور الموكب في هذه المنطقة إلا بعد أن يلج الفسطاط حيث يقول : (.. فيخرج شاقا القاهرة ... وشوارعها على الجامع الطولوني على المشاهد إلى درب الصفا ويقال له الشارع الأعظم^(٢)) . بل إن الشارع الواقع خارج باب زويلة لم يكن له أهمية رسمية في العصر الفاطمي، حيث إن بعض المواكب كانت تتخطى عن مراسيمها وتنظيمها ساعة خروجها من باب زويلة باتجاه الفسطاط وهو ما ذكره ابن الطوير أثناء حديثه عن موكب ليالى الوقود الأربع^(٣) حيث يقول : (... ثم يخرج (الموكب) من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام^(٤)) . كذلك فمن المؤكد أنه قد جرى مد طول الشارع الواقع على يسار الخارج من باب زويلة، فمنذ أن بنيت قلعة الجبل صار يسلك من خلال هذا الطريق أيضا^(٥) . مما يستوجب بطبيعة الحال أن يصل هذا الشارع إلى موقع القلعة، وهو أمر لم يكن موجودا في العصر الفاطمي

(١) المسيحي: أخبار مصر ص ٢٠١ هامش ١ .

(٢) نقلا عن- للمقريزي : الخطط ١/٤٨٤ .

(٣) عن ليالى الوقود الأربع انظر ص ١٦٤ ، هامش (٢) .

(٤) نقلا عن المقريزي : م . س ١/٤٦٧ .

(٥) المقريزي : م . س ١١٠/٢، ومن الواضح أن هذا الاستخدام لم يكن للمواكب الرسمية، إذ أنها كانت تتجه من الطريق المواجه لباب زويلة كما سبق أن أشرنا . المقريزي : م . س ١١٠/٢ ، السخاوي تحفة الأحباب ص ١٠٤، ويدل على هذا الطريق الآن مجموعة من الشوارع المتصلة والمؤدية إلى القلعة ، وهى شارع الدرب الأحمر وشارع التبانة ، وشارع باب الوزير وشارع الخطابة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/٢٧٦ - ٢٨٣ ، وانظر خريطة رقم ٣٠ .

ذلك أن هذه المنطقة كانت مخصصة أصلاً كمقبرة ^(١) . ومن الواضح أن وظيفة الشارع المذكور كان تحقيق الوصول إليها . وبالتالي فلا توجد ضرورة لأن يمتد الشارع إلى الجبل حيث أن موضع المقبرة كان دون الجبل ، ذلك أنها كانت تقع في المنطقة الممتدة فيما بين باب زويلة والقطائع ^(٢) والجبل .

أما آخر المظاهر العمرانية التي شهدتها الشوارع في تلك الفترة فكانت انسداد بعض الشوارع نظراً لاندثار بعض المناطق السكنية وتحولها إلى أكوام في أواخر العصر الفاطمي . فلقد اقتضى ذلك الفصل بين الخرائب والمواقع التي أعيدت عمارتها ، فسدت نهايات الشوارع التي يقع عندها الخراب كما يشير إلى ذلك ابن دقماق أثناء حديثه عن زقاق الزمامرة حيث يقول عنه : (... وقد سد من أوله لجهة تجيب لاستيلاء الخراب ...) ^(٣) . لذلك فإن المؤكد أن يكون هناك الكثير من الشوارع التي سدت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي نظراً لوقوع أجزاء كبيرة منه تحت طائل التلف بعد الحريق الذي تعرضت له المدينة في عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) ولم تجر إعادة عمارته مرة أخرى في عهد صلاح الدين الأيوبي ، وهكذا فقد تم الفصل بينها وبين المواقع التي أعيدت عمارتها عن طريق إغلاق نهايات الشوارع النافذة إلى الأكوام .

-
- (١) ص ٤٦٠ وانظر خريطة رقم ١١ .
 (٢) ص ٤٦٠ هامش (٥) .
 (٣) ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .
 (٤) لم تقدّم المصادر سبباً يوضح أصل مسماه وإنما ذكر ابن دقماق موضع الذي يصعب تحديده الآن لاندثار المباني في هذه المنطقة . ابن دقماق : الانتصار ١٦/١ .
 (٥) هذه الخطة من خطط الفسطاط الأولى ، سكنتها إحدى بطون كنده . يعرفوا بتجيب نسبت إليهم ، المقرئ : الخطط ٢٩٧/١ ، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من قصر الشمع . فؤاد فرج : المدن المصرية ٢٢٠/٤ .
 (٦) ابن دقماق : ن . م . س .

(ج) الأسواق والصناعات :

قسم بعض الباحثين أسواق^(١) المدن الاسلامية الى ثلاثة أنواع ، أولها الأسواق الرئيسية ، وهى التى تتم فيها المبادلات التجارية وتجارة التوزيع ، بالإضافة الى انفراد بعضها فى بيع نوع من أنواع المنتجات الاستهلاكية^(٢) . والنوع الثانى منها هى أسواق الأحياء السكنية ، وتحتوى عادة على حوانيت البقالة وأفران الخبازين وماشابه ذلك ، وهى عادة ماتعرف بالسويقة^(٣) . وان كان يلاحظ بأن سويقة أمير الجيوش فى القاهرة لم تكن تخضع لهذا الاعتبار ، اذ كانت فى العصر المماليكى من أكبر أسواق القاهرة ، فيها عدة حوانيت لبيع القراء ، وأنواع الطرائف علاوة على الأقمشة والثياب المخيطة ، وغير ذلك من المنتجات الرئيسية^(٤) مما يدل على أنها لم تكن سوقا مخصصة لحى من الأحياء السكنية ، وانما كانت من الأسواق الرئيسية فى المدينة . أما النوع الثالث من الأسواق فمن المختصة بالمنتجات الريفية وعادة ماتقع عند أطراف المدن^(٥) . ونظرا لأن ازدهار الأسواق وتوسعها يرتبط الى حد بعيد بزيادة الطلب على البضائع والسلع المختلفة الأنواع ، نتيجة الارتقاء الحضرى والاقتصادى فى المدينة^(٦) . فمن الواضح أن أسواق القاهرة قد ازدهرت أوضاعها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث تعرضت المدينة لمتغيرات اقتصادية واجتماعية ترتب عنها زيادة فى الطلب على منتجات

-
- (١) يدل الأصل اللغوى للسوق على أنه المكان الذى تذلف اليه السلع والبضائع ، الزبيدى : تاج العروس ٢٨٧/٦ ، ويستوفى الناس منها حاجياتهم الضرورية والكمالية ، ابن خلدون : المقدمة ٣٦٢/١ - ٣٦٣ .
- (٢) نيكيتا اليسيف : التخطيط المادى ، ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠٧ .
- (٣) نيكيتا اليسيف : م . س ص ١٠٦ .
- (٤) المقرئى : الخطط ١٠١/٢ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٧ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٢١ .
- (٥) بدر شالمتيا : الأسواق ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١١١ - ١١٢ .
- (٦) ابن خلدون : المقدمة ٣٦٠/١ - ٣٦١ .

(١) الأسواق بشكل عام . فأضحى هناك احتياجات جديدة، نتيجة توجه الدولة
ورجالها لتوفير الكثير من متطلباتهم من السوق . علاوة على ظهور
تقاليد وأنماط اجتماعية مستجدة، دفعت نحو مزيد من الطلب على الأسواق
أيضا . فانعكس كل ذلك على الأسواق فى شكل ظهور أسواق جديدة للسلاح
والملابس والأطعمة وغير ذلك كما سيتضح لاحقا، بل ان من المؤكد أن ذلك
سينعكس أيضا على أسواق المدينة القديمة أيضا . بل من الواضح أن هذه
التطورات هى التى أوجدت غالب المتغيرات العمرانية التى شهدتها
أسواق المدينة فى تلك الأثناء، ومن أبرز هذه المتغيرات ظهور التخصص فى
الأسواق ، أى أن يكون لكل نوع من أنواع السلع سوقا متخصصة بها ، وهو
أجراء تنظيمى بدأ باتخاذها منذ عهد صلاح الدين الأيوبي ، اذ يلاحظ
أن غالبية الأسواق الرئيسية التى ظهرت فى تلك الفترة كانت متخصصة ببيع
فئة واحدة من السلع والبضائع . وهذه ظاهرة لم تكن معروفة فى مصر

(١) ص ٢٦٨ .

(٢) ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(٣) ص ١٥٨ .

(٤) لا تقدم المصادر التى تناولت خطط القاهرة معلومات واضحة عن أسواق
القاهرة بشكل عام ، فهى تارة تشير بشكل صريح الى انتماء بعض
الأسواق للعصر الفاطمى ، كسوق الشرايين أو سوق حارة برجوان الذى
كان يعرف حينئذ بسوق أمير الجيوش . وتذكر بنفس الوضوح أيضا
عن بعض الأسواق التى ظهرت فى عصر الناصر صلاح الدين سنشير اليها
لاحقا . فى حين أنها تشير الى أسواق أخرى لاتحدد بوضوح تاريخ
ظهورها ونشأتها . انظر المقرئى : الخطط ٩٤/٢ - ١٠٧ ، الخاص
بالتحفة الفاخرة لوحة ٦٨ - ٨٥ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر
القاهرة ورقة ١١٧ - ١٢٨ ، ومن الواضح أن أسواق العصر الفاطمى
ثم الذى تلتها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي تشكل الأساس
للأسواق فى المدينة ، التى أخذت تتشعب وتتوسع بعد ذلك لتبلغ
ذروتها فى عصر المماليك ، حيث ازدهرت الأوضاع الحضارية والاقتصادية
فى المدينة بشكل عام ، وهى من العوامل التى تسهم فى ازدهار هذا
القطاع من المدينة كما سبق أن ذكرنا . انظر : سعيد عاشور
مصر والشام ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٥) ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٦) ص ٤٢٦ - ٤٣٠ .

قبل العصر الأيوبي . فأسواق الفسطاط لم تكن فى تلك الفترة تميز ———
الى التخصص ، اذ أن سوق زقاق القناديل^(١) الذى كان يعد من أشهر أسواق
المدينة قد أشاد به المقدسى ، كان يحتوى على حوانيت لبيع الطرائف^(٢)
والمصنوعات العاجية المختلفة . كما كان يحتوى على حوانيت لبيع^(٣)
الحلوى . فقد ذكر المسبحى أثناء حديثه عن حوادث عام (١٠٢٢هـ/١٠٢٢م) ، أن
المحتسب قد عاقب حلاويا له دكان عند باب الزقاق المذكور .^(٤)

كذلك كان الحال فى القطاعات التى كان كل سوق من الأسواق الرئيسية
فيها، يحتوى على أكثر من نوع من أنواع السلعة المختلفة المتباينة
فى نوعيتها فى بعض الأحيان . ولعل خير مثال على ذلك أن سوق الطباخين^(٥)
كان (٠٠٠ يجمع الصيارف والخبازين والطحوانيين ٠٠٠) إضافة الى
صنف الطباخين ، ويمكن تلمس هذه الظاهرة فى القاهرة خلال العصر الفاطمى
فقد أشار المقرئى فى ثانيا كلامه عن حوادث عام (١٠٩٥هـ/١٠٩٥م) الى وجود
حانوت للصرافة كان يقع فى سوق السراجيين ، والظاهر أنه كان به ———^(٦)
السوق حوانيت للبرازين أيضا .^(٧)

ومن المظاهر العمرانية التى شهدتها الأسواق فى عهد الناصر صلاح
الدين ظهور أسواق جديدة فنمو الاستهلاك وارتفاع مستوى الطلب على

(١) عن هذا الزقاق انظر ص ٣٩٥ ، هامش (٤) .

(٢) ص ٣٩٥ .

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٠٣ .

(٤) المسبحى : أخبار مصر ص ١٩٩ .

(٥) المقرئى : الخطط ٣١٥/١ ، عبدالفتاح وهبة : الجغرافيا التاريخية
ص ٤١٢ .

(٦) المقرئى : اتهاط الحنفا ١٦/٣ . وهذا السوق هو أقدم أسواق
القاهرة وكان يعرف بالشرابين أيضا . الخاصكى : التحفة الفاخرة
لوحة ٧٥ . والسراج هو المصباح . أما الشريح فهو زيت السمسم الذى
يستخدم وقودا للمصابيح . انظر : الزبيدى : تاج العروس ٦٤٠٥٨/٢ .
ويدل على هذا السوق فى الوقت الحاضر شارع العقادين . على باشا
مبارك : الخطط التوفيقية ١١٩/٢ ، وعن موقع هذا السوق الذى لعرف
فى العصر المماليكى بالشوايين . انظر :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire, plan 3.

(٧) المقرئى : ن . م . س .

المنتجات المختلفة، ترتب عنه ظهور أسواق جديدة كما سبق أن ذكرنا —
 فأخذ بعضها بالظهور فى تلك الفترة، فظهر سوق باب الفتوح، عندما —
 سكن بهاء قراقوش فى الحارة التى نسبت اليه . (١) ويعد هذا السوق من
 أجل أسواق القاهرة كان معمور الجانبين بالحوانيت التى تباع المواد
 الغذائية الطازجة من خضار ولحوم بأنواعها المختلفة . (٢) ومن الأسواق
 التى أسست فى تلك الفترة سويقة أمير الجيوش، اذ تذكر المصادر أن صلاح
 الدين الأيوبي أوقف عددا من الدكاكين فى خط سويقة أمير الجيوش على
 مدرسته المعروفة بالسيوفية . (٣) مما يشير الى وجود السويقة فى الخط
 الذى ظهر فى تلك الأثناء . (٤) وتقع هذه السويقة فى رأس الخط المذكور
 من جهة شارع القصبة . (٥) والراجع أن هذه السويقة كانت فى بادئ أمرها
 سوقا للخروقيين، (٦) اذ كانت تعرف بذلك أيضا بعد العصر الفاطمي
 حيث يوجد بها الحوانيت المتعلقة ببيع الأقمشة وما يرتبط بها من صناعات

-
- (١) عنه انظر ص ٣٨٦ هامش (٥) .
 (٢) المقریزی : الخط ٩٥/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٦٩ .
 (٣) ن . م . س . ويدل على هذا السوق شارع باب الفتوح الحالى الواقع
 ضمن شوارع القصبة . على باشا مبارك : الخط التوفيقية ٧٦/٢ - ٧٧ .
 وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق :
 A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.
 وانظر خريطة رقم ١٤ .
 (٤) المقریزی : م . س ٣٦٦/٢، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة
 ٤٤٦ .
 (٥) ص ٣٥٨ .
 (٦) المقریزی : م . س ١٤/٢، على باشا مبارك : م . س ١٢٨/٣ .
 ويدل على هذه السويقة الآن شارع مرجيوش، على باشا مبارك : م . س
 ١٢٧/٣ - ١٢٩، لتحديد موقع هذا السوق انظر أيضا :
 A. Raymond E Wiet, op. cit.
 (٧) الخروقيين : جمع خرقة وهى القطعة من الثوب، ويطلق هذا اللفظ على
 باعة الثياب والخرق . الزبيدي : تاج العروس ٣٢٨/١ .
 (٨) المقریزی : م . س ١٠١/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٧، مؤلف
 مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٢١ .

(١) فمعظم حوانيتها للبزازين الخلعيين . وبها تباع الثياب المخيطة
(٢) والفرش ونحو ذلك من السلع المختلفة . كذلك فمن الواضح أن سوق
الجمالون الكبير قد أنشئ في عهد الناصر صلاح الدين ، أن يقع في هذا
السوق قيساريته الشرب وابن قريش ، اللتان أنشئتا في تلك الفترة على
أحدى ساحات القاهرة ، مما يشير بدوره أن هذا السوق قد أخذ بالظهور
منذ ذلك أيضا . وكان هذا السوق مختصا ببيع الأقمشة الحريرية . وكما
ظهر سوق عند باب الفتوح ، فلقد ظهرت أخرى على الساحة الواقعة عند
باب زويلة . حيث بنى عليها حينئذ قيسارية القاضي الفاضل . فظهرت
مجموعة من الأسواق المتعاقبة ، مثل سوق الغرابليين الذي تباع فيه
منازل الدقيق ليقابله حوانيت لبيع أقفال المنازل المعروفة بالضباب
تليها حوانيت أخرى لبيع الأجبان المجلوبة من البلاد الشامية . والتي
ازدهرت التجارة معها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، بالإضافة
إلى وجود دكاكين خاصة بالمجبرين ، لتجبير المصابين بالكسور ، وآخرى

(١) جمع خلعي وهم الذين يبيعون الثياب المستعملة . المقریزی : الخطط
١٠٤/٢ .

(٢) المقریزی : م س ١٠١/٢ . الخاصكى : التحفة الفاخرة ، لوحة ٧٧ .

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٧٠/٣ - ١٧١ ، وعن هاتين
القيساريتين انظر ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٤) ص ٣٨٢ .

(٥) ويدل على موضع هذا السوق شارع التربيعة وعطفة الشرم والجمالون
على باشا مبارك : م س ١٦٩/٣ - ١٧١ ، وانظر أيضا لتحديد موقع
هذا السوق :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.

وانظر أيضا خريطة رقم ١٤ .

(٦) المقریزی : م س ١٠٣/٢ ، الخاصكى : م س لوحة ٨٠ . مؤلف مجهول
تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٢٤ .

(٧) عن هذه الساحة انظر ص ٣٨١ .

(٨) ص ٣٨١ . وعن هذه القيسارية انظر ص ٤٩٦ .

(٩) الغرابيل من الغربال وهو ماينخل به . الزبيدى : تاج العروس ٤٢/٨ .

(١٠) المقریزی : م س ١٠٠/٢ ، الخاصكى : م س ، لوحة ٧٥ - ٧٦ .
مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٢٠ .

(١١) ص ٢٧٢ .

(١) للصيارفة وبائعى الطرف والمآكل وغير ذلك . علاوة على ما اختصت به —
قيسارية القاضى الفاضل من بيع جهاز العرائس وأسورتهن . ومن الأسواق
الجديدة التى ظهرت فى تلك الفترة سوق بين القصرين الذى ظهر على —
أراضى ميدان بين القصرين ، الذى بدىء بالبناء عليه فى عهد الناصر
صلاح الدين الأيوبي ، حيث أصبح سوقا مبتذلا على حد تعبير المقرئ —
فكان به سوق كبير للمآكل يجلس به الباعة مساء كل يوم لبيع الأنواع
المختلفة من الطيور المقلاه ولحم الدجاج والأوز المطجن علاوة على —
الأجبان والفواكه والحلوى . ويوجد بهذا السوق سوق للسلاح ظهر فى تلك
الفترة أيضا كانت تباع فيه القسي والنشاب

(١) المقرئى : ن . م . س . الخاصكى : ن . م . س . مؤلف مجهول
ن . م . س . ويدل على موضع هذا السوق فى الوقت الحاضر شارع
المناخية والسكرية من شارع القصة . على باشا مبارك : الخطط
التوفيقية ١٢٧/٢ - ١٣١، وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.

وانظر خريطة رقم ١٤

(٢) المقرئى : م . س . ٨٩/٢ .

(٣) ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٤) المقرئى : م . س . ٢٨/٢ . ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر شارع
النحاسين . على باشا مبارك : م . س . ٨٩/٢ - ٩١، وانظر أيضا
لتحديد موقع هذا السوق :

A. Raymond E Wiet , op. cit.

وانظر خريطة رقم ١٤

(٥) المقرئى : م . س . ٢٨/٢ - ٩٧، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة
ورقة ٣٢ - ١١٦، ٣٤ .

(٦) القسي جمع قوس، وهو قضيب من الخشب يشد طرفاه أقصر من طول
القضيب فيقوسه، ويوضع فيه السهم فيطلقه . وهى على أنواع منها
كبيرة الحجم وصغيرها . للمزيد انظر : الطرسوس : تبصرة أرباب
الألباب ص ٦ - ١٠، أحمد محمد عدوان : العسكرية الإسلامية ص ٥٧ - ٥٩ .
(٧) والنشاب هى النبال وهى مايرمى بها من القسي وتعتبر من أنواع
الرماح وتصنع من قصب مدور من الداخل أو من خشب الزان ويركب عليه
رأس . للمزيد انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ١٤٠/٢ - ١٤٢، الزبيدي
تاج العروس ١/٤٨٤، أحمد عدوان : م . س . ص ٥٦ - ٥٧ .

(١) والزرديات وغير ذلك مما يحتاجه الجند من أنواع الأسلحة المختلفة (٢)
 وقد ظهرت الأسواق التى تباع لوازم حيوانات الركوب مثل سوق المهامزيين (٣)
 والجميعيين وهما سوقان متصلان ببعضهما البعض ظهرا بعد زوال حكام
 الفاطميين . وكان يباع فيهما المهاميز والسلاسل والسروج التى كان (٤)
 بعضها يعمل من الجلد البلخارى الأسود ليستعمله القضاة ومشايخ العلم
 (اقتداء بعادة بنى العباس فى استعمال السواد على ماجدده بديار مصر
 السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة الفاطمية . (٥)
 وكان يباع به الدوى والطرف ونحو ذلك . وكانت الأجزاء المعدنية
 من هذه الآلات تطلّى بالذهب والفضة ولا يترك ذلك الا أصحاب الدين والـ (٦)
 ومن الأسواق التى أنشئت فى تلك الفترة أيضا سوق الشرايشيين (٧)
 والحوائصيين المتطلّين بالسوق الأول . وفى هذين السوقين تباع ملابس (٨)

(١) الزرد عبارة عن قمصان تصنع من الزرد الخالص وبعضها يكون قميصا
 والبعض الآخر يكون طويلا يغطى ساقى الفارس . ابن سيده : المخصص
 ٧١/٢ / ٧٢ ، أحمد عدوان : م . س ص ٦١ .
 (٢) المقرئى : الخطط ٩٧/٢ . وانظر لتحديد موقعه ضمن السوق المذكور :
 A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.
 وانظر خريطة رقم ١٤ .
 (٣) المهاميز جمع مهماز وهى آلة من حديد تكون فى رجل الفارس ولها
 رأس حادة يضرب بها جانب الفرس لتتحرك ويزداد عدوها وتـ
 يصنع المهاميز من ذهب خالص أو فضة خالصة ، وفى بعض الأحيان تصنع
 من حديد مطلّى بالذهب والفضة . القلقشندى : صبح الأعشى ١٣٦/٢ .
 (٤) المقرئى : م . س ٩٧/٢ - ٩٨ ، ويدل على موقعها فى العصر الحديث
 شارع الغورية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١٢/٢ - ١١٧ .
 وانظر أيضا لتحديد موقعها :

A. Raymond E Wiet, op. cit.

وانظر خريطة رقم ١٤ -

(٥) المقرئى : م . س ٩٨/٢ .
 (٦) المقرئى : م . س ٩٧/٢ - ٩٨ .
 (٧) الشربوشى هو غطاء للرأس كان يستخدم فى العصر الأيوبرى كزى للأمراء
 اختصوا به . انظر ص ٢٦٧ هامش (١) .
 (٨) نسبة الى الحياصة أو المنطقة كما كانت تعرف أيضا وهى حزام يشد
 به الوسط كان يصنع من معادن ثمينة . انظر القلقشندى : صبح الأعشى
 ١٣٤/٢ . ماير : الملابس المملوكية ص ٤٧ - ٤٨ .

(١) الأجناد وآزيائهم . علاوة على الخلع (... التى يلبسها السلطان للأمراء
(٢) والوزراء والقضاة ...) . (٢) . (٣) . وبالتى كانت تباع فى السوق الأول . وبيدو
(٤) أن سوقى الجوخيين والفرائيين قد ظهرا فى تلك الفترة أيضا ، لأن الجوخ
والفراء أصبحا من لوازم ملابس الجند وزيههم كما يشير الى ذلك ابن سعيد
(٥) الأندلسى .

ولم يكن ظهور الأسواق الجديدة قاصرا على الأسواق المتخصصة
الرئيسية التى تباع منتجات الترف والرفاه وماشابه ذلك، إذ أن ظهور
الأحياء الجديدة يقتضى أيضا أن تظهر فى داخلها أسواق تلبى احتياجات
قاطنيها . فبدأت تظهر الأسواق والحوانيت بجوار القصور والمنشآت
التي تحولت الى أحياء سكنية فى عهد الناصر صلاح الدين ، فالقصـر
(٦) الشرقى الكبير الذى أصبح منطقة سكنية وقسم الى خطط وأحياء ، أخذت
(٧) الحوانيت تحيط بأسواره من جميع الجهات تقريبا . كذلك ظهر سوق جديد
(٨)

(١) المقريزى : م . س ٩٨/٢ - ٩٩ ، ويدل على موقعهما الآن شارع الغورية
على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١٧، ١١٢/٢ .
وانظر أيضا لتحديد موقعهما :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 2.

(٢) المقريزى : م . س ٩٨/٢ .

(٣) ن . م . س .

(٤) المقريزى : م . س ١٠٣، ٩٨/٢ ، ويدل على موقع سوق الجوخيين فى
العصر الحديث شارع الغورية ، أما سوق الفرائيين فيدل عليه شارع
التبليطة . على باشا مبارك : م س ١١٧، ١١٢/٢ ، ٢٥٢، ٢٤٨ .
وانظر أيضا لتحديد مواقعهما :

A. Raymond E Wiet, op. cit.

وانظر خريطة رقم ١٤ .

(٥) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ص ٢٧ . ولاحظ ماسبق أن ذكرناه
عن جهاز "الحوامل" الفاطمى ، والذى كان من مهامه توفير العديـد
من هذه المنتجات - أسلحة ، ملابس ، سروج ، أطعمة ... الخ للدولة
ورجالها ، وهو أمر جرى الغائه فى عهد الناصر صلاح الدين ، مما ترتب
عنه أن اتجهت الدولة ورجالها الى توفير العديد من هذه المطالبـ
من السوق ، فكانت الأسواق سالفه الذكر .

(٦) عن هذه الأحياء انظر ص ٣٤٩ - ٣٦٤ .

(٧) عن هذا القصر وتحوله انظر ص ٣٥٤ .

(٨) Suzan Jane , Conquest and Fasion, p. 86.

(١) على أراضى اصطبل الجميزة الذى تحول الى منطقة سكنية . وكان معسدا
 لبيع أنواع الأطعمة المختلفة ، الطازج والمطبوخ منها، وعرف بسوق بئر
 زويلة (٢) نسبة الى البئر التى كان مرسومة للاصطبل فى العصر الفاطمى
 وعلى نفس الوتيرة فقد ظهر سوق فى خطة اصطبل الطسارمة الذى ظهر
 على أراضى اصطبل الطسارمة فى تلك الفترة أيضا حيث تذكر المصادر (٤)
 أن به سوقا . ومن المؤكد أن ظهور المباني على الميدان الواقع خارج
 باب الفتوح ، قد دفع الى ظهور أسواق فى المنطقة . فأنشئت سوقة
 البلوشون خارج الباب المذكور، بناها أحد أمراء صلاح الدين

(١) عن هذا الاصطبل وتحوله الى منطقة سكنية انظر ص ٣٦٣ .

(٢) عن هذه البئر انظر ص ٤٠٣ .

(٣) وتذكر المصادر أنه عرف بعد ذلك بسوق البندقايتين نسبة لصناع
 قس البندق الذين جعلوا لهم حوانيت فى هذا السوق . المقريزى
 الخطط ٣١/٢، ١٠٤، ١٠٥، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٢، بيد أنه
 من المؤكد أن دخول صناع البندق الى مصر من شرق العالم الاسلامى
 لم يحدث الا فى أوائل القرن (١٢/٥٧م) وذلك عندما طلب الخليفة
 الناصر العباسى (٥٧٥ - ١١٧٩/٥٦٢٢ - ١٢٢٥م) من ملوك الأَطْرَاف
 أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها ويستسبوا اليها فى
 رمى البندق ، اقتداء به ، فأجابوه الى ذلك . القلقشندى : مآثر
 الانفة فى معالم الخلافة تحقيق عبدالستار فرج ، بيروت ٦٠/٢ . ويدل
 على هذا السوق فى العصر الحديث شارع البندقانيين الا أنه تقلص
 حجمه عما كان عليه فى السابق . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية
 ١٥٩/٣ - ١٦١، وانظر خريطة رقم (١٤) فى محاولة تحديد موقع
 هذا السوق الذى من المؤكد أنه كان يتصل ببئر زويلة ، على
 عكس ما هو حاله فى عصر المقريزى حيث تصاغر موضع هذا السوق .

انظر :

A . Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 2.

(٤) عن هذا الاصطبل والخط انظر ص ٣٦٢ .

(٥) المقريزى : الخطط ٣٥/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٤٥، مؤلف
 مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ٤٠ . ويمكن التعرف على موقع
 السوق بشكل عام من خلال تحديد موقع هذا الخط، اذ لم يرد فيما اطلعت
 عليه من مصادر ومراجع تحديد دقيق لموقع هذا السوق . انظر ص ٣٥٢
 هامش ٣ .

(٦) عن هذا الميدان والبناء عليه انظر ص ٣٨٣ .

(١) الأيوبي . ومن المؤكد أن ازدهار النشاط العمراني غربى خليج القاهرة سواء فى المقسى الذى اتصل عمرانها بالقاهرة ، أو على طول الساحل قد أدى الى ظهور أسواق جديدة فى المنطقة ، فبناء المباني والبساتين لأغراض النزهة من عوامل الجذب للأسواق ، يدل على ذلك ماحدث فى بر ابن التبان (٢) فى أواخر العصر الفاطمى ، إذ أن تحوله الى منطقة نزهة فى تلك الفترة أدى الى ظهور العديد من الحوانيت فى هذا المكان . ويبدو أن ظهور الأسواق فى هذه المنطقة فى عهد صلاح الدين كان يرتبط بالطريق الموازى للساحل ، والذى ظهر فى تلك الفترة ، إذ تذكر المصادر بأنه قد أنشئ سوق على هذا الشارع . وكذلك كان الحال مع مباني ساحل الفسطاط (٥) التى لعبت دورا فى جذب النشاط التجارى والصناعى نحو الساحل حيث انتقل هذا النشاط من شرقى المدينة الى غربها كما سيتضح لاحقا .

ومن المظاهر العمرانية التى تعرضت لها الأسواق فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، انتقال الأسواق والصناعات من منطقة الى أخرى . ومن أبرز معالم هذه الظاهرة انتقال بعض الأسواق والصناعات من الفسطاط الى القاهرة ، فمن المعروف أن الفسطاط كانت فى العصر الفاطمى هى المركز الصناعى والتجارى . (٦)

ولذلك فمن المؤكد أن الأسواق الرئيسية كانت تركز فيها ، والتى كانت تقوم بتجارة التوزيع وتوفير المتطلبات الصناعية للسلع والمنتجات المختلفة بينما يلاحظ أنه فى عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي أخذ

(١) بنى هذه السوق أحد مماليك صلاح الدين وسلاح رايته الأمير

سابق الدين سنقر البلشون . المقريزى : الخطط ١٠٦/٢ .

ولاتقدم المصادر والمراجع أى معلومات يمكن من خلالها تقديم تحديد واضح لموقع هذه السوق .

(٢) عن بر ابن التبان انظر ص ٣٢٩ ، هامش (٤) .

(٣) المقريزى : م . س ١١٤/٢ - ١١٥ .

(٤) المقريزى : الخطط ١٣١/٢ .

(٥) عن البناء على ساحل الفسطاط انظر ص ٣٨٧ .

(٦) الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية ص ٢٢ ، عبدالفتاح وهبة

الجغرافيا التاريخية ص ٤١٧ .

العديد من الأسواق الرئيسية ينتقل مجال عملها الى القاهرة ، حيث اختصت بتجارة التوزيع بعض أسواقها أمثال سوق بهاء الدين الذى ظهر فى تلك الفترة (١) ، ويتمثل نشاطه بالقيام بتجارة التوزيع للمواد الغذائية الطازجة فكان (٠٠٠ يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء أصناف الخضروات ٠٠٠) ومن المؤكد أنه منذ تلك الفترة قد أضحت أسواق القاهرة تقوم بانتاج العديد من السلع الصناعية المختلفة ، حيث يذكر ابن سعيد الأندلسى بأن القاهرة تختص ببيع كل ما يلزم الرجال والنساء من ملابس وأدوات زينة ، علاوة على شهرتها بصناعة المنتجات الجلدية من حقائب وسيور ونحو ذلك ، وهى منتجات كانت تتركز فى أسواق الفسطاط فى العصر الفاطمى ، حيث اشتهرت بالصناعات الجلدية فى تلك الأثناء . والراجح أن المصنوعات العاجية والطرائف قد أخذت بالانتقال الى القاهرة أيضا ، فابن جبير الذى نزل فى فندق فى زقاق القناديل بالفسطاط لا يشير لهذه الصناعة التى اشتهر بها هذا الزقاق فى العصر الفاطمى ، كما يذكر ناصر خسرو . مما يدل على انتقال هذه الصناعات الى القاهرة ، حيث أخذت بعض أسواقها بالظهور فى تلك الأثناء ، مثل سوق المشاطيين ، الذى يذكر المقرئى بأنه بنى بعد العصر الفاطمى ، فى المنطقة الواقعة فيما بين الصاغة والمدارس الصالحية (١٠) (١١)

- (١) ص ٤٢٦ .
 (٢) المقرئى : الخطط ٩٥/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٠٦ .
 (٣) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ص ٢٧ .
 (٤) ن . م . س .
 (٥) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٥٩٠ .
 (٦) عن هذا الزقاق انظر ص ٣٩٥ هامش (٤) .
 (٧) ابن جبير : الرحلة ص ١٩ .
 (٨) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٠٣ .
 (٩) عن الصاغة انظر ص ٤٣٥ .
 (١٠) المقرئى : الخطط ٩٧/٢ ، ومن الواضح أن هذا السوق فى الوقت الحاضر يقع ضمن شارع الجوهريية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٥/٢ ، وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق : خريطته رقم (١٤)
 (١١) المدرسة الصالحية تنسب الى الملك الصالح نجم الدين الأيوب (٦٣٧ - ٦٤٧/١٢٣٩ - ١٢٤٩ م) بناها على أجزاء من القصر الشرقى الكبير وأبتدأ بتشيدتها فى عام (١٢٤١/٥٦٣٩ م) المقرئى : م . م . ص ٣٧٤/٢

(١) ولا شك في أن أسواق الأقمشة والملابس التي ظهرت في القاهرة في تلك الفترة كانت تنعكس في وجه من أوجهها لظاهرة الانتقال هذه . والراجح أن أسواق الرقيق قد انتقلت حينئذ من الفسطاط الى القاهرة أيضا، فأصبح هناك سوق للرقيق في بعض أجزاء ميدان بين القصرين حيث كان موضع هذا السوق في المكان الذي أقيمت عليه المدرسة الكاملية .^(٢)

ومن الواضح أن ظاهرة الانتقال للأسواق من الفسطاط للقاهرة ، انما كانت نتيجة طبيعية ، لباحة القاهرة لسكنى العامة والجمهور في عهد صلاح الدين الأيوبي . حيث سجد العديد من التجار والصناع في ذلك فرصة للانتقال للقاهرة لممارسة نشاطهم فيها ، بالقرب من زبائنهم الأساسيين وهم الدولة ورجالها الذين أضخوا في تلك الأثناء أداة رئيسة للاستهلاك تلاحقهم الأسواق حيثما حلوا . هذا بالإضافة الى تخلص الدولة من الجهاز الصناعي الذي كان قائما في "الحاصلات" في العصر الفاطمي . فان مما لا شك فيه أن ذلك قد أدى الى تحول عدد كبير من هؤلاء الصناع الى الأسواق المختلفة للعمل فيها ، مما أسهم على وجه التأكيد في زيادة النشاط الصناعي وتطوره في القاهرة .

ولم تكن حركة انتقال الأسواق والصناعات مقتصرة على انتقالها من الفسطاط الى القاهرة فحسب ، بل انها شهدت حركة تبديل واسعة النطاق لمواقعها في داخل المدينة نفسها . ففي القاهرة تغيرت في عهد الناصر صلاح الدين مواقع بعض أسواقها عما كانت عليه في عهد الفاطميين

(١) سبق أن ذكرنا أن سويقة أمير الجيوش وسوق الجمالون الكبير كانا

يختصان بشكل أساسي ببيع الثياب والأقمشة .

(٢) المقریزی : الخطط ٩٢/٢ ، وانظر خريطة رقم ١٤ .

والمدرسة الكاملية نسبة للملك الكامل الأيوبي (٦١٥ - ١٢١٨/هـ -

١٢٣٧م) أسسها في عام (١٢٢٢/هـ - ١٢٢٥م) وهي أول دار حديث عملت في

مصر . المقریزی : م . س ٣٧٥/٢ .

(٣) ص ٥١٢ .

(٤) ص ٢٢٥ .

(٥) ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

فالمقریزی يذكر أثناء حديثه عن سوق باب الزهومة بأنه قد كان فــــــ^(١)
 موضعه (٠٠٠ في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابله سوق السيوقيين
 من حيث الخشبة الى نحو سوق الحريريين اليوم ٠٠٠٠ ويقابل السوفييين^(٢)
 اذ ذاك سوق الزجاجين ٠٠٠ فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك
 كله ٠٠) فأصبح موضع سوق السيوفييين يمتد من الصاغة الى درب السلسلة^(٣)
 في حين أن سوق باب الزهومة تحول الى سوق للمأكـل والأطعمة ، حيث انتقل
 سوق الصيارف الى مابين القصرين في خان مخصص لهم . في حين أن الصاغة^(٤)
 انتقل سوقهم الى موضع مطبخ القصر ، بعد أن كان في حــــــ^(٥)
^(٦) ^(٧) ^(٨)

- (١) هذا السوق ينسب الى أحد أبواب القصر الشرقى الكبير يعرف بالزهومة
المقریزی : الخطط ٩٧/٢ .
- (٢) يقصد به خط الخشبة . انظر ص ٤١٤ هامش (٣) .
- (٣) يقصد به موقع سوق الحريريين في عصره ، وعن هذا الموقع انظر :
A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 2.
- ويدل هذا التوقيع على أن موقع هذا السوق يدل عليه الشارع الذى
أطلق عليه على باشا مبارك شارع الوراقين . انظر على باشا مبارك
الخطط التوفيقية ١٥٦/٣ ، خريطة رقم ٣١ .
- (٤) المقریزی : ن . م . س . وهذه الأسواق كانت جميعها تقع فى شارع
الجوهرجية الحالى . على باشا مبارك : م . س ١٠٥/٢ .
- (٥) سنشير الى الصاغة فيما يلى .
- (٦) ينسب هذا الدرب الى السلسلة التى كانت توضع عنده مساءً لمنــــع
المرور من خلال ميدان بين القصرين وذلك فى العصر الفاطمــــى
المقریزی : م . س ٣٨/٢ ، ويذكر على باشا مبارك بأنه يدل عليه
ادرى عطف الصاغة . على باشا مبارك : م . س ١٠٨/٢ ، وانظر خريطة
رقم ٣١ .
- (٧) المقریزی : الخطط ٩٧/٢ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٢ .
وانظر لتحديد موقع هذا السوق
A. Raymond E Wiet, op. cit. plan 3.
- وانظر خريطة رقم ٣١ .
- (٨) المقریزی : م . س ١٠٢/٢ ، ولا يزال موضع الصاغة مشهور بمكانه فى شارع
الجوهرجية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٨/٢ .
وانظر أيضا لتحديد موقعها :
A. Raymond E Wiet, op. cit.
- وانظر خريطة رقم ٣١ .

(١) والأمراء، وأصبح سوق صناع الأحذية والزجاجين في سوقهم . أما سوق
الزجاجين القديمة، فلقد أضحت سوقا لصناع الصناديق والخزائن والأسرة
فُعرف بسوق "الصناديقية" . (٣)

ومثلما تغيرت مواضع بعض أسواق القاهرة، فقد تغيرت كذلك مواضع
بعض أسواق الفسطاط، حيث انتقلت كثير من أوجه النشاط الصناعى
والتجارى نحو الساحل فى الأراضى التى كونها الطرح النهري، فمن
الواضح أن مطابخ السكر التى كانت قائمة فى خط دار الملك، والتى
كانت ملكا للدولة قد أنشئت فى تلك الفترة، حيث يشير ابن مهاتى
لمطابخ للسكر هى ملك للدولة فى تلك الأثناء، ويذكر بأنه من حق الأجناد
استخدامها لاستخراج السكر . ويبدو أن المطبخ الذى أوقف على المارستان
الصلاحى كان من جعلتها . (٨)

ومن المؤكد أن الدار الفاضلية، التى بنيت على أجزاء من أراضى
الطرح النهري، كانت مخصصة للصناعات الغذائية التى يدخل التمر فى
موادها الأساسية، فقد أشارت المصادر الى أنها تعرف بصناعة التمر
ولكن دون تبين أسباب ذلك، بل ان هذه الدار كان بها عددا كبيرا من
(٩)

(١) المقرئى : ن . م . س . ولقد سبق الإشارة الى حارة الأمراء
وموقعها . انظر ص ٣٥٣ هامش (٦) .
(٢) وهذا السوق عرف فى عصر المقرئى بالحريريين . المقرئى : ن . م . س
ولقد سبق الإشارة اليه .
(٣) ن . م . س . ويدل على موقع هذا السوق فى العصر الحديث دكاكين
الخرجية فى الشارع الذى يحمل مساهم . على باشا مبارك : م س
١١٠/٢

(٤) عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٤ .

(٥) عن هذا الخط انظر ص ٣٥٦ .

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق ٤١/١ .

(٧) ابن مهاتى : قوانين الدواوين ص ٣٦٧ .

(٨) ابن دقماق : م . س ق ٤٥/١ .

(٩) عن هذه الدار انظر ص ٤٩٨ .

(١٠) ص ٣٨٧ .

(١١) المقرئى : م . س ، ٩٧/٢ .

(١)
الحوانيت والمخازن ، مما يشير الى ظهور النشاط التجارى فى المنطقة
التي تقع فيها فى تلك الأثناء . ومن المؤكد أن انتقال الشارع الأعظم
من شرقى المدينة الى غربيه ، قد أدى الى انتقال السوق الذى يقع عليه
أيضا الى هذه الناحية ، مما يشير بشكل عام الى اتجاه أسواق المدينة
الى ناحية الساحل .

-
- (١) المقريزى : م . س ٧٨/٢ - ٧٩ .
(٢) ص ٤١٦ - ٤١٧ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٣٣ .

(د) المتنزهات والبساتين :

يدل الأصل اللغوي للفظ المتنزهات على أنها تطلق على المواضع البعيدة عن العمران، فالتنزه هو التباعد، والأرض النزهة هي البعيدة عن الريف . (١) وقد يدل اللفظ على البساتين والخضرة . (٢) بالتأمل فيما تذكره المصادر عن متنزهات القاهرة يلاحظ أن اللفظ قد اتسع مدلوله وارتبط بالعديد من المواضع، خاصة تلك التي تقع في ظاهر المدينة والتي تقع على المجارى المائية كنهر النيل والخلجان . (٣) بل يلاحظ أيضا أن مواضع النزهة قد تميزت بخصائص محددة معلومة، فلقد كان وجود غدران الماء في القرافة، من الأسباب الرئيسية التي جعلتها موضع نزهة ولاشك في أن مثل هذا الاعتبار قد جعل مواضع النزهة تتميز بالشبسات العمراني، ولاتكون عرضة للتغير الا فيما ندر . (٤)

فخليج القاهرة ظل لفترة طويلة موضع نزهة لسكانها، تعبهره المراكب حاملة الناس جيئة وايابا، وهذه السمة ظلت للخليج منذ أن أسست المدينة وحتى تاريخ قريب من عصر المقریزی . (٥) بيد أن الشبسات العمراني لمواضع النزهة، لم يجعلها بمنحى عن التطورات العمرانية التي تعرضت لها أقسام المدينة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي اذ شهدت المتنزهات في تلك الفترة العديد من المتغيرات والتطورات العمرانية، أبرزها ماتعرضت له متنزهات الخلفاء الفاطميين من تغيرات (٦)

- (١) الزبيدي : تاج العروس ٤١٦/٩ .
- (٢) ويرى بعض فقهاء اللغة بأن هذا من أغلاط العامة . وهو ما أنكـره الزبيدي . انظر ن . م . س .
- (٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣/ ورقة ١٢٧، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٦/٣ .
- (٤) عن القرافة انظر ص ٤٦١ - ٤٦٤ .
- (٥) ص ١٢٥ .
- (٦) عن هذا الخليج انظر ص ١١٣ - ١١٥ .
- (٧) المقریزی : الخطط ١٤٣/٢ .
- (٨) المقریزی : ن . م . س .
- (٩) كان للفاطميين عدد كبير من منشآت النزهة، فكان لهم بساتين عديدة يتنزهون بها منها البساتين الجيوشية، كذلك كان لهم عدد كبير من المناظر منها اللؤلؤة، والبهل، والتاج، ومنازل العز، والهـودج والأندلس، وقبة الهواء، ودار الملك، وغير ذلك من المناظر . المقریزی : م . س ١/ ٤٦٥، ٤٨٧ .

(١) عمرانية رئيسة . فصلاح الدين الأيوبي لم يكن يميل في حياته الى الترف
لذلك فإنه لم يلتزم طريقة الفاطميين في التنزه وخالفهم في ذلك كثيرا
(٢)
(٣) فكل ما يؤثر عنه خروجه الى بركة الجب للعيد ولعب الاكره، ففي عام
(٤)
(٥) (١١٨١هـ/١١٨١م) خرج صلاح الدين الى هذه البركة (.) للصيد ولعب الاكره
(٦) وعاد بعد ستة أيام (.) وتذكر المصادر بأن القاضي الفاضل ذكر
ذلك كثيرا عن صلاح الدين الأيوبي .

لقد ترتب على ذلك أن تأثرت أوضاع المتنزهات الفاطمية، حيث
تغيرت أوضاعها العمرانية، فأضحى بعضها مساكن لعدد من أقرباء صلاح
الدين الأيوبي ورجال دولته فمنظرة اللؤلؤة التي كانت قصرا من أحسن
القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة (.) جرى
(٧)
(٨) تقسيمها وتحويلها الى عدد من الدور السكنية . وكذلك كانت الحال
(٩) بالنسبة لمنشآت النزهة الواقعة بالقرب منها، والتي كانت تطل على

(١) ص ١٥٥ .

(٢) كان الفاطميون يخرجون كل سبت وثلاثاء الى بساتينهم ومناظرهم
علاوة على اتخاذهم الأعياد والمناسبات المختلفة التي سادت في
عصرهم كأيام تنزه وفرجة . أفاض المقرئ في وصفها . انظر
المقرئ : م . س ٤٦٥/١ - ٤٩٥ ، وانظر : الأمين عوض الله : الحياة
الاجتماعية ص ٣٣ - ٤١ .

(٣) سبق الحديث عن هذه البركة ، انظر ص ١٥٥ ، هامش (٥) .

(٤) سبق الحديث عن الاكره ، انظر ص ١٥٦ ، هامش (٢) .

(٥) المقرئ : السلوك ٧١/١ - ٧٢ .

(٦) المقرئ : الخطط ١٦٤/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة
ورقة ١٩٧ .

(٧) سبق الحديث عن هذه المنظرة ، انظر ص ٣٤٩ هامش (٨) .

(٨) المقرئ : م . س ٤٦٧/١ .

(٩) ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

الخليج من جهته الشرقية ، وتقع فيما بينه وبين القاهرة . كذلك كان الحال بالنسبة لمنازل العز ودار الملك^(٢) ، اللتان كانتا تطلان على النيل وتقعان على شاطئ الفسطاط^(٣) ، فلقد قسمتتا فى ذلك الوقت وأُضحت أجزاء منهما دورا سكنية . أما بستان الدكة^(٤) ، الذى كان به منظره تعرف به^(٥) ، وكان من متنزهات الفاطميين ، فقد تحول الى خطة كبيرة تعرف "بخطة الدكة" تتكون من عدد كبير من الحارات . ولم تكن التغييرات العمرانية التى تعرضت لها متنزهات الفاطميين قاصرة على تحويلها الى مواضع سكنى ، فلقد أخذت بعض بساتينهم بالتحول الى أراضى زراعية خاصة تلك التى تقع خارج سور صلاح الدين الأيوبي ، فظهرت على أراضيها بعض القرى فبستان المعشوق^(٦) ، أضحت من جملة وقف الصابونى ، وهو وقف

- (١) كان يوجد فى هذه المنطقة عدد من مناظر النزهة التى كانت لبنى عبيد ورجالهم مثل الغزالة واللؤلؤة ودار الذهب . انظر المقيزى : م . س ٢٤/٢ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٢٩ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ٢٧ ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٦٩/٣ - ٧٠ .
- (٢) عن هاتين المنشأتين انظر ص ٣٥٠ ، هامش (٢) ، ٣٥١ ، هامش (٤)
- (٣) ابن دقماق : الانتصار ق ١ / ٩٣ ، المقيزى : الخطط ٤٨٣/١ - ٤٨٥ .
- (٤) ص ٣٥٠ - ٣٥١ .
- (٥) سبق الإشارة الى هذا البستان . انظر ص ٣٢٩ هامش (١) .
- (٦) المقيزى : م . س ٤٨٠/١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٧/٣ .
- (٧) المقيزى : م . س ٤٦٢/١ .
- (٨) ص ٣٥٦ .
- (٩) المعشوق اسم لمكان فيه أشجار بظاهر الفسطاط كان فى بادىء الأمر من جملة خطة راشدة ، وعرف بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان المارادى ثم عرف بجنان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٦٥ هـ ٩٥٢ - ٩٧٥ م) وجده بعد ذلك الوزير الفاطمى الأقطب بن أمير الجيوش (٤٨٧ - ٥١٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٢١ م) فعرف به . المقيزى : م . س ١٥٩/٢ .
- (١٠) كان هذا الوقف يشمل جزيرة الصابونى وأجزاء من بركة الحش ، ويذكر المقيزى أثناء حديثه عن المعشوق بأن هذا الوقف أوقفه ابْن الصابونى على بنيه ، لأنه أثناء حديثه عن جزيرة الصابونى يذكر أن الذى أوقفها على الصابونى وبنيه هو والد صلاح الدين الأيوبي حيث أوقفه على الصابونى وبنيه وصوفية بكان بجوار قبة الامام الشافعى ، وهذه الجزيرة من جملة المعشوق اذ أن رباط الآثار من جملة بالاضافة الى أنه من جملة البستان المذكور كما يشير الى ذلك المقيزى مما يدل على أن الوقف أصله واحد وهو وقف نجم الدين أيوب . انظر المقيزى : م . س ١٥٩/٢ ، ١٩٥ .

(٢) أوقفه والد صلاح الدين الأيوبي نجم الدين أيوب على جماعة من الصوفية
(١) أصبح أرضا زراعية ، ونشأت عليه قرية كما يشير الى ذلك ياقوت الحموي
(٣) وكما ظهرت قرية فى موضع بستان المعشوق ، فمن الواضح أن الخندق الذى
(٤) تحول الى بستان فى العصر الفاطمى قد تحول الى أراضى زراعية ، وظهـرت
(٥) عليها قرية كبيرة ، يسكنها أعداد جمعة من الناس وبها سوق وجامع . ومن
(٦) متنزهات الفاطميين التى تحولت الى أراضى زراعية البساتين التى على
(٧) أراضى البعل . فلقد كان للفاطميين بساتين ثلاث متجاورة ، هى بستان
(٨)

(١) عنه انظر ص ٢٤ هامش (١) .

(٢) المقرئى : م . س ١٨٥/٢ .

(٣) عبدالعال الشامى : مدن مصر وقراها عند ياقوت ص ٥٤ ، ولقد اندثرت
هذه القرية نتيجة تسلط مياه النيل عليها أثناء الفيضان ، فزالـت
هى وجزيرة الصابونى التى تتبعها ، ويدل على موقعها فى الوقـت
الحاضر المنطقة المظلة على شاطئ النيل ناحية دير الطين معادى
الخيبرى جنوبى مصر العتيقة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى
٧٧/١ .

(٤) الخندق : موضع بشمالى القاهرة كان يعرف فى بادىء الأمر بمنية
الأصح ، ثم عرف بالخندق عندما بنى جوهر الصقلى خندقا بجوارها
لمواجهة هجوم القرامطة فعرفت به . المقرئى : م . س ١٣٦/٢ ، محمد
رمزى : القاموس الجغرافى ق ٤٢٩/١ .

(٥) كان الخندق فى أوائل العصر الفاطمى قرية ثم تحول الى بستان
وان كانت المصادر لاتقدم تحديدا واضحا لتاريخ هذا التحول
المقرئى : ن . م . س .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ٣٩٢/٢ .

(٧) المقرئى : م . س ١٣٨/٢ ، مؤلف مجهول : م . س ورقة ١٥١ ويدل على
موقع هذه القرية فى الوقت الحاضر المنطقة التى يتوسطها دير
الملاك البحرى بين الزاوية ومحطة الدمرداش . محمد رمزى : ن . م . س .

(٨) البعل ذو دلالات عدة فيقال البعل للأرض المرتفعة التى يصيبها
المطر مرة واحدة فى السنة ، وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى وقيل
هو ماسقى بالمطر من الأراضى ، وغير ذلك من المعانى . انظر
الزبيدى : تاج العروس ٢٢٩/٦ - ٢٣٠ ، المقرئى : م . س ١٢٩/٢ ، وهذه
الأراضى كانت تعد من ضواحي القاهرة ، ثم طغت عليها مباني المدينة
فى الوقت الحاضر ، وتشمل المنطقة التى يحدها شارع الخليج المصرى
من الناحية الشرقية والشارع الواقع الى شمال المستشفى الاسرائيلى
من جهتيها الشمالية الشرقية ، ومن الشمال الغربى تحد بشارع مهمشه
الذى يحدها من الغرب أيضا بالاضافة الى شارع وقف الخربوطلى ، ومن
الجنوب تحد بشارع الظاهر . محمد رمزى : م . س ق ١٥/١ - ١٦ .

(١) البعل والتاج والخمس وجوه، وكان فى كل واحد منهما منظره معــــــده (٢)
بالفرش اللازم للشتاء والصيف، كما يشير الى ذلك المقرئى أشنــــــاء
حديثه عن منظره التاج حيث يقول : " . . . وكان لها فرش معد لهــــــا (٣)
للشتاء والصيف . . . " (٤) . والراجح أنه قد أخذ بتحويل أراضى البساتين
الى أراضى زراعية فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، فزال منها أشجــــــار
البساتين وأضيفت أراضىها لمنية الشيرج (٥) فعدت من جملة (٦) . ومــــــن
المظاهر العمرانية التى تعرضت لها منتزهات الفاطميين هو تقسيم هذه
المنتزهات ، فعلى الرغم من أن منازل العز ودار الملك ، قد جــــــرى (٧)
تحويلهما الى مناطق سكنية . فمن الواضح أن ذلك كان يشمل أجــــــزاء (٨)
منهما فقط فى حين أن هنالك أجزاء أخرى ، وعلى الأخص تلك التى تطــــــل
على النيل فقد احتفظت بأهميتها كمنتزهات ، فيذكر العماد الأصفهانــــــى
بأن هذين القصرين قد استمررا يؤديان غرضهما كمنتزهات فى عهد الناصر
صلاح الدين الأيوبى ، حيث قال فى حوادث عام (١١٧٢هـ/١١٧٦م) (. . .) وتوفرنا
على الاجتماع فى المغانى لاستماع الأغانى والتنزه فى الجزيرة والجيــــــزة
والأماكن العزيزة ، ومنازل العز . . . ودار الملك والنيل (٩) . ومن المؤكد

(١) المقرئى : ن . م . س السخاوى تحفة الأرباب ص ٢٢ .

(٢) المقرئى : م . س ٤٨١/١ .

(٣) هذه المنظره بناها الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش .

المقرئى : ن . م . س .

(٤) ن . م . س .

(٥) منية الشيرج : يقول ياقوت عنها بأنها بلدة كبيرة طويلة ذات سوق

بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر قليلا على طريق الاسكندريــــــة

ياقوت : معجم البلدان ٢١٨/٥ . وكانت تعرف بمنية الأمراء وبهــــــا

معاصر للسهم الذى يستخرج منه زيت الشيرج المعروف بالسيرج وهى

الآن من ضواحي القاهرة . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهــــــرة

ص ٣٧١- ٣٧٢ .

(٦) المقرئى : م . س ١٢٩/٢، ٤٨١/١ .

(٧) عنهما انظر ص ٣٥٠ هامش (٢) ، ٣٥١ هامش (٤) .

(٨) ص ٣٥٦ .

(٩) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٦٨٥/٢/١ .

(١)
أن متنزهات الفاطميين التي كانت فى جزيرة الروضة، قد جرى تقسيمها
أيضا، إذ تشير الكشوفات الأثرية الى بقايا قصر يعود لفترة مبكرة من
العصر الأيوبي، (٢) الراجح أنه قد بنى على أجزاء من بعض متنزهات
الفاطميين التي كانت فى الجزيرة خاصة وأن جزيرة الروضة كانت موضع
اهتمام كمكان للنزهة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . حيث يذكر
ابن جبير أثناء حديثه عنها، بأنها كانت تعتبر حينئذ مجمع اللها
والنزهة . (٣) ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها المتنزهات فى
عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، إهمال بعض المتنزهات وتحولها الى
خراب وهدم البعض الآخر . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ماتعرض له البستان
الكافورى، (٤) الذى كان (... متنزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم ...)
فمن الواضح أن هذا البستان قد أهمل فى الفترة الصلاحية، حيث اتخذ
بعض الفقراء مكانا لزراعة الحشيشة . (٥) وذلك قبل أن يبدأ البناء عليه

(١) كانت هذه الجزيرة تعرف بجزيرة مصر وجزيرة الصناعة ثم عرفت بعد
ذلك بجزيرة الروضة نسبة الى بستان بناه فيها الوزير الفاطمى
الأفضل بن أمير الجيوش (٤٨٧ - ١٠٩٤/٥١٥ - ١١٢١م) وذلك فى عام
(١٠٩٦/٥٩٠م) وسماه بالروضة فنسبت الجزيرة اليه . عنها انظر
ابن دقماق : الانتصار ق ١/١٠٩ - ١١٨، المقرئى : الخطط ١٧٧/٢ - ١٨٥
محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ١ ص ٢٠٨، عبدالرحمن زكى : امتداد
القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك، ضمن أبحاث ندوة
القاهرة ٦٢٣/٢ - ٦٢٤، ولقد استخدم الفاطميون هذه الجزيرة كموضع
نزهة منذ أوائل عهدهم وكان لهم عدد من المنشآت فيها لهم
ولأتباعهم حيث يبدو أنها جعلت كمتنزه خاص لهم . المقدسى
أحسن التقاسيم ص ٢٠٠، ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٠٤، ابن دقماق
الانتصار ق ١/١٠٩ - ١١٥، المقرئى : م . ص ١٨١/٢ - ١٨٢ .

(٢) Jean Floude Garcin , Bernard Maury Jaques Revault,
Mona Zakariya , Palais Et Maisons Du Caire Epoque
Mamelouke , Paris , 1982, Vol. I , p. 32-36.

(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٢٩ .

(٤) ص ٣٧٢، هامش (١) .

(٥) المقرئى : الخطط ١/٥٧٧ .

(٦) الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٣١ .

ويختط فى عام (١٢٥٣/هـ) (١) . أما المتنزهات التى هدمت ، فهى تـلـك
(٢)
المنشآت التى كانت للفاطميين ورجال دولتهم فى القرافة الكبـرـى
التى كانت من أهم متنزهات الفاطميين ، حيث أنهم بنوا فيها العديـد
(٣)
من القصور والبساتين ، ونزل بها غالبية أهل الدولة كما يذكر السخاوى
غير أن تلك المنشآت قد جرى هدمها ، ذلك أن "قصر الأندلس" الذى سمـاه
(٤)
المقريزى بقصر القرافة ، جرى هدمه فى أوائل عام (٥٦٧/هـ) (١١٧١م) بعـد
(٥) وأنه من الموء كـد
أن انتهت الدولة الفاطمية . خاصة / أن المنشآت المذكورة قد التهمتـها
(٦)
النيران أثناء حريق الفسطاط عام (٥٦٤/هـ) (١١٦٨م) .

أما عن المظاهر العمرانية الأخرى التى تعرضت لها المتنزهات
والبساتين فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فإن من أبرزها ظهور
أماكن جديدة كمواضع للنزهة ، فقد ظهر بعضها فى داخل القاهرة . حيث
(٧)
كان لظهور خط بين القصرين فى تلك الفترة سببا فى أن يتحول هـذا
الموضع الى متنزه " تمر فيه أعيان الناس وأماثلهم فى اللـيـل
مشاه لرؤية ماهناك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد من الكثرة
(٨)
ولرؤية ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين مما فيه لذة للحواس الخمس " بل
ان هذا التطور أدى الى أن يتحول هذا المكان الى أهم متنزهات المدينة
يدل على ذلك الأعداد الكبيرة من الناس التى كانت تمر فيه جيئة وذهابا
(٩)
لغرض التفرج والنزهة . كذلك أخذت المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط

-
- (١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٥٢ . وانظر على نفس المعنى : ابـن
تغرى بردى : النجوم الزاهرة ص ٤٨ .
(٢) عن القرافة الكبرى انظر ص ٤٦٢ ، هامش (٤) .
(٣) السخاوى : تحفة الأحباب ص ١٨٠ - ١٨١ .
(٤) هذا القصر بنته تغريد أم العزيز بالله العبيدى (٣٦٥ - ٢٨٦ هـ /
٩٧٦ - ٩٩٦ م) فى عام (٣٦٦/هـ) (٩٧٦م) . المقريزى : الخطط ١/٤٨٦ ، ٢/٤٥٣ .
(٥) ن . م . س .
(٦) ص ٣٠٨ .
(٧) ص ٣٩١ - ٣٩٢ .
(٨) المقريزى : م . س ٢/٢٨ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٢٤ .
(٩) العبدري : الرحلة المغربية ص ١٢٨ ، المقريزى : م . س ٢/٢٩ .

والقاهرة على يمين الخارج من باب زويلة^(١) بالتحول الى مكان للنزهة . اذ تذكر المصادر بأن حارة المنصورية^(٢) التى أحرقت ابان ثورة العبيد^(٣) (١١٨٦/٥٥٦٤م) قام بعض^(٤) أمراء الدولة الصلاحية بازالة أنقاضها وتحويلها الى بساتين لهم ، الأمر الذى ترتب عنه أن امتدت البساتين من الباب المذكور وصولا الى المشهد النفيسى . بل يبدو أن البساتين امتدت وصولا الى باب مصر فى الفسطاط . اذ يذكر ابن الطوير بأن شئون الاتبان^(٥) التى كانت مخصصة لاصطبلات الخلفاء^(٦) والتى كانت تقع على الساحل تحولت الى بساتين تنسب الى صارم الدين خطيبا . ومن الأماكن التى بدأت بالتحول الى موضع نزهة فى تلك الفترة ، منطقة المقابر التى تعرف بالقرافة . اذ من المؤكد أنه منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي أخذت هذه المنطقة بالتحول الى موضع نزهة ، تبنى بها البساتين والمنشآت التى تحقق هذا الغرض . ففى عام (١١٧٨/٥٥٧٤م) بنى الحاجب لؤلؤ^(٧)^(٨)

- (١) انظر خريطة رقم ١٥ .
- (٢) عن هذه الحارة انظر ص ٣١٩ ، هامش (٣) .
- (٣) ص ٣٩٧-٣٩٨ وعن هذه الثورة انظر ص ٢١٤ - ٢١٥ .
- (٤) ابو شامة : الروضتين ٤٥٢/٢/١ ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٧٢ - ٧٣ .
- (٥) المقرئى : م . س ١١٠/٢ .
- (٦) عن هذه الاصطبلات . انظر ص ٤٣٨ هامش (٣) .
- (٧) المقرئى : م . س ٤٤٥/١ .
- (٨) وصارم الدين هو خطيبا بن موسى الفارسى التبتى من أمراء الدولة الصلاحية (ت ١٢٣٧/٥٦٣٥م) يذكر المقرئى بأنه استقر فى ولاية القاهرة سنة (١١٧٦/٥٥٧٢م) وأضيفت اليه ولاية الفيوم سنة (١١٨١/٥٥٧٧م) ليصرف عنها ويسلم اليمن فى نفس السنة ، الا أن العماد الأصفهاني يشير فى ثنايا حديثه عن السنة نفسها بأنه كان متوليا للفسطاط وليس القاهرة . العماد الأصفهاني : البرق الشامى (سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي) تحقيق رمضان ششنى ، اسطنبول ، ١٩٧٩م ، ١٥٣/٥ ، المقرئى : م . س ١٢٠/٢ .
- (٩) عنها انظر ص ٤٦١ - ٤٦٤ .
- (١٠) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ٣/ ورقة ١٢٧ - ١٢٨ ، القلقشندي صبح الأعشى ٣/ ٣٧٥ .

(١) العادلى بستانا فى رحبة مسجد الأندلس ، الذى يقع فى القرافة المـغـرى (٣)
كذلك فان العماد الأصفهاني يشير أثناء حديثه عن متنزهات المـديـنة
فى تلك الأثناء، الى قصور فى القرافة (٤) . من الواضح أنه يقصد بهـا
منطقة المقابر، التى يذكر ابن سعيد الأندلسي بأنه شاهد بها منـازل
لأعيان الفسطاط والقاهرة (٥) . وعلى الرغم من أن بعض المصادر تذكر بأن
الفاطميين كانت لهم منشآت نزهة فى القرافة الكبرى ، فان من الواضح (٦)
أن القرافة التى كانت فيها هذه المنشآت ، لم تكن منطقة المقابر
وانما كانت منطقة سكنية ، اذ يذكر ابن حوقل أثناء حديثه عن جامع
القرافة الذى كان يعرف بجامع الأولياء ، بأنه يقع فى القرافة ، والتى
عرفها بأنها : " موضع بظاهر مصر " (٨) ، ولم يذكر بأنها هى المقبرة
التى كانت للمدينة . هذا بالإضافة الى أن المصادر التى تحدثت عن
مقابر المدينة أثناء العصر الفاطمي لا تشير الى وجود منشآت للنزهة
فيها فى تلك الأثناء ، فالمقدسي عندما يتحدث عن هذه المقابر يذكر
بأنها كانت سكنا للزهاد والعباد ولا يشير الى وجود المنشآت الأخرى (٩)
وهكذا فان مما لا شك فيه أن القرافة التى كانت موضع نزهة للفاطميين
كانت منطقة سكنية فى نفس الوقت ، حيث يشير المسبحى فى تاريخه فى أكثر

(١) هو لؤلؤ الحاجب الأرمني (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م) كان من أجناد الأسطول
فى عهد الفاطميين ثم ترقى فى الخدمة فى دولة الناصر صلاح الدين
حتى ولى أمره للأسطول اشتهر أمره عندما قام باحباط محاولة
الفرنج مهاجمة المدينة المنورة عام (٥٩٨هـ / ١١٩١م) . كان محبا
للخير كثير الصدقة . المقرئى : الخطط ، ٨٥ / ٢ - ٨٦ .

(٢) هذا المسجد من جملة مساجد القرافة المـغـرى فى شرقيها ، يقال بأنه
بنى عند فتح مصر وقيل فى خلافة معاوية رضى الله عنه . المقرئى
م . س . ٤٤٦ / ٢ .

(٣) ن . م . س . وعن القرافة المـغـرى انظر ص ٤٦٢ ، هامش (٤) .

(٤) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٦٨٥ / ٢ / ١ .

(٥) ابن سعيد الأندلسي : الاغتباط فى حلى الفسطاط ص ١٠ ، المقرئى
م . س . ٤٤٤ / ٢ .

(٦) انظر فيما يذكره السخاوى / تحفة الاحباب / ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٧) هذا الجامع يقع بالقرافة الكبرى ويقع فى منطقة كانت فى الأصل
خطة من خطط الفسطاط الأولى تعرف بخطة المغافر . بنته تغريد أم
العزیز بالله العبيدى (٣٦٥ - ٩٧٦ / ٥٣٨٦ - ٩٩٦م) فى سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م)
المقرئى : الخطط ٣١٨ / ٢ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٣٨ .

(٩) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٠٩ .

(١) من موضع الى طائفة من الجيش الفاطمى كان يطلق عليهم "القرافيون" والمرجح أن تكون هذه النسبة قد لاحقتهم نتيجة سكانهم للمنطقة ، اذ أن من الواضح أن هذه الطائفة من الجند لم تكن تقطن فى منطقة القبور، ومما يؤكد ذلك أن ابن دقماق يذكر أثناء حديثه عن حريق الفسطاط عام (١١٦٨هـ/١١٦٨م) ^(٢) بأنه قد أحرقت مدينة يطلق عليها "باب ليون" وأن مايدل على تلك المدينة فى عصره (الكيمان التى بالقرافة خارج السور)، وهذه المنطقة هى التى عرفت بالقرافة الكبرى كما سيتضح لاحقاً . ^(٣) مما يشير الى أن موضع النزهة والمنطقة السكنية هذه لم تتحول الى مقابر الا بعد العصر الفاطمى .

ومن المظاهر العمرانية التى تعرضت لها المتنزهات فى عهد الناصر صلاح الدين ، تغير أوضاع بعض هذه المتنزهات ، خاصة المواضع المائية - الخلجان والبرك وساحل النيل - اذ أخذت المنشآت تتقدم باتجاه هذه المواضع ، وبشكل كبير فاق ماكان عليه الحال زمن الفاطميين . فبالنسبة للخلجان ، فلقد أخذت المناظر تحيط بشواطئها ، فلاشك فى أن تقدم المباني تجاه الساحل خلال فترة البحث ، قد أدى الى أن تظهر على جانبى خليج القاهرة - وعلى الأخص الشرقية منه - العديد من المناظر ومنشآت النزهة التى تطل عليه كما يذكر ابن سعيد ، وذلك على غير ماكان عليه الحال فى عهد الفاطميين ، حيث كان يفصل بين المناظر المظلة على هذا الخليج ^(٤) والخليج شارع يخرج اليه الناس عصراً فى أغلب الأيام للتفرج والنزهة ^(٥)

-
- (١) المسبحى : أخبار مصر ص ١٧٤، ١٧٦ .
 - (٢) عن هذا الحريق انظر ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .
 - (٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٨ .
 - (٤) ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .
 - (٥) عن هذه الخلجان انظر ص ١١٣ - ١١٧ .
 - (٦) ص ٣٨٨ .
 - (٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ص ٣١ ، المقرئى : الخطط ١/٣٦٨ .
 - (٨) عن هذه المناظر انظر ص ٣٦٤ .
 - (٩) المقرئى : الخطط ٢/٢٤، ١٠٩ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٢٩ ، البكرى : قطف الأزهار لوحة ١١١ ، مؤلف مجهول : تاريخ المصـــــر القاهرة ورقة ٢٧٠ .

كذلك كان الحال بالنسبة لخليج الخور^(١) الذى يثبت عليه مناظر فى تلك الفترة، اذ بنى الشيخ عبدالكريم الصعبي^(٢) مناظر تطل على النيل وعلى هذا الخليج^(٣).

ومن المرجح أن الخلجان التى كانت تقع جنوبى الفسطاط قد بنى عليها منشآت للنزهة منذ تلك الفترة^(٥). اذ أن البرك التى تقع فى هذه المنطقة بدأت منشآت النزهة والبساتين تحيط بها منذ ذلك العهد، كما سيتضح فيما يلى. هذا فيما يتعلق بالخلجان، كذلك فإن منشآت النزهة والبساتين أخذت أيضا تحيط بالبرك التى كانت توجد فى أجزاء مختلفـة من المدينة الكبرى^(٧). فالبرك التى كانت توجد جنوبى الفسطاط أخذت منشآت النزهة تحيط بها وتلتصق بشطوطها، فناحية العدوية التى تحدد بركة الحبش من ناحيتها الجنوبية^(٩) بدأت بالتحول الى موضع للنزهة فى تلك الفترة، اذ يذكر العماد الاصفهاني أثناء حديثه عن حوادث عام ١١٨١هـ/١١٨١م) بأن الأمير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن منقذ^(١١)

-
- (١) عن هذا الخليج انظر ص ١١٥ - ١١٦.
- (٢) هو الشيخ كريم الدولة عبدالواحد بن محمد بن على الصعبي - توفى فى رمضان عام ١٢٠٦هـ/١٢٠٦م) - المقریزی : الخطط ١١٩/٢.
- (٣) ن . م . س .
- (٤) عن هذه الخلجان انظر ص ١١٦ - ١١٧.
- (٥) ابن دقماق : الانتصار ٥٥/١.
- (٦) عن هذه البرك انظر ص ١١٧ - ١١٨.
- (٧) عن هذه البرك انظر ص ١١٧ - ١٢٤.
- (٨) يذكر ياقوت بأنها فى وقته قد أضحت قرية ذات بساتين قرب الفسطاط على الشاطئ الشرقى من النيل تلقاء الصعيد . ياقوت الحموى معجم البلدان ٩٠/١، أما محمد رمزى فيذكر بأنه يدل عليها فى وقت عزبة تحمل نفس الاسم من توابع ناحية الفاروقية بجوار معادى الخبيري فى أراضى البساتين بالجيزة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى ٨٣/١، ويدل عليها الآن دير العدوية الذى يوجد فى هذه المنطقة . عبدالعال الشامى : مدن مصر وقراها ص ٥٤.
- (٩) عن هذه البركة انظر ص ١١٧ - ١١٨.
- (١٠) المقریزی : الخطط ١٥٣/٢.
- (١١) هو أبو الميمون المبارك كامل بن على بن مقلد بن ناصر بن منقذ الكنانى (ت ١١٩٣هـ/١١٩٣م) من أمراء حصن شيرز بالشام، كان له مكانة فى الدولة الملاحية، استنابه شمس الدولة باليمن بعد أن ضمها للمزيد عنه انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٤/٤ - ١٤٦.

دعاه الى دعوة أقامها فى هذه الناحية، بعد ما اشتراها من السلطان
 صلاح الدين الأيوبي، وأجرى فيها الاصلاحات اللازمة حيث (١) ... عدل
 أحوالها بالعمارة السوية (٢) فأضحت (٣) ذات جنان وعيون وأفنان
 وحدائق فاخرة، وهى على الحقيقة جنة القاهرة (٤) . وكذلك كان الحال
 بالنسبة للبرك الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة، فمن المؤكد
 أن منشآت النزهة من مناظر وبساتين قد أخذت تحيط ببركة الفيل منذ
 تلك الفترة، إذ أنشأ الأمير سيف الاسلام طفمكتين بستانا نسب اليه، كان
 يطل على هذه البركة من جهتها الشرقية (٥) .
 كذلك فان بستان الحبانية كان يقع على هذه البركة من جهتها
 الشمالية كما تشير بذلك التوقيعات على الخرائط (٦) . وهو بستان لاشك
 بأنه أسرفى تلك الفترة على أجزاء من حارة فاطمية كانت فى موضعه (٧)
 (٨)
 (٩)
 (١٠)

-
- (١) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٢/٢٥، البندارى : سنا البرق الشامى
 ص ١٨٩ .
- (٢) البندارى : ن . م . س .
- (٣) ن . م . س .
- (٤) عن هذه البرك انظر ص ١١٨ - ١١٩ .
- (٥) ابن سعيد المغربى : النجوم الزاهرة ص ٢٧، المقرئى : الخطط
 ١٣٣/٢، ٣٦٧: ١ .
- (٦) هو الملك العزيز سيف الاسلام أبو الفوارس طفمكتين بن أيوب (ت ٥٩٣هـ
 ١١٩٦م) أحد اخوة الناصر صلاح الدين الأيوبي، ولاء اليمن عام (٥٧٧هـ /
 ١١٨١م) بعدما عاد عنها شمس الدولة توران شاه الذى كان قد ضمها
 واليه ينتمى البيت الأيوبي الذى حكم اليمن . انظر : ابن خلكان
 م . س ٢/٥٢٣ - ٥٢٤، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١١، لابن العمار
 الحنبلى : شذرات الذهب ٤/٣١٢ - ٣١٣ .
- (٧) المقرئى : م . س ٢/١٣٤، ويدل على موضع هذا البستان فى الوقت
 الحاضر حارة الألفى فى شارع السيوفية . على باشا مبارك : الخطط
 التوفيقية ٢/١٨١ . وانظر خريطة رقم ١٥ .
- (٨) المقرئى : م . س ٢/١٣٣ .
- (٩) يدل على موقع هذا البستان شارع الحبانية الحالى، والذى يذكر على
 باشا مبارك بأنه يقع عليه فى عصره بقايا بستان يعتقد بأنه من
 أجزاء البستان المذكور . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية
 ٣/٢٤٥، وانظر خريطة رقم ١٥ .
- (١٠) ص ٣٩٩ .

المسألة

حيث أن الناصر صلاح الدين قد أوقفه على خانقاه سعيد المسألة
كما أخذت منشآت النزهة تحيط بالبرك الواقعة في هذه المواضع ، فلقد
أخذت هذه المنشآت تتجه نحو البرك الواقعة غربى الخليج ، فضمت الصغيرة^(٢)
منها الى منشآت النزهة التى أنشأها بعض الأفراد فى هذه المنطقة
حيث يذكر العماد الأمفهانى أثناء حديثه عن حوادث سنة (١١٧٦هـ/١١٧٦م) بأنه
كان يوجد فى مصر حينئذ شيخ صوفى من أهل بلخ بنى دارا على شاطئ^(٣)
النيل (... فيها بركة وبستان ...) ومن المؤكد أن العديد من^(٤)
المناظر قد أنشئت على بركة الشفاف فى تلك الفترة . ويذكر المقرئزى^(٥)
بأن هذه البركة (... كان عليها فى القديم عدة مناظر ... وذلك أيام
كانت أراضى اللوف مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دورا وذلك بعد
سنة ستمائة ...) (١٢٠٣م) . ومن الواضح أن هذا البناء يعود الى^(٦)
عصر صلاح الدين الأيوبي ، إذ أن أراضى اللوق لم تظهر عليها منشآت
النزهة الا منذ ذلك العهد .^(٧)

ومن خلال العرض السابق نلاحظ بأن علاقة منشآت النزهة بالبرك قد
توطدت الى حد بعيد فى تلك الأثناء ، بل ان صلاح الدين الأيوبي نفسه
كان من عادته التنزه عند بركة الجب كما سبق أن شاهدنا ، وهو مظهر^(٨)
حافظ عليه الأيوبيون من بعده ، حيث كانت هذه البركة من أخص متنزهاتهم^(٩)

- (١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٦٥ . وعن هذه الخانقاه انظر ص ٤٨٢-٤٨٣
- (٢) عن هذه البرك انظر ص ٢٠ - ١٢١ .
- (٣) لم يقدم البندارى أى معلومات واضحة عنه . البندارى : سنا البرق الشامى ص ١٢١ ، وان كان من المؤكد أنه هو اللسان الصفى البلخى الذى كان صديقا لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي ، وكان له دار على الشاطئ . ولم أعثر على ترجمة واضحة عنه فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع . انظر أبو شامة : الروضتين ١/٢٨٥ - ٦٨٦ .
- (٤) البندارى : ن . م . س .
- (٥) عن هذه البركة انظر ص ١٢٣ .
- (٦) المقرئزى : م . س ، ٢/١٦٢ .
- (٧) ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .
- (٨) ص ٤٣٩ .
- (٩) المقرئزى : م . س ، ١/٤٨٩ .

كذلك فلقد أخذت في تلك الفترة العديد من منشآت النزهة بالظهور على شاطئ النيل في المنطقة الواقعة غربى الخليج . فأنشئ في تلك الفترة العديد من البساتين على الأراضى المتخلفة من الطرح النهري . فعلى (١) أجزاء من هذه الأراضى أنشأ وزير صلاح الدين الأيوبي القاضى الفاضل (٢) بستانا كبيرا كان يمين الفسطاط والقاهرة بشماره وأعنا به . وتذكر المصادر بأن القاضى المذكور قد اشترى قطعة كبيرة من أراضى اللوق ووقفها على العين الزرقاء بالمدينة المنورة ، من أجل نظيفها وتنظيف مجاريها ، وان هذه الأراضى عرفت ببستان ابن قريش . كذلك كان لأحد (٣) (٤) (٥)

(١) عن هذه الأراضى وماطرأ عليها من تطورات انظر ص ٨٢ - ٩٨ .

(٢) عنه انظر ص ٢١-٢٢ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار ١/١١٩ ، المقرئى : م . س ١٠٩/٢٠٣٤٥/١ .

ولقد طفى الفيضان النهري على هذا البستان واندثرت معالمه ، وكان ذلك فى أوائل العصر المماليكى ، المقرئى : م . س ٢٩٨/٢ ، ويذكر على باشا مبارك ، بأن محل هذا البستان بعض الأراضى التى عليها القصر العالى والقصر العينى ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٣١/٣ .

ويذكر عبد الرحمن زكى على وجه التقريب بالمنطقة التى تحد من الشمال بشارع الطرقة الغربى ومن الغرب بشارع القصر العينى ومن الجنوب بشارع عمر بن عبد العزيز ومن الشرق بشارع الخليج المصرى (بور سعيد) وشارع الدواوين . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٧٠ . انظر خريطة رقم ١٥ .

(٤) وأصلها عين الأزرق ، أما لفظ الزرقاء فهو من اطلاقات العامة والأزرق هو مروان بن الحكم عرف بذلك لزراق عينيه أجرى هذه العين بأمر من معاوية رضى الله عنه . وتقع هذه العين فى ظاهر المدينة قبالة مصلى العيد . انظر : السمهودى : نور الدين على بن أحمد (ت ١٥٠٥/٩١١م) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد

محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ٣/٩٨٥ ، ٩٨٧ . (٥) المقرئى : م . س ١١٧/٢ ، ولعل ابن قريش هذا هو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبد الرحمن بن على بن قريش أحد كتاب الانشاء فى الدولة الصلاحية . مات شهيداً على عكا سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) المقرئى م . س ٨٦/٢ . ولاتقدم المصادر أية معلومات واضحة عن موقع هذا البستان ضمن أراضى اللوق ، بيد أن المقرئى يذكر بأن هذا البستان =

(١) أمراء صلاح الدين الأيوبي ، وهو سابق الدين البلشون بستانا فى المقسى (٢)
 عرف ببستان البلشون ، ومن المرجح أنه أنشأ على الأراضى التى تكونت (٣)
 من الطرح النهري فى هذه المنطقة . ويذكر المقريزى أثناء حديثه عن (٤)
 بستان ابن ثعلب ، بأنه كان من جملة حدوده الشرقية بستان عرف ب (بستان (٥)
 الأمير قراقوش ٠٠٠) . ولأنه كان بستانا لبهاء الدين قراقوش (٦)
 أحد كبار أمراء الدولة الصلاحية . من المؤكد أنه أنشأ على الأراضى (٧)
 التى تخلفت من الطرح النهري . بل ان البساتين والمتنزهات تقدمت
 لتغطى بعض الجزر التى كانت تتخلف من هذا الطرح ، فلقد كان للشيخ (٨)
 عبد الكريم الصعبى ، بستان يعرف بالجزيرة يعنى بستان الجزيرة (٩)
 المعروف بالصعبى وكان من البساتين الجيلة (١٠) . مما يشير الى أن هذا
 البستان كان يقع على جزيرة كانت توجد بالقرب من الشاطئ فى تلك

= دخل بعضه ضمن أراضى الميدان الظاهري . والذى يقع جنوبى الميدان
 الصالحى . المقريزى : م . س ١١٧/٢ ، ١٩٨ ، ويدل على الميدان الصالحى
 الآن أراضى اللوق بشارع الصنافيرى . على باشا مبارك : الخـ
 التوفيقية ٢٢٣/٣ ، انظر خريطة رقم ١٥ .

- (١) عنه انظر ص ٤٣٢ ، هامش (١) .
- (٢) عن المقسى انظر ص ٨٤ ، هامش (٢) .
- (٣) المقريزى : م . س ١٠٦/٢ ، يصعب تحديد موقع هذا البستان لعدم توفر
 أى معلومات واضحة عنه ، وان كان من المرجح أنه يقع على ساحل
 المقسى ، كما سيتضح فيما يلى . انظر خريطة رقم ١٥ .
- (٤) عن هذه الأراضى انظر ص ٩٠ - ٩٢ .
- (٥) هذا البستان كان بستان عظيم القدر يتكون من خمسة وسبعون فدانا
 وينسب الى الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب أحد أمراء
 الدولة الأيوبية فى عهد الملك العادل بن أيوب . المقريزى : م . س ،
 ١١٨/٢ .

(٦) ن . م . س . ويدل على موقع هذا البستان بعض أراضى تل سن ابـره
 أو تل اليهودية كما تعرف فى بعض الأحيان ، كما يشير الى ذلك
 على باشا مبارك أثناء حديثه عن خطهم الخور . على باشا مبارك
 : م . س . ٢٢٥/٣ ، ٢٢٦ ، وانظر خريطة رقم ١٥ .

- (٧) عنه انظر ص ٣٨٦ ، هامش (٥) .
- (٨) ص ٨٣ .
- (٩) عنه انظر ص ٤٤٨ ، هامش (٢) .
- (١٠) المقريزى : م . س ١١٩/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة
 ورقة ١٤١ .

(١) الأثناء . وبالإضافة الى البساتين فلقد أخذت المناظر والدور بالظهور على شاطئ النيل فى هذه المنطقة ، ومن أبرز الدلائل على ذلك مناظر —————
الصعبى التى كانت تشرف على نهر النيل . ومنشأة القاضى الفاضل التى
كان قد بناها بجوار بستانه سابق الذكر ، وكانت تتكون من عدد —————
الدور ، من المؤكد أنها كانت تستخدم لأغراض النزهة . كذلك فان العماد
الأصفهانى يشير الى بعض أفراد المجتمع القاهرى ، الذين كان لهم عدد
من الدور جعلوها للنزهة والضيافة ، وكانت تقع على شاطئ نهر النيل
من المؤكد أنه الشاطئ الذى يقع غربى الخليج فى هذه المنطقة .

ويتضح من خلال العرض السابق بأن منشآت النزهة ، قد توطدت
علاقتها حينئذ بشاطئ النيل ، مثلما حدث مع الخلجان والبرك فى تلك
الفترة أيضا . وهو ما أشار اليه المقرئى أثناء حديثه عن أراضى
اللوق ، حيث أوضح بأن بناء منشآت النزهة فيها لم يحدث الا بعد
ما أن بنى بها القاضى الفاضل منشأته سابقة الذكر حيث يقول : (..... وأرض
اللوق هذه كانت بساتين ومزروعات ولما يكن بها فى القديم بناء البتة
ثم لما انحسر الماء من منشأة الفاضل عمر فيها ٠٠٠) (٧) أى أن البناء

(١) ومن الواضح أن هذه الجزيرة والبستان قد أصبحا بعد ذلك من جملة
بستان ابن ثعلب كما يشير الى ذلك المقرئى أثناء حديثه عن مناظر
الصعبى وبستانه . المقرئى : ن . م . س . وبالتالى فان هذا
البستان يشمل المنطقة التى فيها تل سن ابره أو تل اليهودية
بالإضافة الى الدور والأزقة والحارات الواقعة على يسار السالك فى
شارع باب اللوق ابتداء من جامع الطباخ الى المنطقة الواقعة غربى
الشارع الموصل الى مصر العتيقة بالإضافة الى المنطقة التى تحتلها
بركة قرموط والتى يذكر على باشا بأنه يقع فى موضعها فى عصره
بعض المنازل والقصور بالقرب من شارع مصر العتيقة . على باشا
مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٧/٣ - ٢٣٠ . وانظر خريطة رقم (١٥) .

(٢) المقرئى : ن . م . س .

(٣) عنه انظر ص ٢١-٢٢ .

(٤) ابن دقماق : الانتصار ١١٩/١ ، المقرئى : الخطط ٣٤٥/٢ .

(٥) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٦٨٥/٢/١ - ٦٨٦ .

(٦) ص ص ٤٤٧ ، ٤٥٠ .

(٧) المقرئى : م . س ١١٧/٢ .

للنزهة لم يظهر فى هذه المنطقة الا بعد ماعمرت منشأة القاضى الفاضل وخاصة وأن فرصة البناء على شاطئ النيل قد أصبحت مواتية منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي نظرا لابتعاد خطر الفيضان النهري، وهو الأمر الذى لم يكن متوفرا فى العصر الفاطمى . الأمر الذى أدى الى اندفاع المدينة باتجاه الساحل . لتتحول أجزاء كبيرة منه الى مواضع تبطن عليها منشآت النزهة المختلفة، حيث استمر هذا الوضع الى ما بعد سنة (١٢٠٣هـ/١٢٠٣م) كما تشير الى ذلك المصادر أثناء حديثها عن أراضى اللوق .^(٢)

وبشكل عام فبالامكان القول بأن علاقة المدينة بالمواضع المائية - خلجان، برك، وشاطئ النيل - قد توطدت الى حد بعيد فى تلك الأثناء وذلك من خلال منشآت النزهة التى أقيمت بجوارها .

(١) انظر ص ٩٧-٩٨ .

(٢) المقرئى : م . س ١٦٣/٢، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ١٨٧ .

(هـ) الرحاب والميادين :

لاتخلوا أى مدينة من المدن من وجود ساحات فى داخلها وان اختلفت المسميات التى تطلق عليها، وبالنظر الى ماتقدمه المصادر من نصوص عن ساحات القاهرة فبالامكان القول بأن هناك نوعان رئيسيان من هذه الساحات (١) الأولى الرحاب، والثانية هى الميادين .

وبالنظر الى الأصول اللغوية لهذه الألفاظ، بالإضافة الى ماتقدمه المصادر والدراسات الحديثة عن هذه المواضع ، فان بالامكان استجلاء بعض المفاهيم العمرانية التى تميز فيما بين تلك الساحات الى حد ما فالرحبة تدل بشكل عام على الموضع الخالى من البناء المتميز بالاتساع ويذكر الزبيدى بأن الرحبة لفظ يطلق على المكان الواسع . وعلى الرغم من أن هذا الاطلاق لايقدم دلالة عمرانية واضحة المعالم ، حيث لايمكن تلمس مدلولات وظيفية من خلاله ، يمكن من خلالها تحديد دور الرحبة العمرانى ومدى تداخله مع الهيكل المادى للمدينة . الا أن من الواضح أن الساحات التى كانت تستخدم للتهوية والاضاءة فى الأحياء السكنية ، أو كتقاطعات للطرق كانت تعرف "كرحبة" . ولذلك كان فى الحارات رحاب ، من المؤكد أنها وجدت للقيام بمثل هذه المهام . أما بالنسبة للميدان فـ (٢) (٣) (٤) المعلومات تبدو أشد وضوحا عنها مما هو متوفر عن الرحاب ، وفى اللفظة يطلق اللفظ على المكان الذى تصل فيه الخيول وتتعطف ، وبالتالى (٥) فان الميدان موضع له صبغة اجتماعية ، حيث انه يعبر بذلك عن الفروسيّة وحياتها . الأمر الذى أعطاه بعدا وظيفيا فى داخل المدينة ، ففيها يصطف الجند ويجرى فيها عرضهم وتعدادهم ، كما تشير الى ذلك المصادر أثناء حديثها عن ميدان بين القصرين . كذلك يستخدم الميدان كموضع (٦)

(١) انظر : المقرئى : الخطط ٤٧/٢ - ١٩٧، ٥١ - ٢٠١ .

(٢) الزبيدى : تاج العروس ٢٦٨/١ .

(٣) نيكيتا اليسيف : التخطيط المادى ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠٥ .

(٤) ص ٣٢٥ .

(٥) الزبيدى : تاج العروس ٥٠٧/٢ .

(٦) المقرئى : الخطط ٢٨٠/٢ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة ص ٢٤ ، وعن

هذا الميدان انظر ص ٣٦٥ - ٣٦٢ .

يتدرب فى هؤلاء الأجناد على فنون القتال المختلفة، حيث يذكر حسن الرماح
أثناء حديثه عن تدريب الأجناد بأن ذلك كان يتم فى "الميدان"^(١) . بل
ان "الميدان" ارتبط بشكل عام بالسلطة فميادين القاهرة الكبرى كانت
على الدوام وعبر تاريخها الطويل مواضع مرتبطة بالسلطان والدولة^(٢) .

لقد كان عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي مرحلة تحول أساسية فى
ساحات القاهرة الكبرى، حيث أخذت تشهد تغيرات عمرانية رئيسة كغيرها
من بقية أقسام المدينة . ومن أهم تلك المتغيرات ما شهدته ساحات
المدينة الفاطمية، التى توسعت على حسابها المنشآت والمباني بأنواعها
المختلفة، لتتحول هذه المساحات الى أحياء سكنية وأسواق وماشابه ذلك^(٣)
بيد أن تلك التحولات لم تقف حائلا دون أن تشهد المدينة ظهور ساحات
جديدة أخرى، نتيجة مقتضيات الدور الوظيفى الذى تقوم به الرحاب
والميادين فى أى مدينة بشكل عام، فظهور الأحياء السكنية الجديدة قد
ترتب عنه بطبيعة الحال ظهور رحاب فى هذه الأحياء، بحكم دورها للاضاءة
والتهوية أو كتقاطعات للطرقات التى تخترق هذه الأحياء . لذلك فان تحول
المنشآت المختلفة الأنواع، الى أحياء سكنية سبغت عنه ظهور رحاب فى
داخل هذه الأحياء، فالقصر الشرقى الكبير الذى أخذ بالتحول الى منطقة
سكنية تتكون من مجموعة أحياء، ظهرت فيه رحاب تخدم هذه الأحياء^(٤)
فرجة البدرى هى من جملة القصر المذكور، كانت تقع فى طريق السالك من
باب قصر الشوك الى المارستان الصلاحى، ومن الواضح أن رحبة جعفر^(٥)
^(٦)
^(٧)
^(٨)

-
- (١) نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحذب (ت ٥٦٩٥/١٢٩١م) الفروسيّة
والمناصب الحربية، تحقيق: عيد ضيف العبادى . بغداد ١٤٠٤/١٩٨٤ م
ص ٢٩، ٣٦، ٥٩ . وانظر أيضا نيكيتا اليسيف : م . س ص ١٠٢ .
- (٢) المقرئى : الخطط ١٩٧/٢ - ٢٠١ .
- (٣) ص ٣٧٨ - ٣٨٤ .
- (٤) ص ٣٥٤ .
- (٥) تنسب هذه الرحبة للأمير بيدمر البدرى لأن داره تقع عندها . المقرئى
م . س ٤٨/٢ .
- (٦) عن هذا الباب انظر ص ٤١٢ ، هامش (٢) .
- (٧) المقرئى : ن . م . س . وعن المارستان الصلاحى انظر ص
- (٨) تنسب هذه الرحبة الى جعفر بن أمير الجيوش لأن شبك قبره يطل
عليها . المقرئى : ن . م . س .

التي تقع فى حارة برجوان^(١) هى فى الأصل من جملة دار الضيافة التى
 اختطت فى تلك الأثناء . اذ يطل عليها شبك قبر جعفر الذى يقع فى^(٢)
 هذه الدار . والراجح أن رحبى دار الملك ومنازل العز، قد كانتا^(٣)
 من جملة هذين القصرين الفاطميين الذين تحولوا الى أحياء سكنية فى^(٤)
 عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كذلك كان الحال بالنسبة لبقية^(٥)
 المنشآت التى تحولت الى أحياء سكنية فى تلك الأثناء وفى الاصطلاحات
 الفاطمية التى تحولت الى أحياء سكنية فى عهد الناصر صلاح الدين^(٦)
 الأيوبي ، ظهرت رحاب أيضا ، فرجة كتبها فى الأصل (٠٠٠ من جملة^(٧)
 اصطبل الجميزة ٠٠٠)^(٨) . وعلى الرغم من أن المصادر لاتقدم معلومات^(٩)
 واضحة عن كيفية ظهور هذه الرحاب ، إلا أنه من المرجح أنه قد جرى
 حجر بعض المساحات الخالية من البناء فى تلك المنشآت لتحول الى رحاب
 وذلك بالنسبة لبعضها ، فى حين أن البعض الآخر قد يكون ظهوره نتيجة
 هدم أجزاء من تلك المنشآت . اذ قد يهدم بناء من الأبنية فيتحول^(١٠)
 الى رحبة . ولم يكن ظهور الرحاب قاصر على المنشآت فقط ، اذ أن البناء
 على المساحات الخالية من البناء أدى الى ظهور رحاب أيضا لخدمة الأحياء
 التى ظهرت عليها ومن أبرز الدلائل على ذلك مصير الساحات التى كانت
 تحيط بالقصور الفاطمية ، والتى أخذت بالتحول الى أحياء سكنية فى

(١) عن هذه الحارة انظر ص ٣٤١ ، هامش (١) .

(٢) ص ٣٥٨ .

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ٢ / ٤٨ .

(٤) ابن دقماق : الانتصار ق ٣٥/١ .

(٥) ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٦) ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٧) تنسب هذه الرحبة الى الملك العادل كتبها لأنها تقع تجاه داره .

المقرئى : م . س ٥٠/٢ .

(٨) عن هذا الاصطبل انظر ص ٣٥٢ هامش (٥) .

(٩) المقرئى : ن . م . س .

(١٠) الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٦٣ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر

القاهرة ورقة ٥٥ .

عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .^(١) فرجة قصر بشتاك^(٢) هي من جملة أراضي
بين القصرين .^(٣) كذلك فان رجة ظروف^(٤) ورجة الايدمرى^(٥) هما من جملة
أراضي رجة قصر الشوك .^(٦) في حين أن رجتى الحلى^(٧) واقبغا^(٨) هما من أراضي
رجة الجامع الأزهر .^(٩)

وبالإضافة الى هذه الرحاب الجديدة فلقد عرفت المدينة مياديين
جديدة أيضا . فمن الواضح أن اختفاء ميادين القاهرة الفاطمية^(١٠)
سيستدعى ظهور ميادين جديدة تلبي احتياجات المدينة ، وعلى الأخص
احتياجات الدولة في هذا الإطار، حيث ان الميادين على علاقة وثيقة
بالسلطة كما سبق أن أشرنا .^(١١) لذلك فقد أخذت بعض الميادين الجديدة
بالظهور خارج سور المدينة . ومن المؤكد أنه قد أنشئ بجوار بركة
الجب^(١٢) ميدان . إذ أن صلاح الدين الأيوبي كان يمارس لعبة الأكسره
عند هذه البركة .^(١٣) علاوة على أن الجيوش قد أصبحت تجتمع فيها قبل

-
- (١) ص ٣٧٨ .
(٢) سميت برجة قصر بشتاك لأنها تقع تجاه قصر يعرف بقصر بشتاك .
المقريزي : الخطط ٤٨/٢ .
(٣) ن . ن . س . وعن هذا الميدان انظر ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
(٤) تنسب هذه الرجة لأمير يعرف بظروف الحاجب كان يسكن عند هـ
الرجة . المقريزي : ن . م . س .
(٥) تنسب هذه الرجة الى أحد مماليك الأمير عز الدين الايدمرى نائب
السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس . ن . م . س .
(٦) ن . م . س . وعن رجة قصر الشوك انظر ص
(٧) عرفت هذه الرجة بالقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد بن شمس
الدين على الحلى التاجر . المقريزي : م . س ٤٧/٢ .
(٨) عرفت هذه الرجة بالأمير بقبغاء عبدالواحد استداد الملك الناصر
محمد قلاوون . المقريزي : م . س ٤٨/٢ .
(٩) المقريزي : م . س ٤٨، ٤٧/٢ .
(١٠) ص ٣٧٨ - ٣٨٤ .
(١١) ص ٤٥٦ .
(١٢) عن هذه البركة انظر ص ١٥٥ ، هامش (٢) .
(١٣) ص ٤٣٩ .

المسير الى الجهاد . ففي الحادى عشر من ذى القعدة من عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) خرج السلطان صلاح الدين الأيوبي (. . . الى بركة الجب ، لتجريد العساكر (١) والمسير الى الشام . . .) . ومثل هذه الأمور تحتاج الى وجود ميدان تمارس تقاليدها على أراضيها . وبالإضافة الى ذلك الميدان فلقد كان هناك ميدان آخر للعب الأكره ، ينسب الى قراقوش ، وكان يقع خارج باب (٢) الفتوح ، ومن الواضح أنه كان قد أعد بهاء الدين قراقوش ، وجعله (٣) للعب الأكره التى كانت من الألعاب الرياضية المحببة فى ذلك العصر . (٤) بل ان مصلى العيد الذى يقع خارج باب النصر ، قد جرى تحويله الى ميدان مؤقت للعب الأكره ، فيذكر أحمد الحنبلى أثناء حديثه عن حادثة وفاة (٥) والد صلاح الدين الأيوبي نجم الدين أيوب بأنه (. . . ركب يوما وخرج (٦) من باب النصر يريد الميدان . . .) ، ومن الواضح أن هذا الميدان هو نفس (٧) موضع المصلى حيث صار يعرف بعد ذلك بميدان العيد . (٨)

-
- (١) المقرئى : السلوك ١/١ق/٧٦ .
 - (٢) السخاوى : تحفة الأحباب ص ٢٢ .
 - (٣) عنه انظر ص ٣٨٦ ، هامش (٨) .
 - (٤) ص ١٥٧ .
 - (٥) المقرئى : الخطط ١/٢٠٤٥١/١٣٨ . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٨٧ .
 - (٦) للمزيد عن حادثة الوفاة هذه انظر : أبو شامة : الروضتين
 - (٧) ١/٢ق/٥٣٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١/٢٣٠ .
 - (٨) المقرئى : السلوك ١/٢ق/٥٧٣ .

(و) المقابر :

لا شك في أن من الضروري أن يكون لكل مدينة أو قرية موضع مخصص لدفن الموتى ، وهو ما تأكد في التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية ، حيث كان لأهل كل خطة مساحة من الأرض مخصصة لدفن الموتى من سكانها .^(١)

ولقد شهدت مقابر القاهرة الكبرى تحولات أساسية في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، من أبرزها التوقف عن الدفن في بعض المقابر ، فمن الواضح أن تربة الزعفران ، قد توقف عن الدفن بها منذ تلك الفترة^(٢) ذلك أنها كانت مخصصة أصلاً للأسرة الفاطمية ، التي انقضت عهدها ولم تعد تستخدم بدورها كمقبرة ، وإنما احتفظ بها كأثر إلى أن أزيلت^(٣) في العصر المماليكي ، وبني في موضعها الخان المعروف بخان الخليلي .^(٤)

ومن المقابر التي توقف عن الدفن بها خلال فترة البحث ، المقبرة الواقعة خارج باب زويلة . ذلك أنها كانت في العصر الفاطمي مخصصة^(٥)

-
- (١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٨٠ .
(٢) وكانت تعرف أيضاً بالتربة المعزية نسبة للمعز لدين الله العبيدي الذي أسسها وجعلها من ضمن مرافق القصر الشرقي الكبير ، عنها انظر المقرئزي : الخطط ٤٠٧/١ - ٤٤٢/٢ ، ٤٤٣ ، السخاوي : تحفة الأحباب ص ١٠٤ ، ٩٠ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٣ ، عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٤ .

- (٣) ن . ح . م .
(٤) ولقد بني هذا الخان الأمير جهان كس الخليلي (ت ٧٩١هـ / ١٣٨٨م) وجعله وقفاً على فقراء مكة . المقرئزي : م . م . ص ٩٤/٢ ، مؤلف مجهول تاريخ مصر القاهرة ورقة ١١٣ .

- (٥) نشأت هذه المقبرة منذ أن بنيت الحارات خارج باب زويلة في العصر الفاطمي ، ويبدو أنها هي المقبرة التي ذكرها المسبحي بأنها تعرف بمقابر القاهرة ، وذلك أثناء حديثه عن وفاة أحد قادة الفاطميين ، حيث ذكر بأنه دفن في مقابر القاهرة . ويؤيد ذلك ما يذكره المقرئزي أثناء حديثه عن ظواهر القاهرة الفاطمية حيث يذكر بأن هذه المقبرة كان لأهل القاهرة ، ولقد كانت هذه المقبرة تشغل المنطقة الواقعة فيما بين جامع الصالح طلائع بجوار باب زويلة إلى الشرف الذي عليه قلعة الجبل . انظر : المسبحي أخبار مصر ص ٢٢٦ ، المقرئزي : الخطط ١/٣٦٤ ، ٢/١٣٦ ، ٢٠٢ ، ٤٤٣ ، السخاوي تحفة الأحباب ص ١٠٤ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٩ ، وانظر خريطة رقم (١١) .

(١) لكي يدفن بها الموتى من سكان الحارات الواقعة خارج هذا الباب . والملاحظ أنه منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي قد توقف الدفن فيها، حيث أخذ البناء يمتد فيها تدريجياً ابتداءً من هذه الفترة، ذلك أنه ما أن عمّرت قلعة الجبل حتى أخذ البناء يتقدم على حساب هذه المقبرة شيئاً فشيئاً وبالإضافة إلى هذا المظهر العمراني الذي تعرضت له المقابر في تلك الأثناء، فإن هناك مظهراً عمرانياً آخر، وهو توسعة بعض المقابر، فممن الواضح أن مقابر باب النصر، قد جرى إضافة أجزاء إليها من مصلى العيد الذي يقع في هذه المنطقة . حيث تم اقتطاع جزء منه ليضاف إلى المقبرة، فلقد قام الأمير نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ببناء مصلى للأموات على جزء من الموضع الذي كان الخلفاء الفاطميون يخطبون فيه أيام الأعياد . مما يشير إلى تحول أجزاء من هذا المصلى إلى مقبرة خلال فترة البحث، ربما بهدف توسعتها . وقد جرى الأمر على نفس المنوال في مقبرة القرافة . فهذه المقبرة قد تزايد الاهتمام للدفن فيها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، ولا شك في أنها قد أصبحت اعتباراً من ذلك الوقت عامة لسكان الفسطاط والقاهرة وهو أمر يختلف عما كان عليه الحال في العصر الفاطمي، حيث لم يجر

- (١) المقرئزي : م . س ٤٤٣/٢ .
- (٢) المقرئزي : م . س ١٣٦/٢ .
- (٣) بدأت هذه المقبرة بالظهور بعد وفاة الوزير الفاطمي بدر الجمالي (٤٦٦ - ١٠٧٣/هـ - ١٠٩٤م) حيث دفن شمالي مصلى العيد وبنوا الناس بالدفن في هذه الجهة من الناحية الشمالية والشرقية للقبر المذكور وصولاً إلى الريدانية . المقرئزي : الخطط ١١٠/٢ - ١١١ - ١٣٨ - ٤٤٣، ١٣٩ . السخاوي : تحفة الأحباب ص ٣٠ - ٣١ .
- (٤) السخاوي : م . س ص ٣٥ - ٣٦، وهذا المسجد يذكر على باشا مبارك بأنه يعرف في عصره بمسجد الست زينب، وفي حين أن الحديدى يذكر بأن زاوية بدر الدين النقيب هي موضع هذا المسجد . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/٢١٣، فتحى الحديدى : القاهرة ص ٧٨ .
- (٥) سميت بالقرافة نسبة إلى قبيلة من المعافر يدعون بنى قرافة، ولقد كانت هذه المقبرة في الأصل منطقة أحياء سكنية وخطة من خطط الفسطاط الأولى . ياقوت الحموى : المعتمد ص ٣٤١، معجم البلدان ٤/٣١٧ ، المقرئزي : م . س ٤٤٣/٢ - ٤٤٤، عبد العال الشامى : مدن مصر وقراها ص ٥٤ .
- (٦) عبد الرحمن زكى : الفسطاط ص ٣٢ .

استخدام كمقبرة لسكان القاهرة الا فى أوائل عهدهم ،ذلك أنهم كانوا قد دفنوا بعض أتباعهم فيها، قبل أن يعدلوا عن ذلك، ويوجهوا الدفن الى المقابر الواقعة خارج باب زويلة ^(١) . وقد ترتب عن هذا التغيير أن تظهر الحاجة الى توسيع القرافة بما يكفى لكى تستوعب حالات الوفاة الطبيعية فى المدينتين معا . لذلك فقد حصل توسعات فيها شملت بعض المواضع التى كانت أصلا مناطق سكنى ،فمدينة بابليون التى أحرقت فى حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) يشير ابن دقماق الى أنها أصبحت جزءا من مقبرة القرافة . ومن الواضح أنها كانت من جملة القرافة الكبرى ، اذ أن هذه المدينة كانت تشمل الرصد ، الذى أضى جزء من هذه القرافة كما يشير الى ذلك المقرئى أثناء حديثه عن بعض مساجدها وعلى الرغم من أن المقرئى يذكر أثناء حديثه عن مقابر المدينة الكبرى ، بأن موضع القرافة الكبرى هو أقدم مقبرة فى المدينة على الإطلاق ، فإنه ظل كذلك الى العصر الفاطمى ، أو الى ما بعد ذلك العصر كما يشير أثناء حديثه عن القرافة الصغرى . بيد أن من الواضح بأن المقصود بذلك هو أجزاء من القرافة الكبرى وليس كلها . وقد يدل على ذلك التغيير الحاصل فى علاقة القرافتين بالفسطاط خلال العهود المتعاقبة ذلك أن ياقوت الحموى حينما يتحدث عنهما فإنه يذكر بأن القرافة الصغرى كانت أقرب الى المدينة من القرافة الكبرى ، فيذكر عنهما

(١) المقرئى : الخطط ٤٤٢/٢ - ٤٤٣ .

(٢) عنها انظر ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٤) حسبما يرد فى المصادر فإنه من الواضح بأن القرافة انقسمت فى عهد الملك الكامل الأيوبي (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٢٨م) الى قرافتين الصغرى والكبرى ، فالصغرى تقع ناحية قبر الامام الشافعى ، والكبرى حيث يوجد جامع الأولياء . المقرئى : الخطط ٤٤٤/٢ - ٤٤٥ .

(٥) ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٦) انظر فيما يذكر المقرئى عن مساجد الرصد، وشقيق الملك ، والانطاكى والذى يجعلهما من جملة مساجد القرافة الكبرى ويذكر فى ذات الوقت بأنهم كانوا يقعون على الرصد . المقرئى : م . س ٤٤٠/٢ - ٤٤٦ .

(٧) المقرئى : ن . م . س .

(٨) المقرئى : م . س ٤٤٢/٢ ، وانظر أيضا ما يذكره السخاوى نقلا عن

المقرئى . السخاوى : تحفة الأحباب ص ١٠٤ .

(٩) المقرئى : ن . م . س .

"... وهما قرافتان متصلتان : القرافة الصغرى وهى أقربهما الى الفسطاط وبها قبر الامام محمد بن ا. دريس الشافعى ...".^(١) فى حين يشير المقريزى الى قرب القرافة الكبرى من المدينة فى عصره ، فيذكر بأنه " ماكان منها شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى ..."،^(٢) مما يشير الى مدى توسع القرافة الكبرى التى أصبحت فى عصر المقريزى من الصغرى بالنسبة للمدينة .^(٣) وهو توسع تم على حساب المناطق السكنية التى تضررت كثيرا من حريق الفسطاط ، وأضحت خارج السور ، كما يتبين من حديث ابن دقماق عن مدينة باب ليون والذى سبقت^(٤)

- (١) المقريزى : م . س ٤٤٤/٢ .
- (٢) ياقوت الحموى : المشترك ص ٣٤١ .
- (٣) المقريزى : م . س ، ٤٤٢/٢ .
- (٤) على الرغم من أن من الصعب تحديد أبعاد حركة التمدد بشكل دقيق على المدلول المكانى للقرافة الصغرى والكبرى ، إلا أنه بالامكان القول بأن القرافتين كانتا فى العصر المماليكى تحصران قناطر بنى طولون التى كانت تفصل فيما بينهما كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن خطة المغافر بحيث تكون القرافة الكبرى فى الناحية الغربية من هذه القناطر حيث يوجد جامع الأولياء بينما تكون الصغرى الى الشرق والشمال الشرقى منهما . إلا أنه يبدو أن هذا الوضع لم يكن كذلك مع بداية ظهور هاتين القرافتين اذ أن المقريزى عندما يتحدث عن وضع القرافة فى القديم يذكر بأنها كانت تمتد من مسجد الفتح الى سفح المقطم ، ثم توسعت شمالا على مايبداوا بحيث احتلت المنطقة الواقعة فيما بين خطة المغافر ومضى خولان فى حين أنه يذكر بأن خطة المغافر تعرف فى عصره بالقرافة الكبرى ، فإذا أخذنا بالاعتبار قول المقريزى بأن القرافة الكبرى هي أقدم موضع لدفن فان هذا يعنى بدوره أن جزءا كبيرا منها قد انفصل وأصبح من جملة القرافة الصغرى ، حيث يذكر المقريزى بأن هذه القرافة تقع على سفح الجبل . أى فى ضمن أجزاء من الموضع الذى كانت تشغله المقبرة فى القديم . أى أن القرافة الكبرى خسرت أجزاء منها لصالح الصغرى ، لتقوم بتعويضها من الجهة الثانية الغربية ، على حساب المواضع السكنية .

انظر : المقريزى : م . س ١/٢٩٨ ، ٤٤٢/٢ ، ٤٤٤ - ٤٤٥ .
وعن موقع جامع الأولياء ومسجد الفتح وقناطر ابن طولون انظر :

Casanova , Paul, de Reconstitution, plan 1.

وانظر خريطة رقم (١) ،

الإشارة إليه . ومن المؤكد أن هذا التوسع قد تم في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث أن المواضع المذكورة لم تعد لها أهمية سكنية — بدليل أنها لم تضم إلى ماسملته أسوار المدينة وربما ساعد ذلك على تحويلها إلى مقبرة ، إذ أن ياقوت الحموي الذي زار مصر في أوائل القرن السابع (١٣/٥٧م) يذكر في ثنايا وصفه القرافة الكبرى — أن (١) فيها مقابر ومشاهد ومنازل كثيرة ومساكن لأهل مصر وبها — سوق (٢) وجامع (٣) . مما يشير إلى تحول المنطقة إلى مقابر، رغم وجود المفهوم السكني فيها . وعلى الرغم من أن هذه النتيجة قد يعترض عليها، نظراً لأن منطقة المقابر كانت أيضاً منطقة سكنية للمتصوفة والمنقطعين — الدنيا كما يذكر المقدس . بيد أن هذه السكنى كانت على نطاق ضيق (٤) إذ أن هؤلاء كانوا يشكلون كثافة سكانية قليلة العدد، في حين أن نـص ياقوت مار الذكر، يدل على كثافة سكانية مرتفعة ناجم عن وجود مفهـوم سكنى في المنطقة ، قبل الأخذ بتحويلها إلى منطقة مقابر .

ولم يكن التوسع في القرافة قاصراً على المناطق السكنية ، وإنما اتجه أيضاً ناحية الصحراء في الجبل فالمقريزي أثناء حديثه عن مساجد الجبل والصحراء بالقرافة التي عرفت في وقته بالقرافة الصغرى ، وأثناء حديثه عن مسجد لؤلؤ الحاجب الذي بنى في تلك الأثناء يذكر بأنه قد بنى بجانب المسجد مقبرة . مما يشير إلى توسع المقبرة في الناحية التي يقع فيها المسجد . (٥) (٦) (٧)

وبشكل عام فإنه بالإضافة إلى التطورات المارة الذكر ، فإن المتابعة الجغرافية لها قد تكشف عن نتيجة عمرانية أخرى ، وهي أن المقابر قد

-
- (١) ياقوت : المشترك ص ٣٤١ .
 - (٢) المقدس : أحسن التقاسيم ، ص
 - (٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٣/٣٧٥ .
 - (٤) المقريزي : الخطط ٢/٤٥٥ - ٤٥٦ .
 - (٥) ينسب هذا الجامع للؤلؤ الحاجب . المقريزي : م . س ٢/٤٥٦ - ٤٥٧ .
 - وهو قائد أسطول صلاح الدين الأيوبي . عنه انظر ص ٤٤٦ ، هامش (١) .
 - (٦) ن . م . س .
 - (٧) يصعب تقديم تحديد دقيق لاتجاه التوسع هذا على الخرائط نظراً لعدم توفر معلومات تفيد في التعرف على موقع المسجد وإنما بالامكان القول بأن هذا التوسع كان ناحية الجبل بشكل عام .

حولت لتكون خارج المدينة الكبرى وأن سور صلاح الدين الأيوبي كان
حدا فاصلا ، ذلك ان المقابر التي توقف استخدامها كانت تقع في داخل
السور ، في حين أن المستحدثة كانت تقع في خارجه .^(١)

(١) انظر خريطة رقم (ج) .

الفصل الثالث

تمت - المؤلف

من المعروف أن أى مدينة تشمل عمار ومناشآت مختلفة الأنواع، فمنها ما هو دينى الطابع كالمساجد وماشابه ذلك، ومنها ما هو مدنى كالمنازل والمنشآت الاقتصادية، ومنها ما هو حربى كالقلاع والأسوار . بل ان هذه التقسيمات للعمار تحوى فى داخلها على فروع تزيد من مدى التشعب لأنواع المنشآت، فالمنازل فى حد ذاتها يمكن تقسيمها الى أجزاء عدة فهناك القصور، وهناك الأدر الاعتيادية، ومنها ما هو صغير جدا فـعـرـف فى اللغة بالدويرة . وتعتبر هذه المنشآت الوعاء المادى للعمـرـان (١) فمن خلالها يمارس الانسان العديد من أوجه نشاطه الحضرى . فالمساجد كانت فى المصدر الأول للاسلام مركزا للعديد من الأنشطة والوظائف الاجتماعية فعلاوة على كونها مركزا للعبادة، فلقد كانت مقرا للإدارة والحكم، وساحة لاجتماع الجيوش، ودارا لاستقبال الوفود، وغير ذلك من الوظائف (٢).

ولقد حث الاسلام على البناء والتشييد، فبناء المساجد يعد من أعظم القربات لله تعالى . كذلك فان من واجبات الامام تحصين الثغور وتأمين السبل، وتشديد مايلزم ذلك من عمار واستحكامات . وكان على المحتسب الاهتمام بمرافق المدينة، والسعى لتوفير مايلزم منها فى حال عدم توفره . بل ان الفقهاء أوصوا بأن يحرص المسلم على أن يكون لـه دار يسكنها، الأمر الذى يدفع بالتأكيد نحو البناء والتشييد . وفى ضوء هذه المفاهيم التى تعكس عمقا حضاريا، ويتوفر الظروف الملائمة استقرار وأمن ورخاء اقتصادى - فان المدينة الاسلامية تتحول الى ساحة عمل كبرى، تشيد فيها العمار والمرافق باصرار وصبر دءوبين . الأمر

-
- (١) الزبيدى : تاج العروس ٢١٣/٣ .
 - (٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ص ١٠٢ .
 - (٣) قال تعالى : " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . " الآية . التوبة آية ١٨ .
 - (٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٦ محمد عبد الله الشيبانى : نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية (منذ صدر الاسلام الى سقوط الدولة العباسية) الرياض ط الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٨٢ .
 - (٥) الماوردى : م . ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 - (٦) أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحبشى (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م) البركة فى فضل السعى والحركة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٢١ - ٢٢ .

الذى سيكون له - وبدون أدنى شك - أكبر الأثر فى تطور وازدهار
حركة البناء والتشييد ، فترقى فنونها وتزدهر أساليبها ، وتتشعب
(١)
أنواعها .

ونظرا لأن عهد الناصر صلاح الدين قد تميز بتوفر العناصر الملائمة
(٢)
لبروز النشاط المعماري ، فلقد انعكس ذلك فى ازدهار هذا النشاط فى
(٣)
القاهرة بشكل عام . ويمكن تحديد أبرز مظاهر هذا الازدهار فى الآتى :

-
- (١) ابن خلدون : المقدمة / ١ / ٤٧٩ .
(٢) سبق الإشارة فى الباب الأول وعلى الأخص فى الفصول الثانى ، والثالث
والرابع الى وجود عوامل دفعت الى تكثيف نشاط البناء . فانظرها
هناك .
(٣) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٢١/٢ .

(أ) عمائر تدخل المدينة لأول مرة :

ليس من المغالاة إذا ما قلنا بأن دخول أنواع جديدة من العمائر للقاهرة يعد من أبرز مظاهر الازدهار الانشائي فيها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . حيث أنه بذلك أضاف الى المدينة طابعا معماريا وعمرانيا جديدا فى تلك الأثناء .

ومن أبرز العمائر التى دخلت اليها حينئذ القلعة ، التى يذكر ابن كثير بأنها دخلت البلاد لأول مرة على يد الناصر صلاح الدين .^(١)

ونظرا لأن المصادر التاريخية لا تنقل عن الناصر صلاح الدين نصـوص مباشرة تحدد الأسباب التى دفعت به نحو بناء القلعة ، فلقد اختلف المؤرخون فى تحديد هذه الأسباب . فالمقريزى يذكر بأن سبب بنائها خوف الناصر صلاح الدين من شيعة الفاطميين ، الذين كانوا يحاولون إعادة نبض الحياة الى خلافتهم ، علاوة على خوفه من الملك العادل نور الدين زنكى ، الذى تذكر المصادر بأنه قد حدث بينه وبين الناصر صلاح الدين جفوة ، وأن العادل قد عقد العزم على ازالته عن حكم مصر ولقد أثيرت بعض الاعتراضات حول هذا التفسير ، فهناك من يرى بأن خشية الناصر صلاح الدين من ثورة داخلية محتملة ، ليس السبب المباشر الذى دفعه لبناء القلعة ، ولعل مرد ذلك أن الناصر صلاح الدين كان عندما أمر ببنائها عام (١١٧٦/٥٥٧٢م) قد بلغ مقدارا من القوة بحيث يصعب على شيعة الفاطميين مواجهته . حيث أضى حاكما على أجزاء كبيرة من الشام ، علاوة على مصر وبلاد اليمن . بل ان انتصاراته على شيعة

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٧/١٢ ، وانظر أيضا فى هذا الصدد حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٢٢٩ ، عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٦٥ ، لينبول : سيرة القاهرة ص ١٥٧ .

(٢) يمكن متابعة هذه المحاولات من خلال ثورات الشيعة ضد الناصر والتى سبقت الإشارة اليها . ص ٢١٤ - ٢١٨ .

(٣) سبق الإشارة الى ترجمته ص ٣٧ ، ها مش (٤) .

(٤) المقريزى : الخطط ٢٠٣/٢ .

(٥) كريزويل : وصف قلعة الجبل ص ١٣ .

(٦) ص ١٧٩ .

(١) الفاطميين وقدرته على تحطيم دولتهم ،وهى أحداث سبقت ذلك التاريخ
تدل بوضوح على أنه كان يتمتع بمركز قوى فى مصر منذ فترة مبكرة
(٢) حيث يدعم وجوده جيش قوى يديره عدد من اخوته وأقربائه وأمراء أوفياء
أما بالنسبة لما ذكره المقرئى أنفا من خوف الناصر صلاح الدين من
الملك العادل نور الدين زنكى ،فلقد اعتبره كريسويل تفسيراً مرفوضاً
أيضاً،ذلك أن تاريخ صدور الأوامر ببناء القلعة تلا وفاة نور الدين
بعامين تقريباً،حيث أنها صدرت عام (٥٧٢هـ/١١١٦م) فى حين أن وفاة
الملك العادل كانت فى عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) . مما يشير الى وجود فرق بين
(٣) الأمرين ،حيث ذكر كزويل الى أنه لم يدر فى خلد الناصر صلاح الدين
التفكير بتأسيس القلعة قبل ذلك التاريخ . ويرى بعض المؤرخين
(٤) المحدثين دوافع أخرى حدث بالصلاح لبناء هذه المنشأة،فهناك من يعتبر
أن وجود الخطر الصليبي السبب الرئيسى الذى دفع بالناصر لبناء تحصينات
المدينة بشكل عام،ومنها القلعة بطبيعة الحال ،فقد دلت التجارب أكثر
(٥) من مرة على امكان سقوط المدينة فى حين تظل القلعة صامدة وسبباً
للاسترداد . وبالتالي فان بناء القلعة من جملة استحکامات المدينة
(٦) من الأسباب التى تزيد من منعتها وقوتها،خاصة وأن الخطر الصليبي تزايد
على مصر منذ أن اغتلى بنى أيوب سدة الأمر والنهى فيها . ومن هؤلاء
(٧) المؤرخين من يرى وجود دوافع حضارية أسهمت فى بناء هذه القلعة
فيعتبرون أن بناء هذه المنشأة فكرة أتى بها الناصر صلاح الدين من
بلاد الشام ،حيث كان لكل مدينة فيها قلعة تحميها . علاوة على
(٨)

-
- (١) ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
(٢) كريسويل : وصف قلعة الجبل ص ١٣ .
(٣) ص ١٧٧ .
(٤) كريسويل : م . س ، ص ٩٤ .
(٥) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٧ ، أحمد فكري : مساجد القاهرة
ومدارسها ٢/٢٢٠ .
(٦) حسن الباشا وآخرون : م . س ص ٤٨٠ ، كريسويل : م . س ص ١٣ .
(٧) ص ٢٠٦ .
(٨) لينبول : سيرة القاهرة ص ١٥٧ ، كريسويل : م . س ، ص ٩٣ ،
عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٦٥ .

(١) استخدامها كمركز للحكم والادارة . ومن هؤلاء المؤرخين من ذهب بعيـدا
فى اضاءه اسباب اخرى لبناء هذه المنشأة، حيث وجد بعضهم اسبابا معنوية
لهذا الأمر، فاعتبروا أن كره الناصر لقصور الخلفاء الشيعة هو الذى
(٢)
دفعه نحو بناء القلعة .

وعلى أية حال فان مشروعا كهذا لا يمكن أن يبرز بدون وجود أسباب
ذات أهمية كبرى، نظرا لكونه باهظ التكاليف . وبالتالى فان وجود
الاعتبارات سابقة الذكر مجتمعة كأسباب دفعت صلاح لبناء القلعة أمر
يمكن قبوله . فمن الواضح أن وجود الأسباب العسكرية والأمنية التى سبق
ذكرها أمر له أهميته فى تلك الأثناء، فالعماد الأصفهاني ينقل عــــن
الناصر صلاح الدين مايفيد اهتمامه بحماية المدينة وصيانتها من الغزو
وذلك أثناء حديثه عن الأسباب التى دفعت للقيام بمشروعه التحصينــــى
لها، والذى كان بناء القلعة جزءا رئيسا منه . ويذكر القاضى الفاضل
فى احدى رسائله أن تحصين المدينة وعلى الأخص السور، قد نشر الطمأنينة
بين سكانها بشكل عام . وبالتالى فان وجود القلعة فى موضع مظل عليها
يمكن مشاهدته من كافة أرجائها، سيرمز للقوة والسلطان، ويعتبر ذلك
عامل ردع أمام من تسول له نفسه بالعصيان والشغب، الأمر الذى سيسهم
على وجه التأكيد فى نشر الأمن للشعب والسلطة نفسها . أما القول بأن
(٦)
فكرة القلعة قادمة من الشام، فهو أمر لامرية فيه، ففى ضوء الاحتياجات
العسكرية والأمنية سابقة الذكر، سيلجأ صلاح الدين الى خبراته الحضارية
فكانت هذه المنشأة التى شاهدها هناك كما سبق أن ذكرنا . كذلك فانه
كره الصلاح لمعالم الفاطميين، والمتتمثلة فى قصورهم، اعتبارا يمكن

(١) المقرئى : الخطط ٢/٢٠٣، أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها

٨/٢ .

(٢) لينبول : صيرة القاهرة ص ١٥٢ ، عبد الرحمن زكي ، القاهرة ص ٦٥ .

(٣) كريسول : م . ص ١٤٠ .

(٤) البندارى : سنا البرق ص ١١٩ .

(٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ٣ / ورقة ١٢٧

(٦) ص ١٠٤ .

(١) الجزم بوجوده، إذ أن الدولة الجديدة ترغب فى طمس معالم السابقة لها وبالتالى فإن بناء القلعة يعد لفتا لأنظار الشعب نحو السلطة الجديدة بهدف إبعادهم عن تلك التى قبلها .

ولقد تم اختيار موقع هذه المنشأة بحيث يكون مشرفا على كافّة أرجاء المدينة الكبرى . وجرّت تسويته بحيث يكون معدا لبنائهم فجرى إزالة القبور، وبعض المنشآت المقامة هناك مثل المساجد وغيرها لى لاتقف حائلا دون اتمام مخطط المشروع .

وتكاد تتفق المصادر على أن الشروع فى تنفيذ بناء القلعة، كان فى عام (١١٧٦هـ/١١٧٦م) بأمر مباشر من الناصر صلاح الدين الأيوبي ————— بحيث تكون القلعة جزءا من مشروع تحصينى للقاهرة الكبرى يتكون من قلعة فى وسط سور كبير يحيط بأرجاء واسعة من المنطقة . وعندمــــا زار ابن جبير القاهرة أواخر عام (١١٨٢هـ/١١٨٢م) شاهد الأعمال مستمرة بهدف انجاز هذا المشروع ، وعلق على ذلك فيقول عن القلعة : (وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة حصين المنعة يريد السلطان أن يتخذها موضع سكناه) . ويشير نقش كتابى يقع بجوار أحد أبواب القلعة الى أن الانتهاء من أعمالها قد تم فى عام (١١٨٣هـ/١١٨٣م) . بيــــد أن المقرئ ذكر أن الناصر صلاح الدين توفى قبل اتمام العمل فيها وأن استكمال أعمالها كان على يد الملك الكامل الأيوبي ، الذى

(١) ص ٧٨ .

(٢) ص ١٠٤ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ١/٢ق/٦٨١، البندارى : سنا البرق ص ١١٩ المقرئى ٢٠٣/٢ . كازانوف : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦١ - ٦٧، كروزويل : وصف قلعة الجبل ص ١٩ .

(٤) عن هذا السور انظر ص ٤٨٤ - ٤٩٣ .

(٥) أبو شامة : م . س ١/٢/٦٨٨، البندارى : ن . م . س . ، الحنبلى شفاء القلوب ص ٩٣ ، المقرئى : ن . م . س . ويذكر ابن كثير بأن أمر البناء صدر فى أوائل عام (١١٧٧هـ/١١٧٧م) ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٩٧ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ص ٢٥ .

(٧) كازانوف : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٧١ - ٧٢، ولقد اعتبره أحمد فكرى هو تاريخ الانتهاء من أعمال هذه القلعة . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢/٢٨ .

(٨) سبقت الإشارة الى ترجمته ص ٨٨ ، هامش (٣) .

(١) أنشأ بها الادر السلطانية عام (١٢٠٧هـ/١٢٠٧م)، وتحول اليها من دار الوزارة . فأصبح منذ ذلك الحين مقرا للسلطان . ولقد أيـد كازانوفـا هذا التصور بدعوى أن البئر التى بنيت للقلعة فى عهد الناصر صلاح الدين تقع فى الوقت الحاضر خارج أسوار القسم المحصن منها .^(٢) والراجح أنه قد تم الانتهاء من بناء هذه المنشأة فى عهد الناصر صلاح الدين ، وفق ماكان مخطط لها ، أما ماحدث على يد الكامل الأيوبي ، فلا يعدوا كونه تعديلات وإضافات أجريت على هذا المبنى ، يـدل على ذلك أنه قد أجرى فى تلك الأثناء إضافات على الأجزاء التى تعود لعهد الناصر صلاح الدين . حيث دعت هذه الأجزاء بأبراج جديدة ، وجرى تقوية وتدعيم القديم منها .^(٣) وكون بئرها تقع خارج أسوارها فى الوقت الحاضر ، فإن هذا مرده الى التعديلات التى أجريت على هذه المنشأة فى عصور لاحقة ، فى حين أنها كانت فى عهد الناصر صلاح الدين تقـع ضمن هذه الأسوار . ولقد نص مخطط مشروع القلعة على أن يبلغ محيطها ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أذرع ، بذراع العمل الهاشمى ،^(٤) ولاشك أن معظمه يشمل فى الوقت الحالى القسم الشمالى الشرقى من قلعة

-
- (١) المقرئى : الخطط ٢/٢٠٣ .
 (٢) المقرئى : م . س ٨٤٨/١ . ومن الواضح أن هذا التحول تم عندما كان الكامل وليا للعهد ، كما يذكر المقرئى . المقرئى : م . س ٢٠٣/٢ . أى أن سكنى هذه القلعة تم فى عهد الملك العادل الأيوبي وهو ماذكره ابن فضل الله الذى ذكر بأن العادل سكن القلعة . ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ٣/ورقة ١٢٧ .
 (٣) كازانوفـا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٨١،٧٤ .
 (٤) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٣/٢٦ .
 (٥) يدل على هذه التعديلات تلك الإضافات العديدة التى أدخلت على هذه المنشأة على مر العصور . عنها انظر : بول كازانوفـا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٨٨ - ٢١٩ .
 (٦) كرزويل : م . س ، ص ١٠١ .
 (٧) أبو شامة : الروضتين ٣/٦٨٨ ، البندارى : سنا البرق ص ١١٩ ، القلقشندى صبح الأعشى ٣/٣٥١ ، كرزويل : ن . م . س . وقد سبقت الإشارة الى الذراع الهاشمى ص ٣٣٩ ، هامش (٦) .

(١) الجبل . والذي تعود معظم مكوناته التخطيطية لعهد الناصر صلاح الدين ، بل لاتزال أجزاء كبيرة منه يعود بنائها الى ذلك العصر . ففى (٢) حين أن القسم الجنوبي الغربى من القلعة والذي يحتوى الآن على منشآت عامة من قصور وجوامع ، فان مايمكن نسبته منه لعهد الناصر صلاح الدين (٤) هو أجزاء يسيرة من سوره الجنوبى . علاوة على البئر التى تعرف (٥) الآن ببئر يوسف ، وهى بئر عميقة جدا نقرت فى الصخر بهدف توفير المياه للقلعة . (٦) ولقد جرى هدم عدد كبير من الأهرام الصغيرة التى توجسد بالجيزة لتبنى بها هذه المنشأة . (٧)

ومن المنشآت الجديدة التى دخلت المدينة لأول مرة فى عهد الناصر

- (١) يبدو أن التعديلات التى أعقبت عهد الناصر صلاح الدين والتى سبقَت الإشارة إليها، هى التى أدت الى أن تنقسم القلعة الى قسمين ، قسم مخصص للأجناد وفيه سكناتهم والآخر وفيه القصور والجوامع وغير ذلك من المنشآت . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٣/٣ - ٢٤، كريسويل : وصف قلعة الجبل ص ١٩ - ٢٠ .
- (٢) أحمد فكرى : م . س ٢٥/٢ - ٢٧ .
- (٣) يعزى كريسويل الى صلاح الدين الأيوبي حائط السور الممتد من الجانب الشرقى ببرج المقطم والمتجه نحو الجنوب والشمال حتى يقف عن الموضع الذى يقع فيه المتحف الحربى حاليا . انظر كريسويل : م . س ص ١٠٠، عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وماحولها من الآثار القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ٤١ .
- (٤) انظر هامش (١) .
- (٥) يعتقد كريسويل : أن جزءا من جدار سور صلاح الدين فى هذا القسم لا يزال مردوما فى الجزء السميكة جدران الجدار الواقع فيما بين برج المقطم والبرج الواقع بجوار بئر يوسف . كريسويل : م . س ص ١٠١ .
- (٦) ومن الواضح أنه كان هناك حرص لتوفير المياه للقلعة، حيث اعتمد فى ذلك على مصدرين رئيسيين ، أولها البئر التى لم تكن مائها تستخدم للشرب نظرا لملوحتها، ويبدو أن بنائها كان عام ١١٣٧هـ/١١٣٧م وثانيهما عبارة عن سواقى مياه جعلت على السور المحيط بالفسطاط القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٧٢ - ٢٧٣، عبد الرحمن زكى : م . س ص ٣٩ - ٤٠، سعد ماهر : مجرى مياه فم الخليج ، بحث منشور فى المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٨م ١٤١/٧ .
- (٧) المقرزى : ١٢٠/١، ١٢٠/٢، ١٥١/١٢٠ .

(١) صلاح الدين هي المدرسة ، وهي مؤسسة تعليمية أتى بها صلاح الدين من الشام ، مقتدياً بذلك بالملك العادل نور الدين زنكى ، وذلك لتشجيع العلم ونشره ومحاربة التشيع ، بازالة معلق فى آذهان الناس من بـ (٢) دعو (٣) وخرافات .

وعلى الرغم من أن هناك من المؤرخين من يذكر بأن المدارس لم تدخل مصر الا على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، الا أن الحقيقة على خلاف ذلك فلقد دخلت المدارس الاسكندرية قبيل زوال حكم بنى عبید ، حيث أسس فيها فى تلك الأثناء مدرستان . (٤)

أما بالنسبة للقاهرة فان دخول المدارس اليها لم يحدث الا فى عهد الناصر صلاح الدين وبأمر منه ، حيث يذكر القلقشندي فى هذا الصدد (٥)

(١) كانت بداية ظهور المدارس فى مشرق العالم الاسلامى فى أواخر القرن الثانى (٨/هـ) وأوائل القرن الثالث (٩/هـ) ثم أخذت بالتوسع بعد ذلك خاصة منذ القرن الخامس (١١/هـ) . انظر : حسام الدين السامرائى : المدرسة مع التركيز على النظاميات . بحث مقدم للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية . عمان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٦ - ١٤ .
(٢) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٢٣٢ . أحمد بدوى : الحياة العقلية ص ٣١ .

(٣) ص ١٣٣ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٠٦/٧ ، السيوطى : جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط الأولى ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م ٢/٢٥٦ .
(٥) حسام الدين السامرائى : م . س ، ص ٣٠ - ٣١ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢/٥٠ .

(٦) يذكر أحمد فكرى أثناء حديثه عن المدارس الأيوبية بأنه قد أسس فى القاهرة مدرستان فى أواخر العصر الفاطمى وهما مدرسة كانت توجد فى موقع مسجد سيدى معاذ الذى بنى سنة (١١٥٢هـ / ١١٥٧م) والتي بنيت على مشهد الشريف معاذ بن داود ، ولقد أحال فى ذلك الى على باشا مبارك فى خطه ١٢٠/٥٠٧٣/٢ . أما المدرسة الثانية فهي المدرسة المسروية التى يذكر بأنها بنيت على يد مسرور الخادم أحمد خدام الفاطميين فى أواخر العصر الفاطمى . وأحال فى ذلك الى المقرئى فى خطه ٣٧٨/٢ . والقلقشندي : صبح الأعشى ٣/٣٥٦ . وبالرجوع الى الاحالات المذكورة يلاحظ بأن الأستاذ الجليل أخطأ فى تحديد أرقام بعض الصفحات بالنسبة لمسجد معاذ فان على باشا لم =

بأن دخول المدارس الى القاهرة لم يحدث الا بمجىء دولة بنى أيوب ، التى كانت فى هذا الشأن (... الفاتحة لباب الخير، والغارسة لشجرة الفضل (١)) ولقد كانت بداية الناصر صلاح الدين فى انشاء المدارس ، وهو وزير للخليفة الفاطمى العاضد ، حيث أسس فى عام (١١٧٠هـ/١١٧٠م) مدرستيـــــــــــــــــن بالفسطاط بجوار جامع عمرو بن العاص ، أولاهما المدرسة الناصرية ، والتى عرفت بعد ذلك بابن زين النجار، ثم بالشريفية نسبة لعلماء درسوا بها (٣)

= يذكر مسجد معاذ فى ص ٨٣ وانما ذكره فى ص ٤٠ - ٤١ من الجزء المذكور . كذلك فان القلقشندى لم يذكر المدرسة المسروية فى ص ٣٥٦ ، وانما ذكرها فى ص ٣٥٢ . من الجزء المذكور . كذلك يلاحظ بأن تاريخ بناء المسجد الذى ذكره لم يرد على الاطلاق عند على باشا مبارك ، فضلا على انه لم يحدد المصدر الذى استقى منه تحديد التاريخ المذكور . ولعله قرأ خطأ السنة الوحيدة التى أوردها على باشا أثناء حديثه عن هذا المسجد وهى وفاة صاحب القبر التى كانت فى عام (٩٠٤هـ/٩٠٤م) مما يدل على أنه لا يوجد تاريخ محدد لبناء الجامع والمدرسة ، الأمر الذى يشير بدوره الى أن نتيجة أحمد فكرى لاتقوم على أساس سليم . أما بالنسبة للمدرسة المسروية فان القلقشندى لم يحدد تاريخ بناء المدرسة فى حين أن المقرئى يشير وبشكل صريح الى أن بنائها كان فى العصر الأيوبي ، مما ينفى بشكل قاطع ما ذكره الأستاذ الفاضل . انظر المقرئى : الخطط ٣٧٨/٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٥٢ ، على باشا مبارك - الخطط التوفيقية ٢/٢٤٠ - ٥/١٢٠ ، ١٢١ .

- (١) القلقشندى : م . س ، ٣/٣٦٣ .
- (٢) سبقت الاشارة الى ترجمته ص ١٣٠ ، هامش (٦) .
- (٣) عرفت بابن زين النجار نسبة لأحد كبار علماء الشافعية ، وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقى المعروف بابن زين النجار ، وعرفت بالشريفية نسبة للقاضى الشريف شمس الدين أبــــــــــــــــو عبدالله محمد بن الحسين بن محمد الحنفى قاضى العسكر الامــــــــــــــــوى ابن دقماق : الانتصار ٩٣/١٦ ، المقرئى : م . س ، ٢/٣٦٣ - ٣٦٤ ، مؤلف مجهول : تاريخ العصر القاهرة ورقة ٤٤٣ .

وكانت تقع الى الشرق من جامع عمر بن العاص^(١)، وخصصت لتدريس المذهب الشافعى، وكان فى موضعها حبس يعرف بحبس المعونة^(٢) جرى ازالته لتبني المدرسة فى موضعه^(٣).

ثم اتبع صلاح الدين هذه المدرسة بمدرسة أخرى هى المدرسة القمحية^(٤) والتي عرفت بذلك لأن جزءا من جرايتها كان يصرف قمحا، من ضيعة موقوفة عليها^(٥). ويشير ابن دقماق الى أنها كانت تعرف بالمالكية أيضا^(٦) نسبة للمذهب المالكى الذى كانت مختصة بتدريسه، فى أربعة زوايا^(٧) فى كل واحدة منها مدرس عنده عدد من الطلبة^(٨). وكان فى موضعها قيسارية للغزل، هدمها الناصر صلاح الدين وجعل مكانها المدرسة^(٩). وبعد أن تمكن الناصر صلاح الدين من القضاء على الدولة الفاطمية عام (١١٧٧هـ/١١٧٧م)، أخذ فى الماضى فى تأسيس المدارس فى القاهرة^(٩). وفى عام (١١٧٦هـ/١١٧٦م) بنى الناصر صلاح الدين ثلاث مدارس^(١٠) منها فى القاهرة وهى المدرسة السيوفية

(١) ابن دقماق: الانتصار ٩٣/١.

(٢) كان هذا الحبس فى الأصل خطة لقيس بن سعد بن عبادة الأنصارى رضى الله عنه، الذى جعلها بعد موته للمسلمين بنزلها ولايتها^(١١) وجعلت مخزنا للفلل بعض الوقت فى العصر الأموى، فعرفت بـ دار الفلفل، ثم جعلت فى العصر العباسى دارا للشرطة، وحولت الى حبس فى العصر الفاطمى. المقرئى: الخطط ١٨٧/٢ - ١٨٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ١١٠/٩، أبو شامة: الروضتين ٤٨٦/٢/١، القلقشندي صبح الأعشى ٣٤٣/٣، محمد بهادر: مختصر الفتوح ورقة ٧، ولقد اندثرت هذه المدرسة ولا يوجد أثر يدل عليها فى الوقت الحاضر. محمد رمزى التعليقات فى النجوم ٣٨٥/٥ هامش (١).

(٤) المقرئى: م. س. ٣٦٤/٢، مؤلف مجهول: تاريخ مصر القاهرة ورقة ٤٤٤.

(٥) ابن دقماق: الانتصار ٩٥/١.

(٦) ن. م. س. ويذكر ابن الأثير أنها جعلت للشافعية، وهذا مخالف لما أجمعت عليه المصادر. ابن الأثير: م. س. ١١٠/٩.

(٧) المقرئى: ن. م. س.

(٨) ابن الأثير: ن. م. س. البندارى: سنا البرق ص ٥٧، القلقشندي م. س. ٣٤٣/٣، اندثرت هذه المدرسة ولا يوجد أثر يدل عليها فى الوقت الحاضر. محمد رمزى: التعليقات فى النجوم ٣٨٥/٥ هامش (٢).

(٩) عبد الرحمن زكى: القاهرة ص ٧١.

والتي سميت بذلك لأن سوق السيوفيين يقع على بابها . وجعلت هــ (١)
 المدرسة لتدريس المذهب الحنفى ، وقرر لها مدرس وعدد من الطلبة (٢)
 ولقد جرى بنائها على أجزاء من الدار المأمونية . وفى نفس العام أيضا (٣)
 بنى مدرسة بجوار المشهد الحسينى ، ذكرتها بعض المصادر ، وان كان (٤)
 المقرئ لا يشير الى هذه المدرسة ، وانما يذكر بأن الناصر جعل به حلقة (٥)
 للتدريس . وهى مدرسة يبدو أنها جعلت لتدريس المذهب الشافعى ، كذلك (٦)
 ألحق المدرستين السابقتين بمدرسة ثالثة ، وهى المدرسة الناصرية (٧)
 بالقرافة ، والتي عرفت أيضا بالشافعى ، لأنها بنيت بالقرب من قبر (٨)
 الامام الشافعى رحمه الله ، وهى من أكبر المدارس التى أنشأها صلاح (٩)
 الدين ، أشاد ابن جبير بكبر حجمها ، وبما تحتوى عليه من مرافق ، وذلك فى (١٠)
 قوله بأنها (. . . مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها ، ولا أوسع مساحة ولا أحفل
 بناء ، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ، بازائها الحمام
 الى غير ذلك من مرافقها ، والبناء فيها حتى الساعة ، والثقفة عليها
 لاتحصى) . وكان يدرس بها المذهب الشافعى ، وقدر لها مدرس وعشرة (١١)

- (١) عن هذا السوق انظر ص ٤٣٥ .
- (٢) المقرئى : الخطط ٣٦٥/٢ .
- (٣) ن . م . س . ويدل عليها الآن جامع الشيخ مطهر فى شارع الخردجية
 على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٩/٢ ، ٨/٦ ، عبدالرحمن زكى
 موسوعة مدينة القاهرة ص ٢٧٢ ، كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية
 فى مصر ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ .
- (٤) عن ذلك وعن هذه الدار انظر ص ٣٤٨ .
- (٥) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ١٠٥٦/٣ .
- (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٠٦/٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة
 ٥٥/٦ ، السخاوى : تحفة الأحباب ص ٩٥ ، ولقد زال أثر هذه المدرسة ولم
 يعد هناك شئ يدل عليها فى الوقت الحاضر . عبدالرحمن زكى
 القاهرة ص ٧٢ .
- (٧) المقرئى : م . س . ، ٤٢٧/١ .
- (٨) المقرئى : م . س . ٤٠٠/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ورقة ٤٤٤
- (٩) ابن خلكان : م . س . ٢٠٧/٧ ، ابن زغرى بردى : م . س . ٧٩/٦ .
- (١٠) ابو شامة : الروضتين ١/٢ ق ٦٨٨ ، البندارى : سنا البرق ص ١٢٠ ،
 الحنبلى : شفاء القلوب ص ٩٣ ، محمد بهادر : مختصر الفتوح ورقية
 ١٠ ، كمال الدين سامح : م . س . ، ص ٣٢ .
- (١١) ابن جبير : الرحلة ص ٢٢ - ٢٣ .

(١)

معيدين وعدد كبير من الطلبة .

ولعل من المفيد أن نذكر أنه قد اقتدى بالناصر صلاح الدين الأيوبي
 في بناء المدارس أقربائه وأمراءه ، وغيرهم من الأعيان ، فابتنوا فـى
 الفسطاط والقاهرة عدد منها ، من أبرزها المدرسة التقوية نسبة إلى
 مؤسسها تقى الدين عمر ، الذى أنشأها فى عام (١١٧/٥٦٦م) لتكون مدرسة
 لتدريس المذهب الشافعى ، وعرفت بمنازل العز ، وهو قصر فاطمى ، أسست
 هذه المدرسة على أجزاء منه ، كان تقى الدين قد سكنه ثم اقتناه من بيت
 المال وبناءه مدرسة فعرفت به . ومن المدارس التى بنيت فى الفسطاط
 أيضا فى تلك الأثناء ، مدرسة ابن الأرسوقى ، نسبة إلى ابن الأرسوقى التاجر
 العسقلانى ، وكان بناؤها سنة (١١٧٤/٥٧٠م) ، يذكر ابن دقماق أنها

(١) المقرئى : الخطط ٢/٤٠٠ ، ويدل عليها فى الوقت الحاضر جامع الامام
 الشافعى بالقرافة ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٩/٦ ، محمد
 رمزى : التعليقات فى النجوم ٥٤/٦ هامش (٥) .

(٢) المقرئى : م . س ٣٦٣/٢ .

(٣) سبق الإشارة إليه انظر ص ٢٤٧ ، هامش (٢) .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٩/١١٠ ، أبو شامة : الروضتين ١/٢٤٧ ، البندارى
 سنا البرق ص ٥٨ ، ويذكر أحمد فكرى أن بناءها كان عام (١١٨٣/٥٧٩م) ،
 أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٢/٢ ، ويبدو أن فكرى اعتمد فى
 ذلك على ماورد عند ابن دقماق والمقرئى من أن تقى الدين
 اشترى منازل العز عام (١١٧٠/٥٦٦م) ولم يوقفها الا عندم
 أراد الخروج من مصر . ابن دقماق : الانتصار ٩٣/١ - ٩٤ ، المقرئى
 م . س ٣٦٤/٢ . ويبدو أنه جعلها مدرسة فى بادىء الأمر وأوقف
 عليها لما أراد الخروج من مصر .

(٥) عنه انظر ص ٣٥١ ، هامش (٤) .

(٦) ابن دقماق : ن . ن . س ، المقرئى : ن . م . س ، ويبدو أن الذى
 يدل عليها فى الوقت الحاضر جامع المرحومى الذى يعد جزءا من
 الموقع الذى كانت منازل العز تشغله . على باشا مبارك : الخطط
 التوفيقية ١٥/٦ .

(٧) هو عفيف الدين عبد الله بن محمد الارسوقى (ت ١١٩٦/٥٩٣م) .

المقرئى : م . س ٣٦٤/٢ .

(٨) ن . م . س .

(١) عبارة عن مسجد معلق ، وهى تختص بتدريس المذهب الشافعى ، كذلك أسس عدد من رجال الدولة مدارس فى القاهرة من أهمها المدرسة القطبية التى أسسها الأمير قطب الدين خورشيد سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) ، فنسبت اليه وكانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعى . والمدرسة السيفية التى تنسب الى مؤسسها الأمير سيف الاسلام طقتكين بن أيوب ، والتى أنشأها قبل أن يتجه الى اليمن عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) ليلها بأمر من أخيه الناصر صلاح الدين الأيوبي . ولقد أنشئت هاتين المدرستين على أجزاء من دار الديباج الفاطمية . كذلك أسس القاضى الفاضل فى سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) مدرسة بجوار داره ، فعرفت به وأطلق عليها "الفاضلية" ، وهى مدرسة كبيرة جدا يقول عنها المقرئى بأنها (أعظم مدارس القاهرة وأجلها ٠٠٠) . وتحتوى مكتبة ضخمة قيل بأن عدد كتبها بلغ مائة ألف مجلد وجعلت لتدريس المذهبين الشافعى والمالكي ، علاوة على احتوائها على قاعة لتعليم القرآن الكريم ، وكان بها مصحف يقال أنه مصحف عثمان بن عفان

-
- (١) ابن دقماق : الانتصار ٩٨/١ . ولاتوجد معلومات يمكننى من خلالها التعرف على موقع هذه المدرسة فى الوقت الحاضر ، لعلها اندثرت مثلما حدث للناصرية والقمحية .
 - (٢) لم أستطع العثور على ترجمة له فى المصادر المتوفرة لدى .
 - (٣) المقرئى : الخطط ٣٦٩/٢ ، حسن باشا : الفنون الاسلامية والوظائف ١٠٥٧/٣ ، ويدل عليها فى العصر الحديث جامع ابى الفضل الواقع فى حارة القرن . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٠٠/٣ .
 - (٤) السخاوى : تحفة الأحياب ص ٨٤ ، وعن سيف الاسلام انظر ص
 - (٥) المقرئى : م . س ٣٦٨/٢ ، على باشا مبارك : م . س ٨/٦ ، ويدل عليها فى الوقت الحاضر ، زاوية عثمان الخطاب بشارع بيبرس . السخاوى م . س ص ٨٤ ، هامش (٢) .
 - (٦) ص ٣٤٩ .
 - (٧) أبو شامة : الروضتين ٢٤٠/٢ ، السخاوى : م . س ص ٩٣ - ٩٤ ، أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٢/٢ .
 - (٨) المقرئى : م . س ٣٦٦/٢ .
 - (٩) ن . م . س . أحمد فكري : م . س ٥٣/٢ ، ويذكر على باشا بأن عددها كان أربعمائة ألف . على باشا مبارك : م . س ٢٣٨/٢ .
 - (١٠) المقرئى : م . س ٣٦٦/٢ ، أحمد فكري : م . س ٥٢/٢ .

(١) رضى الله عنه . ولقد أسست هذه الدار على أجزاء من خزانة فاطمية
(٢) وهي خزائن دار الفتكين .

ولكى تتمكن هذه المدارس من ممارسة مهامها على الدوام بسهولة ، فلقد وفر لها مؤسسوها موارد مالية ثابتة ، بحسب الحسب عليها فلقد كانت أوقاف الناصر صلاح الدين على مدارسه جليلة المقـدار فالمدرسة الناصرية بالفسطاط ، وقف عليها سوق الصاغة المجاور لها واحدى قرى الديار المصرية . أما المدرسة القمحية فان وقفها كان عبارة عن قيسارة الوراقين وعلوها بمصر ، وضبعة بالفيوم تـعرف بالخبوشية . وكان وقف المدرسة السيوفية عبارة عن اثنين وثلاثين حانوتا بـخط سويقة أمير الجيوش ، وباب الفتوح ، وحارة برجوان . وتذكر المصادر أن الناصر صلاح الدين أوقف وقفاً كبيراً على مدرسته المجاورة للمشهد الحسيني ، وان كان لا تقدم تفاصيل لهذه الأوقاف . ونظراً لضخامة مدرسة الشافعي بالقرافة ، فلقد كان لها وقف كبير أيضاً ، فلقد أوقف عليها الناصر صلاح الدين حماماً بجوارها وفرناً أمامها ، وحوانيت بظاهرها وبعض الرباع . وأراضى جزيرة الفيل ، التى استزرعت فى تلك الأثناء .

- (١) المقریزی : ن . م . س . أحمد فکری : م . س . ٥٣/٢ .
- (٢) المقریزی : م . ٤٢٣/١ . ویصعب تحديد موقع هذه المدرسة فی الوقت الحاضر حیث اختلفت آثارها، وانما كانت تقع فی درب ملوخیا الذی هو الآن شارع القزازین . علی باشا مبارک : الخطط التوفیقیة ١٣/٦ .
- (٣) المقریزی : م . س . ٣٦٣/٢ - ٣٦٤، مؤلف مجهول : تاریخ المصر القاهرة ورقة ٤٤٣، حسنین ربیع : النظم المالیه ص ٧٦ .
- (٤) المقریزی : م . س . ٣٦٤/٢، مؤلف مجهول : م . س . ورقة ٤٤٤، حسنین ربیع : ن . م . س .
- (٥) المقریزی : م . س . ٣٦٦/٢ . مؤلف مجهول : م . س . ورقة ٤٤٦، حسنین ربیع : ن . م . س .
- (٦) ابن خلکان : وفيات الأعیان (٢٠٦/٧)، السخاوی : تحفة الأحباب ص ٩٥ .
- (٧) المقریزی : م . س . ٤٠٠/٢ .
- (٨) حسنین ربیع : م . س . ص ٧٧ .
- (٩) عن هذه الجزیره انظر ص ٩٦ .
- (١٠) المقریزی : م . س . ١٨٥/٢ .

ولقد فعل مؤسسا المدارس الأخرى مثلما فعل صلاح بديس الأوقاف
على المدارس، فأوقف تقى الدين عمر لمدرسته أوقاف عظيمة، اذ اشترى
منازل العز وحمامها، والاصطبل المجاور لها الذى بناه فندقا عرف بفندق
النخلة، ثم اشترى جزيرة الروضة من بيت المال وأوقف جميع ذلك على
هذه المدرسة . بل يبدو أنه أوقف عليها الفندقين المعروفين بفندق
الكارم، والريح المجاور لهما أيضا .^(١)^(٢)^(٣)^(٤)

كذلك أوقف ابن الارسوقى عددا كبيرا من الحوانيت على مدرسته
فأوقف عليها الحوانيت الواقعة أسفل منها، وأخرى مجاورة لها، علاوة
على جميع الحوانيت فى القيسارتين الكبرى والصغرى اللتان تنسبان له .^(٥)^(٦)
ومن العمائر التى دخلت المدينة فى تلك الأثناء أيضا، الخوانسك
وهى نوع من المنشآت التى جعلت للمتصوفة ينقطعون بها، للتفرغ للعبادة
على حسب مفاهيم ذلك العصر . ولم تكن هذه الخنكاوات معروفة فى مصر
فى العصر الفاطمى، ولم تدخل البلاد الاعلى يد الناصر صلاح الدين الأيوبي
الذى عرف عنه الاهتمام بالمتصوفة ورعايتهم . فأنشأ عام (١١٧٣هـ/١١٧٣م) أول
خنكاه بالقاهرة، وهى الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، التى كانت^(٧)^(٨)^(٩)^(١٠)^(١١)

-
- (١) أبو شامة : الروضتين ١/٢٨٧، البندارى : سنا البرق ص ٥٨ .
 - (٢) ابن دقماق : الانتصار ١/٩٣ - ٩٤، المقرئى : م . س ٣٦٤/٢ .
 - (٣) عن هذا الفندق انظر ص ٩٤ - ٩٥ .
 - (٤) ابن دقماق : م . س . س، المقرئى : م . س . س .
 - (٥) ابن دقماق : م . س . س، ١/٩٨ .
 - (٦) الخوانك جمع خانكاه وقارسيته خركاه، وهو البيت ويطلق على
سرادق الملوك والوزراء . أدى شير . معجم الألفاظ الفارسية
المعربة ص ٥٣ .
 - وكان ظهورها فى القرن الخامس (١٠٥٠هـ/١٠٥٠م) تقريرا . المقرئى
م . س ٢٤/١٤، عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٦ .
 - (٧) المقرئى : م . س . س .
 - (٨) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٦٤ .
 - (٩) ص ١٤٩ - ١٥٠ .
 - (١٠) القلقشندى : م . س . س . سخاوى : تحفة الأحاب ص ٧٧، حسني -
ربيع : النظم المالية ص ٧٤ .
 - (١١) وسميت بسعيد السعداء نسبة الى قنبر - ويقال عنبر - أحد خدام
الفاطميين قتل مطلوباً عام (١١٤٩هـ/١١٤٩م) . المقرئى : م . س ٢/١٥٠
اتعاظ الحنفاء ٣/٢٠٠، السيوطى : حسن المحاضرة ٢/٢٦٠، عبدالرحمن
زكى : م . س . س ص ٩٨ .

(١) دار ضيافة فى أواخر العصر الفاطمى ، بناها الناصر صلاح الدين
خنكاه لاستقبال الصوفية الوافدين الى البلاد الذين فتحت لهم أبوابها
فى تلك الأثناء ، ووفر لهم فيها كل مايعوزهم من مطعم ومشرب وملبس وذلك
عن طريق أوقاف جليلة تمثلت فى بستان يعرف ببستان الحبانة وقيسارية
بالقاهرة تعرف بقيسارية الشرب . وناحية دهمر ومن البهنساوية ، إضافة
الى حمام بجوارها عرف بدمام الصوفية .

ولقد كان تأسيس هذه الخانكاه البداية لبناء العديد منها فى
القاهرة الكبرى فيما تلا عهد الناصر صلاح الدين من عهد ، ذكـرت
المصادر العديد منها .

ويتضح من خلال العرض السابق أن القاهرة الكبرى أخذت تعـرف
أنواعا جديدة من العمائر لم تكن تعرفها فى السابق ، ظهرت كانعكاس
لتطورات سياسية ودينية وثقافية سبقت الإشارة إليها .

(١) المقرئى : م . س ١/٣٦٣ ، ويدل عليها الآن جامع سعيد السعداء

عبدالرحمن زكى : ن . م . س .

(٢) ص ٥٠٩ - ٥١٠ .

(٣) المقرئى : م . س ٢/٤١٦ - ٤١٧ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ٢/٢٦٠ .

(٤) سبقت الإشارة الى البستان ص ٤٤٩ .

(٥) عن هذه القيسارية انظر ص ٤٩٥ .

(٦) المقرئى : م . س ٢/٤١٥ ، حسنين ربيع : النظم المالية ص ٧٤ .

والبهنساوية احدى كور الصعيد تقع غربى النيل ، كانت قاعدتها

مدنية البهنسا . للمزيد انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى

ق ٢/٢١١ - ٢١٢ +

(٧) المقرئى : م . س ٢/٨٥ ، وللمزيد عن هذا الحمام انظر ص ٩٦

(٨) المقرئى : م . س ٢/٤١٦ - ٤١٧ ، السيوطى : م . س ، ٢/٢٦٥ - ٢٦٧ .

(ب) عمائر توسع فى بنائها :

ومثلما كان لازدهار النشاط المعماري فى القاهرة الصلاحية دورا فى أن يدخل المدينة أنواع جديدة من العمائر، كما سبق أن شاهدنا فلقد شهدت القاهرة فى تلك الأثناء توسعا فى استخدام أنواع من العمائر كانت موجودة بها فعلا .

ومن أبرز العمائر التى توسع فى انشائها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي هو سور القاهرة الذى صدرت الأوامر الصلاحية بالبداية فى بنائه عام (١١٧٢هـ/١١٧٦م) كما تذكر غالبية المصادر التاريخية . وكان الهدف الأساسى من بنائه نشر بساط الأمن وحماية القاهرة الكبرى من الهجمات المعادية . وبعد هذا السور قُالت أسوار القاهرة، حيث بنى لها فى العصر الفاطمى سورين ، وكان سور الصلاح ثالثهما ، ويقول المقرئى فى هذا الصدد : (اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرات ، الأولى وضعه القائد جوهر ، والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجمالى (١) (٢) (٣) (٤) (٥))

- (١) أبو شامة : الروضتين ١/٢/٦٨٧، البندارى : سنا البرق ص ١١٩، الحنبلى شفاء القلوب ص ٩٣، المقرئى : الخطط ٢/٢٣٣، السلوك ١/٢/٦٣، محمود وصفى : دراسات فى الفنون والعمارة العربية الاسلامية الدمام ص ١٤١، وينقل ابن تغرى بردى عن ابن عبد الظاهر أن تاريخ هذا الأمر كان فى عام (١١٧٤هـ/١١٧٤م) . ابن زغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤/٣٩ .
- (٢) أبو شامة : ن . م . س . البندارى : ن . م . س . كازانوف : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٣٢ .
- (٣) بنى هذا السور عشية تأسيس القاهرة عام (١٠٨٨هـ/٩٦٨م) وكانت أبعاده تبلغ (١١٠٠م) من الشرق الى الغرب ، وحوالى (١١٥٠م) من الشمال الى الجنوب ، وجعل له عدد من الأبواب أهمها بابى زويلة وبابى النصر والفتوح . وللمزيد انظر : المقرئى : م . س ١/٣٧٧ - ٣٨٠ - ٣٨٣ ابن تغرى بردى : م . س ٤/٣٧ - ٣٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٤٨ - ٣٥٠ ، عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ١٣ - ١٧ ، كازانوف : م . س ص ٣٦ - ٤١ .

Creswell , The Muslim Architectur of Egypt, p. 24 Fig.10.

- (٤) سبقت الإشارة الى ترجمته . ص ٣١٥ هامش (٥) .
- (٥) كانت زيادة بدر الجمالى هذه فى عام (١٠٨٧هـ/١٠٨٧م) وحسبما يـرد من نصوص عنها فى المصادر التاريخية فان هذه التوسعة حدثت فى الناحيتين الجنوبية والشمالية فقط ، ويدل عليها ثلاثة أبواب وهى =

(١) فى أيام الخليفة المستنصر والعمرة الثالثة بنه الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى فى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (٢) .
ولقد كان سور الناصر صلاح الدين عبارة عن زيادة وتوسعة لسور المدينة القديم ، بحيث يشمل أجزاء كبيرة من المنطقة ، وأهمها القاهرة والقلعة ومدينة الفسطاط . (٣) ولذلك فلقد جاء محيطه كبيرا ، فبلغ مجموع (٤)

= باب زويلة وباب النصر والفتوح . المقریزی : الخطط ٣٨٠، ٣٧٩/١ - ٣٨٣ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٩/٤ ، وعلى الرغم من ذلك فلقد أثارت توسعة بدر الجمالى جدلا فيما بين الباحثين حيث أن هناك من يعتقد بأن هذه التوسعة شملت جميع النواحي ، فى حين ذهب البعض الى مخالفتهم فى هذا التصور . انظر أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٣/١ شكل (٢) ، عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ١٤ - ١٥ ، كازانوف : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٤١ - ٤٣ .

Ravaisse, Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.
Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, Fig. 10.

والراجح أن زيادة بدر الجمالى كانت تشمل ثلاث جهات هى الجنوبية والشمالية كما هو معروف بالاضافة الى الجهة الشرقية ، بيدل على ذلك باب التوفيق الذى بنه الوزير المذكور أيضا حيث يقع على بعد عشرة أمتار غربى سور الناصر صلاح الدين فى حين أن أسوار جوهر تقع على بعد خمسة وعشرين مترا غربى السور المذكور فى نفس الناحية مما يشير الى أن هذه التوسعة كانت بسيطة جدا وانها فى حدود خمسة عشر مترا تقريبا . انظر عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١٩ - ٢٠ .

Creswell, op.cit. p. 25.

أما بالنسبة للناحية الغربية فان أحداث اى توسعة فيها يترتب عنه الاضرار بمنشآت النزهة الفاطمية التى تقع بالقرب من السور القديم - سور جوهر - وتطل على الخليج ، انظر المقریزی : م . س ٢٤/٢ ، حيث سيترتب عنها عزل هذه المنشآت عن الخليج ، وهو أمر لاتوجد أى دلائل تشير الى حدوثه .

(١) سبقت الاشارة الى ترجمته . ص ١٠٧ هامش (٢) .

(٢) المقریزی : م . س ٣٧٧/١ .

(٣) المقریزی : م . س ٢٠٣/٢ .

(٤) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١ ، البندارى : سنا البرق ص ١١٩ ،

المقریزی : م . س ٢٠٣/٢ .

أطوال أضلاعه مضافا إليها أطوال سور القلعة مامقداره تسعة وعشرون ألف وثلاثمائة ذراع وذراعين ، بذراع العمل الهاشمي . ولعل هذا الكبر في محيط السور هو الذي أدى الى عدم اتعانه ، حتى توفي الناصر صلاح الدين ، وقد بقي من السور مواضع لم يتم انجازها ، على الرغم من أن الأعمال به كانت متواصلة على الدوام .

ولكى نتمكن من فهم مخطط هذا المشروع الكبير وماتم انجازه بالفعل
فمن الأخرى تقسيم تناول بحثه الى أقسام ثلاثة وذلك بالنظر لمــــا
أوردته المصادر من تفاصيل عن أبعاد هذا السور اذ جرت فى تقسيمهــــا
الى ثلاثة أقسام أولها الضلع الغربى وكان يمتد من البرج الواقع (٤)
بالمقسى حتى يصل الى البرج الواقع بالكوم الأحمر، ويبلغ طول هــــذا (٥) (٦) (٧)

- (١) أبو شامة : ن . م . س . البندارى : ن . م . س . القلقشنـدى
صبح الأعشى ٣/٣٥٠، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤/٤٠، على
باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣/٢٦٢، ويذكر صاحب المراصد بأن
هذا الرقم يوازى سبعة أميال ونصف الميل ، أو فرسخان ونصف
صلى الدين عبد المؤمن : مراصد الاطلاع ٣/١٠٣٧ .
- (٢) المقرئى : م . س . ١/٣٨٠، القلقشنـدى : م . س . ابن تغرى برـدى
ن . م . س .
- (٣) أبو شامة : م . س ١/٢/٦٨٨، البندارى : م . س . ص ١١٩ - ١٢٠ ،
القلقشنـدى : ن . م . س .
- (٤) هذا البرج عرف بقلعة المقسى او قلعة قراقوش . انظر مايلى .
- (٥) سقت الاشارة اليه . ص ٨٤ هامش (٢) .
- (٦) هذا البرج عرف بقلعة "ياذكوج" انظر مايلى .
- (٧) تذكر بعض المصادر أن الكوم الأحمر هو الكوم الواقع بالقرب من فـم
خليج القاهرة ، عند شاطئه الغربى حيث منشأة المهرانى . المقرئى
م . ص ١٤٧/٣٤٧ . القلقشنـدى : م . س . ٣/٣٥٠ - ٣٥١ ، وللحقيقـة
ان هذا الكوم يقع جنوبى الفسطاط كما بين كازانوف . يؤكد ذلك
أن بستان المعشوق الذى يقع فى هذه المنطقة كما سبق أن بينا أثناء
الحديث عن المتنزهات ، كان يقع فى منطقة تعرف بالكوم الأحمر
انظر المسبحى : اخبار مصر ص ٤٤ ، كازانوف : تاريخ ووصف قلعة
القاهرة ص ٥٦ - ٥٧ .

الضلع عشرة آلاف وخمسمائة ذراع . ويذكر القلقشندى بأن هذا الضلع قد
(٢)
انهدم . مما يعنى بأنه قد جرى بنائه . فى حين أن المقريزى يذكر
أنه لم يبين على الاطلاق ، وهو الأصح كما يذكر عدد من الباحثين ، أما
القسم الثانى فيتكون من السور الشمالى للمدينة ، علاوة على أجزاء كبيرة
من السور الشرقى وصولا الى قلعة الجبل . وبلغ طول هذا الحائط ثمانية
آلاف وثلاث مائة واثنان وتسعون ذراعا . وان كان يدخل فى جملته
أجزاء من سور بدر الجمالى القديم ، فما قام به الناصر صلاح الدين
فى هذا الحائط كان عبارة عن زيادة فى سورها القديم ، حيث زاد فيه من
الناحية الشمالية الغربية الممتدة من باب القنطرة ، الى باب
(٧)

- (١) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١ ، البندارى : سنا البرق ص ١١٩ ، ابن
تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤٠/٤ - ٤١ .
- (٢) القلقشندى : م . س ٣٥١/٣ .
- (٣) المقريزى : ن . م . س .
- (٤) عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٦٨ - ٦٩ ، جرجى زيدان : تاريخ مصر
٣٢٣/١ ، كازانوف : م . س . ص ٥٥ .
- (٥) كازانوف : م . س . ص ٥٨ .
- (٦) أبو شامة : ن . م . س . البندارى : ن . م . س . المقريزى : م . س
٣٨٠/١ ، القلقشندى : ن . م . س . ابن تغرى بردى : م . س ٤١/٤ .
- (٧) عن هذا الباب انظر مايلى . ومما يذكر أنه قد أدى جعل هذا الباب
نقطة البداية الى أن يظهر فى السور قطعة زائدة تتجه نحو الغرب
قليلا تصل فيما بين سمت الحائط الشمالى القادم من باب الشعريّة
والباب المذكور . خريطة رقم (٨) مما دفع بعض الباحثين الى
القول بأن صلاح الدين قد بنى حائطا موازيا للحائط الغربى لسور
المدينة القديم . ويسير على الساحل الشرقى لخليج القاهرة وذلك
على أساس أنه يوجد فى هذه المنطقة خط يعرف بخط بين السورين
أى أنه يقع بين سورين . انظر : المقريزى : م . س ، ٢٤/٢ ، حسن
الباشا وآخرون : القاهرة ص ٣٢ ، محمد رمزى : التعليقات فى النجوم
الزاهرة ٣٩/٤ ، هامش (٣) .
- والواقع أن سور الناصر صلاح الدين لم يتجاوز فى اتجاهه جنوبا
الباب المذكور ، حيث كان يوجد فى هذه المنطقة فى تلك الأثناء
منشآت للنزهة سبق الإشارة اليها . ووجود السور سيكون عائقا أمام
بناء هذه المنشآت ، لأنه يسير بمحاذاة الخليج . أما بالنسبة لمسعى
خط بين السورين فمن الواضح أن مساهم كان بسبب وجود طرفه الشمالى
فيما بين سور المدينة القديم والقطعة التى بناها صلاح الدين . انظر
خريطة رقم (٣٩) .

(١) الشعيرة * وصولا الى ساحل النيل حيث البرج الواقع فى المقسى . فشمـل
بذلك أجزاء كبيرة من المنطقة الواقعة غربى الخليج . كذلك زاد مـن
الناحية الشمالية الشرقية ، القطعة الممتدة مما يلى باب النصر وصولا الى
برج الظفر ، الذى يعد الزاوية الشمالية الشرقية للسور ، حيث يأخذ
السور بالاتجاه جنوبا محددا الزيادة الشرقية لسور القاهرة والتـم
كانت مساحتها صغيرة جدا ، اذ أن السور يتجه فى هذه الناحية نحو الميـل
غربا بصورة تدريجية ليقترب من سور المدينة القديم ، ثم يتجه بعـد
ذلك ليلتقى بسور القلعة عند نقطة من طرفه الشمالى الغربى .
ومن الواضح أن هذا القسم من السور هو أول الأقسام التى بدىء فى
تنفيذها ، فى عام (١١٧٧هـ / ١١٧٧م) كانت حوائطه قد بدأت بالظهور بصـورة
واضحة للعيان ، بحيث لم ينقض عهد الناصر صلاح الدين الا وكانت أجزاء
كبيرة منه قد تم انجازها ، ولم يبق منه سوى قطعة صغيرة تصله بقلعة
الجبل ، حيث توقف السور بالقرب من مكان يعرف بالصوه يقع تحت القلعة

-
- (١) عن هذا الباب انظر مايلى .
(٢) المقرئى : م . س ٢٧٩/١ ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٦١/٣ ،
عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٦٦ .
(٣) انظر خريطة رقم (٩) نقلا عن عبدالرحمن زكى : م . س ص ١٠١ الخريطة
(٤) عن هذا البرج انظر مايلى .
(٥) عبدالرحمن زكى : م . س . ص ٦٦ ، كازانوف : تاريخ ووصف قلعة
القاهرة ص ٥٠ .
(٦) Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Fig.10
(٧) كازانوف : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦٤ . ولا زالت أجزاء كبيرة
من هذا القسم موجودة حتى الوقت الحاضر . انظر عبدالرحمن زكى
القاهرة ص ٦٧ - ٦٨ .
(٨) أبو شامة : الروضتين ٢/٢ ، المقرئى : السلوك ١/١/٦٦ .
(٩) المقرئى : الخطط ٣٨٠/١ ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية
٢٦١/٣ ، عبدالرحمن زكى : م . س . ص ٦٦ . جرجى زيدان : تاريخ
مصر ٣٢٤/١ . وعن موقع الصوه انظر أيضا ما ذكره القلقشندى أثناء
حديثه عن المدرسة الأشرفية ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٦٣ .

ويبقى لنا من السور القسم الأخير، وهو القسم الثالث، وهذا القسم كان يهدف الى ربط مدينة الفسطاط بالقلعة اذ خطط له أن يمتد منها الى أن يصل شاطئ النيل حيث البرج الواقع بالكوم الأحمر، ويبلغ طول هذا الضلع سبعة آلاف ومائتا ذراع^(١). وهو بذلك يشكل الضلع الجنوبي والجنوبي الشرقي لسور المدينة^(٢). ولقد بدأ بناء هذا الضلع عام (١١٨٥هـ/١١٨٥م)، ولا يعرف على وجه التحديد ما قد تم انجازه من هذا الجانب في عهد الناصر صلاح الدين، فكل ما يرد عنه هو أنه لم يتسن في تلك الأثناء وصل هذا السور بالقلعة^(٣)، وان كان أعمال البحث الأثرى قد كشفت عن أجزاء كبيرة منه^(٤).

أما عن الأبراج فلقد زود الناصر صلاح الدين الأيوبي هذا السور بأبراج كبيرة جدا تعتبر حصونا قائمة بذاتها^(٥). فعلى ساحل النيل بالقسي بنى برج كبير جدا، عرف "بقلعة المعسى" أو "قلعة قراقوش"^(٦). ولقد بنى هذا البرج في موضع منظره من مناظر

-
- (١) أبو شامة : م . س ٦٨٧/٢/١ . البنداري : سنا البرق ص ١١٩ ،
القلقشندي : م . س ٣٥١/٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤/٤١ .
(٢) انظر خريطة رقم (٢) نقلا عن عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ١٠١ ،
الخريطة .
(٣) المقریزی : السلوك ٩٠/١/١ .
(٤) المقریزی : الخطط ٣٨٠/١ . ويذكر عبدالرحمن زكى بأن هذا الضلع قد تم انجازه فعلا في عهد صلاح الدين وذلك بناء على ما يذكّره المقریزی أثناء حديثه عن قنطرة خليج بنى وائل من أن هذا السور قد جرى مده فعلا ، وهو بذلك يناقض نفسه حيث ذكر أنه لم يتسن اكماله في تلك الأثناء ، انظر عبدالرحمن زكى : م . س ٦٨ ص ١٠١ والواقع أنه لم يتم اكمال هذا الضلع والا فمن باب أولى اكمال الضلع الشمالي الشرقي الذي بدأ ببناؤه قبل هذا الأخير كما سبق أن أوضحنا .

(٥) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٧ . وانظر أيضا :

Casanova, Paul, de Reconstitution, plan 1.

- (٦) كازانوف : تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٤٥ .
(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ٣/٣٥٠ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤/٣٩٩ .
(٨) المقریزی : م . س ١٢٣/٢٠٣٨٠/١٠ ومن الواضح أن نسبه الى قراقوش يقصد بهاء الدين قراقوش الذي كان متوليا لعمارة السور والقلعة كما سبق أن شاهدنا .

(١) الخلفاء الفاطميين كانت تعرف بمنظرة المقسى . كذلك بنى أيضا برج آخر جنوبى الفسطاط شبيه بالبرج الأول ، (٢) كان يقع على الكوم الأحمر على شاطئ النيل ، (٣) عرف بقلعة يازكوج . (٤) وفى الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة، بنى برج ثالث أطلق عليه برج الظفر، (٥) كان يحتل موقعاً فى غاية الأهمية لشرافه على الضلعين الشرقى والغربى من سور (٦) المدينة .

أما عن الأبواب فإن الناصر صلاح الدين الأيووبى قد زود السور بأبواب عدة أهمها بابان كانا يقعان فى السور الواقع غربى الخليج . وأولهما باب كان يقع بالمقسى ، فى مواجهة ساحل النيل ، ولذلك عرف بباب البحر (٧)

-
- (١) المقرئى : م . س ٤٨٠/١ . هدم هذا البرج عام (١٣٦٩/هـ) وقيل (١٢٧٠/هـ) المقرئى : ن . م . س . ابن تغرى بردى : م . س ٤٠/٤ ، ويدل عليه الآن المباني المجاورة لجامع أولاد عفان من الناحية الشمالية الشرقية بميدان باب الحديد . محمد رمزى : التعليقات فى النجوم الزاهرة ٤٩/٤ هامش (٤) . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٧١ .
- (٢) القلقشندى : ن . م . س .
- (٣) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١ ، البندارى : سنا البرق ص ١١٩ .
- (٤) ابن تغرى بردى : م . س ٣٩/٤ . ومن الواضح أنه ينسب الى الأمير سيف الدين يازكوج الأسدى (ت ١٢٠٢/هـ) الذى كان أميراً على طائفة الأجناد الاسدية فى عهد الناصر صلاح الدين الأيووبى . المقرئى م . س ٣٦٧/٢ ، ويبدو أن هذا البرج قد هدم أيضا فى وقت من الأوقات ويصعب تحديد موقعه على وجه الدقة وان كان من المرجح أنه يقع بجوار باب القنطرة الذى كان يوجد هناك . انظر محمد رمزى : م . س ٤٠/٤ هامش (٢) .
- (٥) كازانوف : تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٥١ ، حسن الباشا وآخرون القاهرة ص ٤٨٤ .
- (٦) حسن الباشا وآخرون : ن . م . س . ولا يزال هذا البرج موجودا حتى الوقت الحاضر . عبدالرحمن زكى : م . س ص ٢٧ .
- (٧) المقرئى : م . س ١٥١/٢ . هدم هذا الباب عام (١٨٥٧م) ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر مدخل شارع باب البحر من جهة ميدان باب الحديد . عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٦٩ ، موسوعة مدينة القاهرة ص ١٩ . وانظر خريطة رقم (٨) -

(١) وثانيهما باب الشعرية ، الذى كان يقع بالقرب من خليج القاهرة . كذلك
بنى الناصر صلاح الدين بابا فى مواجهة الضلع الغربى لسور القاهرة
القديم عرف بباب القنطرة ، كان يقع فى نهاية خط سويقة أمير الجيوش (٤)
كما يشير بذلك المقرئى . ومن الواضح أنه بنى بدلا من باب القنطرة (٥)
القديم ، الذى كان يقع الى الشمال من نظيره الجديد . كذلك فلقــد (٦)
(٧)

- (١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٥٠ . وعرف بباب الشعرية نسبة لطائفة
من البربر يقال لهم بنى الشعرية ، يبدو ان مساكنهم كانت بجوار
هذا الباب . المقرئى : م . س ١/٣٨٣ . وقد هدم هذا الباب عام
(١٨٨٤م) لخلل فى مبانيه ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر ميدان
العدوى . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٢٢ .
(٢) انظر خريطة رقم (٨) .
(٣) محمد رمزى : التعليقات فى النجوم الزاهرة ٣٩/٤ هامش (٣) .
(٤) عن هذا الخط انظر ص ٣٥٨ .
(٥) المقرئى : م . س ١٠١/٢ ، ومن الواضح أن هذا الباب هو الذى ذكره
على باشا مبارك . وذكر بأنه يقع فى نهاية هذا الخط تجاه السور
البرج ، وهدم عام (١٢٩٥هـ) على باشا مبارك : الخط التوفيقيـة
١٢/٨٣ ويدل على هذا الباب الآن المنطقة التى يلتقى فيها شارع
أمير الجيوش بشارع الخليج . عبدالرحمن زكى : م . س ص ٢٤ .
(٦) عرف هذا الباب باب القنطرة ، لأنه كان يقع فى مواجهة قنطرة تؤدى الى
باب القنطرة ، لأنه كان يقع فى واجهته قنطرة تؤدى الى بر الخليج
الغربى . وهو من بناء جهر الصقلي باني القاهرة . المقرئى : م . س
٣٨٢/١ - ٣٨٣ . ومن الواضح أن هذا الباب كان يقع فى مواجهة
القنطرة الفاطمية التى يذكر على باشا مبارك أنها تقع فى عطفة
المصطاحى ، ويذكر بأن السور قد سدها ، بيد أنه يذكر بأن هذا السور
هو من بناء الفاطميين رغم أنه يشير الى أنه يتصل باب القنطرة
وهو الباب الذى بناه صلاح الدين كما سبق أن بينا ، مما يدل بدوره على
أن هذا السور هو الذى بناه صلاح الدين ، والذى سبقت الإشارة اليه
ومن الواضح أن سبب اللبس هذا ، عند على باشا هو أنه لم يكن يعلم
ببناء الناصر صلاح الدين هذا الباب والسور هنا . انظر على باشا
مبارك : م . س ٢٧٢/٣ ، وانظر أيضا عن موقع الباب الفاطمى :
A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire , plan 2.
وبذلك يثبت لدينا بأن هذا الباب لم يكن يقع فى مواجهة باب صلاح
الدين كما يذكر بعض الباحثين . انظر محمد رمزى : م . س ٣٩/٤ هامش
(٣) Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, .
p. 25. Fig . 10.

اقتضت زيارة الناصر صلاح الدين لسور المدينة الشرقى أن يبنى له أبوابا
فبنى بابين هما بابى البرقية والمحروق (١) (٢) (٣) ليكونا بديليــــن
عن البابين الفاطميين اللذين كانا يقعان فى مواجهتهما . كذلك أضاف (٤)
صلاح الدين لهذه الأبواب بابا ثالثا عرف بالباب الجديد ، من الواضح (٥)
أنه سمى بذلك لأنه لم يكن له نظير فى العصر الفاطمى ، فاعتبر بابا
جديدا يضاف الى سور المدينة فى هذه الناحية . ولم تكن أبــــــــــــــــواب
صلاح الدين قاصرة على سور المدينة الشمالى والشرقى ، بل انه بنى أبوابا
فى سور المدينة الجنوبى أيضا ، من أهمها باب القنطرة (٦) وكان يقع فى
مواجهة باب القنطرة الفاطمى ، فابن دقماق عندما يتحدث عن المساجد (٧)
التي كانت تقع فى هذه المنطقة ، يذكر بأنه كان هناك باب يعرف "بباب

(١) يرجع أصل تسمية هذا الباب الى العصر الفاطمى ، فبرقة احدى طوائف
الجيش الفاطمى ، ومن الواضح أنه احتفظ بنفس المسمى لأنه بنى بدلا
من آخر قديم . ولقد كشفت أعمال البحث الأثرى عن هذا الباب ، الذى
لا يزال محتفظا بحالته الأصلية . ويقع مكان هذا الباب بجوار التل
الواقع على يمين الداخل من طريق قطع المرأة - للموصلة من شارع
الغريب الى جبانة المجاورين والمهاجرين شرقى القاهرة على بعد
(١٢٠م) شرقى جامعة الأزهر . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة
القاهرة ص ١٩ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٥٠ ، عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٧٠ .
(٣) كان هذا الباب يعرف بباب القراطين نسبة لباعة القرط ، وهو البرسيم
حيث كان يوجد عنده سوق للغنم . ثم عرف بالباب المحروق فى أوائل
العصر المماليكى حيث أحرق هذا الباب عام (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ولا يزال
يوجد فى القاهرة درب يعرف بدرب المحروق يدل على هذا الباب
علاوة على أنه قد تم العثور على برجين من أبراجه . انظر المقرئزى
الخطط ١/٣٨٧ . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٢٤ ،
القاهرة ص ٧٠ .

(٤) Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Fig.10.

(٥) ولقد كشفت أعمال البحث الأثرى عن هذا الباب ، ويقع على بعد (١٤٥م)

جنوبى برج الظفر . عبدالرحمن زكى : م. س. ، ص ٢٠ .

(٦) وعرف بباب القنطرة نسبة لقنطرة بنى وائل التى يقع بجوارها
المقرئزى : م . س ١/٣٤٧ . وكان يقع هذا الباب فى المنطقة التى
يتقاطع بها شارع الصغير بشارع أثر النبى . محمد رمزى : التعليقات

فى النجوم ٤/٤٠ هامش (٢) .

(٧) عن هذا الباب انظر ص ٣٠٦ .

القنطرة الجوانى^(١)، مما يشير الى وجود باب آخر يقع فى مقابلته
ويؤيد ذلك أنه عندما يتحدث عن رحاب الفسطاط، فإنه يذكر رحبة تعرف
برحبة "بابى القنطرة"^(٢)، أى أنها تقع فيما بينهما .
ولكى يتمكن السور من أداء المهام الدفاعية التى بنى من أجلها
على أكمل وجه فلقد زوده الناصر بخندق كان يحيط السور الشرقى
وأجزاء كبيرة من السور الشمالى^(٣) .
ومن الجدير بالذكر أنه كان لازدهار التجارة وتزايد النشاط
الاقتصادى فى عهد الناصر صلاح الدين^(٤)، دورا فى أن تشهد المدينة توسعا
كبيرا فى بناء عمائر الخدمات الاقتصادية، ومن أبرز أنواع هذه العمائر
الخانات أو الفنادق . وهى منشآت ضخمة كانت مخصصة لنزول التجار
والمسافرين . كانت معروفة فى مصر فى العصر الفاطمى^(٥) ونظرا لازدهار
التجارة فى القاهرة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، ومايعنيه
ذلك من ازدياد حركة الانتقال والسفر خاصة من قبل التجار، علاوة على
ازدياد حركة الهجرة الى مصر^(٦) . فلقد ترتب على ذلك أن بنى فى القاهرة
الكبرى عدد من هذه العمائر، من أبرزها خان السبيل، الذى يقع خارج

(١) ابن دقماق : الانتصار ٧٩/١ .

(٢) ابن دقماق : م . س ٣٥/١ .

(٣) المقرئى : الخطط ٣٨٠/١ . حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٨ .

(٤) انظر فيما ذكرناه عن نمو الاستهلاك وازدهار التجارة فى عهد
الناصر صلاح الدين .

(٥) الخان كلمة فارسية الأصل، والفندق كلمة لاتينية الأصل، والكلمات
تطلقان على منشآت من نوع واحد، وان كان من المرجح أن يكون الخان
هو المستعمل فى شرق العالم الاسلامى والفندق فى غربه . انظر حسن
الباشا : المدخل للآثار الاسلامية ص ١٩٢ - ١٩٣، عطية القوصى : تجارة
مصر ص ١٩٧، ١٩٩ .

(٦) حسن الباشا : م . س ص ١٩٢ . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينته
القاهرة ص ٩٤ .

(٧) عطية القوصى . م . س ص ١٩٧ - ١٩٨، ٢٠٠ .

(٨) ص ٢٧٧ .

(٩) ص ٥٠٨ - ٥١٠ .

(١) باب الفتوح ، وهو من بناء الأمير بهاء الدين قراقوش ، جعله لأبنائه
 السبيل والمسافرين بدون أجرة ، وكان به ^(٢) بئر ساقية ، وحوض للشرب .
 ومن الخانات التى بنيت فى تلك الأثناء ، خان مسرور ، وهو خان
 كبير كان يتكون من مئة بيت الا بيت ، وبه مسجد جامع تقام فيه الجمع
 والجماعات . وكان ينزله أعيان التجار الشاميين . ولقد بنى هذا الخان
 على موضع خزانة الأسلحة الفاطمية ، كذلك بنى الأمير سكن الدين منكورش
 (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م) ، ^(٥) ^(٦) خاناً عرف به كان يقع بالقرب من الجامع الأزهر
 وبنى تقى الدين عمر فى الفسطاط ثلاثة فنادق ، أهمها فندق الكارم ، الذى
 كان عبارة عن فندقين أحدهما كبير والآخر صغير . خصص لنزول تجار

- (١) عنه انظر ص ٣٨٦ ، هامش (٣) .
- (٢) المقرئى : الخطط ٩٣/٢ . مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة
 ورقة ١٠٢ ، عطية اللقوى : م . س ص ١٩٨ ، ويدل على موقع هذا الخان
 مسجد البيومى وحوض الشرب المجاور له بشارع البيومى . عبد الرحمن
 زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٦ .
- (٣) ينسب الى مسرور الخادم . أحد خدام الفاطميين ، ثم اختص بالناصر
 صلاح الدين الأيوبي وبقى حياً الى الأيام الكاملية ، اشتهر بالبر
 والاحسان . المقرئى : الخطط ٩٢/٢ .
- (٤) المقرئى : ن . م . س . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١١/٢ .
- (٥) المقرئى : ن . م . س . ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر مجموعة
 المباني التى تحد من الغرب بشارع النردجية ، ومن الجنوب بشارع
 السكة الجديدة ومن الشرق والشمال بشارع خان الخليلى . عبد
 الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١٧٨ .
- (٦) هو الأمير ركن الدين منكورش ، أحد معاليك الناصر صلاح الدين ، وكان
 من أمراء الأجناد الصلاحية ، عرف بالشجاعة واصابة الرأى . المقرئى
 م . س ٩٣/٢ .
- (٧) المقرئى : م . ن . س . ويدل عليه فى الوقت الحاضر مجموعة
 المباني الواقعة خلف وكالة المخلل بالقرب من جامع ^(٨) أبيك ، فى شارع
 الصنادقية على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٠/٢ .
- (٨) عنه انظر ص ٢٤٧ ، هامش (٢) .
- (٩) ابن دقماق : الانتصار ق ٤٠/١ .
- (١٠) ابن دقماق : م . س ق ٩٦/١ .

(١) الكارم . الذين ازدهرت تجارتهم فى تلك الأثناء كذلك بنى فى موضع اصطلح منازل العز ، فندقا عرف بفندق النخلة .
(٢) (٣)
ومن المنشآت الاقتصادية التى توسع فى بنائها فى تلك الأثناء القياسر وهى منشآت تجارية تحوى حوانيت ومصانع عرفت فى مصر منذ العصر الأموى . ونتيجة لانتقال الكثير من أوجه النشاط التجارى والصناعى من الفسطاط الى القاهرة ، فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي فلقد استوجب ذلك استيعاب هذا الانتقال ببناء عدد من القياسر فيها ولذلك فلقد بنى فى القاهرة فى تلك الأثناء عدد من القياسر . فبنى باسم قيسارية الناصر صلاح الدين فى شارع القصبة قيسارية الشرب كان موضعها فى السابق اصطبلًا ، وجعلها وقفًا على صوفية خنقاه سعيده السعداء . كذلك بنى القاضى المرتضى بن قريش قيسارية فى سوق الجمالون الكبير ، عرفت بقيسارية ابن قريش ، وكان موضعها فى السابق

(١) عطية القوصى : تجارة مصر ص ٢٠١ . تجار الكارم هم تجار السلع القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا ، وكان من أهم تجارتهم البهار والسلع الثمينة . عطية القوصى : م . ص ٩١ . ويصعب تحديد موقع هذا الفندق فى الوقت الحاضر ، وان كان كازانوفس قد قدم تحديدا تقريبا له . انظر خريطة رقم (٩) نقلا عن :

Casanova, Paul, de Reconstitution, p. 42.

- (٢) عن منازل العز انظر ص ٣٥١ ، ها مش (٤) .
(٣) ابن دقماق : الانتصار ق ٩٦ . ولاتوجد معلومات يمكن خلالها تحديد موقع هذا الفندق فى الوقت الحاضر .
(٤) عطية القوصى : تجارة مصر ص ١٩٢ .
(٥) عطية القوصى . م . ص ١٩٣ .
(٦) ص ٤٣٢ - ٤٣٤ .
(٧) المقرئى : الخط ٨٦/٢ . ويذكر على باشا بأنه يدل عليها خان يقع تجاه وكالة الزيت . على باشا مبارك : الخط التوفيقيّة ٢٥٢/٢ .
(٨) هو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبدالرحمن بن قريش (ت ١١٩٠هـ / ١١٩٠م) أحد كتاب الانشاء فى دولة الناصر صلاح الدين ، توفى شهيدا على عكا . المقرئى : الخط ٩٦/٢ .
(٩) عن هذا السوق انظر ص ٤٢٧ .

(١) • وبنى القاضى الفاضل ^(٢) قيسارية، بجوار باب زويلة عرفت بقيسارية
اصطبلًا • ^(٣)
الفاضل •

(٤) ونتيجة لتزايد الاهتمام بالتصوف وانتشاره فى تلك الأثناء، فلقد
توسع فى بناء الأربطة فى القاهرة الكبرى، حيث تذكر المصادر أن الأمير ^(٥)
بهاء الدين قراقوش بنى فى المقسى رباطًا • وعلى الرغم من ^(٦)
أن القلقشندى يذكر بأن هذا النوع من العمار لم يدخل مصر إلا فى
العصر الملاحى، إلا أن وجود رباط الأندلس فى القرافة والذى يعود إلى ^(٧)
أواخر العصر الفاطمى ينفى هذا القول • ولعل القلقشندى يقصد بقوله ^(٨)
هذا أن هذه الأربطة أصبحت منذ عهد الناصر صلاح الدين تنهى فى داخل
المدينة وليس فى مقابرها، كما هو واضح من رباط بهاء الدين السابق
الذكر •

ومن الواضح أن تزايد الكثافة السكانية فى القاهرة الفاطمية
منذ عهد الناصر صلاح الدين اقتضى التوسع فى بناء الحمامات فيها
فلقد بنى الناصر صلاح الدين بجوار خنقاه سعيد السعداء حمام عرفت بحمام ^(٩)
الصوفية، وجعله وقفًا على المتصوفة القاطنين بهذه الخنقا

(١) المقرئى : ن • م • س ويدل عليها فى العصر الحديث الحوانيت
الواقعة تجاه الشرم والجمالون ومطهرة القورى وماخلف ذلك • على
باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٧١/٣ •

(٢) عنه انظر ص ٢١ - ٢٢ •

(٣) المقرئى : م • س ٨٩/٢ • ويدل على موقعها فى الوقت الحاضر
الحوانيت والوكالة التى تقع فى مواجهة جامع المؤيد • على
باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٣١/٢ •

(٤) ص ١٤٩ - ١٥٠ •

(٥) الأربطة جمع رباط، وهى فى الأصل منشآت عسكرية يقيم فيها
المجاهدون فى سبيل الله، ثم تحول بمرور الأيام إلى منشآت يقيم
فيها المنقطعون للعبادة • حسن الباشا : المدخل للآثار الإسلامية
ص ١٦٩ •

(٦) المقرئى : م • س ٩٣/٢ • ولاتوجد عن هذا الرباط أى معلومات يمكن
من خلالها تحديد موقعه •

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٤/٣ •

(٨) المقرئى : م • س ٤٥٤، ٤٤٦/٢ •

(٩) المقرئى : م • س ٨٥/٢ • ولان الت هذه الحمامات موجودة حتى العصر
الحديث وتعرف بحمام سعيد السعداء • على باشا مبارك : الخطط
التوفيقية ٢١٨/٢ •

كذلك بنى القاضى الفاضل حماما تقع بالقرب من قيساريته ، وكان عبارة عن حمامين احدهما للرجال والآخر للنساء . (١) وبنى لؤلؤ الحاج حماما أيضا يقع برأس رحبة الابدمرى . (٢) (٣)

ونظرا لتزايد الروابط العمرانية بين القاهرة ومنطقة غربى الخليج ، فقد اقتضى انشاء قناطر جديدة على هذا الخليج لى تستوعب هذه الروابط ، فأنشأ الأمير عز الدين موسك (٤) على هذا الخليج قنطرة (٥) عرفت به . (٦)

-
- (١) وتعرف فى الوقت الحاضر بحمام السكرية . انظر : على باشا مبارك الخطط التوفيقية ١٢٩/٢ .
- (٢) عنه انظر ص ٤٤٦ هامش (١) .
- (٣) المقريزى : م . س ٨٥/٢ . ولاتوجد معلومات عن موقع هذا الحمام حديثا .
- (٤) ص ٣٣٠ .
- (٥) هو الأمير عز الدين موسك (ت ١١٨٨هـ / ١٨٨٨م) من أقرباء الناصر صلاح الدين كان خيرا ومن حفظة القرآن الكريم محبا لأهل الخير والصلاح المقريزى : الخطط ١٤٧/٢ .
- (٦) ن . م . س جرجى زيدان : تاريخ مصر ٣٣٢/١ . وقد ظلت هذه القنطرة حتى عصر على باشا ويدل عليها فى الوقت الحاضر النقطة التى يتقاطع فيها شارع الموسكى مع شارع الخليج (بورسعيد) مع شارع السكة الجديدة (جوهى القائد) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣٠٩/٢ .

(ج) عمائر تبني في مواضع لم تكن توجد بها في السابق :

كما سبق أن شاهدنا فإن انحراف مجرى نهر النيل قد أوجد في عهد
الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فرصة كبيرة ومواتية لاستغلال الأراضي المترتبة
عن هذا الطرح . ولذلك أخذت بعض عمائر المرافق بالظهور عليها . فبنى
عليها المساجد الجامعة ، حيث تذكر المصادر أن القاضي الفاضل بنى في
منشأته التي بنيت على هذه الأراضي ، مسجدا جامعاً . كذلك بنى هذا الوزير
على هذه الأراضي الواقعة على ساحل الفسطاط دار التمر ، التي كانت عبارة
عن ربع عظيم ، كان به ثلاثة مساجد ، وخمسة وسبعون منزلاً ، وثمانية وخمسون
مخزناً واثناً عشر حانوتاً ، وغير ذلك من المنشآت . وكان هذا الربع موقوفاً
على فكاك أسرى المسلمين عند الفرنج .

(١) ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) عن هذه المنشأة انظر ص ٣٨٨ .

(٣) ولقد اندثر هذا الجامع في أوائل العصر المماليكي نتيجة للفيضان
النهرى . انظر المقرئى : الخطط ٢/٢٦٨ .

(٤) سبق الإشارة إلى أنها تدل على صناعة مرتبطة بالتمور . انظر ص ٣٦٤

(٥) الربع مبنى كبير يتكون من عدد كبير من المساكن في أعلاه وحواليات
في أسفله . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١١٥ .

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق ٩٠/١ .

(٧) المقرئى : م . ص ٧٨/٢ - ٧٩

(د) عمائر تبني بدلا من أخرى قديمة :

ومن أوجه النشاط الانشائي ، الذي شهدته القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، هو بناء عمائر للمرافق بدلا من أخرى قديمة . ومن أبرز الأمثلة على ذلك المارستان الصلاحي الذي عرف في العصر المماليكي بالمارستان العتيق . وهو منشأة أمر الناصر صلاح الدين ببنائها عام (١) (٢) (٣) على أجزاء من القصر الشرقي الكبير ، حيث جرى استغلال بعض قاعات هذا القصر وخزاناته ليتكون منها المارستان ، فقبل انـهـ جعل في قاعة كتب القرآن الكريم على حيطانها ، وانه لايدخلها شـمـل أبـدا (٤) كذلك يذكر ابن الطوير بأن خزانتي الكتب والأشربة جعلتا من جملـة (٥) (٦) مجالس هذا المارستان . (٧)

ولقد زود الناصر صلاح الدين هذا المارستان بما يحتاجه من أطباء

(١) عبدالعزيز عبدالدايم : الرعاية الطبية في عصر المماليك ، بحث منشور في مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثاني ١٩٧٧ م ، ص ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٤١/٩ ، أبو شامة : الروضتين ٦٨٨/٢/١ . وينقل المقرئزي عن القاضي الفاضل بأن بنائه كان عام (١١٧٦هـ/١١٧٦م) ، المقرئزي : الخطط ٤٠٧/١ .

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٣٨/٢ .

(٤) المقرئزي : ن . م . س . عبد العزيز عبدالدايم : ن . م . س .

(٥) هذه الخزانة كانت من أجل خزانات الفاطميين ، وكانت تحوى على مئات الألوف من المجلدات في مختلف العلوم والفنون ، قام الناصر صلاح الدين ببيعها ، وحصل القاضي الفاضل على جملة وافرة منها المقرئزي : ن . م . س ٤٠٩/١ .

(٦) كانت هذه الخزانة من جملة خزانات القصر الشرقي ، وكانت تحوى على الأنواع المختلفة من الأشربة والمعاجين والأدوية . المقرئزي : ن . م . س ٤٢٠/١ .

(٧) المقرئزي : ن . م . س ٤٠٩/١ ، ٤٢٠ ، ويدل على موقعه في الوقت الحاضر مجموعة المباني الواقعة خلف دورة المياه بجامع الحسين من الجهة الشمالية الى عطفة القزازين . محمد رمزي : التعليقات في النجوم الزاهرة ١٠١/٤ ، هامش (٣) ، عبدالرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ٤٣ - ٤٤ .

(١) وموظفين ، وأوقف عليه الأوقاف الجلييلة ضمانا لاستمرار العمل به وهى
مائنا دينار من أجرة الرباع الديوانية، وغلات جهاتها الفيوم . هــذا (٢)
علاوة على مطبخ للسكر وحماما يقعان فى الفسطاط . (٣)

وعندما زار ابن جبير القاهرة فى تلك الأثناء، زار هذا المارستان
وأشاد به ، حيث يقول فيه : (ومما شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان
المارستان الذى بمدينة القاهرة ، وهو قصر من القصور الرائقة حسنا
واتساعا، وأبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا، وعين قيما من أهـل
المعرفة ووضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها
على اختلاف أنواعها، ووضعت فى مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى
مضاجع كاملة الكسى ، وبين يدى ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحـوال
المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم . وبازاء
هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ، ولهن أيضا من يكفلهن
ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها
شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين ، ولهم أيضا من يتفقد فى كل يوم
أحوالهم ويقابلهم بما يصلح لها . والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها
بالبحث والسؤال ويؤكد فى الاعتناء بها والمشاركة عليها غاية التأكيد) . (٤)
ومن الواضح أن هذا المارستان بنى بدلا من الفاطمى القديـم (٥)
الذى تحول الى حى سكنى فى تلك الأثناء . (٦)

(٧) كذلك بنى الناصر صلاح الدين دارا جديدة لضرب النقود، جعلت فى
موضع خزانة من خزانات القصر الشرقى كانت تقع بجوار الايوان الكبير (٨)

-
- (١) المقرئى : الخطط ٤٠٧/١، عبدالعزيز عبدالدايم : الرعاية الطبية
فى عصر المعاليك ص ١٦٣ .
(٢) المقرئى : ن . م . س .
(٣) ابن دقماق : الانتصار ق ١٠٤، ٤٥/١ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦ .
(٥) المقرئى : الخطط ٤٠٧/١، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٥/٣ .
(٦) ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .
(٧) المقرئى : م . س . ٤٤٥/١ .
(٨) المقرئى : م . س . ٤٠٦/١ . ولاتوجد معلومات واضحة يمكن من خلالها
تحديد موقع هذه الدار على وجه التحديد، ولعلها تقع فى الأجزاء
الشرقية من هذا القصر .

وذلك بدلا من دار الضرب القديمة ، التي تحولت الى حى سكنى فى تلك
(١)
الأثناء . (٢)

ومن الواضح أن تحول خزانة السلاح الفاطمية الى فندق فى عهد الناصر
صلاح الدين الأيوبي ، قد أدى الى انشاء خزانة جديدة للأسلحة ، على
(٣)
أجزاء من القصر الشرقى أيضا . حيث تقع بجوار دار الضرب الجديدة
(٤)
كان يجرى بها صناعة الأسلحة للجيش الأيوبي ، ولعل من المفيد أن نذكر
(٥)
أن تغيير موقع باب القنطرة ، قد أدى الى بناء قنطرة جديدة على
(٦)
الخليج القاهري بدلا من تلك القديمة . فعلى الرغم من أن المقرريزى يشير
(٧)
أثناء حديثه عن هذه القنطرة ، بأنها ظلت مستعملة منذ العصر الفاطمى
(٨)
حتى عصره ، مما يوحي بأنه لم يجر بناء أخرى جديدة فى عهد الناصر
صلاح الدين الأيوبي ، الا أنه من الواضح أن بناء باب "قنطرة" جديدة يقع
الى الجنوب من القديم ، قد أدى الى أن تفقد القنطرة الفاطمية وظيفتها
(٩)
حيث أن السور الملاحى الذى يتصل بالباب الجديد ، سيفصل فيما بينهما
(١٠)
وبين الباب القديم الذى تقع فى مواجهته . وبالتالى فمن المؤكد
أن قنطرة هذا الباب التى ذكرها المقرريزى وأشار الى وجودها فى
عصره ، يعود بنائها الى عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي حيث لا بد
أن يبنى أمام الباب الجديد قنطرة أخرى جديدة تصل فيما بينه وبين

(١) المقرريزى : م . س ٤٤٥/١ .

(٢) ص ٣٥٨ .

(٣) ص ٤٩٤ .

(٤) المقرريزى : م . س ٤٠٧/١ .

(٥) القلقشندى - صبح الأعشى ١٢/٤ .

(٦) سبقت الإشارة الى أن الناصر صلاح الدين بنى فى هذه الناحية بابا
جديدا بدلا من الفاطمى القديم . انظر ص

(٧) بنى هذه القنطرة جوهر القائد بانى القاهرة ليتسنى العبور عليها
نحو البر الغربى للخليج ، حيث المقسى وغير ذلك . انظر المقرريزى

م . س ١٤٧/٢ .

(٨) المقرريزى : الخطط ١٤٧/٢ .

(٩) عن هذا السور انظر ص ٤٨٧ وخريطة رقم

(١٠) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٧٢/٣ .

(١)
بر الخليج الغربى .

(١) وبما أن هذا الباب كان يقع على رأس شارع مرجوش فمن الواضح أن موقع هذه القنطرة يدل عليه تقاطع هذا الشارع مع شارع الخليج ————— ج
(بور سعيد) . انظر ص ٤٩١ ، هاشم (٤) .

(هـ) عمائر تم تجديد عمارتها :

(١) ونظرا لما عهده أواخر العصر الفاطمي من سيادة للفوضى والاضطراب وظهور التدخلات الأجنبية ، ممثلة في أطماع الصليبيين في مصر ، وما ارتبط بكل ذلك من حروب وصراعات ، ترتب عنها أن تعرضت العديد من المنشآت والعمائر في القاهرة الكبرى للتلف والتخريب ، حيث شهد عصر الناصر صلاح الدين القيام بتجديد عمارة العديد منها . ومن أبرز العمائر التي تم تجديد عمارتها في تلك الأثناء المساجد الجامعة ، ففي عام (١١٧٢/هـ ١١٦٨م) قام صلاح بتجديد عمارة جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق) فجدد بناء هذا الجامع ومحرابه الكبير ، وغطاه بالرخام ، كذلك قام بتجديد بيض أجزاءه الأخرى ، وأصلح رخامها . (٤) ومن الواضح أن هذه الإصلاحات كانت بسبب ما تعرض له الجامع من التلف والتخريب نتيجة حريق الفسطاط عام (١١٦٨/هـ ١١٦٤م) . كذلك قام الناصر صلاح الدين في عام (١١٧٠/هـ ١١٦٦م) بتجديد عمارة سور القاهرة القديم ، الذي كان في حالة يرثى لها ، حيث لم يعد يرد داخلا ولا يمنع خارجا . (٦) ومن الواضح أن الصراعات التي سادت في أواخر العصر الفاطمي قد أدت به إلى هذه الحال ، حيث كلما نشب قتال تعرض هذا السور للتلف والتخريب ، ففي عام (١١٦٣/هـ ١١٥٩م) تهدمت

(١) ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) ص ١٨٩ - ٢٠٦ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار ٦٩/١ ، أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٧/٢ . وهذا الجامع أقدم مساجد مصر ، بناه عمرو بن العاص رضي الله عنه عشية تأسيس الفسطاط . المقریزی : الخطط ٢٤٦/٢ .

(٤) كذلك زود الناصر صلاح الدين هذا الجامع ببعض الإضافات . انظر ابن دقماق : ن . م . س .

(٥) المقریزی : الخطط ٢٥١/٢ .

(٦) أبو شامة : الروضتين ٢٨٨/٢ ، نظير سعداوي : التاريخ العربي المصري ص ٢٢ ، أحمد فكري : مساجد القاهرة ٧/٢ ، كازانوف : القلعة ص ٥٨ .

(٧) أبو شامة : ن . م . س .

أجزاء من سور المدينة الغربى، نتيجة القتال الذى نشب بين أسد الدين
(١)
شيركوه والوزير الفاطمى شاور .

ومن المؤكد أنه قد تم فى تلك الأثناء تجديد عمارة دار صناعة السفن
(٢)
فى الفسطاط . اذ يذكر المقرئى أنها ظلت " . . . عامرة الى ما قبل
(٣)
سنة سبعمائة " . . . فى حين أن من المؤكد أن هذه الدار قد تعرضت
للتلف فى حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) كما حدث لغيرها من
المنشآت .

ومن الواضح أن المارستان الذى كان يوجد فى الفسطاط فى عهد
(٤)
الناصر صلاح الدين الأيوبي ، انما هو مارستانها القديم جرى إعادة عمارته
فى تلك الأثناء، كما يشير الى ذلك القاضى الفاضل حيث يقول : (. . . كذلك
(٥)
بمصر أمر بفتح مارستانها القديم (. . .) ، مما يشير الى أنه كان مغلقا
وذلك بسبب تعرضه للتلف نتيجة حريق الفسطاط على الأرجح .

-
- (١) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ٢/٢٧٦ .
(٢) أسست هذه الدار عام (٣٢٥هـ/٩٣٦م) المقرئى : الخطط ٣/١٩٧ .
ولاتوجد معلومات تحدد موقعها فى الوقت الحاضر .
(٣) ن . م . س .
(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦ .
(٥) المقرئى : م . س ١/٤٠٧ ، لاتوجد معلومات عن هذا المارستان وموقعه .

الفصل الرابع

الدُّوْحَةُ السَّامِيَّةُ

إذا كانت المدينة - كوحدة مادية - تعتبر مجموعة من المنشآت والمباني الكثيرة العدد، والمتآزرة فيما بينها بطريقة تكاملية، لتحقيق وحدة المضمون . فان المدينة تعتبر أيضا تجمعا بشريا ضخما يشكّل التآزر بين أفراد هذا التجمع الوجه الحضارى والانسانى للمدينة . لذلك فان دراسة الأوضاع السكانية تعكس المظاهر الأساسية التى يمكن من خلالها التعرف على مجالات النشاط العمرانى فى المدينة بشكل عام . وعلى الرغم من أهمية البيانات الإحصائية لدراسة هذا الجانب، فان عدم توفرها - بشكل وافى - لم يكن حائلا دون تقديم بعض التصورات الجيدة نظرا لما تقدمه المصادر من نصوص يمكن توظيفها فى الكشف عن العديـد من الجوانب .

والحقيقة فان القاهرة الكبرى التى شهدت فى تلك الفترة تغييرات عمرانية متعددة الجوانب، لم تستطع أن تحافظ على أوضاعها السكانية التى كانت سائدة ابان حكم الفاطميين، حيث طرق هذا الجانب العديـد من أوجه التغير السكانى، بشكل غير جذريا من بنيتها السابقة، ومن أبرز هذه المتغيرات :

(أ) التغير السكانى وتشجيع الهجرات السكانية :

لقد حصل فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي تغيرا كبيرا فى الأوضاع السكانية للقاهرة، فلقد مارس الناصر سياسة محددة استهدفت احلال عناصر سكانية محل أخرى . فقد التزمت الدولة الصلاحية بسياسة ابعاد عناصر الشيعة الفاطمية من مدينة القاهرة هدفها الى نفيهم خارجها . ويشير الى ذلك احدى رسائل القاضى الفاضل حيث يقول : (.....) فأخرجناهم من القاهرة، تارة بالأوامر المرهقة لهم، وتارة بالأمـور الفاضحة منهم، وطورا بالسيوف المجردة (٢) . وعلى الرغم من أن المصادر

(١) أبو شامة : الروضتين ٥٦٥/٢/١ .

(٢) أبو شامة : م . س ٦١٩/٢/١ .

(١) لا تقدم تفاصيل الخطة الصلاحية ، فان من المؤكد أنها تمت على مراحل ————
كما أنها تأثرت الى حد بعيد بمواقف شيعة الفاطميين من الناصر ————
صلاح الدين ورجاله . اذ أن ثورة العبيد السودان (١١٦٨هـ/١١٦٨م) قد ————
أسهمت في أن يقرر السلطان صلاح الدين الأيوبي التخلص من جزء كبير من ————
أتباع الفاطميين وشيعتهم ، وعلى الأخص أولئك الذين اشتركوا في ————
الثورة ، وكانت النتيجة أنهم أخرجوا من المدينة وشردوا ومزقوا كـ ————
ممزق (٢) ، ومن الواضح أنه بعد أن تمكن الناصر من القضاء على الخلافة ————
الفاطمية في عام (١١٧١هـ/١١٧١م) فإنه قام بالتخلص من بعض أتباع (٣) ————
الفاطميين أيضا . فتذكر المصادر أن رجال الناصر قاموا في الأمام ————
الأولى لتسلمه السلطة العليا بالاستيلاء على دور من ينتمى الى الدولة ————
البائدة ، حتى بلغ الحال بأنصاره أن صار كل من استحسن منهم دارا من ————
أملك أتباع الفاطميين وأشياعهم ، أخرج منها سكانها واستوطن بها (٤) ————
وذلك يشير الى تهجير أصحاب تلك الدور غالبا الى خارج المدينة ————
ويبدو أن ذروة اجراءات التهجير هذه قد تمت في عام (١١٧٣هـ/١١٧٣م) بعد ————
أن اكتشف الناصر صلاح الدين الأيوبي في تلك السنة مؤامرة استهدفت ————
تقويض أركان حكمه ، واعادة حكم الفاطميين ، الأمر الذي دفع السلطة (٥) ————
الى اتباع سياسة حازمة استهدفت اخراج أتباع الفاطميين من الأجناد ————
ومن تولى مسئوليات الحشم والخدمة في القصر السلطاني ، حيث تم اقصاء ————
المبعدين الى أقصى بلاد الصعيد جنوبى مصر . ومن الواضح أن الاجراء (٦) ————
الأخير قد قضى وبشكل نهائى على وجود تجمعات سكانية كبيرة للشيع ————
في القاهرة ، وكان هذا الاجراء هو آخر الاجراءات التى تذكرها المصادر ————
في هذا الصدد .

(١) أبو شامة : م . س ٤٥٦/٢/١

(٢) عن هذه الثورة انظر ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٠٣/٩ - ١٠٤ ، أبو شامة : م . س ٤٥٢/٢/١ ، المقرئى
الخطط ٣/٢ ، بول كازانوف : قلعة الجبل ص ٣١ .

(٤) أبو شامة : م . س ٥٠٧/٢/١ ، البندارى : سنا البرق الشامى ص ٦٠ ،
المقرئى : م . س ٤٩٦/١ ، عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٢٩ .

(٥) عن هذه المؤامرة انظر ص ٢١٢ - ٢١٦ .

(٦) أبو شامة : م . س ٥٦٥/٢/١ ، المقرئى : السلوك ٥٤/١/١ .

بيد أن هذه الاجراءات لم تؤد الى القضاء التام على وجود أتباع الفاطميين فى القاهرة ، بل استمر وجود بعضهم فى القاهرة خلال عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، اذ أن استمرار المظاهر الشيعية فى المدينة فى تلك الأثناء ، علاوة على استمرار الوجود الرمزي لبعض الأحياء فيها (١) والتي تعود الى عهد الفاطميين ، نتيجة عدم تغير عناصرها السكانية (٢) يعتبر من أبرز الدلائل على بقاء بعض العناصر الشيعية فى هذه المدينة فى عهد الدولة الصلاحية .

ولكى تتواصل عملية التغير السكاني فلقد حرص الناصر صلاح الدين الأيوبي ، على تشجيع الهجرات السكانية الى مصر بشكل عام ، وكان أول من قدم الى مصر من خارجها الأجناد والعسكريون ، وأول من استوطن مصر من هذه الفئة العسكر الشامى الذى قدم الى مصر تحت قيادة أسد الدين شيركوه فى عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) فقد استلطف الأجناد طبيعة مصر وارتاحوا لسكانها . ومن الواضح أن استقدام الأجناد من خارج مصر هى ظاهرة قد استمرت وتواصلت مع تنامى القوة السياسية والعسكرية للدولة الصلاحية حيث قام الناصر صلاح الدين الأيوبي باستحداث جيش جل عناصره من الأكراد والأتراك على وجه الخصوص ، ليكونوا قوة بديلة عن الجيش الفاطمى (٣) وذلك ما أشار اليه ابن الياس فى قوله : " فلما انفرد صلاح الدين يوسف بملك مصر والشام أزال ما كان بمصر من العساكر الملفقة ، وكان امابيين صقالبة ومصامدة وأرمن وشناترة العرب ، ومشانفة العبيد الزنج ، فمحوا هذه الطوائف كلها ، واستجد بمصر عساكرا من الأكراد خاصة ، فكان عدتهم اثني عشر الفا من شجعان الكرد " . وبالإضافة الى الأجناد والعسكريين فلقد قدم الى مصر فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، عدد كبير من النـاس

(١) ص ١٣٥ .

(٢) ص ٤٠٢ .

(٣) عنه انظر ص ٢١ هامش (٥) .

(٤) أبو شامة : الروضتين ١/٢/٤٣٥ .

(٥) المقرئى : الخطط ١/٩٤ .

(٦) ابنى الياس : بدائع الزهور ١/١/٢٤٢ ، وانظر أيضا حسن ابراهيم حسن

وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٠٦ .

(١) بفئاتهم المختلفة ومن المناطق المختلفة ، فعندما قدم والد الناصر وأقربائه الى مصر عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م) وفد معهم عدد كبير من التجار (٢) أضف الى ذلك فقد كان لاهتمام الناصر صلاح الدين بالعلم والعلماء (٣) أكبر الأثر فى تشجيع الهجرة الى مصر ، اذ أن رعاية التعليم وتشجيعه من عوامل الجذب السكانى المؤثرة . خاصة وأن الناصر صلاح الدين (٤) الأيوبي ، كان كلما سمع بعالم ذائع الصيت زين له نزول بلاده ، علاوة على رعايته لطلاب العلم عن طريق اسكانهم والانفاق عليهم (٥) الأمر الذى دفعهم نحو الهجرة الى مصر وطلب الاستقرار بها ، خلال تلك المرحلة . ويذكر ابن جبير أثناء حديثه عن الاسكندرية بأن بها طلابا للعلم "٠٠٠ يفدون (٦) من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه واجراء يقوم به فى جميع أحواله" . كما أنه (٨) يشير الى العدد الكبير من طلاب العلم الذين سكنوا فى القرافة والذين كان أغلبهم من الغرباء الذين وفدوا الى مصر نظرا لازدياد مكانتها العلمية بين أقطار ديار الاسلام خلال فترة البحث . وهو يذكر أثناء حديثه عن جامع ابن طولون بأن فيه عددا كبيرا من المغاربة الذين تفرغوا (٩) لطلب العلم والعبادة على حد تعبيره . وبالإضافة الى الرحلة فى طلب العلم ، فلقد وفد الى مصر عدد كبير من المتصوفة ، الذين شجعهم (١٠) (١١) (١٢)

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٤٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٢/٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥/٦ .

(٢) ص ١٨

(٣) عن هذه الرعاية انظر ص ١٤١ - ١٤٦ .

(٤) نيكيتا اليسيف : التخطيط المادى ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠١ ، محمد الغريب : سبيولوجيا السكان ، الاسكندرية ، ١٩٨٢م ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٥) أحمد بدوى : الحياة العقلية ص ٣١٠ .

(٦) ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٧) عنها انظر ص ٢٠٠ هامش (٧) .

(٨) ابن جبير : الرحلة ص ١٥ .

(٩) عن القرافة انظر ص ٤٦١ - ٤٦٤ .

(١٠) ابن جبير : م . س ص ٢٤ .

(١١) ابن جبير : م . س ص ٢٦ - ٢٧ .

(١٢) ابن خلكان : م . س ، ١٥٢/٧ ، ابن تغرى بردى : م . س ، ١٥/٦ .

(١)
الناصر صلاح الدين على الهجرة الى مصر وفتح أبوابها لهم .
ومن الواضح أن مثل هذا التدفق البشرى يعكس مدى اهتمام السلطان
الناصر صلاح الدين الأيوبي بزيادة المحتوى السكاني للاقليم المصرى بشكل
عام عام ، وللقاهرة بشكل خاص . لذلك فلقد حرص على الاهتمام بالوافدين
الى مصر ، فأنفق عليهم الأموال وخصص لهم المساكن وأعانهم بما يلزمهم
من وسائل الرعاية الأخرى وذلك ما يشير اليه ابن جبير فى ثنايا حديثه
عن الوافدين الى الاسكندرية خلال فترة البحث . ومما هو جدير بالذكر
فى هذا المجال أن خان السبيل الذى بنى فى تلك الفترة ، انما بنى ليكون
مأوى للمسافرين بغير أجرة . مما يشير الى تشجيع السفر والانتقال الى
مصر . وكذلك كان الحال بالنسبة لخانكاه سعيد السعداء ، التى جعلها
السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي " .. برسم الفقراء الصوفية
الواردين من البلاد الشاسعة " . ولقد ترتب على هذا الاهتمام زيادة
الكثافة السكانية فى مصر عن طريق هذه الهجرة ، إذ أخذت بعض المراكز
العمرانية بالظهور فى تلك الأثناء ، فمدينة الأقصر ، قد بدأت بالظهور
فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي نتيجة هجرة بعض العلماء
ورجال الصوفية واستقرارهم فى موضعها . ومن المرجح أن تكون الزيادة
الحاصلة فى أعداد القرى والتى تضاعف عددها فى تلك الأثناء ، انما
قد حصلت نتيجة الهجرات السكانية . ولاشك فى أن الأمر ينطبق على القاهرة

-
- (١) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٦٦ .
 - (٢) عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٧١ .
 - (٣) ابن جبير : الرحلة ص ١٥ - ١٦ .
 - (٤) عن ذلك وعن هذا الخان انظر ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .
 - (٥) الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٨ البكرى : قطف الأزهار
لوحة ١١٢ .
 - (٦) عنها انظر ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .
 - (٧) المقرئى : الخطوط ٤١٥/٢ .
 - (٨) الأقصر : جمع قصر ، مدينة على شاطئ النيل الشرقى فى الصعيد
كان فى موضعها فى القديم مجموعة قصور تعود الى ما قبل الاسلام .
ياقوت : معجم البلدان ٢٣٧/١ .
 - (٩) محمد عبده الحاجى : الأقصر فى العصر الاسلامى (دراسة تاريخية)
القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٢٠ - ٢١ .
 - (١٠) ص ٢٣٢ .

ولعل أبرز ما يشير الى ذلك مالم يحظ من تنامي عدد الجيش الأيوبي عنده
عما كان عليه الجيش في أواخر العصر الفاطمي، ففي عهد العزيز بالله
عثمان ابن صلاح الدين أيوبى كان اذا اجتمع أفراد الجيش خارج القاهرة^(١)
للعرض، فان عددهم يبلغ ما يزيد عن مائتى ألف رجل، في حين انهم فى
عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي كانوا أكثر من ذلك كما يذكر المقرئى^(٢)
بينما بلغ عدد أفراد الجيش في أواخر عهد الفاطميين ستة وسبعين
ألف رجل^(٣).

ان تنامي العدد السكانى للقاهرة في عهد الناصر صلاح الدين
الأيوبي، يتناقض تماما مع ما كان عليه الحال في عهد الفاطميين حيث
شهد أواخر عهدهم تناقصا في العدد السكانى للمدينة، حيث فتكت^(٤)
الاضطرابات التى سادت في تلك الفترة بعدد كبير من سكان المدينة
هذا علاوة على دورها في دفع عدد آخر نحو الهجرة من المدينة نتيجة
سيادة الفوضى وانعدام الأمن، ففي عام (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) هاجر من مصر والشام
عدد لا يحصى من سكانها نتيجة الغلاء والغزو الصليبي^(٥).

(١) عنه انظر ص ٣٨٥ هامش (٣).

(٢) وكان هذا الجيش يقسم على أساس أن يكون هناك عدد من الفرسان
يتبع كل واحد منهم عدد من الأتباع فمنهم من يتبعه العشرة ومنهم
العشرون حتى المائة . المقرئى : الخطط ٩٤/١ - ٩٥ .

(٣) المقرئى : م . س ٩٤/١ .

(٤) ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٥) ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٦) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ٢٥/٣ .

(ب) توزيع الكثافات السكانية :

تعرض توزيع الكثافات السكانية فى القاهرة الكبرى فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي للعديد من المتغيرات التى أثرت على بنيته التى -
 حد بعيد، وبشكل خالف ماكان عليه الحال فى عهد العبيديين، فقد انتقلت
 مراكز التكتل السكانى فى عهد الناصر من مواقع الى مواقع أخرى . ومن
 الواضح أن القاهرة قد غدت فى تلك المرحلة أهم مراكز الثقل السكانى
 فقد تركزت فيها أعداد كبيرة من البشر بشكل يفوق كثيرا ماكان عليه
 الحال فى الفسطاط، ويذكر ابن سعيد أن القاهرة فى وقته كانت أكثر
 زحمة من الفسطاط . وهو مظهر لاشك أن القاهرة قد اكتسبت من عهد
 الناصر صلاح الدين الأيوبي ، إذ أن الكثير من المواضع الخالية من
 البناء والمنشآت المتعددة الأغراض قد أخذت بالتحول الى أحياء سكنية
 فى العصر الأيوبي ، كنتيجة طبيعية لزيادة الكثافات السكانية فى
 القاهرة ولاشك فى أن تلك الزيادة قد أسهم فيها سياسة السلطان الناصر
 التى تمثلت فى إباحة سكنها لمختلف الطوائف ، خاصة وأنه من المؤكد
 أن الكثير من أهل الفسطاط سيجدون فى ذلك فرصة للانتقال للقاهرة
 إذ أن هؤلاء تحول الكثير منهم نحوها نتيجة حريق شاور لمدينتهم عام
 (١١٦٨هـ/١١٦٨م) حيث اضطروا الى اللجوء اليها، وانطرحوا بأهليهم وعيالهم
 فى المساجد والشوارع والأزقة والحمامات . وعلى الرغم من أن المصادر
 تذكر بأن استقرار الأوضاع على يد بنى أيوب قد أدى الى أن يعــود
 هؤلاء الى مدينتهم بشكل تدريجى كما يذكر المقرئى ، فان ذلك لايعنى
 انهم جميعا قد عادوا الى الفسطاط ، ولاشك بأن هناك من بقى منهم فى
 القاهرة ، حيث يذكر القلقشندى بأن ذلك الحريق قد أدى لأن يكثروا

(١) ابن سعيد الأندلسى - الاغتباط فى حلى الفسطاط ص ١١

(٢) ص ٣٤٢ - ٣٨٥ .

(٣) ص ٥١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٩٩/٩، المقرئى : اتعاظ الحنفاء ٢٩٦/٣، الخطط

٣٣٩/١ .

(٥) البندارى : سنا البرق الشامى ص ٤١، نظير حسان سعداوى : التاريخ العربى

المصرى ، ص ١٤٠ .

(٦) المقرئى : م. م. ٢٥١/٢، ٣٣٩/١، م. م. ٢٥١/٢ .

(١) من الفسطاط ويتزايد انتقال السكان منها، وهو انتقال كان لصالح القاهرة. (٢)
 ان مظهر التغير هذا في توزيع الكثافات السكانية يعكس انقلاباً حقيقياً لما كان عليه الحال في عهد الفاطميين، حيث كانت الكثافة السكانية في الفسطاط أكثر منها في القاهرة، فقد ذكر الطبيب أبو الحسن ابن رضوان (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) ، بأن الفسطاط كانت في وقته أكثر سكاناً من القاهرة . ويبدو أن الفاطميين كانوا يحرصون على أن يكون عدد سكان القاهرة محدوداً وذلك ما انعكسه النصوص التي تذكر بأنه كان بإمكان رعييتهم فيها الاجتماع بأكملهم بالخليفة بالايوان بقصره الكبير وعلى الرغم من أن القاهرة الفاطمية قد زيد في مساحتها على يد الوزير الفاطمي بدر الجمالي ، فان تلك التوسعة كانت محدودة، ولا تعتبر مؤشراً قوياً على تزايد السكناً بالقاهرة بشكل يفوق مستوى الكثافة السكانية التي كانت في الفسطاط ، اذ لاتقدم المصادر نصوصاً تفيد بذلك (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

- (١) القلقشندي : صبح الأعشى ٣/ ٧٣٤ .
- (٢) القلقشندي : م . س ٣/ ٣٦٦ .
- (٣) نقلا عن المقرئزي : الخطط ١/ ٣٦٥ .
- (٤) المسبحي : أخبار مصر ص ٤٤ .
- (٥) عنه انظر ص ٣٠٣ ، هامش (٣) .
- (٦) يستفاد مما ذكره المقرئزي عن أسوار القاهرة الفاطمية بأن بدر الجمالي قد أقام توسعة لأسوار المدينة عام (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) يذكر أحمد فكري بأنها كانت تمتد من الناحية الشمالية والجنوبية بمقدار مائة وخمسين متراً تقريباً . وان كان من الواضح أن بدر الجمالي قد أجرى توسعة من الناحية الشرقية كما يدل على ذلك باب التوفيق الذي بنى في هذه الجهة على يد الوزير المذكور بيد أنه يصعب تحديد مقدار هذه التوسعة لعدم وجود نصوص تاريخية أو مخلفات أثرية للسور من هذه الجهة . انظر : المقرئزي : م . س ٣٧٩/١ ، أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ١/ ٢٤ ، عبدالرحمن زكي : موسوعة القاهرة ص ١٩ - ٢٠ ، القاهرة ص ١٤ - ١٥ .

Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, p. 23.

- (٧) يذكر عبدالرحمن فهمي بأن القاهرة والمناطق المحيطة بها كانت في أواخر العصر الفاطمي أكثر سكاناً من الفسطاط وذلك بناءً لما حدث في عهد الأمر بأحكام الله العبيدي (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠٢ - ١١٣٠ م) ، الذي أمر بأن تعمر المواضع الواقعة جنوب القاهرة من باب الصفا

وبالإضافة الى التغير فى توزيع الكثافة بطريقة تبادلية فيما بين
الفسطاط والقاهرة ، فان هناك مواضع أخرى من المدينة الكبرى تعرضت
البنية السكانية فيها للتغير سواء بالزيادة أو النقصان . فمن الواضح
أن التراجع السكانى فى الفسطاط كان أثره كبيرا على بعض أجزاءها
فقط ، حيث تناقص مقدار الكثافة السكانية فى أجزاءها الجنوبية الشرقية
التي تحولت الى أكوام فى تلك الأثناء ، ويذكر القلقشندى بأنه يسكن
أطرافها رعاة الناس ولا تعد من العامر ، مما يشير الى تراجع مستوى
الكثافات السكانية فيها . فى حين أن المناطق الواقعة على شاطئ
النيل أصبحت منطقة جذب للنشاط السكنى ، نتيجة تزايد فرص البناء
عليها فى تلك الفترة . فأخذت الأحياء السكنية بالظهور على ساحل
الفسطاط . وغربى الخليج ، خاصة ناحية المقسى التى اتصلت مبانيها
بالقاهرة ، مما يعكس تزايد النشاط السكنى فى تلك المناطق ، وبالتالى
تزايد المحتوى البشرى فيها .

= الى الباب الجديد، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٥ . بيـد
أنه من الواضح أن هذه الأحياء كانت تعتبر من جملة الفسطاط
وليس القاهرة ، بحيث انها بنيت على أجزاء من القطاعات والعسكر
كما سبق أن ذكرنا . انظر ص ٣١٧-٣١٨ .

- (١) ص ٣١٠ .
- (٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٣٤ .
- (٣) انظر خريطة رقم (٦/٦٦٤) .
- (٤) ص ٣٨٧ .
- (٥) ص ٣٩٤ وخريطة رقم (٩)
- (٦) ص ٣٨٦ وخريطة رقم (٩)
- (٧) خريطة رقم (٧/٦٦٤) .

(ج) التوزيع الاجتماعى :

تتكون المجتمعات الانسانية بشكل عام من فئات اجتماعية تمتلك كل واحدة منها بعض الخصائص التى تميزها عن الفئات الأخرى . وهذه الخصائص (١)
هى الوسيلة الأساسية التى يمكن من خلالها تصنيف الفئات المختلفة (٢)
ويعد وجود هذه الفئات أمرا ضروريا فى المجتمعات الانسانية، حيث
أن التفاعل الحضرى بين أفراد هذه المجتمعات يقتضى أن يسخر بعضه
بعضا، كل يتعامل مع الآخر بحسب امكانياته المتاحة ووسائله المتوفرة (٣)
وحيث أن مجتمع المدينة هو مجتمع صغير ضمن المجتمع الكبير، فلاشك
بأن تكوينها السكانى قد تأثر بالنواحى المهنية والطبقية، ولذلك (٤)
يلاحظ بعض علماء الاجتماع الحضرى بأن الأسس الاقتصادية تلعب دورا فى
توزيع السكنى فى المدينة، حيث يميل أصحاب الثراء الى السكنى
بجوار بعضهم البعض، وكذلك الحال بالنسبة للفقراء . بيد أن هذا (٥)
الأساس فى التوزيع السكانى لا ينطبق بشكل دائم على المدينة الاسلامية
ففى بعض المدن الاسلامية جرى توزيع السكنى فيها على أساس الانتماء
القبلى، كما حدث فى مدن الفتح فى مراحلها الأولى، حيث قسرت السكنى
فى أرباعها بناء على هذا الاعتبار . بينما نجد أن الاعتبار الدينى (٦)
والسياسى قد أسهم أيضا فى توزيع السكنى فى المدينة، كما حدث فى
القاهرة الكبرى فى العصر الفاطمى، فلقد جرى فى تلك الأثناء الأخذ
بنظر الاعتبار مسألة الانتماء المذهبى والسياسى لتوزيع مواقع السكنى
فيها (٧)، لذلك فانه بالامكان القول بأن توزيع الفئات الاجتماعية فى

(١) اسماعيل حسن عبدالبارى : الديمجرافيا الاجتماعية ، القاهرة

ط الأولى ، ١٩٨٣م ، ص ١٦١ .

(٢) ن . م . س .

(٣) قال تعالى : " ورفعنا بعضهم فوق بعض ليتخذ بعضهم سخريا " .

سورة الزخرف آية ٣٢ .

(٤) اسماعيل حسن عبدالبارى : م . س ص ١٢٢ .

(٥) عبد المنعم شوقى : مجتمع المدينة ص ١٣٣ .

(٦) ص ٧٥ .

(٧) انظر مايلي .

المدينة الإسلامية ، كان يخضع للمبادئ والمفاهيم الاجتماعية التي ينظر من خلالها الى تلك الفئات ، وعليه فان دراسة المبادئ والمفاهيم الاجتماعية التي ينظر من خلالها الى الفئات يعد أمراً ضرورياً يمكن من خلاله فهم طبيعة التوزيع الطبقي والحرفى وماطراً عليه من تحولات فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . بيد أن الصورة لاتكتمل الا اذا استطعنا أن نستوعب طبيعة هذا التوزيع فى العصر الفاطمى . والتي من خلالها يمكن التعرف على التغيرات التي طرأت على هذا التوزيع فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

لقد قام توزيع السكنى للفئات الاجتماعية فى العصر الفاطمى على أسس مختلفة الجوانب يعبر بعضها عن وجود نظرة طبقية فى التوزيع السكنى لهذه الفئات . فالولاء السياسى كان من العناصر الرئيسية التى حددت المواضع التى تسكن بها بعض الفئات الاجتماعية . إذ أن القاهرة الفاطمية كانت فى تلك الأثناء مدينة ملكية ، يسكنها الخليفة وحرمة (١) وخواصه وجنده . فى حين أن الفسطاط كانت موضع سكنى الرعية ، الذين (٢) كان لايجوز لهم سكنى القاهرة ، وكان يحق لمن يعمل فيها أن يدخلها (٣) نهاراً ويعود منها الى الفسطاط مساء . ولقد لعب الانتماء المذهبى دوراً مهماً فى توزيع سكنى الفئات الاجتماعية ، فكانت هناك مناطق فى المدينة الكبرى يسكنها الشيعة الفاطمية أو العلوية ، أو يغلب على سكانها بأنهم من أتباع المذهب المذكور . فمن الواضح بأن الجزء الشرقى من الفسطاط والذى يقع ناحية الجبل كان سكانه من الشيعة ، فقد ذكر (٤) المقدسى أن القسم العلوى من قصبة الفسطاط كانوا من الشيعة ، ولاشك فى (٥)

(١) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٢٩ ، عبدالفتاح وهبة : جغرافية العمران ص ٢٦٥ .

(٢) المقرئى : الخطط ٣٦٤/١ ، عبدالفتاح وهبة : ن . م . س .

(٣) المقرئى : م . س ٢٨٦/١ .

(٤) الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية ص ٢٣ .

(٥) ن . م . س .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٢ .

(١)
أن غالبية سكان القاهرة الفاطمية كانوا من الشيعة أيضا .
ان هذه الأسس يمكن اعتبارها الأسس الرئيسية التى شكلت الاطار العام
لتوزيع السكنى فى المدينة الكبرى فى العصر الفاطمى والذى كانت تقـع
فى داخله أسس توزيع الفئات الاجتماعية التى كان يغلب عليها الانتماء
الاجتماعى ، ذلك أن حارات القاهرة كان معظم سكانها يتألف من فئات
(٢)
ذات انتماء قبلى واحد .

أما عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي فقد كان مرحلة تحول فى توزيع
السكنى للفئات الاجتماعية المختلفة . فالناصر صلاح الدين كان شديد
التمسك بالمبادئ والقيم الدينية الصحيحة ، وهى مبادئ كانت تحت على
المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامى . الأمر الذى انعكس على النظرة
(٣)
الموجهة نحو الفئات الاجتماعية التى كانت تقطن المدينة الكبرى فى
تلك الأثناء . ولذلك فلقد حرص السلطان الناصر على دمج الفئات فيما
بين بعضها البعض ، فأباح القاهرة لسكنى عامة الناس على اختلاف طبقاتهم
وفئاتهم . حيث ان حرية السكنى كانت متاحة فى كافة أجزاء المدينة
(٤)
الكبرى ، وكان يحق لمن شاء من المواطنين والوافدين فى بداية الأمر
أن يسكن حيث شاء . لذلك فلقد وجدت بعض الفئات الاجتماعية فى تغيـر
السياسة السكانية للدولة فرصة مناسبة لها للسكنى فى بعض المواضع التى
كان يحرم عليها السكنى فيها فى العصر الفاطمى . فالمنطقة الواقعة
جنوب باب زويلة ، اشتهرت بسكن فئات من العلماء وعلى الأخص المحدثين

(١) هذا بالإضافة الى وجود عناصر من أهل الذمة كالنصارى الذين

كانوا يقطنون فى حارة الروم . انظر ص ٤٠٢

(٢) ص ٣٣٤ .

(٣) ص ١٣٦ .

(٤) محمد محمود فرغلى : البيئة الادارية فى الجاهلية وصدر الاسلام

مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٥) المقرئى : الخطط ١/٣٦٤ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٧ ، عبد

الفتاح وهبة : جغرافية العمران ص ٢٦٥ .

ويذكر الزبيدي أثناء حديثه عن شارع باب زويلة^(١) بأنه قد نسب اليه جماعة من المحدثين ، وهذه الظاهرة قد ابتدأت منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . وتشير النصوص التاريخية الى سكنى المحدثين في هذه المنطقة منذ تلك الفترة^(٢) .

ولاشك في أن سكنى هذه الفئات في هذه المنطقة يعد مغايرا لما كان عليه الحال في العصر الفاطمي . حيث كانت الأحياء السكنية التي تقع فيها في تلك الفترة مخصصة للأجناد فقط^(٣) . ولاشك في أن الأمر ينطبق على بقية أجزاء المدينة الكبرى . ومن المعلوم أن انتقال العديد من الصناعات الخفيفة والأسواق الرئيسية من الفسطاط الى القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين ، قد ارتبط بانتقال العديد من طوائف الصناع والتجار للسكنى في القاهرة ، وبديل على ذلك سكنى العديد من أهل الفسطاط فيها فـ في تلك الفترة^(٤) ، والذين لاشك في أن كثيرا منهم كانوا ينتمون لهذه الفئات حيث كانت الفسطاط تمثل المركز التجاري والصناعي في العصر الفاطمي^(٥) .

بيد أن سيادة مفاهيم المساواة والدمج الاجتماعي ، وما ترتب عنه من تغييرات في توزيع السكنى للفئات الاجتماعية المختلفة ، لا يعنى عدم وجود ضوابط تتحكم في توزيع النشاط السكنى للفئات الاجتماعية المختلفة في المدينة الكبرى في تلك الأثناء . إذ يلاحظ أن هناك مناطق فيها كانت مركزا لاستيطان فئات ينتمون الى طبقة اجتماعية واحدة فلاشك في أن القاهرة كانت في تلك الفترة مركزا لسكنى الفئات التي تنتمي الى السلطة بشكل عام ، حيث كان الكثير من الأمراء والأجناد وغيرهم ممن ينتمون الى السلطة الحاكمة يقطنون فيها^(٦) .

(١) عن هذا الشارع انظر ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٢) الزبيدي : تاج العروس ٣٩٧/٥ .

(٣) ص ٣٩٦ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ٣٥٩/٣ .

(٥) ص ٤٣٢ - ٤٣٤ .

(٦) ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(٧) ص ٤٣٢ .

(٨) ابن سعيد المغربي : النجوم الزاهرة ص ٢٧ ، الاغتباط في حلى

الفسطاط ص ١١ .

ومن المرجح أن الأمر كان كذلك بالنسبة لجزيرة الروضة التي خصصها السلطان صلاح الدين الأيوبي مقرا لأحدى أكبر الفرق العسكرية .^(١) في حين أن هناك مناطق كانت مركزا لسكنى الفقراء^١ الألد^٢ التي بنيت فيما بين الفسطاط والقاهرة في تلك الفترة كان بنائها قد تم من قبل الفقراء^(٢) . وهو مظهر استمر في هذه المنطقة الى فترة مابعد عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فيذكر المقرئى أثناء حديثه عن أحد الأحكام الواقعة غربى الخليج ، بأنه تم وقفه في عام (١٢٤٥/٥٦٤٣م) "على جهات تؤول أخيرا الى الفقراء والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة"^(٣) وقد تم كذلك وقف أحد هذه الأحكام في عام (١٢٦٢/٥٦٦٠م) على الأطفـال الفقراء القاطنين في الشارع الأعظم في هذه المنطقة أيضا .^(٤) ومن خلال العرض السابق يتضح بأنه على الرغم من وجود المساواة والدمج الاجتماعى فان هذا لم يمنع من أن تتركز بعض الفئات الاجتماعية في مناطق بعينها ومن الواضح أن السبب في ذلك يرتبط بنواحى ادارية واقتصادية الـى حد بعيد فلاشك في أن تركـز كثافة الأجناد في القاهرة انما كان نتيجة طبيعية لما قام به الناصر صلاح الدين الأيوبي من توزيع للعديد من منشآت الفاطميين وأتباعهم على أمرائه ورجال دولته ، وهو تصرف يعكس ملامح الجانب الادارى الى حد بعيد . في حين أن تركـز الفقراء في المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة ، كان نتيجة لعوامل اقتصادية ذلك أن هؤلاء لم يجدوا لهم مجالا واسعا للسكنى في القاهرة ، حيث أن وجود طوائف الجند وأمرائهم فيها قد استلزم توفر العناصر التي تقدم لهم الخدمات المختلفة ، خاصة وأن العسكريين قد أصبحوا خلال فترة البحث

(١) ص ٣٩١ .

(٢) ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٣) المقرئى : الخطط ١٢٠/٢ .

(٤) عن هذا الشارع انظر ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٥) المقرئى : الخطط ١٠٠/٢ - ١٠١ .

(٦) ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

رمزا للشراء وهم يشكلون طبقة رئيسة للاستهلاك بطبيعة الحال .^(١) الأمر الذى انعكس أثره على أسعار الأراضى والمباني الموجودة فى القاهرة ،حيث ارتفعت معدلات الأسعار بطبيعة الحال نتيجة زيادة الطلب عليها من قبل المستفيدين المشتغلين بتقديم الخدمات للطبقات الثرية ،ولذلك فقد لجأ الفقراء الى السكنى جنوبى القاهرة فى المنطقة المحصورة بينها وبين الفسطاط ،والتي لم يكن الطلب عليها شديدا حينذاك ،وربما كانت أسعار الأراضى وكلفة السكن فيها مناسبة .

خاتمة

من المعروف ان دراسة القاهرة عمرانيا يمثل مرتكزا أساسيا
لا يوضح الكثير من المتغيرات التي طرأت عليها في عهد الناصر صلاح الدين
الأيوبي وما صاحب ذلك العهد من ازدهار وتطور شمل مختلف النشاط
الانساني والمادى في هذه المدينة .

فقد كشفت الدراسة ان المدينة تعرضت لعوامل تطور عمراني
كان اهمها العوامل الجغرافية ، حيث تزايد تأثير بعض المكونات الطبيعية
التي توجد في القاهرة . فبالنسبة لنهر النيل فلقد عمل على انحراف
مجراه وتباعد خطر الفيضان النهري عن كثير من الاراضي التي كانت
توجد في المدينة الكبرى وعلى الأخص تلك التي تقع ناحية ساحلها مما
أدى الى ظهور فرصة استغلالها عمرانيا .

كما كشفت الدراسة عن تزايد العلاقة بين المدينة وتلال المقطم
وذلك عندما جرى بناء القلعة عليها .

كما كشفت الدراسة ان الاكوام والتي تكونت نتيجة الاضطرابات
التي شهدتها المدينة في العصر الفاطمي جرى اهمالها لم يعد لها أهمية
عمرانية كبيرة كما أنها اصبحت خارج السور الذى بني للمدينة في تلك
الأيام .

وبالنسبة للبرك والخلجان فان الدراسة أظهرت تزايد العلاقة
العمرانية بين المدينة وهذه المواضع فبالنسبة للخلجان اصبحت المباني
تحيط بشواطئها ، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض البرك علاوة على أنه قد
جرى استغلال اجزاء من بعضها ليبنى عليها .

أما فيما يتعلق بالعوامل الاجتماعية فلقد كشفت الدراسة على أنه قد حدث تغير مذهبي في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ارتبط بمظاهر عمرانية تمثلت بشكل أساسي في الفناء القيمة المعنوية لبعض المواضع كما حدث بالنسبة لمصلى العيد .

كما كشفت الدراسة على أن التغير ارتبط بدخول المدارس كمنشآت جديدة لمحاربة التشيع .

كما جرى التطرق إلى دور الناصر صلاح الدين الأيوبي في رعاية التعليم إذ ظهر ذلك جليا في إنشاء العديد من المدارس في القاهرة علاوة على تشجيع الهجرات والرحلات العلمية للقاهرة مما أدى إلى زيادة المحتوى السكاني للمدينة . وما ارتبط من ذلك بطبيعة الحال من زيادة النشاط العمراني فيها .

وفي جانب المتغيرات الاجتماعية كشفت الدراسة عن سيادة مظاهر اجتماعية جديدة كانتشار الأمن والرفاه في جانب وفي جانب آخر ظهور عادات وتقاليد جديدة في الملبس والمأكل ترتب عنها نتائج عمرانية في زيادة النشاط العمراني في المدينة إذ كان لها تأثيرا على الجانب الاقتصادي في المدينة وما ارتبط به من تأثير على الأسواق في داخل القاهرة الكبرى .

وكشفت الدراسة أيضا عن تزايد الأهمية السياسية لعاصمة الدولة الصلاحية نتيجة لتزايد قوتها العسكرية والاقتصادية كان له انعكاس على القاهرة في الجانب حيث زودت بمنشآت ضخمة عبرت عن أهمية هذا الدور .

وكشفت الدراسة كذلك عن تغير الموقف الصليبي تجاه القاهرة بعد وصول الدولة الصلاحية الى السلطة في مصر حيث ركز الصليبيون انظارهم تجاه مصر بهدف الاستيلاء عليها انعكس ذلك في قوة الهجمات التي وجهت لضرب مصر في مختلف الانحاء . الامر الذي دفع بالدولة الايوبية الى تزويد هذه المدينة باستحكامات حربية تدافع عنها ، ساهم في وجودها ايضا ظهور الفتن الداخلية التي استهدفت تقويض دولة صلاح الدين الايوبي منذ بداية قيامها .

كما كشفت الدراسة بان الموارد الاقتصادية لمصر اصبحت تنصب بشكل كبير في القاهرة نتيجة تطبيق نظام الاقطاع اضافة الى تزايد النمو في مقدار هذه الموارد . كما أسهمت نفقات بني أيوب وامراءهم السخية ، واتجاه الدولة نحو توفير الكثير من احتياجاتها من السوق نحو وصول كثير من الثروات الى ايدي الشعب مما كان له اكبر الاثر في انتشار الرفاه الاقتصادي الذي عم فئات المجتمع .

كما كشفت الدراسة على ان ازدهار التجارة والتبادل التجاري في عهد الناصر صلاح الدين ارتبط بالتوسع في بناء منشآت الخدمات الاقتصادية .

وفي جانب الادارة والتخطيط اثبتت الدراسة ان المشروعات العمرانية التي اقيمت في تلك الاثناء ارتبطت بالتخطيط والتنظيم ، كما ان انتقال مركز الحكم والادارة اثر على القيمة المعنوية لبعض المواضع فجرى استغلالها عمرانيا بصورة تختلف عما كان عليه في السابق .

أما في جانب المظاهر العمرانية فقد كشفت الدراسة على حدوث تطورات واسعة النطاق ، ففي جانب التخطيط المادى للقاهرة اذ شهدت توسعا كبيرا في النواحي الانسانية والمادية . كذلك تأثرت بنية القاهرة الكبرى التي اتخذت معالم تخطيطية تختلف بشكل أساسي عما كانت عليه في العصر الفاطمي حافظت عليها لقرون عديدة لاحقة .

كما أبانت الدراسة عن ظهور احياء جديدة واختفاء احياء أخرى وإعادة عمارة احياء أخرى كانت قد عمها الخراب في العصر الفاطمي إضافة الى تغير النطاق العمراني للاحياء .

وبالنسبة للشوارع فقد كان لها نصيب في التطور العمراني داخل القاهرة الكبرى حيث ظهرت شوارع جديدة ، وجرى توسعة شوارع أخرى ، ومد أطوال شوارع أخرى قديمة وافلاق بعض الشوارع القديمة .

وفي مجال الأسواق كشفت الدراسة عن ظهور أسواق جديدة إضافة الى توسع القديم منها ، وتغير مواضع بعض الأسواق والصناعات ، وظهور الأسواق المتخصصة في القاهرة لأول مرة .

أما المتنزهات والبساتين فقد خضعت لنفس المتغيرات على وجه التقريب ان ظهرت مواضع نزهة جديدة واختفت أخرى قديمة ، كما تزايد الاهتمام بالتنزه في بعض المواضع الأخرى كالخلجان والبرك ، كما خضعت الرحاب والميادين والمقابر لبعض المتغيرات التي طرأت على الأقسام الأخرى .

أما عن منشآت المرافق فقد خضعت لمتغيرات أساسية شملت

ايجاد عمائر تدخل المدينة لأول مرة ، والتوسع في بناء أنواع أخرى منها ، وبناء عمائر بدلا من قديمة كانت موجودة اضافة الى بناء عمائر في مواضع لم تكن توجد بها في السابق بجانب التي تم تجديد عمارتها .

وفي جانب الأوضاع السكانية كشفت الدراسة عن حدوث تغيرات في العناصر السكانية في المدينة حيث جرى استبدال عناصر سكانية بأخرى بدلا منها علاوة على تشجيع الهجرة الى القاهرة ومصر بشكل عام كذلك تغيرت أوضاع الكثافات السكانية فأصبح ارتكازها في مواضع تختلف عما كانت عليه في العصر الفاطمي .

اما بالنسبة للتوزيع الاجتماعي فلقد تغيرت المفاهيم التي تتحكم في هذا التوزيع الأمر الذي ترتب عنه بطبيعة الحال التغير في توزيع الكثافات السكانية .

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- ابن أبي السرور البكري : محمد بن محمد بن أبي السرور ت ١٠٨٧ هـ
قطف الأزهاري من الخطط والآثار
مخطوط دار الكتب رقم ٠٤٥٧
- ابن بهادر المؤمني : محمد بن محمد المؤمني ٨٧٧ هـ / ١٤٧٣ م
مختصر تاريخ العيني المسمى :
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر
مخطوط في مكتبة أيا صوفيا باستنبول رقم ٣٣٤٤
- ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ / ١٣٠٠ م
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
مخطوط في مكتبة أيا صوفيا باستنبول رقم ٣٤١٦
- ابن نباته : جمال الدين محمد بن محمد ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م
مختارات من كلام القاضي الفاضل
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢
- الاسحاقي : محمد عبد المعطي بن أحمد ت
لطائف أخبار الأئمة فيمن تصرف في مصر من الدول
مخطوط بمكتبة أسعد أفندي باستنبول رقم ٢٣٦٧
- الخاصكي : آق بغا (دوا دار السلطان قانصوه الغوري)
التحفة الفاخرة بذكر رسوم خطوط القاهرة
مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ومنه نسخة مصورة بمعهد
البحوث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم

- الشافعي : محمد بن أبي السفتح الصوفي
الصفوة في وصف الديار المصرية ونظام الممالك الإسلامية
مخطوط من نسخة مصورة بالميكروفيلم في مكتبة المتحف
البريطاني رقم ٢٢٣٩
- مجهول المؤلف
تاريخ مصر القاهرة
مخطوط محفوظ في مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول
تحت رقم ٣٠٨٣
- *
- ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

- القرآن الكريم .
- ابن الأثير : ابوالحسن علي بن أبي الكرم محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م
التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل
تحقيق : عبد القادر طليمات ، القاهرة : ١٩٦٣م
- الكامل في التاريخ تحقيق نخبة من العلماء
بيروت ط ٢ سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م
- ابن اياس : محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م
بدائع الزهور في وقائع الدهور
تحقيق : محمد مصطفى القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م
- ابن أيبك الدواداري : ابوبكر عبد الله ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م
كنز الدرر وجامع الغرر
الجزء السابع وعنوانه : الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب
تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م

- ابن تغرى بردى : ابوالمحاسن جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٤٣م
- أ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تحقيق محمد رمزى
القاهرة ١٩٣٥م
- ب - الدليل الشافي على المنهل الصافي تحقيق : فهيم محمد شلتوت
القاهرة ١٩٧٩م.
- ابن جبير : محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م
- رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٤م
- ابن حماد : ابو عبدالله محمد بن على ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم
تحقيق التهامي نقره ، عبد الحليم عويس
الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- ابن حوقل : ابن القاسم النصيبي ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م
- صورة الأرض - بيروت ١٩٧٩م.
- ابن خرداذبة : ابوالقاسم عبيد الله بن عيد الله ت حوالي ٢٧٢هـ
- المسالك والممالك باعتناء دى غويه : ليدن ١٨٨٩م
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م
- مقدمة كتاب العبرود يوان البتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر المشهور
بمقدمة ابن خلدون - بيروت الطبعة الخامسة.
- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق : احسان عباس ، بيروت ١٩٧٢م.

- ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن أيذمرت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦هـ
- أ - الانتصار لواسطه عقد الأُمصار - القاهرة ١٨٩٢م
- ب - الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والملوك والسلطين
- تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م
- ابن رجب الحنبلي : ابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ت ٧٩٥هـ /
١٣٩٢م
- الاستخراج في احكام الخراج تحقيق : محمد ابراهيم الناصر
- رسالة ماجستير - مخطوط ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
- جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- ابن سعيد الأندلسي : على بن موسى بن محمد ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م
- الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط
- من كتاب المغرب في حلى المغرب
- القسم الخاص بمصر ، حققه وعلق عليه : زكى محمد حسن -
- وآخرون ، القاهرة : ١٩٥٣م .
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة
- تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠م
- ابن سيدة : ابو الحسن على بن اسماعيل ت ٤٢٨هـ / ١٠٦٥م
- المخصص - تحقيق لجنة احياء التراث العربي - بيروت
- ابن شاهنشاه الأيوبي : محمد بن تقي الدين عمر ت ٦١٧هـ / ١٢١٩م
- مضمار الحقائق وسر الخلائق
- تحقيق : حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م
- ابن شداد : ابو المحاسن يوسف بن رافع ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٩م
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)
- تحقيق : جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤م

- ابن شداد : عز الدين محمد بن على ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م
الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة
تحقيق يحيى عبادة ، دمشق ١٩٧٨ م
- ابن ظافر الأزدى : جمال الدين على ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م
أخبار الدول المنقطعة
تحقيق : اندريه فريه ، القاهرة ١٩٧٢ م.
- ابن ظهيرة القرشي : مجهول الشخصية عاش في القرن ٩ هـ / ١٥ م
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة
تحقيق : مصطفى السقا ، كامل المهندس - القاهرة ١٩٦٩ م
- ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
ت ٧٣٩ هـ
مرصد الاطلاع عن أسماء الأماكن والبقاع
تحقيق على محمد البجاوي
نشر : دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م
- ابن عبد الظاهر : عبد الله بن رشيد الدين بن نشوان السعدي
المصري ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر
تحقيق : عبد العزيز الخويطر - الرياض ط ١ ، ١٣٩٦ هـ /
١٩٧٦ م
- ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ / ١٨٧٨ م
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء
ط . بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ابن فضل الله العمرى (سبق ذكره)
التعريف بالمصطلح الشريف - القاهرة ١٣١٢ هـ .

- ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م
- ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ م
- ابن كثير : اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م
- البداية والنهاية ، بيروت ١٩٦٦ م
- ابن ماتي : اسعد بن المهذب بن ابي مليح ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م
- قوانين الدواوين
- تحقيق : عزيز سوريال عطية - القاهرة ١٩٤٣ م
- ابن منقذ : اسامة بن مرشد الكناني ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م
- كتب الاعتبار - تحقيق : فيليب حتى
- ط . جامعة برنستون - الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ م
- ابن ميسر : تاج الدين محمد بن علي بن جلب راغب ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م
- أخبار مصر (بانتقاء المقرئ)
- تحقيق ايمن فؤاد سيد - القاهرة
- ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م
- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب
- تحقيق : جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٧
- أبوشامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي
- ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م
- ١ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ق ٢
- تحقيق محمد حلمي القاهرة ١٩٦٢
- ج ١ م ٢ ط . القاهرة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م
- ٢ - الذيل على الروضتين
- تحقيق : عزت العطار القاهرة ١٩٤٧ م

- أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م
تقويم البلدان
- تحقيق : دينور والبارون ماكوكين دي سلانا باريس ١٨٤٠م
- أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٣هـ
الخراج - بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- الأحذب : نجم الدين حسن الرماح ت ٦٩٥هـ / ١٢٩١م
الفروسية والمناصب الحربية تحقيق : عيد ضيف العبادي
بغداد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- أحمد بن محمد المالكي
الحاشية على تفسير الجلالين للجلال المحلي والجلال السيوطي
القاهرة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م
- الاصطخرى : ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م
المسالك والممالك - تحقيق : محمد جابر عبد العال
مراجعة : محمد شفيق غربال - القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م
- الأصفهاني : محمد بن محمد بن حامد الكاتب : العماد الأصفهاني
ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م
خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)
تحقيق : أحمد امين وآخرون - القاهرة .
- البغدادي : اسماعيل باشا بن محمد الباباني ت ١٣٣٩هـ
ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون - استانبول ١٩٤٥م
- هدية العارفين في أسماء المصنفين - استانبول ١٩٦٠م

- البغدادي : عبد القادر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م
الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
ط ٤ - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- البغدادي : قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب ت ٣٢٧هـ / ٩٤٨م
الخراج وصناعة الكتابة
شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي
بغداد ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- البلاذري : أحمد بن يحيى البغدادي ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م
فتوح البلدان
مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان
بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
- البنداري : الفتح بن علي بن محمد ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م
- تاريخ دولة آل سلجوق - ط : دار الافاق - بيروت ١٩٧٨م
- سنا البرق الشامي - تحقيق فتحية البزاوي ، القاهرة ١٩٧٩م
- الجوهري : اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م
تاج اللغة وصحاح العربية
تحقيق : احمد عبد الغفور عطار القاهرة ١٤٠٢هـ
- حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون
مكتبة المثنى ببغداد عن ط . استانبول ١٩٤١م
- الحموي : ابن الفضائل محمد بن علي الحموي (عاش في القرن ٧هـ / ١٣م)
التاريخ المنصوري (تلخيص كشف البيان في حوادث الزمان
تحقيق :
دمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

- الحنبلي : احمد بن ابراهيم ت ٨٧٦ هـ /
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب
تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٨٧ م
- الخطيب البغدادي : أحمد بن علي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م
تاريخ بغداد - بيروت.
- الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد الحسيني :
محب الدين ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م
تاج العروس من جواهر القاموس - القاهرة ١٣٠٦ هـ
- السخاوي : نور الدين علي بن احمد بن عمر
تحفة الأحاب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم
والبقاع المباركات
تحقيق : محمود ربيع ، وحسن قاسم
ط : ١ ، القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٥٧ م.
- السمهوردي : نور الدين علي بن أحمد ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
بيروت ط ٣ ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم
ط : الاولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٨ م
- الشوكاني : محمد بن علي ت ١٢٥٠ هـ
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - القاهرة ١٣٤٨ هـ

- الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة - تحقيق : السيد الباز العريني
بيروت ط ٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- المنهج المسلوك في سياسة الملوك - القاهرة ١٣٢٦ هـ
- الطبرى : محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م
- تاريخ الأئمة والملوك - القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- الطرسوسي : مرضى بن على ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م
- تبصرة أرباب الألباب في كيفية النحاة من الأسوء
ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء
الأعداد (ألفه لصالح الدين الأيوبي)
- تحقيق : كلود كاهين بيروت ١٩٤٨ م
- العبدري : عبدالله محمد بن محمد
- رحلة العبدري المسماة - الرحلة المغربية
تحقيق : محمد القاسمي - فاس
- عبداللطيف البغدادي : ابو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد
- ابن على عاش في القرن ٦ هـ / ١٢ م وعاصر صلاح الدين
الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة
بأرض مصر - المجلة الجديدة
- عمارة اليمنى : ابو محمد نجم الدين عمارة الحكى ت ٥٦٩ هـ
- النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية
- تحقيق : هرتويغ دركبرغ ، شالون : ١٨٩٧ م
- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٨ م
- آثار البلاد واخبار العباد
- دار صادر - بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

- القلقشندي : ابوالعباس احمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م
صبح الأعشى في صداة الانشا
القاهرة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م
- الكتبي : محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م
فوات الوفيات والذيل عليها
تحقيق : احسان عباس - بيروت ١٩٧٤م
- الماوردي : علي بن محمد بن حبيب البصري ت ٤٥٠هـ / ١١٥٥م
الأحكام السلطانية والولايات الدينية
القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
- المسبحي : محمد بن عبدالله (ت ٤١٥ هـ /
اخبار مصر في سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هـ)
تحقيق وليم ج . ميلورد - القاهرة ١٩٨٠م
- المقدسي : شمس الدين ابي عبدالله محمد بن أبي بكر البنا
ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
لیدن ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م
- المقرئ : احمد بن علي ، تقي الدين ابوالعباس ت ٨٤٥هـ /
١٤٤١م
أ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار القاهرة ١٢٧٠هـ
ب - السلوك لمعرفة دول الملوك
تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٥٦م
ج - اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء
تحقيق : محمود حلمي محمد
القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
- د - اغاثة الأئمة بكشف الغمة (أوتاريخ المجاعات في مصر)
نشر : محمد مصطفى زيادة ، جمال الدين الشيال
القاهرة ١٩٤٠م

- المنذرى : ابو محمد زكي الدين عبد العظيم ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م
التكملة لوفيات المقلّة
- تحقيق : بشار عواد معروف ط : الثانية بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- ناصر خسرو
- سفرنامه - ترجمة : يحيى الخشاب - بيروت ١٩٧٠ م
- ياقوت الحموى : شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادى
ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م
- أ - معجم البلدان - بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- ب - المشترك وضعاً والمفترق صقلاً - بغداد
- ثالثاً : المراجع والدراسات العربية والمعرّبة :
- ابراهيم الحقيقى
- معجم المدن والقبائل اليمنية - صنعاء ١٩٨٥ م
- ابراهيم درويش ، ويكر العمرى
- دراسة الحكومات المقارنة
- جدة ط ٢ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- ابراهيم على طرخان
- النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى
القاهرة
- احسان الهسى ظهير
- الاسماعيلية تاريخ وعقائد
- رهور ، ط ١ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م
- أحمد أحمد بدوى
- الحياة العقلية غفي عصر الحروب الصليبية بمصر والشام - القاهرة

- أحمد بيلي

حياة صلاح الدين الأيوبي

القاهرة ، ط ٢ - ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م

- أحمد رمضان

شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى - القاهرة

- أحمد زايد

علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية

القاهرة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

- أحمد السيد الصاوي

المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن

الفاطميين - دراسة اثرية حضارية

رسالة ماجستير مخطوط - كلية الآثار - جامعة القاهرة

القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

- أحمد شلبي

موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

الجزء الخامس (التربية الاسلامية - نظمها - فلسفتها -

تاريخها) القاهرة ط : السادسة ١٩٧٨ م

- أحمد عبد الله خياط

الاقطاع في الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي الاول

رسالة ماجستير في الحضارة - جامعة أم القرى - كلية الشريعة

والدراسات الاسلامية - مكة المكرمة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

- أحمد العسال وفتحى عبد الكريم

النظام الاقتصادي الاسلامي (مبداءه واهدافه)

- أحمد على اسماعيل
دراسات في جغرافية المدن
القاهرة ط الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- أحمد فكرى
مساجد القاهرة ومدارسها - القاهرة
- أحمد بن محمد بناني
موقف الامام ابن تيميه من التصوف والصوفية
مكة المكرمة ط ١ - ١٤٠٦ هـ
- أحمد محمد عدوان
العسكرية الاسلامية في العصر المملوكي
الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٥ م
- أحمد مختار العبادى
قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام - بيروت ١٩٦٩ م
- أحمد مختار العبدى - السيد عبد العزيز سالم
تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط
البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس
الاسكندرية
- آدم متز
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى
ترجمة : محمد عبد الهادى ابوريدة
بيروت ط ١ ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٧ م
- آدى شير : السيد آدى شير
معجم الألفاظ الفارسية المعربة
الناشر : مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٠ م

- أنولد تونبي
- مختصر دراسة التاريخ - ترجمة فؤاد محمد شبل
- مراجعة محمد توفيق غربال القاهرة ١٩٦٦ م
- اسماعيل حسن عبد الباري
- الديمجرافيا الاجتماعية
- القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٨٣ م
- اسمت غنيم
- الدولة الايوبية والصليبيون - الاسكندرية ١٩٨٥ م
- الامين عوض الله
- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي
- جدة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- أمينة بيطار
- التعليم في الشام في العصر الايوبي
- بحث منشور في مجلة تاريخ العرب والعالم
- العدد ٧٠ سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
- بدرو شالميا
- الاسواق - ضمن كتاب المدينة الاسلامية
- بروكلمان - كارل
- تاريخ الشعوب الاسلامية
- ترجمة نبيه امير فارس - منير البعلبكي
- بيروت ط ٠ السابعة ١٩٧٧ م
- بسام العسلي
- صلاح الدين الايوبي - بيروت .

- ٥٤٣ -

- بول كزانوفا
- تاريخ ووصف قلعة القاهرة
- ترجمة : احمد السيد دراج ، مراجعة : جمال محرز
- القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م
- توفيق عبد الجواد
- تاريخ العمارة والفنون الاسلامية - القاهرة ١٩٧٠م
- جاستون فييت
- القاهرة مدينة السفن والتجارة
- ترجمة مصطفى العبادى - بيروت ١٩٦٨م
- جرجي زيدان
- تاريخ التمدن الاسلامي - بيروت
- تاريخ مصر الحديث مع فذلكة من تاريخ مصر القديم
- القاهرة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م
- جمال حمدان
- جغرافية المدن - القاهرة ط: الثانية
- شخصية مصر (دراسة في عبقرية السكان)
- القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- جمال الدين الرمادى
- صلاح الدين الأيوبي - القاهرة ١٩٥٨م
- جمال الدين الشيال
- تاريخ مصر الاسلامية (العصران الأيوبي والملوكي)
- القاهرة ١٩٦٧م
- جميل حرب
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي
- جدة ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

- جورج لوفران
تاريخ التجارة
ترجمة : هاشم الحسيني - بيروت
- جوستاف فون جرونباوم
انجازات العصر الفاطمي
ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
القاهرة ، ج ١ ، ١٩٦٩ م.
- جون كلارك
جغرافية السكان
ترجمة : محمد شوقي ، ابراهيم مكى
الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
- جيرار - ب - س
موسوعة الحياة الاقتصادية ضمن كتاب وصف مصر لعلماء
الحملة الفرنسية ، ترجمة : زهير الشايب
القاهرة ، ط ١ : الاولى .
- حامد عبد السلام زهران
علم النفس الاجتماعي
القاهرة ، ط ١ : الخامسة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
- حسام الدين السامرائي
المؤسسات الادارية في الدولة العباسية - مكة المكرمة ط ٢
المدرسة مع التركيز على النظاميات
بحث مقدم للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية
عمان ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

- ٥٤٦ -

- حسن ابراهيم حسن
- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب
القاهرة ط : الرابعة ١٩٨١ م
- تاريخ الممالك البحرية - القاهرة ط ٣ ، ١٩٦٧ م
- حسن أحمد البدوي
- ظاهرة الحرب ومذاهبها
- محاضرة القيت ضمن فعاليات الموسم الثقافي لكلية الطب
خالد العسكرية ، ونشرت في مجلتها العدد ١٦ - ١٤٠٧ هـ /
١٩٨٧ م
- حسن الباشا
- المدخل للآثار الإسلامية - القاهرة
- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار - القاهرة ١٩٦٦ م
- الالتاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار - القاهرة ١٩٧٨ م
- حسن الباشا - وآخرون
- القاهرة : تاريخها ، منشؤها ، آثارها - القاهرة
- فنون التصوير الإسلامي في مصر - القاهرة
- حسن عبد الحميد صالح
- الحافظ أبو طاهر السلفي - ط ١ - بيروت
- حسن عبد الوهاب
- تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها - القاهرة ١٩٥٧ م
- تاريخ المساجد الأثرية - القاهرة ١٩٤٦
- حسن محمد الهواري
- الرحلات العلمية (الفسطاط) - القاهرة ١٩٢٧ م

- حسنين محمد ربيع
النظم المالية في مصر زمن الـأيوبيين - القاهرة ١٩٦٤ م
- ديمان
الفنون الاسلامية
ترجمة احمد عيسى ،مراجعة احمد ذكرى
القاهرة ، ط : الثانية ١٩٥٨ م
- رشاد عباس معتوق
نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون (نشأته وتطوره)
جدة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- رنسيان - ستيفن
تاريخ الحروب الصليبية
ترجمة السيد الباز العريني - بيروت
- زكي محمد حسن
فنون الاسلام - الكويت
- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى
- كنوز الفاطميين
- ج٤ / ج٨ ضمن كتاب الاعمال الكاملة
بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- سعيد عبد الفتاح عاشور
الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية
- ج ١١ العدد الاول ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- مصر والشام في عصر الـأيوبيين والمماليك - القاهرة
- الحركة الصليبية - القاهرة

- سعاد ماهر
- النسيج الاسلامي - القاهرة ١٩٧٧ م
- القاهرة ، القاهرة .
- مجرى مياه فم الخليج
- بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٨ م ج ٢
- سعد جلال
- المرجع في علم النفس
- القاهرة ط : الخامسة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- سفيتلانا باتسييفا
- العمران البشرى في مقدمة ابن خلدون
- ترجمة رضوان ابراهيم ، تونس ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م
- سناء بلال
- الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ط ١ ، ١٩٨٢ م
- السيد الباز العريني
- مصرفي عهد الايوبيين - القاهرة ١٩٥٢ م
- الممالك - بيروت .
- سيد سابق
- فقه السنة ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ
- شاكر احمد أبوبدر
- الحروب الصليبية والأُسرة الزنكية - بيروت
- شحاته ابراهيم
- القاهرة - القاهرة .
- شكرى فيصل
- حركة الفتح الاسلامي غي القرن الاول
- دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية
- بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

- شوقي ضيف
تاريخ الادب العربي - القاهرة
- صالح العلي
بغداد مدينة السلام (الجانب الغربي)
بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- صالح لمعى مصطفى
التراث المعمارى الاسلامي في مصر
بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- صباح ابراهيم الشحتلي
النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوى الغربى
حتى نهاية القرن الخامس الهجرى
بحث منشور ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى
نهاية القرن التاسع عشر - همدان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- ضيف الله يحيى الزهراني
موارد بيت المال في الدولة العباسية فيما بين سنة
١٣٢ - ٢١٨ هـ / ٧٤٩ - ٨٣٣ م
مكة ، ط : أولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- طلال جميل رفاعي
نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس
الهجرى - رسالة دكتوراه مخطوط
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة أم القرى
مكة المكرمة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م
- عبد الرحمن زكي
الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع - القاهرة ١٩٦٦م
حواضر العالم الاسلامي - القاهرة منارة الحضارة الاسلامية
القاهرة

- القاهرة تاريخها وآثارها من جواهر القائد الى الجبرتي
- المؤرخ - القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م
- الازهر وما حوله من آثار - القاهرة
- امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك
- بحث منصور ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
- والمنشور في كتاب يحمل عنوان الندوة - القاهرة ١٩٧١ م
- موسوعة مدينة القاهرة في الف عام
- القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م
- عبد الرحمن فهمي
- دراسات في الحضارة الاسلامية
- مذكرات مطبوعة تحتفظ بها مكتبة قسم التاريخ في كلية
- الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة أم القرى بمكة
- المكرمة تحت رقم ٧٥ .
- النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- عبد العال الشامي
- مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي
- الكويت - ط ١ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- عبد العزيز الدوري - وآخرون
- بغداد
- نقلًا عن دائرة المعارف الاسلامية
- ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون - بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
- المؤسسات الحكومية - ضمن كتاب المفينة الاسلامية - بغداد

- عبد العزيز عبد الدايم
الرعاية الطبية في عصر المماليك
بحث منشور في مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة
العدد الثاني ١٩٧٧ م
- عبد الفتاح محمد وهبة
الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق
بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- جغرافية الانسان - القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- جغرافية الفجران - الاسكندرية ١٩٧٥ م
- عبد القدوس الأنصاري
مع ابن جبیر في رحلته
ط : الاولى ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- عبد اللطيف حمزة
الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والملوكي الاول
القاهرة ١٩٦٨ م
- عبد الله عبد الغني غانم
النظرية في علم الانسان الاقتصادى
دراسات للاتجاهات النظرية في الانثروبولوجيا الاقتصادية
الاسكندرية ١٩٨٤ م
- عبد المنعم شوقي
مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)
عبد المنعم ماجد
- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر
ط ٣ - القاهرة ١٩٧٨ م
- المرأة المصرية تتزعم مظاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله
الفاطمي - بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٧ م
المجلد ٢٤ .

- عزام باشا
- النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي
٤٣٢ - ٤٨٥ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٢ م
- بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية
جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٠٦ هـ
- عطية القوصي
- تجارة مصر في البحر الأحمر
منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية
- عطية مصطفى شرفه
- نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين - القاهرة ١٩٤٨ م
- على إبراهيم حسن
- مصر في العصور الوسطى - القاهرة
- الممالك البحرية - القاهرة ١٩٦٨ م
- على إبراهيم حسن - حسن إبراهيم حسن
- النظم الإسلامية - القاهرة ١٩٦٢ م
- على بن محفوظ
- الابداع في مضار الابتداع - بيروت
- على بيومي
- قيام الدولة الأيوبية في مصر - القاهرة ١٩٥٢ م
- على باشا مبارك
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها
القديمة والشهيرة - القاهرة ط الثانية ١٩٢٠ م
- عيسى سليمان - وآخرون
- العمارات العربية الإسلامية في العراق (تخطيط مدن
ومساجد) بغداد ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

- ٥٥٣ -

- فاديه عمر الجولاني
- علم الاجتماع الحضري * الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- فالتر هنس
- المكايل والاوزان الاسلامية ، وما يعادلها في النظام المتري
- ترجمة كامل العيسى - عمان ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م
- فتحى حافظ الحديدى
- دراسات في مدينة القاهرة
- القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
- فريد شافعي
- العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها
- الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
- فؤاد فرج
- المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور
- مجموعة فنية تاريخية (القاهرة) - القاهرة ١٩٤٣م
- قدرى قلنجي
- صلاح الدين الايوبي - بيروت
- قطب ابراهيم
- النظم المالية في الاسلام - القاهرة
- الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير الحسيني
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية - بيروت
- كحالة : عمر رضا
- معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية) - بيروت

- كريزول : ك. أ
وصف قلعة الجبل - ترجمة جمال محمد سمرة
مراجعة : عبد الرحمن زكي - القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
- كزاتشكوفسكي : أغناطيوس يوليا نوفتش
تاريخ الادب الجغرافي
ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم
القاهرة ١٩٦٣ م
- كريستس أ. هـ
الفنون الاسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الاوربية
بحث منشور في كتاب تراث الاسلام
ترجمة : زكي حسن ، القاهرة ١٩٣٦ م
- كمال الدين سامح
العمارة الاسلامية في مصر
القاهرة ، ط : الثانية ١٩٨٣ م
- لسترنج - كي
بلدان الخلافة الشرقية
ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد
بيروت ، ط : الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- لينبول
سيرة القاهرة
ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، ادوارد حلمي - القاهرة ١٩٥٠ م
- ماير : ل. أ
الملابس المملوكية
ترجمة : صالح الشيتي ، مراجعة : عبد الرحمن فهمي

- محمد ابو زهرة
محاضرات في الوقف - القاهرة ط ٢ .
- محمد جمال الدين سرور
الدولة الفاطمية في مصر
سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها
القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- محمد الجوهري
الأنثروبولوجيا
(أسس نظرية وتطبيقات علمية) الدمام
- محمد رمزي
القاموس الجغرافي للبلاد المصرية في عهد قدماء المصريين
الى سنة ١٩٤٥ م - القاهرة ١٩٥٤ م
- محمد رياض
الانسان - دراسة في النوع والحضارة - بيروت ١٩٧٤ م
- محمد سيد الكيلاني
الحروب الصليبية واثرها على الآداب العربي في مصر والشام
القاهرة ، ط ٢ - ١٤٠٤ هـ
- محمد ضيف الله البطانية
تاريخ الحضارة العربية الاسلامية
عمان ط الاولى ١٩٨٤ م
- محمد عبده الحجاجي
الاقصر في العصر الاسلامي - دراسة تاريخية
القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م
- محمد عبد الستار عثمان
المفهوم الاسلامي لتخطيط المدن
بحث منشور في مجلة المنهل العدد ٤٥٤ ،
١٤٠٧ هـ / ١٩٧٨ م

- ٥٥٦ -

- محمد عبد العزيز مرزوق
الغن الاسلامي في العصر الأيوبي - القاهرة ١٩٦٣ م
- محمد عبد الله عنان
مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية
القاهرة ط الثانية ١٩٦٩ م
- مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصري - القاهرة
محمد الفريب
- سسيولوجيان السكان
الاسكندرية ١٣٩٢ هـ / ١٩٨٢ م
- محمد فاتح عقيل
أهمية الموقع الجغرافي لسواحل مصر
بحث منشور ضمن كتاب البحرية المصرية - القاهرة
محمد ماهر حمادة
- الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية والأتابية
والايومية - دراسة ونصوص
بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- محمد محمد امين
الاقااف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣ هـ
١٢٥٠-١٥١٧ م - القاهرة ، الطبعة الاولى
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- محمد محمود فرغلي
البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام
مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

- ٥٥٧ -

- محمد محمود محمد بن
التراث الجغرافي الاسلامي
الرياض ط الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- محمود وصفي
دراسات في الفنون والعمارة العربية الاسلامية - الدمام
مصطفى عباس الموسوي
العوامل التاريخية لنشأة تطور المدن العربية الاسلامية
بغداد ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
- مصطفى المنصور ،
تاريخ الفيوم ، القاهرة ١٩٢٩م
- موريس لومبارد
الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة
الأولى - ترجمة عبد الرحمن حميدة
دمشق ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- نظير حسان سعداوى
التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبي
القاهرة .
- المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي -
القاهرة ١٩٦٢م .
- نعمت اسماعيل سلام
فنون الشرط الأوسط فى العصور الاسلامية ،
القاهرة ط الثانية

- نعيم زكي

طرق التجارة الدولية ومحطاتها في العصور الوسطى

القاهرة ١٩٧٣ م

- نقولا زيادة

الطرق التجارية في العصور الوسطى

مجلة تاريخ العرب والعالم

العددان ٥٩ - ٦٠ - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م

- نيكيتا اليسيف

التخطيط المادي

بحث القى ضمن فعاليات حلقة التدارس عن المدينة الاسلامية
التي عقدت بمركز الشرق الاوسط، التابع لكلية الدراسات الشرقية
في جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة تحت رعاية اليونسكو، ونشرت
في كتاب يحمل عنوان الحلقة، بإشراف ر. ب. - سرجنت
ترجمة : أحمد محمد ثعلب - اليونسكو ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

- هاملتون جب

- دراسات في الحضارة الاسلامية - ترجمة احسان عباس وآخرون

بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٩ م.

- صلاح الدين الأيوبي

ترجمة : يوسف آيبش - بيروت

- هشام جعيط

نظرة ابن خلدون للمدينة ومشكلة التمدين

بحث القى ضمن فعاليات ندوة ابن خلدون والفكر العربي
المعاصر المنعقد في تونس عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م تحت
رعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنشور في كتاب
يحمل عنوان الندوة - تونس ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

- هشام عجيبي

قلاع الأتزم والوجه وضبا

دراسة معمارية حضارية

رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ

- يعقوب لتز

خطط بغداد في العهد العباسية الأولى

ترجمة: صالح أحمد العلي

بغداد ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

رابعاً - المراجع الأجنبية -

- Agricultural In Iraq During The 3rd Centurey A.H
El Samarraie - Husam Qawam ,
Thesissu Limited For the degree of Doctor of
Philosophy in University of London 1970.
- Conquest and Fusion , The Social Elvolution of
Cairo A.D. 642 -1890 ,
Suzan Jane Staffa, Leiden 1979,
- De Reconstitution , Topographique de of ville
D' Al Foustat au Misr Mifao ,
Casanova , Paul ,
Tome Tranteeingueme, Le Caire 1919.
- Egyptian Brigaton, Willcocks, 1913.
- Essai sur Chistoir et sur la topographie du
Caire D' apres Makrizi (Palais des
Khaliles Fatimites),
P. Ravaisse ,
Memoires Publies par les membres de la
Mission archiologique France alse au Caire
Paris 1887.
- Muslim Cities in the later Middle Ages,
Iram Lapidus,
Cambridge University Press, London 1984.
- Palais Et Maisons du Caire Epoque Mamelouke,
Jean Cloude Garcin, Bernard Maury
Jaques Revault , Mona Zakariya,
Paris 1982.
- Les Marcees de Caire Traduction annotced
du rexe de Maqrizi,
A. Raymond E. T.G Wiet,
Caire 1979.
- The Muslim Architecture of Egypt, Ikhshids and
Fatmides A . D . 939 - 1171
K.A.C. Creswell,
Haker Art Books, New York 1978.
- The Tasrif and tasir Calculations
Cir Mesiaral Mes oporomain Fiscal operation,
JES HO , 1, 1964 .

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة	٦ - ٣٥
نقد المصادر والمراجع	١٧ - ٣٥
تمهيد	٣٦ - ٣٩
<u>الباب الأول : عوامل التطور العمراني</u>	٤٠ - ٢٨٤
تمهيد	٤١ - ٧٨
الفصل الأول : العوامل الجغرافية	٧٩ - ١٢٥
الفصل الثاني : العوامل الاجتماعية	١٢٦ - ١٦٦
الفصل الثالث : العوامل السياسية والعسكرية	١٦٧ - ٢١٩
الفصل الرابع : العوامل الاقتصادية والإدارية	٢٢٠ - ٢٨٤
<u>الباب الثاني : مظاهر التطور العمراني</u>	٢٨٥ - ٥٢٠
تمهيد	٢٨٦ - ٢٨٨
الفصل الأول : التخطيط المادي	٢٨٩ - ٣٣٠
الفصل الثاني : أقسام المدينة	٣٣١ - ٤٦٥
الفصل الثالث : منشآت المرافق	٤٦٦ - ٥٠٤
الفصل الرابع : الأوضاع السكانية	٥٠٥ - ٥٢٠
الخاتمة	٥٢١ - ٥٢٦
الفهارس :	٥٢٧ - ٥٦١
فهرس المصادر والمراجع	٥٢٨ - ٥٦٠
فهرس الموضوعات	٥٦١